

في رحاب الكلّ العظيم

الفلسفة الخالدة

الجزء السابع من مجموعة من نحن؟

ترجمة وإعداد
علاء الحلبي

السّرّ المحجوب

إذا أردت النظر إلى وصف دقيق لأرقى الأفكار التي سادت في الأزمنة الغابرة، فالكتابات الدينية التي انحدرت منها مثل "الفيدا"، "الزند أفيستا"، "التوراة" أو ما برز لاحقاً من أديان ومذاهب، ليست المراجع المناسبة لفعل ذلك. جميع تلك النصوص كُتبت من أجل أن تُقرأ، تُتلى، وتُنشد في المعابد خلال الاحتفالات الشعائرية الكبرى، والأمر الأهم، صُممت خصيصاً لهدف المحافظة على سلطة الكهنة ورجال الدين. هذه النصوص المقدسة، أو كُتبت "القانون السماوي" إذا صحّ التعبير، لم تُنشر جهاراً لهدف الكشف أمام الناس العاديين عن أسرار العلم الراقى الذي يشغل أوقات فراغ الكهنة الكبار والمنتسبين إلى المحافل السريّة الضيّقة.

".. تذكر يا بني.."، قالها الكاهن البراهمي للمنتسب الجديد، " .. بأن لا إله إلا هو الواحد، السيّد المطلق ومصدر كل الأشياء، وأنه على كل برهمي أن يعيده في السرّ. أعلم أيضاً بأن هذا السرّ يجب أن لا يُكشف أمام قطيع الدنيويين، وإلا سوف تُصاب بأذى كبير.."

يمكننا لمس الحظر ذاته في نصوص "المانو" Manu، الكتاب المقدّس الهندوسي. حيث المقطع اللفظي المقدّس، المؤلف من ثلاثة أحرف [A, U, M]، الممثلة للثالوث "الفيدي" (فيدا)، وجب إبقائها سرّيّة. هذه الأحرف الثلاثة ترمز إلى كل الأسرار الانتسابية للعلوم السريّة.

تعرّف الـ"هونوفر" honover، أو البذرة الأساسية، في "الزند أفيستا" Zend-Avesta (كتاب زردشت المقدس) كما يلي: " .. هونوفر النقي، المقدس، اليقظ — أقولها لك بوضوح يا زردشت الحكيم — وُجد قبل أن وُجدت السماء، قبل أن وُجد البحر، والأرض، والحيوانات، والأشجار، والنار، والإنسان، قبل الديوس، قبل العالم كله.. وُجد قبل أن يوجد أي شيء..". وجب على هذه الحقيقة أن لا يُكشف جوهرها

إلا للماجوس (الكهنة) وحدهم. وجب على الناس العاديين أن لا يعرفوا حتى بوجود هذا الاسم الجليل حيث النتيجة هي الموت أو الجنون.

يمكن إيجاد الحظر ذاته في المقاطع التالية المأخوذة من تعاليم "الميشنا" Mishna اليهودية: ". إنه محرّم تفسير تاريخ الخلق لشخصين معاً، أو حتى تاريخ الميركابا – تاريخ العربية، الذي يعالج خواص الكيان المستتر – لشخص واحد، إلا إذا كان حكيماً وذكياً، وفي هذه الحالة يُسمح بالكشف أمامه عناوين المقاطع فحسب..".

لكي يتمكن الفرد من الانتساب إلى علوم الميركابا السريّة، فإن المركز المرموق والعقلية الحكيمة لا يكفيان. وجب على المنتسب أن يكون في سنّ معيّن من عمره. وحتى لو توفرت كافة شروط الانتساب، فهذه ليست ضمانّة كاملة بأنه يستطيع تحمّل الأسرار المخيفة التي قد تعرّض قناعاته الدينية للخطر، وتعطلّ مسيرة تقديده بالقوانين الدنيوية.

نلاحظ من خلال الاطلاع على تقاليد مجموعة واسعة من التعاليم السريّة، ابتداءً من القبالة الواردة في كتاب "زهر"، وصولاً إلى الـ"أروتشادا باريكشاي" الهندوسية، مروراً بالتقاليد المصرية والكلدانية التي لم يصلنا منها إلى شذرات، جميعها تحدثت عن البذرة الأولى، أو الإله الأعلى، والعالم والنفس. أما الاسم العظيم، الاسم السريّ، الاسم الجليل، فوجب عدم لفظه أو كشفه أبداً.

الأمر المثير هو أن كافة هذه التقاليد السريّة استخدمت نفس العبارات للإشارة إلى المنتسبين الجدد: ". هو الذي دخل إلى جنة البهجة.."، أو ". هو الذي مات ووُلد من جديد.."، إلى آخره.

هذا بالتالي يجعلنا نستنتج، دون أدنى شكّ، بأن الانتساب إلى الحلقات السريّة، والتي تجري منذ الأزمنة الغابرة، يعني الدخول إلى رحاب علوم ومعارف مختلفة تماماً عن تلك المكشوفة للعلن في نصوص الأديان الأولى مثل "الفيدا"، "الزند أفبستا"، و"التوراة"،

وما تفرع منها من أديان ومذاهب في الشرق الأوسط. العلم الحقيقي ليس ذلك الذي اطلع عليه الجميع ودرسه، بل الذي لازال مقتصرًا على حلقة ضيقة جداً من الكهنة والعلماء المنتسبين إلى أحد المدارس السريّة. وهذه المدارس لها تعاليمها اللاهوتية، الفلسفية، وممارستها الخاصة، ومن الواضح أنها هائلة وجليلة لدرجة جعلت كشفها مُحرمًا على القطعان البشرية الدنيوية.

لقد احتفظت الهند بكامل كنوزها الكتابية المنحدرة عبر العصور من الحضارة الأولى. المنتسبين لم يهجروا أي من معتقداتهم أو ممارساتهم. فبالتالي باستطاعتنا الكشف بكل ثقة عن التقاليد "البرهمية" دون أي تردد خوفاً من الإلتباس التاريخي أو التحريف النصّي.

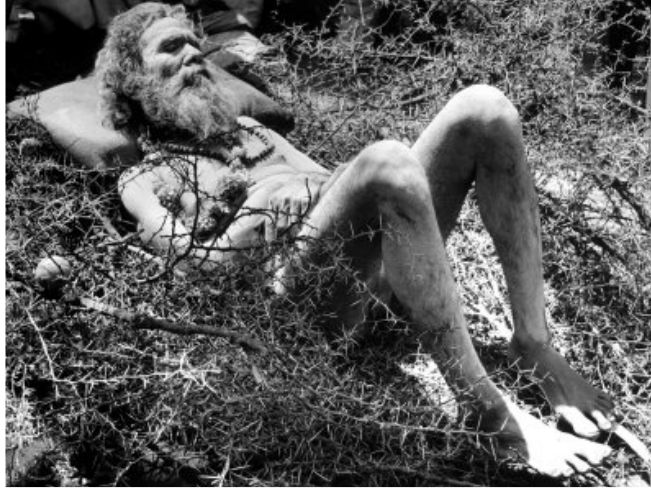
مقتبسات من كتاب "العلوم الخفية في الهند" Occult Science in India (١٩١٩م)

لمؤلفه "لويس جاكلووا" Louis Jacolliot

وُضع هذا الكتاب في الستينات من القرن التاسع عشر 1860s، أي في الفترة التي بدأت فيها المعلومات الأكاديمية الموثوقة عن الفلسفة الهندوسية تتسرّب إلى الغرب. كان مؤلفه "لويس جاكلووا" Louis Jacolliot يبحث عن جذور التقاليد الصوفية الغربية في الشرق الأقصى. أهم ما أضاء عليه في الكتاب هو وصفه المستفيض للقاءاته، خلال رحلاته المتعددة في الهند، مع ما يُسمى "الفاكير" الذين استعرضوا قدرات خارقة (سيدهيات) بطرق عجيبة ومذهلة. كما هناك حديث واسع ومفصل عن تعاليم "القبالة" اليهودية وعلاقتها الوثيقة مع المعتقدات الصوفية الشرقية عموماً وتطابقها المذهل مع تعاليم "البيتريس" الهندية خصوصاً.

النايك الدرويش

"الفاكير"



"فاكير" هندي ينام على كومة من النباتات الشوكي كإحدى الممارسات الهادفة لفهر الألم، وتعتبر أساسية في حياة التتشف التي يعيشها كممارسة دينية يومية.

ذكرت في جزء سابق كيف أسيء استخدام كلمة "يوغا" من قبل الكتاب في بلاد الغرب، خصوصاً الباحثين (العلمانيين) في التراث الهندي، حيث ربطوها بمفاهيم الشعوذة والدجل، وأصبحت كلمة "يوغا" تستحضر صورة المحتال أو لاعب الخفة الاستعراضية أو الدجال.. أو يشبهون "اليوغي" بـ"الفاكير" fakir (النايك الدرويش)، أو بالذين يمارسون السحر الأسود. وهذه المسألة تتطلب بعض التوضيح مرة أخرى، حيث "الفاكير" (وجاءت أصلاً من الكلمة العربية "فقير") تعرّض أيضاً للظلم خلال عملية التصنيف هذه. هذا الاسم طبعاً يستحضر في مخيلتنا صورة ذلك الرجل الهزيل الذي يستعرض مجموعة من الألعاب السحرية أو أعمال الخفة في الساحات العامة وأرصفة الشوارع. لكن هذا أيضاً وصف خاطئ للـ"فاكير" الحقيقي. صحيح أنه يختلف عن "اليوغي" من حيث المفهوم الروحي لكنه ليس أقل منه شأنًا من ناحية الأخلاقيات العالية التي يتمتع بها.

يمكن اختصار الفرق بين الاثنين فيما يلي: كلاهما "يوغيان"، لكن المنهج التدريبي الذي يتبعه "الفاكير" يعتمد على فلسفة "البيتريس" Pitris، وهي فلسفة تعتمد على مفهوم التعامل مع الأرواح أو الكائنات الغيبية التي توصل الممارس إليه الكون، وهي متطابقة مع فلسفة "القبالة". بينما "اليوغي" (الذي نألفه) يعتمد على فلسفة "الفيداننا" Vedânta التي تعلم طريقة التواصل مع الكون عبر التعامل المباشر مع طاقة كونية تُسمى "برانا" prana. "الفاكير" أيضاً يتعامل مع طاقة كونية، ويسمىها "أغاسا" Agasa، وهي مطابقة من حيث المواصفات مع "البرانا"، لكن الفرق هو أنها تمثل أيضاً الوسيط السيولي الذي يتعامل به مع الكائنات الغيبية، أو بشكل أصح، الطاقة التي تتعامل بها الكائنات الغيبية مع العالم المادي عبر "الفكير" الذي يلعب دور الوسيط فحسب. لكن في جميع الأحوال، كلا المنهجان جاءا من مصدر واحد وهي نصوص "الفيدا" السنسكريتية. وإذا اعتمدنا على التعريف السابق لليوغا، نستنتج بأن كلا المنهجان يُعتبران فرعين مختلفين للـ"يوغا"، والهدف النهائي يبقى ذاته: النجاح في استنهاض "السيدھيس" sidhis، القوى الخارقة.

يمكننا تكوين صورة واضحة لهؤلاء النسّاك الدراویش من خلال الوصف الذي ورد في أحد فصول كتاب "لويس جاكلوا" الذي خصصه للحديث عن النسّاك الدراویش.

القسم الرابع

بعض العيّنات من قدرات المنتسبين للمعابد الروحية في الهند

تتجلى في استعراضات النسّاك الدراویش

الفصل الثالث

النسّاك الدراویش الاستعراضيين

THE PERFORMING FAKIRS

كل أوروبي سمع عن المهارات الاستثنائية للدراویش الهندوس، الذين التصق بهم عموماً اسم "السحرة" و"لاعيبي الخفة". أناس يزعمون بأنهم يحوزون على قدرات خارقة. هذه هي الصورة السائدة عن الشرقيين بشكل عام.

عندما يسمع أحد الأوروبيين عن استعراضاتهم، عادةً ما يجيب: اذهب إلى الساحر الاستعراضى في بلادنا وسوف يريك ذات الأشياء. من أجل إقناع القارئ بالخطأ الفادح الذي يقترفه الأوروبيون في التعامل مع هذه المسألة، رأيت أنه من الضرورة توضيح طريقة عمل "الفاكير" الحقيقي. فيما يلي مجموعة من الحقائق المتعلقة بهؤلاء النسّاك الدراويش والتي لا يستطيع أي مسافر أوروبي في هذه البلاد معارضتها أو تكذيبها:

أولاً — هم لا يقدمون أي استعراضات عامة أمام الحشود، لأن هذا يجعله مستحيلاً عليهم ممارسة عملهم بشكل سليم.

ثانياً — يعملون وحدهم ولا يرافقهم أي مساعد أو متحالف، وهذا يناقض الصورة العامة التي تكونت عنهم.

ثالثاً — يقدمون أنفسهم في داخل المنزل عُراة تماماً، ما عدا قطعة من قماش الكتان الملفوفة حولهم، لأسباب تتعلق بالحشمة.

رابعاً — لا يصطحبون معهم أي من الأشياء أو المستلزمات التي يستخدمها الساحر الاستعراضى في ممارسة خدعه، مثل الكؤوس، أو الأكياس السحرية، أو الغلب مزدوجة القاعدة، أو غيرها.

خامساً — ليس في حوزتهم شيئاً، سوى عصى صغيرة من الخيزران لها سبعة عقد، يحملونها بيدهم اليمنى، وصُفارة صغيرة طولها ٧ سم تقريباً، مربوطة بأحد خصال شعرهم المتدلّي الطويل لعدم توفر حقيبة أو جيبية.

سادساً — يعملون، وفق مشيئة الشخص الذي يستضيفهم، إما بوضعية الوقوف أو الجلوس، أو حسب ما تتطلبه الضرورة، على أرضية من الرخام، الغرانيت، أو الجصّ، أو حتى على الأرض الترابية الجرداء في الحديقة.

سابعاً – إذا احتاجوا لمساعد يستعرضون عليه ظاهرة التتويج أو المسمرة، يطلبون من سيّد المنزل استحضار أحد خدامه، مهما كان نوعه أو طبيعته أو مزاجه. ولا يمانع إذا رغب السيّد الأوروبي أن يلعب هذا الدور.

ثامناً – إذا احتاجوا لأي شيء أو غرض، كآلة موسيقية، عصي، قطعة ورق، قلم رصاص، إلى آخره...، يطلبون من المضيف إحضارها.

تاسعاً – هم مستعدون لتكرار أي تجربة تم استعراضها أمام المضيف مهما كان عدد المرات التي طلبها الأخير، كما أنهم مستعدون للخضوع لأي فحص أو تدقيق في مجريات عملهم الاستعراضية.

عاشراً – لا يطلبون أي مقابل مادي لاستعراضاتهم، بل يتقبلون صدقة بسيطة، مهما كان نوعها، ويعتبرونها مساهمة منك للمعبد الذي ينتمون إليه.

لقد سافرت لسنوات طويلة متنقلاً في كافة أنحاء الهند، وأستطيع القول بكل ثقة أنني لم أرى أبداً أي "فاكير" لا يذعن للشروط الواردة في الأعلى. بقي أن نسأل أنفسنا إذا كان السحرة المشهورين في بلادنا قادرين على الالتزام بهذه الشروط، حيث يستغنون عن ذلك العدد الكبير من مرافقيهم ويقبلون الاستعراض وفق الظروف الصارمة الموصوفة سابقاً. ما من شك أن الجواب بديهي. في الفصول التالية سوف استعرض بعض الحقائق التي اختبرتها مع هؤلاء الدراويش. سوف لن أدخل في تحليل تلك الظواهر أو محاولة تفسيرها، بل أذكر ما اختبرته فقط.

انتهى الاقتباس

وصف القاضي "جاكلواه" في كتابه عدد كبير من الظواهر التي استعرضها هؤلاء الدراويش أمامه في مناسبات مختلفة، والتي لا يمكن وصفها أقل من كونها "مذهلة" وتنتمي إلى عالم آخر يختلف عن عالمه "العلماني". ظواهر مثل: جعل مجموعة من

أوراق شجر التين تتراقص وحدها في الهواء، جعل بذرة نباتية صغيرة تنمو إلى شجيرة كبيرة خلال نصف ساعة، جعل المزهريّة تطوف في الهواء وتتحرك وفقاً لما يأمرها الكاتب وليس "الفاكير"، تجسيد أصوات ومجسمات بشرية، إخفاء أشياء وإظهارها في مواقع أخرى، جعل الماء البارد يغلي، قراءة الأفكار، قراءة في صفحات محددة من كتاب مُغلق، استرفاع "الفاكير" في الهواء، استحضار أشياء مختلفة من العدم (مثل الوجود، التحف.. إلى آخره)، وغيرها من استعراضات مذهلة. رغم كل هذه القدرات التي يتمتع بها "الفاكير"، إذا سألته عن مصدر هذه القوة سوف يكون جوابه بأنه مجرد وسيط لا حول له ولا قوة، والعمل هو للأرواح "كذا.. وكذا" القابضة في المكان "كذا..". هذه هي الفلسفة التي نشأ عليها والتزم بعيشها.

كان "لويس جاكلواه" (١٨٣٧ - ١٨٩٠) محامي فرنسي عمل قاضياً في المحاكم الهندية وجزيرة تاهيتي، لكنه أصبح فيما بعد كاتباً مرموقاً. بالرغم من أنه أصبح يألف ما يكفي من اللغة السنسكريتية مما مكنه من ترجمة بعض المقاطع من نصوص "المانو"، إلا أنه لم يكن باحثاً أكاديمياً. كان "جاكلواه" من أنصار "الانتشار" diffusionist، حيث آمن بأن الكثير من التقاليد الصوفية الغربية، خصوصاً المصرية، اليهودية، والأديان الشرق أوسطية عموماً، تأصلت من الهند. رغم أنه كان علماني التوجّه، لكن بعد تعمقه في الثقافة الهندوسية والاطلاع على رقي علومها وفلسفاتها دُفع عنوة إلى الإيمان بحتمية وجود تلك الحضارة الأسطورية التي زُعم بأنها ازدهرت يوماً في بلاد الهند، وتُسمى "راما" Rama، أو تلك التي ازدهرت على سطح قارة غارقة في المحيط الهادي، والتي سماها الثيوسوفيون "لوميريا" Lemuria.

عامل السريّة

لقد شدّد "جاكلواه" في كتابه على عامل السريّة المتبع بصرامة من أجل حفظ وصون الحكمة الحقيقية، والتي هي مُبطّنة في النصوص المقدسة في كافة المذاهب والأديان وراء حجاب كثيف من التشفير والترميز. في مكان آخر من الكتاب تناول النصوص

المقدسة والطريقة المثلى لقراءتها وتفسير معانيها المشفرة حيث تقبع الحكمة الحقيقية، فيقول:

قبل البحث في كتاب "البيتريس" Pitris للنظر فيما يعلمه، رأيت أنه من الصائب تكريس بعض المساحة للحديث عن مسألة "كيف يجب تفسير النصوص المقدسة". أعتبر المسألة ذات أهمية بالغة لدرجة خصصت لها فصلاً قائماً بذاته. على أول خوصة نخيل تحتوي على الجزء الثاني من الكتاب المعني (البيتريس) نجد الكلمات التالية مكتوبة، كإهداء، بواسطة عود خشبي مروّس:

".. وجب على النصوص المقدسة أن لا تُؤخذ بمعناها الظاهري، كما هي الحال مع الكتب العادية. ما هي الجدوى إذاً من تحريم كشفها أمام الدنيويين إذا كانت معانيها السريّة ظاهرة حرفياً وباللغة العامية المُستخدمة؟.. كما النفس مخفية في الجسد، كما اللوزة مخفية في القشرة، كما الشمس محجوبة وراء الغيوم، كما الرداء يستر الجسم، كما محتويات البيضة تقبع داخل القشرة، كما البذرة تقبع داخل الحبة،.. كذلك هي حال القانون المقدّس الذي لديه جسده، غلافه، غيومه، رداءه، قشرته، التي تخفيه وتمنعه من الكشف أمام العالم.."

.. كل ما قيل، ويُقال، وما سيُقال، وما كان يُقال، موجود في نصوص "الفيدا". لكن نصوص "الفيدا" لم تفسّر نفسها، ويمكن فهمها فقط إذا أزال الغورو (المعلم) الرداء الذي يسترها، وبيعثر الغيوم التي تحجب نورها السماوي..

.. هذا القانون هو كما اللؤلؤة الثمينة المدفونة في حضان المحيط. لا يكفي أن تجد المحار الذي يخفيها داخل قشرته، لكن من الضرورة أيضاً فتح المحار والحصول على اللؤلؤة..

.. أنت أيها المغرور، قد يخطر لك قراءة النصوص المقدسة دون مساعدة الغورو، هل تعلم أصلاً أي حرف تستخدمه لتبدأ بقراءتها — هل تعلم سرّ الأرقام وطريقة

جمعها بالمتنى والثلاث – هل تعلم متى يصبح الحرف النهائي حرف بداية ومتى يصبح حرف البداية حرف نهائي؟..

.. الويل له، الذي ينفذ إلى المعنى الحقيقي للأشياء قبل أن يصبح شعره أبيض ويحتاج إلى عصي ترشده في سبيله..

هذه العبارات السابقة تحذرننا من الالتزام حرفياً بالنصوص المقدسة الهندية، وتذكرنا بعبارات مشابهة استخدمها الفيلسوف اللاهوتي الإغريقي/المسيحي "أوريجن" Origen معلّقاً على "التوراة" كما لو أنه يمثّل فعلاً أحد المنتسبين إلى المعابد القديمة، حيث قال:

".. إذا كان مُحتملاً علينا الالتزام حرفياً بالنصوص، وفهم ما هو مكتوب في القانون كما يعلمه اليهود وأتباعهم من شعوب أخرى، سوف أخل من الاعتراف صراحة بأن الله منحنا هكذا قوانين – سوف أعتبر بأن القوانين الدنيوية هي أكثر رقياً وعقلانية – مثل قوانين أثينا، أو روما، أو لاسديمون..

.. أي رجل عاقل، أسألكم، سوف يصدّق بأن أول، وثاني، وثالث يوم من أيام الخلق، والتي قُسمت إلى نهار وليل، يمكنها أن توجد أصلاً دون شمس، دون قمر، دون أي نجوم، وأنه خلال اليوم الأول لم يوجد هناك أي سماء؟..

.. أين سجد الشخص الأحمق بما يكفي ليؤمن بأن الله انخرط فعلاً في الزراعة وراح يزرع الأشجار في جنة عدن، والتي تقع في الشرق – وأن إحدى هذه الأشجار كانت شجرة الحياة والأخرى تمنح المعرفة بين الخير والشر؟ لا أحد، كما أظن، سوف يتردد في اعتبار هذه الأمور رموزاً لمعاني خفية..

يبدو أن القبالة اليهودية، والتي رأينا كم هي قريبة من تلك التعاليم التي دُرست في المعابد الهندية، عبّرت عن رأيها بطريقة مشابهة:

".. الويل لكل من ينظر إلى القانون وكأنه سجلّ لمجموعة من الأحداث البسيطة المُعبّر عنها بلغة عادية (في التوراة)، حيث إذا كان هذا كل ما يحتويه فنستطيع تصميم قانون أكثر جدوى وإعجاباً. إذا كان علينا اعتبار المعنى الظاهر للكلمات، كل ما علينا فعله هو اللجوء إلى القوانين البشرية وسوف نجد فيها ما هو أكثر رقياً وسمواً. ما كان علينا سوى استنساخها لتصميم قانون مماثل لها. لكن الأمر ليس كذلك. إن كل كلمة في القانون تحتوي على سرّ عميق وسامي.."

.. إن نصوص القانون تمثّل رداءات القانون.. الويل له الذي يتخذ هذه الرداءات كممثلة فعلية للقانون. على هذا الضوء قال داوود: ربّي، افتح عيني لكي أتمكن من التأمّل في عجائب القانون.."

.. كان داوود يقصد في كلامه ما كان خفياً تحت رداء القانون. هناك بعض الحمقى الذين، بعد النظر إلى رجل مكسوّاً برداء جميل، لا يذهبون في نظرهم أكثر من ذلك، وأحياناً يصلون إلى الجسد ويتوقفون، بينما هناك ما هو أكثر أهمية وثمناً، وهي النفس. القانون أيضاً له جسد. هناك الوصايا التي يمكن اعتبارها جسد القانون، والسجلّ العادي للأحداث (الروايات الرمزية) يُعتبر الرداء الذي يكسو الجسد. الناس العاديون يأخذون فقط بالرداء، أو النصوص الظاهرة للقانون. هذا كل ما ينظرون إليه. إنهم لا يرون ما يُخفى تحت الرداء. لكن أولئك الذين هم أكثر حكمة لا يعيرون انتباهاً للرداء، بل إلى الجسد الذي يكسوه.."

.. إن الحكماء، خدام الملك الأعلى، الذين يسكنون مرتفعات جبل سيناء، لا يعيرون أي اهتمام إلا للنفس، التي تقبع في أساس باقي الأشياء، هي القانون بذاته، وسوف يأتي الوقت الذي يحضرون فيه أنفسهم للتأمّل في نفس تلك النفس التي استلهمت بالقانون.."

.. إذا كان القانون يتألف من كلمات فحسب، كلمات مثل "إساو"، "هغار"، "لابان"، وغيرهم، أو تلك الكلمات التي تلفظ بها حمار "بالام" أو "بالام" ذاته، فلماذا إذا تُعتبر

كلمات القانون الحق، القانون الكامل، الشاهد المخلص لله بذاته؟ لماذا على الحكيم أن يجلّ هذا القانون ويقدره بأنه أكثر ثمناً من الذهب والأحجار الكريمة؟.. لكن الحقيقة هي أن كل من هذه الكلمات تحمل معاني سامية.. كل من هذه النصوص تعلّم شيئاً مبطناً وراء الأحداث التي ترويها. هذا القانون السامي هو أكثر قدسية، إنه القانون الحقيقي..".

يبدو واضحاً أن رواد الأديان والمذاهب العظمى، و"القبالة"، و"الزند أفيستا"، والمنتسبين للمعابد الهندوسية، جميعهم تكلموا اللغة ذاتها. سجلات القانون تخفي معانيه السريّة كما يخفي الرداء الجسد، وكما تحجب الغيوم الشمس. يزعم كتاب "البيتريس" Pitris بأنه يكشف الجوهر، النخاع الأساسي لنصوص "الفيدا"، أمام أولئك المنتسبين، لكنه بعيد كل البعد عن كونه واضحاً جلياً، باستثناء القسم الذي يتناول علم الكون والفلسفة. أينما تتناول شعائر استحضر الأرواح أو طردها تلجأ إلى صيغ ووصفات سرية، غامضة وخفية، مع إقرار بأن هناك معنى خفي، ملفوف بكساء سميك من الكلمات المبعثرة غير المفهومة، وهي بكل تأكيد تتجاوز حدود استيعابنا وبالتالي لم نتمكن أبداً من الكشف عنها وتفسيرها. لكن بعيداً عن الاعتقاد بالأرواح والتجسيدات الماورائية التي تقاومها العقلانية البشرية غير المستعدة لتصديقها، سوف يكتشف القراء الأعزاء بأنه ليس هناك فضائل أخلاقية نمت من منظومة تأملات فلسفية أروع وأكثر رقيماً. من خلال قراءة تلك النصوص، سوف يرى القارئ بأن كافة حضارات العصور الغابرة استمدت معارفها العلمية حول الحياة من مصدر واحد، وبكل تأكيد، هذا المصدر يقبع في الهند. والمنتسبون إلى المعابد الهندوسية كانوا متشابهون جداً مع موسى، سقراط، أفلاطون، أرسطو، وكافة الرسل والفلاسفة العظام. الحركة "الأرواحية" العصرية spiritualism لا تستطيع إضافة شيء إلى المفاهيم الميتافيزيقية للبرهمنيين القدماء. هذه الحقيقة لا يمكن التعبير عنها أفضل مما فعل أحد الحكماء الهنود: "تاريخ الفلسفة في الهند هو ملخص التاريخ الفلسفي لكل العالم..".

انتهى الاقتباس

تشابه التعاليم

وفي مكان آخر من الكتاب، يبيّن "جاكلواه" بأن التشابه في التعاليم لا يقتصر على اليهودية والهندية منها، بل هو موجود في كافة الفلسفات القديمة حول العالم:

"الزند أفيستا"، و"القبالة"، وما تفرع منهما من أديان ومذاهب، ليست المنظومات الفلسفية الوحيدة في العصور الغابرة التي تتشابه كثيراً مع التعاليم البرهمنية. وفقاً لأفلاطون، الكون هو انبعاث من الكيان الأسمى، خلُق من خلال "الكلمة"، أو "الابن"، وكان عبارة عن تكاثر الأنواع الأزلية التي تشملها الحكمة الإلهية. كما الهندوس، يعتقد أفلاطون بأسبقية النفس، وبتناسخ الأرواح، ومثلهم أيضاً، علّم هذه الأمور سراً لأولئك المنتسبين إلى العقائد المختلفة التي كان يعلمها لكن بشكل سطحي وظاهري.

إذا أردنا تصنيف هذا الفيلسوف وفق المفاهيم العصرية، فهو ما نسميه اليوم "الاصطفائي" eclectic. لقد علّم تلاميذه المميزين فقط، وفي حلقات ضيقة، تقاليد الحكمة الإنسانية التي تم توارثها عبر العصور حتى وصلت زمانه. ليس عبر النشر والإعلان، بل عبر الانتساب السري إلى المعابد. هذا ما أكده الفيلسوف الإغريقي بروكلوس "Proclus في المقطع التالي:

“Ἀπάσαν μὲν τοῦ Πλάτωνος φιλοσοφίαν, καὶ τὴν ἀρχὴν ἐκλάμψαι νομίζω, κατὰ τὴν τῶν κρειττόνων ἀγαθοειδῆ βουλήσιν ... τῆς τε ἄλλης ἀπάσης ἡμᾶς μετόχος κατέστησε τοῦ Πλάτωνος φιλοσοφίας, καὶ κοινωνοὺς τῶν ἐν ἀπορρήτοις παρὰ των αὐτοῦ πρεσβυτέρων μετείληφε.”

هناك الكثير من نقاط التشابه بين فلسفة المدرسة الاسكندرية، الأفلاطونية المستحدثة، والتعاليم الهندوسية التي نتناولها، لدرجة أننا لا نستطيع تجنب الاستنتاج بأن تلك المدارس الأولى قد انحدرت من ينبوع الشرق الذي لا ينضب. بالإضافة إلى ذلك، هذه المدارس بذاتها تزعم أنها انبثقت من التقاليد السرية في آسيا.

فكرتها بخصوص الله تقول بأنه "الكلّ" العظيم، الذي ينبعث منه كل شيء، وإليه يعود كل شيء. هو الكلّ وكل شيء هو في داخله.

— هو الوحدة، τὸ ἕν;

— هو الذي لا يوصف، ἀρρήτος;

— هو المجهول، ἀγνωστός.

وفقاً للفيلسوف "أفلوطين" Plotinus ومدرسته، الثالوث الأقدس هو انبثاق من "الوحدة"، وهذا بالضبط ما يقوله أولئك الذين يؤمنون بتعاليم "الببتريس" الهندوسية. الثالوث الأقدس يحمل الأسماء التالية، والمأخوذة من أوصافه:

— τὸ ἕν το αγαθόν، الوحدة أو، بمعنى آخر، الخير.

— Νοῦς، النفس العالمية، أو الروح الكونية.

— τῶν ὅλων παντός, Ψυχή τοῦ, "الديميورغوس"، أو الخالق.

إن التماثل بين النظامين الفلسفيين لا يتوقف عند نقطة واحدة. كل عضو من هذا الثالوث يولد بدوره ثالوثاً خاصاً، ومهمة الثالوث الثلاثة المنبثقة منها هي التوالد باستمرار ومن أجل الديمومة في هذا العالم، أولاً: الخير، ثانياً: العقل أو المبدأ الحيوي، ثالثاً: مسيرة الخلق.

تحت غطاء عدد كبير من الأسماء السريّة، تبقى هذه المبادئ الأولية متطابقة للثالوث الثلاثة لكل من البرهمنيين والقباليين. وفقاً للأفلاطونية المستحدثة، فإن الكيان الأسمى، مع تحولاته الرمزية المتنوّعة، هو مصدر هائل وأبدي تنبثق منه كل تلك الأعراق الكونية التي، عبر حب الزوج لزوجته، واتحاد محتويات العقل، تزود بكل الخواص والسمات المختلفة وبذلك تدفع إلى الانبعاث المتزايد عبر مراحل تحويلية متعاقبة، حتى تصل إلى حالة الوحدة بعينها. "عبر حركة مشابهة لحركة الزنجير حول العجلة.."، كما يوصفها كتاب "الببتريس".

بين الأنظمة التالوثية لكل من المسيحية والهندوسية والقبالية والأفلاطونية، يمكننا اكتشاف عدد كبير من نقاط التشابه من اللحة الأولى، ونستطيع الآن رؤية المصدر الذي استمد منه مؤسسو كل تلك الأديان إلهاماتهم ورؤاهم. المبادئ التي تأسست عليها كل الأديان في العالم هي قديمة بنفس قدم المعابد المصرية والباغوداس الهندية، وكل منها تحتوي رومز مختلفة لذات المحتويات التي تألفت منها معتقدات الأزمنة الغابرة.

من خلال استخدامه لغة حذرة، يعبر الباحث العبراني "أ. فرانك" A. Frank، عن رأي مماثل، قائلاً: " .. أليس لدينا كل الأسباب في العالم للنظر إلى القبالة كتحفة تذكارية ثمينة من الفلسفة الدينية الشرقية، والتي نُقلت إلى الاسكندرية واختلطت بتعاليم أفلاطون، والذي كان تأثيره واضحاً في المذاهب الباطنية التي ازدهرت في العصور الوسطى؟.."

السؤال إذاً هو: ما هي تلك الفلسفة الشرقية التي يبدو تأثيرها واضحاً على الرموز الباطنية للأديان الشرق أوسطية؟ الجواب هو التالي:

هذه الفلسفة، التي وجدنا لها آثاراً في تعاليم وشعائر المجوس، الكلدانيين، المصريين، القباليين، وما تفرّع منها من أديان في الشرق الأوسط، هي متطابقة مع تلك التي يعتقها البرهمنيين الهندوس والذين آمنوا بالـ"بيتريس".

هناك حقيقة جليّة لا يستطيع أحد سوى الاعتراف بها تلقائياً، وهي: بين كل البلاد العريقة، الهند هي الوحيدة التي لازالت تحتفظ بهذه الفلسفة الأوليّة كاملة متكاملة. هي شاملة لدرجة أنه لو افترضنا بأن القائمين عليها رغبوا في إعادة إنشائها من جديد بالاعتماد على مصادر مأخوذة من غير الحكماء الخالدين القابعين على ضفاف الغانج، فسوف يلتقطونها من هنا وهناك في دائرة انتشار واسعة، من أفلاطون، من القبالة، من المدرسة الاسكندرية، من المجوس، ومن كافة الأديان الشرق أوسطية.

من ناحية أخرى، هناك من يرجع سبب هذا التشابه الكبير بين التعاليم إلى أن الفلسفة البرهمية في الهند تشكلت من شذرات وأجزاء مأخوذة من هنا وهناك، من تلك الأنظمة الفلسفية المذكورة أعلاه، مع أنها في الحقيقة لم تكن موجودة أصلاً عندما كانت تراثيل نصوص "الفيدا" و"المانو" تصدح في المعابد، وهذه حقيقة تاريخية لا أحد يناقضها، فكيف لهم أن يستنتجوا هكذا افتراض مجرد من أساس؟

هذا يعيدنا إلى ذات المسألة المستعصية. إذا كان هناك تشابه كبير بين التعاليم، وفي نفس الوقت، إذا كانت "القبالة"، "الماجوسية"، "الأفلاطونية"، المدرسة "الاسكندرية"، والأديان الشرق أوسطية، لم تستمد تعاليمها من مصدر واحد، ونجدها بدلاً من ذلك معتقدات مستقلة قائمة بذاتها ومتزامنة مع الحضارة البرهمية، ألا نملك كل الأسباب التي تجعلنا نستنتج بأن كل هذه التعاليم، بالإضافة إلى البرهمية، جاءت أصلاً من مهد تعاليم "الفيدا" التي تسبقها بآلاف السنين؟

إنه من السهل تتبع أثر مسيرة هذه التعاليم عبر العصور. انطلقت من الهند متوجهة نحو فارس وبلاد الكلدانيين، ذلك عن طريق الهجرة أو الترشيح الثقافي الطبيعي. يكفي أن نقارن تقاليد الـ"بون ديهيش" والـ"زند أفيستا" مع التقاليد الهندوسية من أجل استنتاج تشابهها الكبير. لكن فقط النظام الكلداني هو أقل فلسفية من تلك التي في بلاد المنشأ، ويمنح للـ"ديوس" أو الأرواح الشريرة درجة أهمية أكبر مما تمنحها النظرية الهندية التي تتحدث عن الـ"ديفاس" والـ"بيساتشا".

من أجل أن نجد تعاليم مشابهة للكلدانية وجب علينا النزول إلى مستوى المعتقدات الخرافية للبرهمية العامية، أي العودة إلى ديانة الـ"سودرا" Soudra، حيث نجد صراع مشابه بين أرواح الشرّ وأرواح الخير. الكلدانية والباريسية (الزردشتية الهندية) هي عبارة عن مزيج بين الخرافات العامية للشعوب الهندوسية والمفاهيم الفلسفية البرهمية.

هذا يذكرنا بالسطور التالية المقتبسة من المؤرخ الروماني "أمنيانس مارسيلينوس" Amniance Marcellinus والتي صادق عليها المؤرخ "أغاثياس" Agathias:

".. الملك هايتاسبيس، بعد أن تغلغل إلى مناطق منعزلة في الهند العليا، وصل إلى حدائق منعزلة، والتي يبدو أن سكونها كان محبباً بالنسبة للتفكير العميق الذي يمارسه البرهميين. علموه هناك، بقدر ما استطاعوا، شعائر التضحية الصافية، سبب حركة النجوم والكون، وقد كشف بعض منها للمجوس. وهؤلاء بدورهم توارثوا هذه الأسرار من الأب للإبن، بالإضافة إلى علم التنبؤ بالمستقبل. منذ حينها، وعبر توالي العصور وصولاً إلى الآن، برز عدد من المجوس الذين ينتمون للعرق ذاته، والذين يكرسون أنفسهم كلياً لخدمة المعبد وعبادة الآلهة.."

مصر، التي لم تنسى تقاليد العريقة، كانت بنفس الوقت تستمد، بشكل مستمر، المزيد من الحيوية الجديدة عبر دراسة المستجدات العلمية الحاصلة في آسيا العليا. "موسى الكوريني" Moses of Chorenus، الذي عاش قبل الزمن الحالي بخمسة قرون، يشهد على هذا، وبطريقة إيجابية، في الفقرة التالية: ".. كان للأسبويين عدد كبير من الأعمال التاريخية التي تم ترجمتها إلى الإغريقية، عندما أنشأ بطليموس مكتبة الإسكندرية وشجّع رجال العلم والثقافة على حرية التفكير، لهذا السبب أصبحت اللغة الإغريقية مستودع كل التعاليم القديمة.."

أصبح واضحاً بعد كل هذا بأنه، أولاً، شعوب الأزمنة القديمة لم تعيش بحالة منعزلة عن بعضها، كما تزعم العلوم الدينية والفلسفية المختلفة. كان التفاعل بين الثقافات أكثر نشاطاً من اليوم. ثانياً، كان هناك مجموعة كبيرة من التقاليد التي انحدرت من مصدر رئيسي واحد يقبع في الهند. ثالثاً، كان هناك علاقة وثيقة بين تعاليم البرهميين وأنظمة المجوس، الكلدانيين، القبالة، الأفلاطونيين، وفلاسفة المدارس الإسكندرية، والتي تفرعت منها أخيراً الأديان الشرق أوسطية الحالية.

من خلال الدراسة الحذرة والمقارنة المتأنية بين الحضارات القديمة نخرج في النهاية بمنهج علمي واحد، معرفة واحدة، وجّهت العقلية الإنسانية لتتجرف مع تيار فكري واحد ساد بقوة في تلك الحقبة التاريخية الغابرة. مهما كانت المزاعم العدوانية للمذاهب المتحاربة والأديان المتنافسة، أو الادعاءات الواهية للشخصيات الدينية المغرورة التي تظهر هنا وهناك متباهية ومتفاخرة بأصالة ما تعتقده وتنتمي إليه، ففي النهاية الحقيقة تبقى الحقيقة.

ليس هناك أي حقيقة، أو أي اعتقاد، أو أي اكتشاف، مستقل عن التقاليد المنحدرة عبر الأجيال المتوارثة. وأولئك الذين لديهم نزعة دائمة نحو التفرّد والتوق غير العقلاني إلى تبوؤ مكانة مترفعة على غيرهم عبر أبحاثهم الموجهة، يصرّون باستمرار على الزعم بأصالة ما يعتنقونه، ويجزمون بأنهم لم يكتشفوا أي استعارة من معتقدات سابقة، هم في الحقيقة يجهلون، أو يتجاهلون، القوانين الطبيعية التي تحكم التاريخ وتحكم مسيرة تطوّر الفكر البشري.

انتهى الاقتباس

وفي مكان آخر من الكتاب، يستنتج الكاتب "جاكلواه":

إنه ليس من شأننا أن نحكم، ضد أو مع، الاعتقاد بالأرواح بكل مزاعمه "الوسيطية" أو "الإلهامية". هدفنا الأول هو تقديم وصف كامل للمعتقدات الفلسفية والأرواحية للبرهمنيين، بالإضافة إلى الظواهر والتجليات التي، حسب قولهم، تُعتبر وسائل تلجأ إليها الأرواح (البيتريس) لتعبّر عن نفسها، وتثبت حقيقة وجودها، وتتواصل مع الإنسان.

كل الأديان القديمة، بما فيها الشرق أوسطية، تقرّ بوجود كائنات غيبية، والتي لعبت دور خاص، حسب زعمها، في تطوّر مسار الخلق. جميعها تعلم بأن الإنسان، بعد أن يتخلص من قشرته الدنيوية (الجسد)، يرتقي بروحه ليدخل إلى عالم أسمى. جميعها

تتمسك بفكرة فلسفية واحدة، تتمثل بإمكانية التحسين الدائم والمستمرّ للروح والحياة الروحية. وبخصوص الظواهر والتجليات التي يُزعم بأنها ماورائية، فنجدها متأصلة من هذا المعتقد العام الذي حكم كل معابد الحضارات الغابرة، الهندية، الكلدانية، المصرية.. وهكذا وصولاً إلى معابد اليوم بأشكالها وأسماءها المختلفة.

انتهى الاقتباس

مدى التشابه بين تعاليم القبالة وتعاليم البرهمنيين

من أجل التعرف على مدى التقارب، إلى حد التطابق، بين تعاليم القبالة وتعاليم البرهمنيين، أورد "جاكلواه" الكثير من التشابهات في كتابه، الفصل الثاني عشر من القسم الثاني من الكتاب يكفي لتوضيح الفكرة:

القسم الثاني

المبادئ الفلسفية للمنتسبين الهنود

The Philosophical Tenets of the Indian Initiates

الفصل الثاني عشر

صيغ الاستحضار

THE FORMULAS OF EVOCATION

بعد الاطلاع على الدور الذي تلعبه "النفوس" البشرية، و"الأرواح" العليا والسفلى، وكذلك الدور الذي يلعبه الكون، في رحاب "الكلّ" العظيم الذي نسميه الله، وبعد إثبات وجود علاقة وثيقة بين كل "النفوس"، وكيف أن تلك "النفوس" المنتمية للمجموعة العليا هي حاضرة دائماً لمساعدة "النفوس" المنتمية للمجموعة "السفلية" بالنصح والتواصل، يسير كتاب "البيتريس" قدماً لمناقشة موضوع "الاستحضار" Evocation (ويقصد هنا تحضير الأرواح). يُصنف الكتاب عملية الاستحضار هذه إلى نوعين.

خلال طقوس الاستحضار، تُخاطب إما الأرواح المُحرّرة من الجسد، أو أرواح الأجداد (البيتريس)، بحيث أنه في الحالة الأخيرة يمكن للأرواح المُستحضرة أن تستجيب للمناشدة الموجهة إليها، مهما كان سمو المرتبة التي تحتلها، أو يمكن لهذه الأرواح الأخيرة أن تنتمي لسلالة نسب غريبة عن تلك التي ينتمي إليها المناشد. بينما على الجانب الآخر، تفشل عملية الاستحضار إذا وُجّهت المناشدة إلى الأرواح المُحرّرة تَوّاً من الجسد، حيث لا تزال تقبع في مستوى قريب جداً من عالم الإنسان الدنيوي. فيما يلي بعض من الشروط التي تحكم عملية الاستحضار:

— يستطيع الإنسان أن يستحضر روح سلفه (من أجداده) مهما كانت الظروف، حتى لو كانت هذه الروح قد ارتقت إلى مرتبة "برادجاباتي" Pradjapati، أي المدير الأعلى للخلق، وأصبح على مشارف الاندماج مع النفس العُظمى.

— إذا استحضر الفرد روحاً لا تنتمي لسلالة النسب العائدة إليه، فسوف لن يحصل سوى على تجسيدات أرواح تنتمي لشريحة الـ"بيتريس" Pitris.

— وجب إجراء التحضيرات اللازمة لإقامة طقس الاستحضار من خلال الصيام والصلاة، حيث كما تقول الـ"أنغروشادا باريكشاي"، هذه الصيغ الفطّية هي مميّنة إذا لم تُلفظ المناشدة بضمّ نقيّ. ومن أجل استحضار الروح، وجب على الكاهن أن:

أولاً — يعزل نفسه كلياً من كل المساعل الخارجية (خلوة). ثانياً — وجب أن يكون عقله منشغلاً كلياً بالتفكير بالروح التي يناشد حضورها رغباً في التواصل معها. ثالثاً — عليه أن يحشر كل الأرواح الشريرة التي يمكن أن تزعه داخل دائرة سحرية. رابعاً — عليه تقديم أضحية على نيّة أسلافه والأرواح العُليا. خامساً — عليه أن يتلفظ الصيغ الخاصة بعملية الاستحضار (أي تلاوة القسم أو الدعوة).

ملاحظة: هنا بالذات تبدأ المفاجئات التي تنتظر كل باحث مجتهد في دراسة هذا النوع من النصوص. لقد اكتشف الكاتب الكثير من صيغ المناشدة (أي الدعوات والأقسام) المتطابقة تماماً مع تعاليم القبالة اليهودية، لكن الأمر الأكثر إذهالاً هو أن بعض صيغ المناشدة تتألف من كلمات ليس لها معنى بالنسبة للبرهمنين لأنها مكتوبة في نصوصهم بألفاظ تمثل لغة القبالة اليهودية لكن بطريقة معكوسة. لا يمكننا الحصول على دليل أوضح وأكثر صراحة يثبت العلاقة الوثيقة بين النظامين. دعونا نتابع مع الكاتب في سرده:

هناك قسم خاص في كتاب الـ"بيتريس" مُخصّص لهذا النوع من صيغ الاستحضار، والتي يبدو واضحاً أن لها معاني "قبالية". سوف لن أبذل الكثير من الجهد في الاستفاضة بهذه النقطة بالذات، حيث هذا لن يساعدنا في شيء، لأنه يستحيل تفسيرها دون الحصول على مفتاح المعاني المبطنّة والذي يحرسه الكهنة البرهمنين بعناية. وجب علينا أن نكون حذرين ونتجنّب منح هذه المسألة أهمية أكبر مما تستحقه. الورقة الأولى من الفصل المخصص لصيغ المناشدة تحتوي على النقوش التالية، والتي هي عبارة عن مزيج من الكلمات والأحرف التي تبدو بسيطة. سوف أقدمها هنا كعيّنة على الوسائل الصيبانية التي يلجأ إليها الكهنة بهدف التستر على جوهر ممارساتهم التي منحوها قدر كبير من الأهمية والتعظيم.

بما أن العبارات التالية لا تحتوي على أي صيغة استحضار، فبالتالي لا يمانع البرهمنون في تفسير معانيها.

Nid + Nad	نيد + ناد
Irt	يرت
Mad + uo—yâç—ad	ماد + يو — ياك — أد
Irt	يرت
mav—id	ماف — يد
Irt	يرت
sam + ad	سام + أد
Irt	يرت
mal + ak	مال + أك
Irt	يرت
	مام + را + دي — يارت
	تاغ — أج

Mam + ra + dî—yart Tag—aj Irt.	يرت
--------------------------------------	-----

من خلال قراءة العبارات السابقة (الأجنبية منها) من اليمين إلى اليسار، (نقرأ العربية من اليسار إلى اليمين)، مبتدئين من آخر مقطع لفظي لكل كلمة، سوف نتمكن بعدها من صياغة الجملة القبالية التالية:

Tridandin. Tridaçâyoudam. Tridivam. Tridamas. Triklam. Trayîdarmam. Trijagat.	تري دان دين تري دا كاي وي دام تري دي فام تري دا ماس تري كا لام تراي يد أر مام تري جا غات
---	--

تقوم لغة مناشدة الاستحضار بصرف كل الأفعال، حروف الجرّ، حروف العطف، والصفات، بينما يُحافظ على الأسماء، إلا أنها تخضع نهاياتها لتصرّيفات تجعله ممكناً فهم القواعد اللغوية للأفعال وحروف الجرّ.

أما بخصوص معاني هذه الكلمات، فهي كما يلي، وسوف أذكر المعنى القبالي ثم البرهمي لكل كلمة من أجل سهولة المقارنة:

[تري دان دين]

Tridandin

المعنى القبالي — هي دالة على حالة رفع في اللغة، وبالتالي تشير إلى مرشح (المنصب) اسمي. ويُقصد بها الكاهن المخوّل لحيازة ثلاثة عيدان (جمع عود). وهذه العيدان الثلاثة ترمز إلى شخص تم قبوله في الدرجة الثالثة من الانتساب، ولديه السلطة على ثلاثة أشياء: التفكير، الكلام، التصرف.

المعنى البرهمي – هو الذي تم انتسابه إلى الدرجة الثالثة من العضوية، وهو الذي يحمل الصولجانات الثلاثة، وهو الذي يحوز سلطة على ثلاثة أشياء: التفكير، الكلام، التصرف.

[تري دا كاي وي دام]
Tridaçâyoudam

المعنى القبالي – اليد الإلهية. هذه الكلمة منصوبة إعرابياً، وهي محكومة بالفعل الذي يكون فاعله [تري دان دين].

المعنى البرهمي – هو الذي إذا رغب في حوزة اليد الإلهية.

[تري دي فام]
Tridivam

المعنى القبالي – الفردوس الثلاثية. هذه الكلمة هي أيضاً منصوبة إعرابياً وبالتالي هي في نفس حالة الكلمة السابقة.

المعنى البرهمي – ويكتسب قوة الاستحضار من الروح التابعة للفردوسات الثلاثة.

[تري دا ماس]
Tridamas

المعنى القبالي – هو اسم "أغني" صاحب النيران الثلاثة. هذه الكلمة تمتلّ مضاف إليه قواعدياً للفاعل المرفوع [تري دان دين].

المعنى البرهمي – وجب أن يكون في خدمته "أغني" صاحب النيران الثلاثة.

[تري كا لام]

Trikalam

المعنى القبالي – تشير إلى الأوقات الثلاثة، الماضي، الحاضر، والمستقبل. وهذه الكلمة أيضاً منصوبة لغوياً.

المعنى البرهمي – ومعرفة الأوقات الثلاثة، الماضي، الحاضر، والمستقبل.

[تراي يد أر مام]

Trayîdarmam

المعنى القبالي – هي كلمة منصوبة لغوياً، وتشير إلى كتب القانون الثلاثة.

المعنى البرهمي – عليه حيازة جوهر كتب القانون الثلاثة.

[تري جا غات]

Trijagat

المعنى القبالي – هي في حالة نصب محايدة، وتشير إلى العوالم الثلاثة، الفردوس، الأرض، المناطق السفلية.

المعنى البرهمي – وهكذا سوف يتمكن من معرفة أسرار العوالم الثلاثة.

إذاً، فالنقوش على الورقة الأولى من الفصل المخصص لصيغ المناشدة في كتاب الـ"بيتريس" تعني بالنسبة للبرهميين ما يلي:

".. هو الذي تم انتسابه إلى الدرجة الثالثة من العضوية، وهو الذي يحمل الصولجانات الثلاثة، وهو الذي يحوز سلطة على ثلاثة أشياء: التفكير، الكلام، التصرف.. هو الذي إذا رغب في حوزة اليد الإلهية.. ويكتسب قوة الاستحضار من الروح التابعة للفردوسات الثلاث.. وجب أن يكون في خدمته "أعني" صاحب النيران الثلاثة.. ولمعرفة الأوقات الثلاثة، الماضي، الحاضر، والمستقبل.. عليه حيازة جوهر كتب القانون الثلاثة.. وهكذا سوف يتمكن من معرفة أسرار العوالم الثلاثة.."

أنا لا أفضل المكوث طويلاً في الموضوع المتناول لفك رموز الكتابات السحرية، وهي آلية تتغير مع كل صيغة أو وصفة استحضار. علاوة على ذلك، إنه يستحيل علينا، كما ذكرت سابقاً، الحصول على ذلك الجزء المخفي من كتاب الـ"بيتريس" والذي يحتوي على مفتاح رموز الصيغ. لقد احتفظ بها الكهنة لأنفسهم ولم يُسمح لعامة الناس بمعرفة أي شيء عنها. كان ولازال قائماً ذلك القانون الذي يقرّ بعقوبة الموت لكل من أفشى السرّ، حتى لو تمثّل بمقطع واحد فقط من كتاب الأرواح. لا يهم مركز المتهم أو مرتبته. حتى لو كان المتهم ينتمي للحلقة الكهنوتية المقدسة، فهذا لن يحميه من هذا المصير المحتوم. أتباع القبالة اليهودية أيضاً استخدموا اللغة السريّة للمحافظة على سريّة تعاليمهم. وقد اتبعوا أساليب تشفير مشابهة تماماً لتلك التي استخدمت في المعابد الهندية. كما كان قانون الموت لكاشف السرّ قائماً لدى القباليين أيضاً. أما بخصوص شعائر الاستحضار، فسوف أتناولها بكل تفاصيلها عندما نصل إلى وصف التجسيّدات المختلفة التي يصنعها المنتسبون المنتمون إلى مراتب مختلفة.

انتهى الاقتباس

بالنسبة للذين لم يطلعوا على النسخة الإلكترونية من كتاب "أقول شمس المعارف الكبرى" (الجزء الثالث من مجموعة "من نحن")، من المؤكّد أنهم لم يستوعبوا الفكرة المطروحة هنا جيداً بسبب عدم إلمامهم بما يكفي عن تعاليم القبالة والدور الذي لعبته في قولبة معتقدات شريحة بشرية واسعة وتوجيه طريقة حياتها عبر عصور طويلة. سوف أحاول فيما يلي شرحها عبر عدة مواضيع مُختصرة.

ما هي القبالة؟

ما يُعرف عن القبالة اليوم هو أنها مصطلح يمثّل ما يبدو أنه جسم واسع ومتباين من المعرفة والتطبيقات الإيزوتيريكية، وتُستخدم لوصف الصوفية اليهودية بشكل عام [#]، وبشكل أدقّ، التقليد الذي أطلق العنان لظهورها علناً والمتمحور حول "سفر زوهار" (ويُسمى "صوحر" بالعربية، ويعني الإشراق أو التألّق) العائد إلى القرن الثالث عشر. كما أن هذا الاسم يمثّل القبلائية الغربية والتي نمت من القبلائية الألمانية أو اللورينانية التي وجدت امتداداً لها في المحافل السريّة الغربية، مثل "المحفّل الهرمزي للفجر الذهبي". Hermetic Order of the Golden Dawn.

[#] تعود أصول الصوفية اليهودية إلى ما يُعرف بممارسات "الميركابا" Merkabah التي نشأت في القرون الأولى بعد الميلاد. كان الصوفيون الممارسون للميركابا يصومون ويتأملون ويصلّون ويعزّمون بهدف التوصل إلى حالة بحران أو حسب ما يسمونها "مركبة العرش الإلهية" أي "الميركابا". هذه العقيدة الصوفية تختلف عن القبالة.

القبالة هي نظام يشمل معرفة واسعة بعلم الكون، وفلسفة إيزوتيريكية نفسية/روحية، تسمح لأي مظهر في الوجود لأن يجد لنفسه مثيلاً أو يرتبط بطريقة أو أخرى بمستويات كثيرة، عقلانية ومتجاوزة للعقل. يمكن استخدامها من قبل أي فرد، دون أي اعتبار لعرقه أو عقيدته. وللذين ينشدونها بصدق وإخلاص، فهي تمثّل المفتاح الحقيقي للتحكّم بالقوى الخفية وإحراز التوحّد الصوفي مع الكون.

تقول الأسطورة بأن تعاليم القبالة كانت تنتقل شفهيّاً منذ عهود غابرة تسبق زمن إبراهيم الخليل، لكن أول ظهور تاريخي معروف للقبالة بشكل مكتوب كان من خلال الكتاب المشهور "سفر يتزرا" (كتاب التكوين). كان هذا الكتاب الأخير يمثّل عمل مُختصر يشرح بشكل مبسّط البنية الأساسية للقبالة، متناولاً موضوع خلق الكون عبر

٣٢ مسار (أو مسلك)، وعشرة مقامات (سيفروت بالعبرية)، وتُمثّل أرقام وتجليات أو دوائر أو مجالات أو قُوى. وبالإضافة إلى الأحرف الـ٢٢ للغة العبرية. يُنسب هذا الكتاب للحاخام "عاقبة بن يوسف" Akiba ben Joseph، مؤسس الحاخامية اليهودية، والذي قُتل على يد الرومان عام ١٣٥م. لكن الدلائل تقول بأن الكتاب يعود إلى تاريخ أبكر بكثير.

إن ما أصبح يُعرف بالقبالة الألمانية، أو المذهب الحزدي Hasidism، بدأ في إيطاليا عام ٩١٧م على يد "آرون بن صاموئيل". وكان لهذه التعاليم جذورها في الصوفية اليهودية (الميركابا)، والتي تشمل طقوس سحرية، التأمل، الصلاة، حالات البحران (النشوة الروحية). إن تشديدها على القوى السحرية للكلمات غدّت تطور الطُرق القبالية الثلاث التي استُخدمت لتفسير التعاليم في نصوص ظاهرية، وهي [١] طريقة الـ"جيماتريا" gematria، وتتمثّل بتناول القيم العددية للأحرف والكلمات (أي نفس طريقة حساب الجمل بالعربية). [٢] طريقة الـ"نوتاريكون" notarikon، وتتناول الأحرف الأولى والأخيرة من الكلمات. [٣] طريقة الـ"تيمورا" temurah، وتتناول تبديل ودمج الأحرف وفق صيغة خاصة. (سوف أتناول هذا الجانب بالتفصيل لاحقاً).

إن الشكل الأبرز للصوفية اليهودية، والمُشار إليها أحياناً بالقبالية التقليدية (أو الكلاسيكية)، بدأ في بروفنس، فرنسا، في القرن الثالث عشر، لكنه ازدهر بشكل أكبر في أسبانيا القرون الوسطى (أي الأندلس). وتحتوي تعاليمها على عناصر من الغنوسية والأفلاطونية، ونزعتها فلسفية أكثر من كونها صوفية/روحانية، أي تركيزها الرئيسي هو على تشريح طبيعة وهيكلية كل الخلق، انطلاقاً من المستوى الإلهي (الأنثري) ونزولاً إلى المستوى المادي الملموس. وأهم أعمال هذه الفترة كان "سفر زوهار" (كتاب الإشراق)، المكتوب بين ١٢٨٠م و١٢٨٦م من قبل القبلاي "موسى دي ليون" Moses de Leon، مع أن أصول الكتاب الحقيقية منسوبة للحاخام "سيمون بار يوهاي" Simeon bar Yohai الذي عاش في القرن الثاني الميلادي.

التطور المهم الآخر الذي شهده هذا المذهب حصل عند ظهور القبلاية اللوربانية، وهو مصطلح منسوب لمؤسس هذا الفرع الجديد واسمه "لوريا أشكينازي" Luria Ashkenazi (١٥٣٤ - ١٥٧٢م). أما القبلاية الغربية أو المسيحية، فقد نمت من القبلاية الألمانية واللوربانية. وقبل ذلك، كان السحرة الأوروبيون في العصور الوسطى مولوعون بذكر الكلمات القبلاية لاعتقادهم بأن لها قوى خاصة، وفي أواخر القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر، راح القبلايون الغربيون يطعمون التعاليم القبلاية بمظاهر من اللاهوت المسيحي وكذلك عناصر ومواد متعلقة بعلم الخيمياء.

وقد شهد القرنين التاسع عشر والعشرين تطورات إضافية للقبلاية الغربية، وذلك على يد سحرة (صوفيين) مثل "ألفاس ليفي" Eliphas Levi، "بابوس" Papus، وأعضاء محفل "الفجر الذهبي" Golden Dawn مثل "أليستر كراولي" Aleister Crowley، و"ديون فورتيون" Dion Fortune.

القبالة تَمثل أساس عقيدة المحافل الماسونية أيضاً. كتب الزعيم الماسوني "ألبرت بايك" ALBERT PIKE، معبراً عن أهمية القبلاية كمفتاح التعاليم السرية للمحافل الماسونية، قائلاً:

".. يُعمر الفرد بالإعجاب، خلال دخوله خفايا حرم الكابالا، ومشاهدة تعاليم منطقية جداً، بسيطة جداً، وبنفس الوقت كاملة جداً. نجد فيها التوحيد المناسب بين الأفكار والرموز، تكريس أكثر الوقائع الكونية جوهرية في صيغة كتابة بدائية وبسيطة: ثلاثية الكلمات، الأحرف، والأرقام.. فلسفة بنفس بساطة الأحرف الأبجدية، عميقة ولا متناهية كالكلمات، نظريات أكثر تنويراً وكمالاً من تلك العائدة لفيثاغورث. علم لاهوت كامل يمكن استحضاره عبر التعداد على أصابع اليد. معرفة لا متناهية يمكن استخلاصها بحيث تمسكها يد الطفل الصغير. عشرة مقامات، ٢٢ حرف، مثلث، مربع، ودائرة.. هذه هي العناصر المكوّنة للكابالا. هذه هي المبادئ الأولية للكلمة المكتوبة، وانعكاس هذه الكلمة المحكية هو الذي خلق العالم!.."

في الحقيقة، هناك فروع كثيرة لاستخدامات التعاليم القبلانية. يُمكن تصنيف هذه المعرفة المتطورة إلى خمسة أقسام رئيسية. [١] **القبالة الطبيعية** Natural Qabbalah، التي استُخدمت لمؤازرة الباحث في دراسة غوامض الطبيعة. [٢] **القبالة التناظرية** Analogical Qabbalah، التي تم تشكيلها لاستعراض العلاقة الموجودة بين كافة الأشياء في الطبيعة، وقد كشفت للحكام بأن كل المخلوقات والمواد هي واحدة في الجوهر، وأن الإنسان - الكون الصغير - هو استنساخ مُصغّر لله [جلّ جلاله] - الكون الكبير. [٣] **القبالة التأملية** Contemplative Qabbalah، التي تطوّرت بهدف كشف غوامض المجالات والعوالم الماورائية بواسطة الحالات والقدرات العقلية رفيعة المستوى، وبمساعدة هذا الفرع من القبالة، يستطيع التفكير المنطقي المجرد إدراك العوالم الفوقية اللامحدودة والتعرّف على الكائنات التي تسكنها. [٤] **القبالة الفلكية** Astrological Qabbalah، ترشد الذين يدرسونها كيف يتعاملون مع قوة وعظمة الأجرام السماوية ومحتواها الحقيقي، وبالإضافة إلى كشف البنية الروحية للكوكب نفسه. [٥] **القبالة السحرية** Magical Qabbalah، التي تُدرس من قبل الذين يرغبون في التعامل أو التحكم بالكائنات الساكنة للعوالم الخفية (كينونات فكرية). وقد تُمنّت بشكل كبير كوسيلة مجدية لعلاج الأمراض بواسطة الطلاسم والتعويدات والحجب والرقى.

لقد نبيّن أن للقبالة صلة وثيقة بمجموعة واسعة من المذاهب والتيارات والأنظمة الفلسفية والدينية والصوفية والسحرية (بما فيها الفلك والخيمياء)، وغيرها من الأعمال الفكرية والعلمية الأخرى التي تعود لعصور قديمة. ومن الواضح أن جذورها تعود إلى ما قبل التواريخ المذكورة في الفقرات السابقة، أي إلى آلاف السنين الماضية، وأشهر دليل على ذلك هو أنها تمثل الدافع الحقيقي وراء كتابة نصوص العهد القديم (التوراة) والتلمود. القليلون يدركون مدى التأثير الذي فرضته القبلاية على الفكر اللاهوتي لمعتقي معظم ديانات الشرق الأوسط طوال القرون الماضية. فقط مجموعة قليلة من المطلعين يدركون حقيقة أن النصوص المقدّسة لهذه الأديان تخفي في طياتها تعاليم باطنية تحمل المفتاح الذي يساهم في حلّ ألغازها. لكن رغم هذا الوضوح في المظهر اليهودي/القبلاني الذي تتخذه أديان كثيرة حول العالم، إلا أن أغلبية معتقيها

لازال يصرّ على اعتبارها منفصلة تماماً عن كل ما يخصّ اليهود أو تعاليمهم. وهناك من يعترف بهذه الصلة الجوهرية لكنه يصرّ على أن مذهبه يمثل نوع من حركة تصحيح أو إصلاح لمعتقد اليهود المغضوب عليهم من قبل الله، وهذه الأمر صحيح بمعنى معيّن.

إن النظرة السطحية والتهكّمية والتكفيرية للقبالة ووصفها بأنها مجردّ مذهب سحري يهودي ملعون "تابع من تخلف الفكر في طفولة العقل الإنساني" تمثّل التوجّه السائد في بلادنا العربية، ولم يحاول أحد أن يتعمّق، ولو قليلاً، بخفايا هذه الفلسفة (لأسباب مختلفة: دينية، أيديولوجية، أو حتى عرقية) ليستنتج حقيقة كبرى ومخيفة بنفس الوقت، وتتمثّل بأن القبالة هي العقيدة التي تعتنقها النخبة العالمية. هذه المجموعة النخبوية التي تسيطر على كل جوانب حياتنا اليومية، وحتى طريقة تفكيرنا، وساهمت في صياغة وتكريس معتقداتنا الروحية وحتى العلمية أيضاً. وأنها في الحقيقة ليست سطحية إلى الدرجة التي تدعيها الكتابات العربية التكفيرية والعلمانية معاً. فالقبالة الحقيقية التي كانت سائدة قبل آلاف السنين (أي قبل اختراقها من قبل المشعوذين) لم تكن بهذا المستوى من الانحطاط الفكري والأخلاقي حيث تفرّعت منها كل تلك المذاهب القبالية الأخرى التي اتخذت طابعاً يهودياً مليء بالخرافات والأكاذيب.

أعتقد بأن الوقت قد حان لأن نتوقف عن هذا الترفّع الفارغ على الآخرين بحجة أننا أكثر إيماناً أو أكثر حضارة أو أغنى من حيث الثقافة أو غيرها من امتيازات واهية، مما يجعلنا نمتنع عن النظر بجديّة في مدى خطورة الوضع الذي نواجهه، أو على الأقلّ لكي نتجنّب المصير البائس الذي ينتظرنا في المستقبل القريب.

".. ليس هناك قوة ظلامية تحكم الإنسان أكثر هولاً من الجهل وغياب الحكمة. ليس هناك لعنة أشدّ من تلك التي تصيب الإنسان الذي يظنّ نفسه حكيماً بينما هو في الحقيقة غير ذلك. فهذا الشخص هو أحمق حتماً.."

حكمة صينية

القبالة عقيدة النخبة العالمية

بالنسبة للذين يستبعدون وجود أي أثر للتحكم القبـالـي/السحري بالعالم اليوم، في هذا العصر، ربما بسبب نزعتهم العلمانية الزائدة، أو حتى ميولهم الدينية المترفعة على السحرة والمشعوذين، أعتقد بأن المقتبسات التالية المأخوذة من مقدمة كتاب "كشف الحجاب عن القبالة" UNCOVERING THE KABALA، للدكتور "هاريل روم" Harrell Rhome, Ph.D.، تكفي لتوضيح بعض الأمور. مع العلم أن هذا الكاتب هو علماني متشكك، لكن الواقع أجبره على تقبل بعض الحقائق المنافية للمنطق الذي نشأ عليه.

كشف الحجاب عن القبالة

UNCOVERING THE KABALA

من الشعوذة إلى السياسة النفسية

FROM SORCERY TO PSYCHOPOLITICS

بقلم

الدكتور "هاريل روم"

Harrell Rhome, Ph.D.

".. السياسة النفسية PSYCHO POLITICS هي فن أو علم ترسيخ، والمحافظة على، والسيطرة على تفكير وولاء الأفراد، الضباط، البيروقراطيين، والحشود، وكذلك تعزيز العدوان على الأمم والأوطان عبر المعالجة العقلية ..".
خلاصة كتاب الإرشادات بخصوص السياسة النفسية

".. كل شيء يبدأ من عقيدة باطنية وينتهي به الأمر في السياسة..".

تشارلز بيغوي Charles Peguy

مقدمة

".. لا نستطيع الشكّ بأن معجزات السحر والخيمياء قد حصلت فعلاً في العصور الماضية. لكنها لم تكن مألوفة وشائعة، وكان هناك الكثير من الخرافات والخداع المتصلة بهذا المجال. من المهم جداً تصفية السحر من الخرافة.. هناك سبب لكل اعتقاد، وحتى أكثرها بعداً عن الواقع، ومن واجبنا اكتشاف هذا السبب.."
H. Stanley Redgrove هـ. ستانلي ريدغروف
في كتابه "حول السحر والتصوّف: البحث في المعتقدات القديمة"

منذ فترة من الزمن، درست الميتافيزيقيا ومجال معرفي غريب يُسمى "العلوم الخفية" The occult، محاولاً اكتشاف كيف يمكن لهذه الأفكار والنشاطات أن تتفاعل مع أشخاص معيّنين، وكذلك مجموعات وقوى تاريخية، لتتشكّل أخيراً نظامنا اليومي الحاضر. بعد البحث الطويل، إنه ليس مبالغة القول بأن الممارسة السحرية، الخفية والعلنية، تمثّل الأساس الذي تستند عليه بروتوكولات النخبة العالمية التي تمضي في طريقها لإقامة ما نشير إليه اليوم بـ"النظام العالمي الجديد" New World Order. البعض يسمي هذه المجموعة النخبوية بـ"المتنورين" Illuminati. أو يمكن تلقيبهم بـ"قوى الظلام" Dark Forces. لا بدّ من أن القراء المتنبهين والمجتهدين قد اكتشفوا بأنه، عند جذور هذه النخبة الميتافيزيقية الجاحدة والمسخة، وكذلك في قلب كل حركة إعتقادية عصرية أو قديمة، هناك منظومة طقوس ظاهرة بوضوح، وتتأصل من جذور "القبالة" Kabala.

عندما يُدرس الكتاب الضخم الذي بعنوان "زهر" Zohar بشكل دقيق، كل هذا يصبح واضحاً. هذا لا يعني أن المفاهيم غير موجودة في مكان آخر أو مصادر أخرى تسبق كتابة هذا الكتاب، لكن في القبالة بالذات، والتي يتناولها هذا الكتاب، نجد هذه المفاهيم والمعارف واضحة ومفصلة لحد الكمال. وجب العلم بأن جذور جدليات "هيغل" Hegelian Synthesis، والماركسية، وفكرة "الجماعية" Collectivism، وفكرة "العقل الجماعي" group mind، ووسائل التحكم بالعقول، ونظرية التطور

evolution، وغيرها الكثير.. جميعها تستند على مفاهيم مذكورة في كتاب "زوهار" Zohar الذي يعود للقرن الأول الميلادي وربما قبل ذلك بقرون.

بعد إدراك هذه الحقيقة، يصبح من السهل رؤية أنه، ومن بين أشياء أخرى، السحر الشعائري والمجتمعات السريّة والقبالة تُعتبر عناصر مهمة جداً لفهم واستيعاب تاريخ العالم. إن المعتقدات والممارسات السحرية تمثل أساس الكثير من، إن لم تكن كل، القرارات التي يتخذها مخطوطو النظام العالمي الجديد، إن كان في الحاضر أو عبر التاريخ.

هذه السلالات النخبوية الغامضة، والتي غالباً ما تكون دموية بشكل فتاك، تتمحور حول عقيدة القبالة. تذكر أن المهم في الأمر لا يتمثل في إذا كنت تؤمن شخصياً بالسحر أو لا، ولا يتوقف الأمر حول كون السحر صحيح فعلاً أم لا. العامل الحاسم هو أن النخبة العالمية، "المتتورون"، يؤمنون بالسحر. وهذا يُضيف عنصر حاسم آخر إلى موضوع جرائم السحر الشعائري المنتشرة حول العالم. إن سحرهم يتطلب استعراض تصرفات معينة ورموز معينة (بدرجة معينة من الوضوح) أمام الجماهير، وكم كان هذا سهلاً بالنسبة لهم بعد أن سيطروا على كافة أجهزة الإعلام العملاقة حول العالم. تشكل القبالة جزء من كل الأحداث المفصلية العالمية، لأن اللاعبين الأساسيين على المسرح الدولي متأثرون جداً بأفكار ومعتقدات ورموز وشعارات تعود لآلاف السنين، وكلها تتمحور حول عقيدة القبالة.

هناك البعض من حولي الذين ينصحوني بأن لا أشغل نفسي كثيراً بهذه "المواضيع السوداء"، لكن ماذا أقول؟ ها قد عدنا مرة أخرى إلى ذلك الموقع البغيض، حيث السحر والروحانيات يُعتبران مواضيع شاذة بالنسبة للباحث الجاد والمحترم. لكن أرجوكم، اسخروا من الباحث العجوز الذي كتب هذه السطور "الشاذة"، لكن المهم أن تتابعوا القراءة. وعندما تنتهوا من الكتاب، راسلوني واخبروني عن رأيكم.

هل تؤمن بالسحر؟

".. الأفعال السحرية هي طقوس معينة تعمل على صنع شيء أو تغيير شيء. إنها تعمل بشكل غامض، وما تخلقه هو أيضاً غامض.. لكن هذه الأفعال الغامضة لديها تأثيرات اجتماعية ملموسة. هذه الممارسة والصناعة الخفية (والتي نادراً ما يفهما أحد، حتى الممارس ذاته) لديها مفعول مؤثر، حسب درجة إيمان الممارس، لتجسيد نتيجة أو فعلة أو حالة على المستوى الاجتماعي، بنفس المفعول الذي يجسده الراهب عندما يصرّح أمام العروسين قائلاً: لقد أعلنتمك زوجاً وزوجة.. أو كما يبذل القاضي مسار حياتك بالكامل بعد أن يصدر الحكم. بهذه الطريقة يكون السحر عملاً روحياً مؤثراً وفعالاً.."

"دانيال.ل. أو كيفي" Daniel L. O'Keefe

في كتابه: "البرق المسروق: التاريخ الاجتماعي للسحر" (1982)

غالباً ما يكون تأثير القبالة والتلمود مربوطاً بحضور بارز لأحد الشخصيات اليهودية، إن كان من الشرقيين أو الغربيين (الخرز)، والذين يُعتبرون عامةً أبرز الفلاسفة وممارسي الفنون السحرية أو أعمال الروحانيات في التاريخ. هذه حقيقة لا يمكن إنكارها. هنا بالذات نستطيع إلقاء النظر في أسلوب ممارستهم للسياسة النفسية psychopolitics وممارسات كثيرة أخرى، وتأثيرها على ثقافة الغرب ومجتمعاته.

السياسة النفسية ووسائل السيطرة على العقول، بالإضافة إلى وثبات تكنولوجية مذهلة شهدها النصف الثاني من القرن العشرين، جميعها استندت على نفس الطرق والفنون التي ألفها اليهود واستخدموها لقرون طويلة: الطقوس، الشعائر، تمارين التكرار لتخزين المعلومات في الذاكرة دون حاجة لفهمها، تكريس المعتقدات بحيث تتحوّل إلى إيمان أعمى، السحر الجنسي،.. وهكذا. يمكن للكلمات والشعارات أن تتغيّر قليلاً، لكن نفس الخيوط تحيك فصول التاريخ منذ البدايات الأولى للإنسان. إن للسحر تأثيرات ثقافية واجتماعية كبيرة، لأنها تعمل على ثلاثة مستويات: المستوى الميتافيزيقي/الروحي، والمستوى النفسي/العقلي، وأخيراً المستوى الفيزيائي/الجسدي.

بالإضافة إلى أن للسحر تأثيرات ملموسة على الفرد حتى لو لم يكن يؤمن به أساساً. أي بمعنى آخر، إن للرقي والتعويدات السحرية نتائج ملموسة.

لماذا التفوق هو دائماً لليهود؟

إن مجرد الاطلاع على تاريخ العصور الوسطى يكشف عن عدد مفرط من الشخصيات اليهودية البارزة، تتراوح بين ممارسين وفلاسفة لامعين في الفنون السحرية. وطبعاً، لم يكونوا وحدهم في هذا المضمار، لكنهم الأكفأ والأكثر براعة. وذلك طبعاً لا يعود لأي سبب سوى سبب واحد فقط، وهو أن كافة المناهج السحرية السائدة في أوروبا والشرق الأوسط بشكل عام تستند على التعاليم القبلائية والتلمودية، ومن غير اليهودي يستطيع استيعابها وممارستها بسهولة وبراعة؟

كان للشعوذة تاريخ طويل بين اليهود العرب وكذلك يهود الخزر الذين تحولوا إلى الدين اليهودي منذ قرون (٧٤٠م) وأدخلوا معهم ممارساتهم المنغولية/التركية، بما في ذلك شعائر التضحية بالبشر. في أواخر العصور الوسطى أثناء عصر النهضة، كان الكثير من اليهود يمثلون ألمع الفلاسفة السحريين، وكذلك الصوفيين وحتى المشعوذين. في الوقت الذي كان هذا كله يُعتبر هرطقة في عين الكنيسة، إلا أن تيار مظلم عميق من السحر الأسود كان يجري تحت السطح الظاهر للمجتمع الأوروبي الكاثوليكي. وفي قلب هذه الممارسات، والتي تتراوح بين الطقوس الشيطانية الحقيقية وبين مراسم بروتوكولية لجمعيات روحية عادية، نجد عنصر واحد مشترك: قواعد التعاليم القبلائية. القليل من الصوفيين والسحرة الغربيين غامروا في اتجاهات أخرى، لكن معظمهم بقي قريباً من المبادئ القبلائية الأساسية. معيدين صياغتها بشطارة وذكاء بحيث تناسب النزعة الفكرية العامة للمجتمع العصري.

طبعاً أنا لا أعني القول بأن اليهود يشكّلون كل ممارسي السحر والمؤمنين به. فرغم أن هذا المجال يضمّ الكثير منهم، إلا أن هذه الظاهرة موجودة في كافة الثقافات والمجتمعات حول العالم. صحيح أننا نجد في معظم المجتمعات والمجموعات الإثنية

من يلاحق أهداف ميتافيزيقية أكثر سموً وروحانيًا، وحتى نجد ممارسات أكثر انحرافاً وفسقاً، لكن رغم هذا كله نجد أن اليهود يبقون دائماً مميزين. رغم عددهم القليل، كانوا دائماً يمثلون جزءاً من أي حركة نهضوية في مجال الروحانيات أو السحر في أي عصر من التاريخ. وهذا ينطبق على الكنيسة أيضاً، حيث عدد من يهود "المارانو" (تتصروا خلال محاكم التفتيش في أسبانيا) أصبحوا أساقفة ومطارين، ولاهوتيين.. وحتى باباوات. إن صفة "السحرة" أو "المشعوذين" المُلصقة بهم كان لها إيجابياتها دائماً. فمثلاً، كانوا "سحرة" حقيقيون في مجال المصرفية المالية وكذلك في التجارة. كانوا دائماً المستفيدين الحقيقيين للصفقة، مهما بدا الأمر ظاهرياً. دون أدنى شك، فإن سمعتهم بصنع الطلاسم والتعاويذ السحرية زادت من تحسين سمعتهم كسحرة في الشؤون المالية. وبالإضافة، فقد كانوا مهرة في مجال الدبلوماسية المخادعة مما جعلهم يلمعون في السياسة. وبالتالي، فصفة "سحرة" ساعدتهم هناك أيضاً.

وقد شهدت العصور الوسطى بروز الكثير من اليهود اللامعين في مجال الطب، والذي كان يُعتبر شكلاً من أشكال السحر، وهذا ما نعتبره اليوم أيضاً. حيث في تلك الفترات، كان الطب والعلاج يتعامل بشكل كبير مع التعاويذ والطلاسم والأدوية السريّة التي تُصنع على شكل محاليل، هذا بالإضافة إلى الأعشاب والأدوية المألوفة في حينها، وهذا مع أخذ بعين الاعتبار المهارة الشخصية للطبيب. ومرةً أخرى، ساهمت صفة "السحرة" في تعزيز سمعتهم كمعالجين فعالين. كانت الحكمة الشائعة في تلك الأيام تتبنى مثل شعبي منتشر بشكل واسع: ".من الأفضل أن يكون لك طبيب يهودي، فهو يعرف كل أنواع السحر..".

وبالحديث عن "السحر"، فالسحر اليهودي كان ولا يزال يحظى بالباع الأطول، لماذا يا ترى؟.. لأنه مؤثر وفعال! كم هم القبلايون مهرة في مهنتهم هذه.. لدرجة أنه حتى "الشامانيين" الذين يستطيعون تغيير شكلهم، والتحليق في الهواء والمشي على النار، يعجزون عن التفوق على براعتهم ومكرهم الاستثنائيين. ".أدرس الموضوع بكد وانتباه.. تعلم كيف تميّز كافة جوانب اللعبة عندما تخوض غمارها، وحينها ستحقق مستويات أعلى من الوعي والإدراك.."، هذه هي نصيحة اليهودي لتلميذه.

يَعْلَمُ القِباليون، وكذلك الماسونيون، منذ البداية بأن القوى المُستخدمة في الشعائر السحرية هي ذاتها، إن كانت تُستخدم لغايات سوداء أو بيضاء. إن الغاية التي تُستخدم من أجلها هي التي تحدّد، وذلك وفقاً للأحكام الأخلاقية. إن بعض ما تراه قد يبهرك، أو يمكنها أن توقعك في شرك سوء التفسير والترجمة. وباستثناء بعض الاستعراضات العمومية المُخطّط لها مُسبقاً، فإن مُعظم المنتسبين للجمعيات السريّة يبقون مجهولين تماماً، وما يُسمح لك رؤيته لا يعني شيئاً ولا يمثّل شيء بالمقارنة مع ما يقبع في الخفاء. يسرع الماسونيون إلى الادعاء بثقة أن احتفالاتهم الشعائرية هي مفتوحة أمام العامة، لكن هذا ليس صحيحاً. ورغم ما يستعرضوه من شعائر خلال الاحتفالات المفتوحة يبدو للوهلة الأولى غير مؤذياً، لكن احذر وحاول تجنّب حضورها بقدر ما تستطيع.

".. في الحقيقة، فإن أي ظهور على محطة تلفزيونية أو راديو أو صحافة من قبل أشخاص يدعون حيازتهم لبعض القوى الروحية وجب مواجهته بالشك والارتياب.. لأن السحرة الحقيقيين المنتسبين للجمعيات السريّة لا يعلنون عن أنفسهم بهذه الطريقة، مهما كانت الأحوال، ولا حتى الإشارة بأي طريقة إلى حقيقة أنهم يختلفون عن الإنسان العادي. إن القيام بأي نوع من هذا العمل ممنوع بشكل صارم وحازم وفقاً لما يفرضه نظامهم الداخلي.."

س.تارت "C. Tart, 1977

صرف الرأسمالي الكبير "هنري فورد" Henry Ford عدة ملايين من الدولارات خلال التنقيب عن الحقيقة المتعلقة بـ"بروتوكولات صهيون" Protocols Of Zion ونشر بعدها نتائج الأبحاث التي أجريتها. وقد قام باحثوه أيضاً بالقاء نظرة على عقيدة القبالة Kabala. ورد في نتائج الأبحاث ما يلي:

".. أفضل توصيف لليهودية هو أنها مجرد طائفة أو مجموعة من الشعائر وليست ديناً، اليهود ليسوا شعباً أو أمة قائمة بذاتها، بل هم مجرد طائفة، واليهودية تمثّل شعائر لا أكثر ولا أقلّ. وقوانين وفرائض هذه الشعائر موجودة في التلمود

والـ"سكولشان أروك"، لكن التعاليم الباطنية للمطلعين الكبار موجودة في القبالة *Kabala*. ففي هذه التعاليم تكمن الشعائر السريّة لاستدعاء الكيانات الخفية، وتكمن المفاتيح لممارسة استحضار القوى الخفية، وعلم الأرقام والفلك، إلى آخره... إن التطبيق العملي لتعاليم القبالة تجسّد فعلياً عبر استخداماته العديدة عبر العصور من قبل اليهود بهدف الحيازة على النفوذ والتفوق في كل من الأوساط الراقية والكادحة على حد سواء. غالباً ما كان الملوك وحتى الباباوات يوظفون يهودي واحد أو أكثر ليعملوا كمستشارين غيبيين أو فلكيين... العلوم الكلدانية التي حصل عليها الكهنة اليهود، خلال فترة أسرهم في بابل، ساهمت في ولادة طائفة (أو مجموعة) الفريسيين *Pharisees*، الذين ورد اسمهم في الإنجيل وكذلك في كتابات المؤرخين اليهود بعد فترة الأسر (٦٠٦ ق.م). إلى ذلك التاريخ يعود نشوء القبالية، والتي تُعتبر العقيدة السريّة لهؤلاء الفريسيين. لفترة طويلة من الزمن، كانت هذه التعاليم تُنقل شفويّاً من جيل إلى جيل، لكن بعدها ألفوا ما يُعرف بالتلمود، وبعدها ظهر الشكل النهائي لها من خلال كتاب "سفر زوهر" *Sepher Zohar*.

انتهى الاقتباس من مقدمة كتاب "كشف الحجاب عن القبالة"، للدكتور "هاريل روم"

تعليق

خلال حديث الكاتب عن اليهود في الاقتباس السابق، كان يعني بذلك، كما غيره من الباحثين في خفايا المؤامرة العالمية، نوع محدد من اليهود وليس اليهود بشكل عام. فهناك اليهود التوراتيين الذين، شأنهم كما شأن معتقي الديانات الأخرى، يأخذون النصوص المقدسة بمعناها الظاهر وليس الباطن. بينما النوع الآخر، والذين يُشار إليهم باللاويين *Levites*، يمثلون شريحة يهودية منفردة بذاتها. نحن نتحدّث عن اليهود الذين يملكون أكبر المصارف والشركات في العالم، أي بمعنى آخر: المسيطرون على العالم وما فيه. وبالتالي هناك فرق شاسع بينهم وبين اليهودي العادي البائس الذي يخوض معترك الحياة مثله مثل أي شخص آخر. يوصفهم الباحث المستقلّ في علم التاريخ، "جوردان ماكسويل" *Jordan Maxwell* قائلاً:

".. هم ليسوا يهود أصلاً بالمعنى الحرفي للكلمة، والسبب هو أنهم يعلمون الكثير مما لا يعلمه عامة الناس. وأهم الحقائق التي يعلمونها جيداً، ويعملون على أساسها، هي أن اليهودية لا تتمثل سوى مذهب كما باقي المذاهب الأخرى، أي مجرد حظيرة بشرية مؤلفة من رعايا محدودي النظر والتفكير، يراقبون بعضهم البعض، يخدعون بعضهم البعض، ويجبرون بعضهم البعض على الامتثال. وهذه الحظائر البشرية هي ما تتطلبها أجندة المتآمريين بالذات، ذلك لأن الإنسان يصبح وفقها سهل السيطرة والتحكّم والإدارة والانقياد. الشريعة المتأمرة التي نتحدث عنها، والتي تتسترّ بغطاء يهودي، لا تعتنق أي من الأديان التي نألفها. فهم لا يؤمنون بالله أصلاً، بل يعبدون الشمس. وعقيدتهم تستند بشكل كبير على تعاليم القبالة. أفراد هذه الشريعة النخبوية من "اليهود/المتتوريين" لا يمثلون عرق متميّز عن البشر ولا مجموعة من الناس الذين ميّزهم الله عن غيرهم، بل سبب تفوقهم هو إمامهم الكامل والصحيح بالسنن والقوانين الحقيقية للطبيعة. بينما هي محرّمة على الشعوب الأخرى بسبب الأديان الشمولية وأيديولوجيات أخرى سيطرت على العقول والأرواح طوال العصور الماضية مما ساهم في تضليل الإنسان ومنعه من حقّه في التعرّف على الحقيقة.."



حتى اليهود الذين نراهم في الحالة العادية لا يدركون الصورة الكبرى أصلاً، بل هم مجرد أتباع مذهب، شأنهم كما شأن معتقي المذاهب الأخرى، يأخذون النصوص المقدسة بمعناها الظاهر وليس الباطن. لهم معتقداتهم وقناعاتهم الخاصة، وكذلك طريقة تفكيرهم الضيقة التي صاغها اللاويون كما فعلوا تماماً مع غيرهم.

الماسونية والقبالة

".. الماسونية هي البحث عن النور. ذلك النور.. ذلك البحث يعود بنا، كما ترون، إلى القبالة Kabalah. في ذلك الكتاب العريق والمُتَعَذِر فهمه بسهولة، ستجد مصدر تعاليم كثيرة، بما فيها علوم الخيميائيين والفلاسفة الهرمزيون.."

ألبرت بايك Albert Pike

خلال فترة عصر النهضة في أوروبا أدى ظهور المجتمعات السريّة للعلن إلى كشف الكثير من الأسرار التي كانت محجوبة طوال قرون، خاصة بما يتعلق بالطقوس والشعائر السحرية. وخلال هذه الفترة بالذات، فقد ازدهرت مجموعة من المحافل السريّة، مثل "فرسان الهيكل" Knights Templar، الروزيكروسيين (الصليب الوردي) Rosecrucians، والنظام الهرمزي للفجر الذهبي The Hermetic Order of The Golden Dawn، وغيرها من المجتمعات السرية المختلفة، وكل منها أحاطت نفسها بمجموعة من الأسرار والمعتقدات والطقوس السحرية الخاصة بها. وهذا التقليد المتمثل بالمجتمعات السرية لازال قائماً حتى اليوم من خلال وجود منظمات سرية مثل "الماسونية" التي يُعتقد بأنها أصبحت تشمل جميع المحافل الأخرى في صفوفها. هذا مع العلم بأن الطقوس السحرية الماسونية تطوّرت كثيراً عن الأساليب التي اتبعتها السحرة والخيميائيون في عصر النهضة، حيث زادت فعاليتها ودائرة تأثيرها. هذه المحافل المحجوبة بوشاح قاتم من السريّة ضمّت بين صفوفها العديد من الرجال البارزين في مجال العلم والأكاديميا، مثل "يوهان كبلر" Kepler، "إسحق نيوتن" Isaac Newton و"ليوناردو دافينشي" Leonardo da Vinci، وغيرهم، وغيرهم.

الماسونية، التي تُعتبر حديثة المنشأ نسبياً، هي امتداد مُكَمَّل للمحافل السرية التي نشأت عبر العصور. وحسب تاريخها المألوف، الماسونية وليدة محفل فرسان الهيكل الذي حكم عروش أوروبا عبر الفاتيكان طوال فترة القرون الوسطى. المحافل السرية لم تنقطع أبداً في أي زمن أو عهد أو مرحلة تاريخية. كل ما يحصل هو تغيير للواجهة،

أيّ تبديل للاسم والعنوان والأشخاص الفاعلين، بينما الأجندة تبقى هي ذاتها وكذلك الطقوس والشعائر والعقيدة. الأفعى لا تموت بل تغير جلدّها فقط.

لا زال مُعظم سكان العالم يستبعدون حقيقة وجود نخبة عالمية متأمرة تسيطر على كافة جوانب الحياة البشرية، كانوا ولازالوا يتوارثون هذه السيطرة الخفية منذ الزمن الأوّل. لقد تحدثت عنهم في إصدارات أخرى وذكرت بعض التفاصيل عن نشأتهم في إحدى الفترات التاريخية. منذ زمن بعيد جداً، وحيثما انتقلت هذه المجموعة الكهنوتية المتنورة وأينما استقرت وازدهرت، كانت تؤسس محافل سرية بهدف التلاعب بعقول الناس وحملهم على تصديق التفاهات، والتخلي عن قوتهم من خلال الترهيب وترويح الخرافات. وفي الوقت عينه، كان أعضاء الطبقات العليا من التنظيم الهرمي الذي يسيّدونه، ينفلون المعرفة السرية إلى الذين وقع عليهم الاختيار لإكمال مسيرة تنفيذ الخطة الطويلة الأمد.. السيطرة على العالم من خلال إقامة نظام عالمي واحد.

مما لا شك فيه أن هذه المدارس السرية المختلفة هي منتشرة في كافة أصقاع العالم منذ آلاف السنين، وهي تُستخدم لنقل المعرفة رفيعة المستوى إلى الأشخاص الذين يثبتون للكهنة المُطلعين أنهم مؤهلين لذلك. أما السُلطة العليا لهذا التنظيم، فقد أصبحت مُتوارثة بين مجموعة من العائلات النافذة.

هناك الكثير من الذين لازالوا يستبعدون فكرة أن المدارس السرية القديمة كانت ولازالت تمثّل جزءاً من الأجندة الخفية في السيطرة على العالم واستعباده. والسبب الذي يجعلهم يستبعدون هذه الحقيقة هو أن "حراس الحكمة المقدّسة" لا بدّ من أن يكونوا على درجة رفيعة من الروحانية والزهد، وبالتالي لا يمكنهم الانغماس بالشؤون الدنيوية إلى هذا الحدّ. في الحقيقة، لا نستطيع القول إن المدارس السرية كلها شريرة، فبعضها سعى إلى منح المعرفة لكل شخص قادر على استخدامها بحكمة. ولكن حتى المدارس السرية حسنة النية، تسلّل إليها أشخاص شرّيون يعملون لصالح المتأمرين. ويبدو أن ذلك حصل عبر آلاف السنين. أصبح الاعتقاد السائد يشير إلى أن السحرة الذين تحدث عنهم "مانلي بالمر هول" Manly P.Hall في الإصدار السابق (أقول

شمس المعارف الكبرى) هم ذاتهم الذين لازالت ذريّتهم تتوارث المعرفة السريّة منذ تلك الفترات السحيقة التي نجحوا فيها بالانقلاب على الحكماء الحقيقيين. وها هم اليوم يحولون عالمنا الحالي إلى جحيم. كل هذا ولم نشعر بوجودهم أصلاً. فنلقي اللوم على الله [عزّ وجلّ] ونسلّم بأن هذا البؤس الذي نتخبّط به منذ بداية التاريخ هو من مشيئته تعالى. فنحن لم نفطن يوماً إلى حقيقة أن لعنة البؤس التي نعاني منها ليست ربانية المصدر ولا هي عقوبة سماوية على خطايا الإنسان الأوّل ونحن نتوارثها جيلاً بعد جيل.. بل السبب الرئيسي هو جهلنا بما يجري وكيف يجري في هذا العالم، وما جرى في الماضي البعيد حين ولدت هذه المسألة التي لم تنتهي ويبدو أنها لن تنتهي قبل نهاية هذا العالم الفوضوي المختلّ.

القبالة الإبليسية

عقيدة النخبة الماسونية

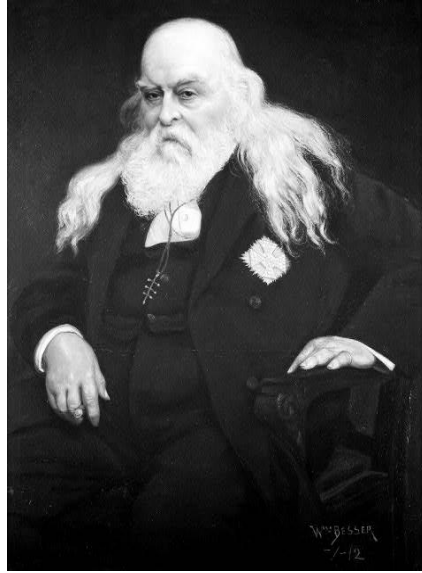
في الوقت الذي يقوم به الأعضاء القابعين في الدرجات الثلاث الدنيا من الماسونية بجمع المال من أجل التبرعات الخيرية وينخرطون في مناسبات وحفلات اجتماعية غير مؤذية نسبياً، نرى أن رؤسائهم في هذا التنظيم الشيطاني يخططون لإثارة الحروب والترويج للمخدرات وتنسيق الاغتيالات والسيطرة على العقول، ويرسمون الخطط للسيطرة على العالم. دعونا نتعرّف على بعض هؤلاء الشيطانيين الذي لم يخفوا ميولهم الشيطانية ونزعتهم الشريرة تجاه البشرية، وذلك من خلال كتاباتهم ومنشوراتهم المختلفة.

سوف نبدأ بالزعيم الماسوني، درجة ٣٣، صاحب لقب "سيدّ السحرة الماجوس"، الجنرال "ألبرت بايك" Albert Pike (١٨٠٩ - ١٨٩١م)، وهو الرجل الذي قدّر له أن يطوّر ما سُميت بـ"العقيدة الإبليسية" Luciferian Doctrine للمنظومة الهرمية الماسونية. لم يتقبّل حقيقة أن إبليس والشيطان يمثلان نفس الشخصية. خلال تعليم

معتقداته الخاصة لمجموعة من النخبة في أعضاء المجلس الماسوني الأعلى، أصبح "بايك" أقوى ماسوني في العالم في تلك الفترة.

".. كافة الأديان المتشددة، التي تتمحور حول عقائد جازمة غير قابلة للنقاش، لا بدّ من أنها انبثقت من القبالة Kabalah، وتعود إليها كمرجع أخير. إن كل شيء علمي وعظيم ظهر على المسرح الذي يخرج المتتورون، هو مُستعار من القبالة Kabalah. كافة الجمعيات الماسونية تدين لها بأسرارها ورموزها... كل محفل ماسوني هو، ولا بدّ من أن يكون، رمزاً للمعبد اليهودي. إن كل زعيم ماسوني هو ممثلٌ للملك اليهودي.. وكل عنصر ماسوني هو تشخيص للعامل اليهودي.."

ألبرت بايك Albert Pike، ١٨٧١م.



ألبرت بايك

".. إن المعنى الحرفي للنصوص المقدسة هو للعالميين فقط.."

ألبرت بايك Albert Pike

".. الماسونية تحجب أسرارها عن الجميع ما عدى الحكماء والخبراء المطلعين، أو المُختارين، وتستخدم التفسيرات المخادعة والترجمات الزائفة لرموزها بهدف تظليل أولئك الذين يستحقون أن يُظللوا،.. ذلك من أجل المحافظة على السرّ.."

ألبرت بايك Albert Pike

إن ما يُعتبر صحيحاً بالنسبة للفيلسوف قد لا يمتثل الحقيقة ولا يمكن أن يكون له نفس تأثير الحقيقة بالنسبة للإنسان العادي.. وجب على دين الأكتيرية أن يكون خاطئاً بدرجة أكبر من دين الأقلية النخبوية المهذّبة.. قد لا يمكن استيعاب الدين الحقيقي من قبل الجهلاء.. غالباً ما تكون تعاليم الكتاب المقدّس غير متسترة بلغة الحقيقة المستقيمة، بل فقط ما يجعله مناسب لنقل [العقيدة] لأناس يتصفون بالجهل والبساطة والفضاظة.."

ألبرت بايك Albert Pike

".. رغم أن الماسونية هي نظير مطابق للمدارس السريّة القديمة، إلا أنها كذلك من ناحية الأهلية المعرفية.. حيث أنها تُقدّم صورة غير كاملة للماضي الرائع والمجيد.. إنها مجرد أطلال بالنسبة لما كان مشيداً في الماضي بفخامة ومهابة.."

ألبرت بايك Albert Pike

في ١٤ تموز ١٨٨٩م، نشر "ألبرت بايك" التعليمات التالية لـ ٢٣ قيادة ماسونية، ذات الطقس الاسكتلندي، حول العالم:

".. نحن نعبد إله، وهو الإله الذي يبجله الشخص دون أي شكوك.. بالنسبة إليكم أيها القادة أقول هذا، وعليكم تكراره أمام الأخوان ذوي الدرجة ٣٣، ٣١، و ٣٢.. الديانة الماسونية هي عبارة عن تعاليم إبليسية.. إبليس هو الإله.. الديانة الحقيقية والنقية والفلسفية هي الإيمان بإبليس.."

ليس هناك أدنى شك بأن النخبة الماسونية في كل من أمريكا وبريطانيا يتم التحكم بها من قبل شخصيات في الدرجة ٣٣ ومستويات خفية أعلى منها، والذين يعبدون إبليس أو الشيطان كإلههم الأوحد.

تُعتبر كتابات "ألبرت بايك" الأكثر قراءة لدى الأعضاء في المستويات الماسونية الرفيعة. ويشاركه في نفس مستوى الشهرة بين الماسونيين الكبار الشيطاني الشهير "ألبيستر كراولي" Aleister Crowley الذي، من خلال اطلاعه على الكثير من أنظمة الشعائر السحرية القديمة، صمم صيغة جديدة من الشعائر السحرية الخاصة به. وهو أول من اقترح استخدام الحرف K بدلاً من الحرف C في كلمة magic (أي السحر) من أجل التمييز بين السحر الاستعراضي الذي يجري في المسارح وبين السحر الشعائري الجدّي، وقد بدأت هذه الكلمة الجديدة (magik) تُستخدم فعلاً خلال ذكر هذا النوع من العلوم الخفية.



كان "ألبيستر كراولي" الزعيم البريطاني لمحفل "نظام معبد الشرق" أو يشار إليه بالمختصر "أو. تي. أو" O.T.O، وهو السليل المباشر لمحفل المتنورين البافاري الأساسي. كان محفل الـ"أو. تي. أو" مجمعاً شيطانياً متطرفاً وسرياً جداً يضمن كافة الشخصيات السياسية البارزة، وكذلك معظم الارستقراطيين والملكيين في أوروبا.

يشارك "كراولي" مع "ألبرت بايك" بنفس درجة الحماس تجاه الشيطان، وفي كتابه الذي بعنوان "السحر"، يكتب "كراولي" قائلاً:

إبليس هو هذه الأفعى.. الشيطان. هو النور والحب... هو النور وصورته الفلكية هي برج الجدي.. التيس الوثاب.. رأس الإله... "البافوميت" Baphomet.

إستناداً إلى أليستر كراولي (١٨٧٥ - ١٩٤٧) الذي كان يعتبر نفسه من ممارسي "العلوم الخفية" واشتهر بكتابه "كتاب القانون" The Book of the Law وفيه زعم إنه تمكن من استحضار روح حورس، يعتبر هذا الكتاب مرتكزا لفكرة ثيلما الذي ينص على الامتلاك الإنسان الكامل لجسده وروحه وحياته ويمكنه السيطرة عليها بنفسه دون تأثير خارجي. وعليه فإن السحر حسب كراولي هو نشاط يغير حالة معينة معتمدة على إرادة الشخص القائم بها وهو يختلف عن الشعوذة وخفة اليد ويعتمد على البحث العلمي. فيما يلي المزيد من الماسونيين الكبار الذين تغزّلوا بإبليس في كتاباتهم:

أليفاس ليفي Eliphas Levi، المستشار السحري لألبيرت بايك، يقول في كتابه أسرار السحر The Mysteries Of Magic:

".. ما هو أكثر كفراً وعبثاً أن تلزم اسم إبليس بالشيطان، وهذا يعني أنك قمت بشخصنة الشر؟... إبليس الفكري هو روح العقل والحب.. إنه روح القدس ذاته. بينما إبليس الجسدي هو العنصر العظيم للمغناطيسية الكونية.."

آرثر أدوارد وايت Arthur Edward Waite، (ماسوني درجة ٣٣) في كتابه: "كتاب السحر الأسود" 'The Book Of Black Magic':

".. أول مناشدة موجّهة للإمبراطور إبليس. الإمبراطور إبليس، سيّد وأمير الأرواح المتمرّدة، أنا أناشدك بأن تترك ملكوتك الكائن في أي زاوية من هذا العالم، وتأتي إلي هنا للتواصل معي. أنا أمرك وأناشدك باسم الإله الحي العظيم، الابن، وروح القدس، لكي تحضر دون ضجّة أو صوت.. إلى آخره.. إلى آخره.."

بين الماسونيين الكبار، والذي يمكن الاعتماد على كتاباته الغنية والعميقة للتعرف على خفايا هذه الشبكة العالمية المستترة، هناك الفقيه الماسوني "مانلي بالمر هول" Manly P. Hall (ماسوني درجة ٣٣). والذي اعتمدتُ كثيراً على كتاباته.

في العام ١٩٢٨م، كتب "بالمر هول" ما يمكن اعتباره أحد أعظم الأعمال الأدبية في التاريخ: "التعاليم السرية لكل العصور"، وهو مجلد ضخم مؤلف من خمسين فصل يحتوي معلومات تفصيلية ومكتفة جداً، وكل فصل من فصوله يمكن أن يمثل كتاب قائم بذاته. إن روح المؤامرة التي اتسم بها هذا الكتاب أوقع مؤلفه في مشكلة كبيرة مع عدد من المحافل السرية النافذة، لكن مستواه الفكري الراقي، وكذلك منصبه الرفيع في هذه الأوساط السرية كانا السبب الرئيسي وراء نجاته من العقوبة المعهودة. ومع امتناع أي دار نشر عن تبني هذا الكتاب على عاتقها، اضطر "مانلي هول" إلى طباعته على حسابه الخاص، مما زاد من سعره وبالتالي صعوبة نشره على نطاق واسع. بقي على هذه الحال لعقود طويلة قبل أن تُنشر أخيراً عبر الإنترنت.



الفقيه الماسوني "مانلي بالمر هول"
Manly P. Hall (درجة ٣٣). مؤسس
"جمعية الأبحاث الفلسفية"
Philosophical Research Society

يصف "مانلي بالمر هول" إحدى المناشآت الماسونية في كتابه الشهير "التعاليم السرية لكل العصور" The Secret Teaching Of All Ages، فاضحاً طقوس التضحية بالبشر:

".. أنا هنا أقسم للروح العظيم إبليس، أمير الشياطين، بأنه في كل عام سوف أقدم له روح إنسان ليفعل بها ما يشاء، وفي المقابل، يوعد إبليس بأن يمنحني كنوز الأرض وإشباع كافة رغباتي طوال فترة حياتي الدنيوية. إذا فشلت في إحضار القربان السنوي الذي وعدت به، فسوف تكون روحي هي القربان.. توقيع.. (يوقع المناشد على هذا القسم بدمه).."

ويقول "بالمر هول" في كتابه المفاتيح المفقودة للماسونية The Lost Keys Of Freemasonry:

".. عندما يتعلّم الماسوني بأن مفتاح نجاحه هو التطبيق المناسب لدينامية القوة الحية، حينها يكون قد تعلم سرّ المهنة. فإن الطاقة الهائلة لإبليس في يده، وقبل أن يتقدم أو يرتفع خطوة إلى الأمام، وجب عليه إثبات قدرته على استخدام هذه الطاقة بشكل سليم.."

تقول هيلينا بتروفنا بلفاتسكي Helena Petrovna Blavatsky، في كتابها الشهير "العقيدة السرية" The Secret Doctrine:

".. إبليس يمثّل.. الحياة.. الفكر.. التقدّم.. الحضارة.. الاستقلال. إبليس هو العقل الأول.. الأفعى.. المخلص.."

".. الشيطان هو إله كوكبنا، وهو الإله الوحيد.."

".. العذراء السماوية التي أصبحت أم الآلهة والشياطين بنفس الوقت، حيث هي الآلهة المحبة والرحيمة والمحسنة... لكن في الزمن القديم وعلى أرض الواقع إبليس هو الاسم. فايبليس هو النور السماوي المقدس، هو روح القدس والشيطان بنفس الوقت.."

هل تكونت لديكم الآن فكرة، ولو بسيطة، عن العصفورية التي تحكم العالم اليوم وتقرّر مصير البشرية؟ سوف يأتي الوقت ويتعرف فيه الناس على عدوهم الحقيقي. العرق البشري لازال غارقاً في سبات عميق ومن الواجب إيقاظه قبل فوات الأوان. فكما لاحظنا من الأمثلة السابقة، نخبة الماسونيين يعبدون إبليس. الماسونية هي ديانة إبليسيّة. وهي بنفس الوقت تمثّل القوة المحركة الرئيسية لكل ما يجري حول العالم من مسرحيات واستعراضات سياسية ودينية وعلمية واقتصادية.. إلى آخره.

الماسونيون القابعون في المستوى الأدنى

سبق وذكرت أن الأغلبية الساحقة من عناصر هذا المجمع تصنّف ضمن المستويات الثلاث الأولى من بين ثلاثة وثلاثين مستوى، وليس لديهم أدنى فكرة عن برنامج عمل هذا المجمع السري أو الأجندة الحقيقية التي يمدّم بها من هم في الأعلى، وبالتالي فهم على جهل تام بالغاية الفعلية من المنظمة التي ينتمون إليها والتي هي مجرد آلة مكرّسة لخدمة نخبة المتورّين. لقد ذهب أليستر كراولي إلى أبعد مدى من الصراحة حين وصف المنتسبين في قاعدة الهرم التراتبي الماسوني بأنهم مجرد سياسيين انتهازيين ومستغلّين... وقرصنة. هذا يجعلنا نستنتج بأنه ليس كل الماسونيين أشرار أو لديهم نوايا شريرة (بل دوافعهم ناتجة من مجرد طموح فردي للتقدم في الحياة).

النسبة الأكبر منهم مظلمة وعلى جهل تام بالأجندة الحقيقية. فالماسونيون النخبة يخدعون رفاقهم الماسونيين في المستويات الأدنى، إذ هؤلاء الذين في الأدنى يستحقون هذا التظليل والخداع كما يقولون. كافة التفسيرات التي تُعطى لنسبة ٩٥% من الماسونيين هي خاطئة ومظلمة. يقول الكاتب الماسوني "كارل كلاودي" Carl Claudy معبراً عن هذه الحالة:

".. اخترق القشرة الخارجية وستجد تفسير أو معنى ما.. اخترق هذا المعنى وسوف تجد معنى آخر.. وتحت هذا المعنى، إذا حفرت جيداً وبما يكفي، سوف تجد معنى ثالث.. ورابع.. وسوف تتذمّر قائلاً: كم عدد هذه التعاليم؟.."

وكما ترون، القيادة الماسونية تتصدّ في تظليل أتباعها. وهذا السلوك لا يقتصر على الوسط الماسوني بل يمتدّ ليشمل كل البشرية.

نظرة مختلفة

دعونا الآن نحاول تغيير طريقة تفكيرنا قليلاً، ولنعتمد على مصادر أخرى أكثر تحراً من المسلّمات الدينية والأيدولوجيات العلمانية، وحتى العصفورية الماسونية، ذلك في سبيل التوصل للحقيقة الأصلية. كما لاحظنا في التعريفات السابقة، فإن الجهات المختلفة التزمت بمفاهيم معيّنة خلال وصفها للقبالة. حتى أن كبار المفكرين الماسونيين يلتزمون بمسلّماتهم الإيليسية خلال وصفهم التعاليم القبلانية. الكل ينظر إليها من زاويته الخاصة، ويجمعون على أصولها اليهودية. لكن هل هي يهودية فعلاً؟ هل من مصدر مستقلّ يفيدنا في هذا المضمار؟ كيف ستكون الصورة إذا نظرنا إليها من تلك الزاوية المستقلّة والخالية من الصبغة الدينية (المكفّرة)، والعلمانية (المتشككة)، والماسونية (المبجّلة لإيليس)؟ هذا ما سنتعرّف عليه من خلال الاقتباس التالي، والمأخوذ من كتاب "السّرّ الأكبر" The Biggest Secret للباحث المستقلّ ديفيد أيك "David Icke:

العقيدة السريّة للقبالة

Secret Doctrine of the Kabbalah

الباحث المستقلّ ديفيد أيك

القبالة، أو القبلانية، هي فلسفة صوفية عميقة ومستترة، القسم الأكبر من مبادئها وتعاليمها ملفوف بوشاح قاتم من السريّة والغموض، لأن معظمها مشفراً على شكل رموز واستعارات ونظائر لفظية مكتوبة بشكل مبطن في قصص وروايات العهد القديم والتوراة. تُعتبر القبلانية التيار الباطني للمعتقدات اليهودية الظاهرية، مع أن هذا غير صحيح ويتطلّب التوضيح. فالشعب الإسرائيلي لم يكتب هذه النصوص أو يتوافق مع

مضمونها. وإن افترضنا أن هذا الشعب قد وجد فعلاً، فهو تشتت قبل وقت طويل من قيام **اللاويين** Levites بكتابتها؛ فأسفار التكوين والخروج والأعداد، والتي تشكل ما يعرف بالتوراة، كتبت على يد اللاويين أو تحت إشرافهم، خلال فترة إقامتهم في بابل وبعدها.

من هم الكهنة اللاويون؟

اللاويون Levites هم مجموعة من كبار الكهنة الذين يُزعم بأنهم من اليهود مع أن هذا غير صحيح، لأنه ليس هناك إثبات يشير إلى وجود شعب يُسمى بالشعب اليهودي في أي مرحلة من مراحل التاريخ. هؤلاء الكهنة هم "عبرانيون" وليسو "يهود"، والشعب الذي كان يعيش في المنطقة التي نُسبت لليهود (فلسطين) عُرف بالكنعانيين، وإذا كان هناك بالفعل مجموعة بشرية يُشار إليها باليهود فهي على الأرجح مجرد قبيلة صغيرة ليست ذات شأن تاريخي كبير واعتنقت الديانة الموسوية. أما الكهنة العبرانيون فهم مجموعة من المنتسبين إلى مدرسة سرية مُنشقة من، أو منقلبة على، المدرسة الأصلية في مصر. لم يكن العبرانيون من الإسرائيليين أو اليهود، بل هم أعضاء في المدارس السرية في مصر أو مؤسسوها. ولا عجب أن يتعذر تحديد أصل العبرانيين أو العرق اليهودي بشكل أكاديمي مستقيم. وفي الحقيقة، فإن اللغة المقدسة التي استخدمها الكهنة المنتسبين للمدارس السرية المصرية هي ذاتها اللغة العبرية، وهذا أيضاً ليس له علاقة بالشعب اليهودي المزعوم.

حسب التاريخ الرسمي، فإن اللغة المصرية القديمة تُسمى "كيبِت" CBT أو "قبط" QBT، وهي أساس اللغة المعروفة اليوم بالقبطية Coptic. أما اللغة المقدسة في المدارس السرية فأخذت اسمها من كلمة "أوبر" OBR أو "أبر" ABR (أو "عبر" بالعربية)، والتي كانت تعني المرور من مكان إلى آخر، أو نوع من الانتقال التجاوزي. وهذه العملية تمثل الغاية الأساسية التي تهدف إليها تعاليم المدارس السرية، أي الانتقال إلى حالة عظمى من التنوّج والصفاء الروحي. في وقت لاحق، تحولت كلمة "عبر" ABR إلى "عبران" Ambres وهو اسم أُطلق على المبادئ المقدسة

المخصصة للمطلعين على التعاليم السريّة. وكانت تكتب أيضاً Hebraic، Hebric، Ambric و Hebrew أو عبرية أو عبرانية... إلى آخره. جاءت كلمة "كوهين" Cohen، وهي التسمية التي يطلقها اليهود على الكهنة، من المصطلح المصري "كاهن" Cahen، (وهي ذاتها الكلمة "كاهن" باللغة العربية). من ناحية أخرى، تعود أصول عادة الختان، وهي عادة منسوبة للتقاليد اليهودية، إلى المدارس السرية المصرية، وقد شاعت منذ ٤٠٠٠ سنة ق. م على الأقل، إذ لم يكن يحق سوى للمختون بالانضمام إلى مدارس الحكمة المقدّسة.

لم تعرف مصر الديانة أو الشريعة العبرية أبداً، لأنه لا وجود للعرق العبري أصلاً، والعبادة كانت عبادة مصرية بحتة. غير أن الديانة واللغة والعرق العبري ظهرت لاحقاً، بعدما حمل أعضاء من المدارس المصرية السرية- عرفوا فيما بعد بالكهنة اللاويين Levites - المعرفة السريّة إلى خارج مصر، وابتدعوا تاريخاً مزوراً بكامله لإخفاء أعمالهم، ومنشئهم، والقوة الخفية التي تحركهم وتدعمهم. لذلك، عندما تُذكر كلمتي "عبراني" و"يهودي"، فلا بدّ من أن يأخذنا تفكيرنا إلى مصر.. لأنها الأساس والمصدر. ولهذا السبب، نجد أن الرموز والشعارات التي تستخدمها المحافل السريّة اليوم، كالماسونية وفرسان الهيكل والصليب الوردي وغيرها..، مرتبطة بالحضارة المصرية أكثر من كونها يهودية.

فالهرم الذي يُعتبر من بين الشعارات الرئيسية للمحافل السريّة (خاصة محفل المتنورين Illuminati) هو شعار مصري، حيث يرمز إلى أهرامات الجيزة العظيمة والمدارس السرية المصرية وكل ما تمثّله من معانٍ. والأمر ذاته ينطبق على العين المرشدة وهي تمثّل أساساً "عين حورس"، الإله المصري. أما المسلات التي نُصبت في كافة مراكز القوى المتحكّمة بالعالم الحديث، مثل واشنطن والفاتيكان وبريطانيا وفرنسا.. إلى آخره، فهي مصرية الأصل وليست يهودية. وهكذا إلى آخره. الذين يسيطرون على العالم ليسوا يهوداً، بل مجموعة أخرى تختلف تماماً وبعيدة كل البعد عن ما جعلونا نعتقده.



الهرم/ عين حورس



مسلات



الهندسة الماسونية هي فرعونية الأصل



عين حورس

الرموز والشعارات التي تستخدمها المحافل السريّة اليوم مرتبطة بالحضارة المصرية أكثر من كونها ذات صبغة يهودية

التعاليم العنصرية

من خلال ما تعرفنا عليه سابقاً، أصبح من البديهي استنتاج حقيقة أن النصوص المقدّسة اليهودية، أي التوراة والتلمود، كتبت على يد الكهنة اللاويين، الذين كان يتزعمهم أعضاء من محافل بابل السريّة. وقد حملت في طياتها رموزاً وخفايا يفهمها المطلعون فحسب، بينما يأخذها عامة الشعب بحذافيرها. غالباً ما يتردد في هذه

النصوص اللاوية موضوع التمييز العنصري ضد غير اليهود، ورغبة الله بتدمير كل من يتحداهم. فهي تشجع على القتل والتشويه والتدمير بكافة الطرق الممكنة. يمكن اعتبار التلمود من أكثر الوثائق المشجعة على التمييز العنصري على وجه الأرض. واليكم في ما يلي بعض الأمثلة على ذلك والواردة في التلمود:

— .. وحدهم اليهود من البشر، فغير اليهود ليسوا من البشر بل من البهائم.. —
Kerithuth 6b, page 78, iebhammoth 61

— .. وجد غير اليهود ليكونوا عبيداً لليهود.. —
Midrasch Talpioth 225

— .. إن مضاجعة غير اليهودي أشبه بمضاجعة حيوان.. —
Kethuboth 3b

— .. تفادوا غير اليهودي وكأنه أسوأ من خنزير مريض.. —
Orach Chalim 57, 6^a

— .. وجب على معذل ولادات غير اليهود أن ينخفض بدرجات كبيرة.. —
Zohar 11, 4b

— .. كما تستبدل البقر والحمير الضائعة، هكذا تستبدل غير اليهود.. —
Lore Dea 377,1

هذا ليس مجرد نقد ساخر للعنصرية اليهودية بل هو وصف موضوعي لها وللطريقة التي عوملت بها مجتمعات بشرية بكاملها عبر التاريخ. إن هذا النوع من التعاليم، والذي أخذت به مذاهب وأديان أخرى كثيرة، أدى إلى حصول أبشع المجازر على وجه الأرض، وأكثرها هولاً وفضاعة هو ما حصل في الأمريكيتين (العالم الجديد) على يد المستعمرين الأوروبيين. لقد استندوا بشكل كبير على النصوص الدينية (المستوحاة من العهد القديم) لتبرير مجازرهم الوحشية ضد تلك الشعوب المسكينة.

من أجل الإنصاف، وجب أن لا ننسى أن اليهود العاديين لم يكتبوا هذه الأشياء المريعة، بل هم أيضاً ضحايا هذه المعتقدات التي وضعها أسياهم اللاويون. لذلك، فمجرد إلقاء اللوم على اليهود لن يجدي نفعاً، علماً أن المحافل السريّة المتأمرة تحبذ ذلك لأنه يعطيها الفرصة لإقامة النزاعات والتفرقة بين الناس، وذلك للإمساك بزمام الأمور والاحتفاظ بالسلطة لنفسها، حيث أن "سياسة فرق تسد" تُعتبر من الركائز الأساسية لسيطرتهم على المجتمعات البشرية المختلفة. من الواضح أن الفطائع التي خلفتها هذه المؤامرة على اليهود وغير اليهود كانت متساوية على الجانبين.

إن ما زاد الأمر سوءاً هو تفاقم النزعة العنصرية في الثقافة اليهودية لدرجة جعلتها تتطوّر عبر الزمن نحو الأسوأ وليس العكس. فظهور قانون "ميشنا" Mishnah المنقول شفويّاً في القرن الثاني الميلادي هو خير دليل على هذه المسألة المتفاقمة.

أعيد وأكرّر بأن التمييز العنصري الذي فرضه اللاويون لم يلق ترحيباً من غالبية المجتمع اليهودي منذ البداية. فقد ثار الكثير منهم (عبر التاريخ) ضد هذه الشرائع العرقية الصارمة ضدّ غير اليهود رغم القمع الوحشي الذي واجهوه من قبل أسياهم الدينيين. هذا مع الأخذ بعين الاعتبار حقيقة أن معظم أفراد هذا الشعب، يُربون منذ نعومة أظافرهم ليصبحوا مجرد دمي خائفة مشرّبة بمبادئ السلطة الكهنوتية الفاسدة، والتي يتحكّم بها الحاخامات المتعصبين، مروّجوا شريعة لاويي بابل، وبايعاز من أسياهم المحافل السريّة العالمية.

أبرز مثال على التأثيرين اليهود العنصريين، والذين هم كُثر عبر التاريخ، هو "إسرائيل شاهاك" Israel Shahak، وهو يهودي وأحد الناجين من معتقل بلسن النازي، ويُعتبر من القلائل الذين تجرّأوا على تحدي تعاليم التلمود، وذلك من خلال كتابه "تاريخ اليهود، ديانة اليهود" Jewish History, Jewish Religion حيث ألقى الضوء على التمييز العنصري المتطوّف الذي ترتكز عليه الشريعة اليهودية. فاستناداً إلى هذه الأخيرة يعتبر كل يهودي يحاول إنقاذ حياة غير يهودي خطيئة يُحاسبه عليها الله. كما تفرض الشريعة على اليهودي أن يشتم كلما مرّ قرب مقبرة لغير اليهود وأن يطلب من

اللّه أن يهدّ المنزل غير اليهودي والذي يمر بقربه. فضلاً عن ذلك، يحظر على اليهود أن يحتالوا على بعضهم البعض، في حين أن الشريعة لا تنهيهم عن خداع غير اليهود. وعند الصلاة، يشكر اليهودي الله لأنه لم يجعله من غير اليهود. وغيرها من تشريعات عنصرية منحرفة لا يمكن أن تكون مُنزلة من الله.

هذه هي شرائع النظام العقائدي المعروف باليهودية والتي لا يكف معتققيها عن التذمر من التمييز العنصري ضد اليهود، علماً أنها مبنية على عنصرية متطرفة لم تشهد لها مثيلاً عبر التاريخ. غير أن تهمة "عداء السامية" لم تكن موجّهة ضدّ الأعداء العنصريين لليهود، بل الغاية المبيّنة لظهورها كانت لتهديد وتخويف الباحثين الأحرار الذين اقتربوا من كشف الحقيقة بخصوص خفايا المؤامرة العالمية التي كانت ولا زالت قائمة عبر التاريخ. في هذا الإطار، قال بنيامين فريدمان Benjamin Freedman، وهو يهودي كان على معرفة قريبة بزعماء الحركة الصهيونية في الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي: إنه ينبغي إلغاء مصطلح "لا سامية" من اللغة الإنكليزية. وأضاف قائلاً:

".. تستعمل اليوم عبارة "لا سامية" Anti-Semitism لغرض واحد فقط.. حيث هذه الكلمة تمثّل لطفة عار لكل من ألقيت عليه.. فكلمة شعر المتأمرون الصهاينة بأن أخدمهم يعارض أهدافهم، أطلقوا عليه تهمة "لاسامي" لتشويه سمعته والإطاحة بمصداقيته والتشكيك بمؤهلاته، وذلك عبر القنوات الواقعة تحت سيطرتهم، إن كانت إعلامية أو سياسية أو غيرها.."

من بين أبرز هذه القنوات منظمة يهودية مركزها في الولايات المتحدة تمارس نشاطاتها على المستوى العالمي، أسست لإدانة كل من يتعرض للمتأمرين العالميين: إنها العصبة المناهضة للقتل والتشهير [ADL] Anti-Defamation League.

إن غالبية الأشخاص الذين يعتقدون هذه الديانة، وكذلك الديانات المنبثقة من هذا المصادر، ليس لديهم أدنى فكرة عن أصلهم الحقيقي أو الأجندة المبيّنة لهم منذ آلاف

السنين. فهذه المعرفة السريّة هي حكرًا على نخبة من كبار أعضاء شبكة الجمعيات السريّة، الذين يتلاعبون بالديانات وأتباع الديانات والمناصرين لها، غير آبهين بهم وبمصائرهم.

ولعل أكبر دليل على هذا الخداع الكبير الذي لا زال قائمًا يتملّ بمسألة المجموعة البشرية المعروفة اليوم باليهود. معظم الكتاب وعلماء الأنثروبولوجيا اليهود أكدوا أنه لا وجود للعرق اليهودي: **اليهودية دين وليست عرقًا**. وهذا ما يدفعنا للقول إن فكرة الشعب اليهودي ابتدعت كعنوان كبير يخفي وراءه الكثير من الألاعيب والمناورات. بخصوص هذه المسألة، قال المؤلف والباحث اليهودي "ألفرد. ليلنتال. Alfred M.Lilenthal:

".. أظن أن كل عالم بالأنثروبولوجيا سيوافقني الرأي بأن العرقية اليهودية مجرد هراء شأنها في ذلك شأن العرقية الآرية.. يقسم البشر وفقًا لعلم الإنسان إلى ثلاثة أعراق: الزنوج، المغول أو الشرقيون، والقوقازيون أو البيض (على الرغم من أن بعض السلطات تتحدث عن عرق رابع)، ويتوزع أتباع الدين اليهودي بين الأعراق الثلاثة وفروعها.."

رغم هذه الحقيقة الواضحة وضوح الشمس، لازلنا نجد وسط الدين اليهودي والثقافات الأخرى جهات خفيّة تعمل بسرية تامة وتدير شؤون هذه الديانات والثقافات التي وجدت أصلًا بهدف التلاعب بالعقول وسجن رعاياها ضمن أطر محددة وضيقة الأفق، والغاية الأساسية لهذه السيطرة الخفيّة هي تظليل الحشود لسهولة قيادتها وصدامها ببعضها. هكذا كانت الحال مع الكهنة اللاويين، ولا زالت حتى اليوم.

والأمر يصبح أكثر سخرية، بحيث تدرك مدى النفاق الذي يسود عالمنا الحالي، بعد أن يتبين لنا أن معظم الذين يطلقون على أنفسهم اسم "يهود" لا تربطهم أي صلة جينية بالأرض التي يسمونها إسرائيل! غير أن هذه بالذات كانت الحجّة الوحيدة التي استخدموها لتبرير اغتصابهم لفلسطين وطرد وتشريد سكانها العرب.

في هذا الإطار، كشف العديد من المؤلفين اليهود، بمن فيهم "آرثر كوستلر" Arthur Koestler، أن غالبية الشعب الذي بنى دولة إسرائيل وأقام فيها، تربطه صلات جينية بجنوبي روسيا وليس إسرائيل. فالألف المعقوف الذي تميز به اليهود، هو من السمات الجينية العائدة لسكان جنوبي روسيا والقوقاز. علماً أنه في عام ٧٤٠م فقط اعتنق شعب الخزر بأجمعه الديانة اليهودية.

وكتب "كوستلر" بهذا الخصوص يقول:

".. لم يأت شعب الخزر من الأردن، بل من الفولغا، وليس من كنعان، بل من القوقاز.. ومن الناحية الجينية، يرتبط هذا الشعب بالهوني والمجريين أكثر من ارتباطه بذرية إبراهيم وإسحاق ويعقوب. أما قصة الظهور البطيء لإمبراطورية الخزر من الماضي البعيد، فتعتبر من بين أكثر الخدع وقاحة ولؤماً التي تم تسويقها عبر التاريخ.."

ينقسم الشعب الذي يسمي نفسه الشعب اليهودي إلى قسمين: اليهود الشرقيون Sephardim، واليهود الغربيون Ashkenazim. يتحدر اليهود الشرقيون من أولئك الذين أقاموا في إسبانيا من العصور القديمة ولغاية القرن الخامس عشر حيث طردوا من هناك. أما اليهود الغربيون فهم أسلاف الخزر.

في الستينيات من القرن الماضي، بلغ عدد اليهود الشرقيين حوالي نصف مليون نسمة. بينما تخطى عدد اليهود الغربيين العشرة ملايين نسمة! إن هؤلاء الأخيرين لا تربطهم أية صلة وصل بما يُسمى إسرائيل، ولكنهم غزوا فلسطين وبنوا الدولة الإسرائيلية بحجة أن الله وعدهم بهذه الأرض في العهد القديم. ومن وضع نصوص العهد القديم؟ كهنتهم، اللاويون!

انتهى الاقتباس

نوع آخر للقبالة

على ضوء المعلومات الجديدة التي تعرفنا عليها في الصفحات السابقة، يبدو أن ما نسميه بالشعب اليهودي لم يمتلّ سوى خرافة تاريخية، حيث تبين أن اليهود ليسوا شعباً بل أتباع ديانة، وكانت تُسمى بالموسوية. وهذه الديانة تتمحور حول نصوص مقدسة تُسمى "التوراة"، وهي مكتوبة من قبل مجموعة الكهنة اللاويين بهدف إخفاء تعاليم باطنية تمثلّ التعاليم السرية للحكمة الحقيقية، وأصل هذه الحكمة هي مصر (كما سنرى لاحقاً). والقبالة التي نألفها اليوم، والتي أصبحت حكرًا على اليهود، لا تمثلّ سوى نوع واحد من القبالة، وهو النوع المُحرّف لكي يُستخدم لممارسة السحر الأسود، وأصله بابل. فمن المعروف جيداً بين الأوساط المُطلعة أن هناك نوعين من القبالة: القبالة التي تتعامل بالسحر الأسود، والقبالة الأصلية التي تمثلّ التعاليم الروحية النقية للحكمة القديمة.

من بين أشهر الباحثين البارزين في العلوم القبلاية الذين أشاروا إلى هذه الحقيقة يمكننا اقتباس ما قاله المؤرّخ الفرنسي الشهير "غوغيونيه دي موسوه" Gougenot des Mousseaux، في كتابه "اليهود، اليهودية، وتهويد الشعوب المسيحية"، المنشور عام ١٨٦٩م، حيث أكدّ بأنه:

".. هناك نوعان من القبالة: أولهما هو القبالة الأصلية المتمثلة بالتقاليد المقدسة القديمة المتوارثة منذ زمن حكماء الإنسانية الأوائل. ولدينا القبالة الشريرة التي هي ناتجة من تشويه الحاخامات اليهود للتعاليم الأصلية، وذلك من خلال دسّ الخرافات البربرية والمخلوطة بالأوامم والخدع، وبهذا اتخذت القبالة طابعاً يهودياً، رغم أنها تسبق ظهور اليهودية بعصور مديدة.."

(نحن طبعاً نتحدث في هذا الكتاب عن مبادئ القبالة الأصليّة)

فلسفة القبالة بشكل عام

رغم أن القبالة أصبحت متصلة بشكل وثيق باليهودية ونصوصها المقدسة، إلا أنها في الحقيقة لا تمثل نظام فكري إطلاقاً، ولم تكن منهج صوفي سري، بل كانت فلسفة روحية شائعة في الشرق الأوسط قبل ظهور اليهودية على المسرح التاريخي بزمن بعيد. وكان من الواجب على القبلائي أن لا يمارسها بانعزال وأنانية بل يسخرها لتنوير البشرية. خلال هذه الممارسة الروحية، ينشد القبلائي شيتين في حياته اليومية: الاتحاد مع الله، وبنفس الوقت يحافظ على حياته الاجتماعية والعائلية الطبيعية، أي المحكومة بالتقاليد والأعراف السائدة. أما للذين استولوا على التعاليم القبلائية لاحقاً عبر التاريخ، فقد حرّفوا هذه الطريقة في ممارسة الحياة اليومية للفرد.

فالقبالة الأصيلة، التي مبادئها أصبحت ضائعة، لا تمثل مذهب صوفي بل منهج محرّر من هيمنة الصوفية بالذات، ويتوجّه لتنمية وعي الإنسان من خلال تدريبه على اكتشاف قدراته العقلية، وتحريضه على استثمار هذه القدرات، وذلك في تحرير نفسه وعالمه من قيود الخرافة والخوف والجهل. لكنها تحوّلت مع الوقت، وعلى يد مجموعة من المشعوذين، إلى فلسفة صوفية مستترة، والقسم الأكبر من مبادئها وتعاليمها ملفوف بوشاح قاتم من السريّة والغموض، معظمها أصبح مشفراً على شكل رموز واستعارات ونظائر لفظية مكتوبة بشكل مبطن في قصص وروايات خرافية.

يمكن إيجاد الكثير من الأفكار والمبادئ الأساسية للقبالة في "الغنوصية" Gnosticism، حيث كلا المذهبيين سادا في نفس المنطقة (شرقي بحر المتوسط) وفي نفس الفترة تقريباً (حول تاريخ الميلاد). وكلاهما أيضاً منح أهمية كبرى للمعرفة المسماة بـ"العرفانية" gnosis، وهي المعرفة الوجدانية بالله، أو معرفة وجدانية بالحقائق الروحية من غير تعليم. هذه المعرفة الوجدانية لا تأتي من التفكير العقلاني المُنهج (الدماغ الأيسر)، بل هي مُلهمة من الله مباشرة (الدماغ الأيمن)، أي على

طريقة "راماكريشنا" Râmakrishna المذكور في الجزء الرابع، والذي يستطيع مناقشة أي موضوع بحنكة وجدارة دون أن يقرأ أي كتاب في حياته.

كما الحال في الغنوصية، لا تعتبر القبلائية بأن "الخطيئة" عمل شرير بل ينبع من الجهل، والجهل هو الذي يفصل البشرية عن الله [تعالى]. فالمعرفة، وخصوصاً "العرفان" (المعرفة بالله)، هي التي توحد البشرية مع الله [عزّ وجلّ].. أي أن معرفة الله هي أن تكون الله. الذين يحوزون على هذا "العرفان" يُعتبرون أنفسهم النخبة... المتوّرون الذين يتقاسمون فيما بينهم معرفة الله، رغم أنهم لا يعيشون بالضرورة حياة فاضلة بالكامل.

لقد شارك القبلائيون نفس الأهداف مع الغنوصيين، إذ كل منهما راح يبحث عن إجابات وتفسيرات وافية على الأسئلة والمفارقات اللاهوتية للحياة. فمثلاً: لماذا يتصف العالم بمظاهر شريرة وخيرة مع أنه خلق من قبل الله الذي يُعتبر خير مُطلق؟ لماذا العالم متناهي ومحدود مع أنه خلق من قبل الله الذي يُعتبر مُطلق وغير محدود؟ ذات الأسئلة المطروحة بخصوص العالم يمكن طرحها بخصوص الإنسان أيضاً. من بين الأسئلة المتصلة بعلاقة الله مع العالم والإنسان، يبدو أن هناك سؤال واحد نهائي ورئيسي: بما أن الله ذو طبيعة مطلقة ولانهائية وكذلك هو مطلق الخير والمعرفة بحيث يصعب شموليته واستيعابه، فكيف إذاً يستطيع الإنسان التعرف عليه؟

يبدو أن القبالة اجتهدت لتوفير الإجابة الوافية لهذا التساؤل لكن بمرحلتين مختلفتين: المرحلة الأولى تتمثل بتفسير حقيقة أن كل فكرة تحتوي على نقيضها، والله الذي يمتلئ بمجموع كل الأفكار يحتوي بالتالي كل التناقضات. فبالتالي، الله بالنسبة لهم يمتلئ الخير والشرّ معاً، وكذلك الظلم والعدالة، وأيضاً الرحمة والقسوة، والمحدودية واللامتناهي، المعروف والمجهول. كل الأشياء، التي تحتوي على نقائضها أو عكسها، تتوحد لتشكل الكلّ الشامل الذي هو الله [عزّ وجلّ].

من هذه الإجابة الأولى تأتي الإجابة الثانية للقبالة والتي توصل الله بشكل غير مباشر مع العالم. يُصوِّرون الله كمرآة تشعّ نوراً ساطعاً. هذا النور الساطع ينعكس على مرآة ثانية، ثم إلى مرآة ثالثة، ثم رابعة.. وهكذا. كلما انعكس النور على المرآة التالية يفقد جزءاً من سطوعه إلى أن يصل للمرحلة الأخيرة، والمتمثلة بالعالم الدنيوي، يصبح النور باهت جداً. في قلب هذا المفهوم المتعلّق بانعكاس الضوء تقع النظرية القبلاية حول عملية خلق العالم. في البداية لم يكن موجود سوى الله، ثم أرسل من نفسه انبعاثاً، غالباً ما يوصف بأنه نور. من هذا الانبعاث الأول انطلقت تسعة انبعاثات أخرى، فأصبح المجموع عشرة، وتُسمى "السيفيروت" sephiroth.

علم القبلايون القدامى بأن الأضواء الساطعة للسيفيروت تحتوي على اسم الله المقدّس. كان تفسيرهم أن السيفيروت تمثّل العالم، أو الكون، والله هو العالم. وبالتالي، فالسيفيروت تمثّل جوانب أو أجزاء من الله، وتمثّل أيضاً جوانب الكون.

لقد ذكرنا سابقاً أن الأصل الفعلي للقبالة مختلف تماماً، لكن التعاليم القبلاية بشكلها الحالي (أي الصيغة اليهودية) تتمحور حول كتاب صغير يُسمى "سفر يتزرع" Sefer Yetzirah (كتاب الخلق). وتاريخ الكتاب مجهول لكن من المعروف عنه أنه يُستخدم منذ القرن العاشر، ويُعتقد بأنه تم تأليفه في القرن الثالث الميلادي. يقول الكتاب بأن الله خلق العالم من خلال ٣٢ مسلك سرّي من المعرفة، وتتمثّل بعشرة سيفيروت و ٢٢ حرف تمثّل الأبجدية العبرية. كان يُظنّ في البداية أن السيفيروت العشر تشير إلى أرقام معيّنة لكن بعدها تبين أنها تمثّل الانبعاثات التي ساهمت في تشكيل الكون.

كل من الانبعاثات العشرة لشجرة السيفيروت sephiroth تُسمى "السيفيروت" sephiroth، وتشكّل جميعاً في النهاية ما أصبحت تُسمى بـ"شجرة الحياة". هذه الشجرة تمثّل الصورة المركزية للتأمّل القبلاي، حيث مرّة أخرى، كل "سيفيروت" يوصف أحد مظاهر الله، وعند تناولها بالجمع فهي تمثّل اسم الله المقدّس. هذه الشجرة تمثّل المسلك الذي اتبعه الروح المقدّس خلال انحداره إلى العالم الدنيوي (المادي)، وبنفس الوقت، يمثّل المسلك الذي وجب على الإنسان إتباعه صعوداً للوصول إلى الله.

هناك مفهوم آخر يشترك به كل من الغنوصية والقبلانية وهو أن الروح المقدسة، أو النفس المقدسة، انحدرت من الله وأصبحت محبوسة في جسد الإنسان أو المادة بشكل عام. كانت هذه النظرية السائدة في فترة ميلاد المسيح وما بعدها في منطقة البحر المتوسط. هذه التعاليم، مع تعاليم دينية أخرى، هي مثال على طريقة اعتقاد الناس في تلك الفترة.

سبق وذكرت أن القبالة تُعتبر من قبل الجميع بأنها تمثّل التيار الصوفي الباطني للمعتقدات اليهودية، مع أن هذا غير صحيح حيث شرحت في الصفحات السابقة بعض من تفاصيل هذا الخلط الحاصل في تعريف هويتها الحقيقية. هناك فرق كبير بين التعاليم القبلانية وبين التعاليم اليهودية (العنصرية). إن المصدر الحقيقي للتعاليم القبلانية هو مصر، لكن تم إخفاءها داخل (أو ما وراء) النصوص المقدسة التي تستند عليها التعاليم اليهودية. لكن مع مرور العصور وتوالي القرون، اختلطت هذه التعاليم ببعضها البعض بحيث أصبحت حكرًا على مجموعة ضيقة من اليهود. وبهذا الخصوص، وجب تذكّر نقطة مهمة وهي أن اليهود ليسوا شعباً بل أتباع ديانة.

حتى أن التفسيرات التي تتناول أساس الكلمة "قبالة" KABBALAH هي كثيرة ومتضاربة وبعيدة كل البعد عن الأصل الحقيقي. فهناك من يقول أنها عبارة مُشتقة من الكلمة العبرية "قبل" Qabl ويقصد بها "من الفم إلى الأذن". وهناك من يدّعي بأنها كلمة عبرية ذات أصل آرامي هي "قابيل" ومعناها "تقبل وارتضى" أو "أخذ وأطاع". وغيرها من تعريفات مختلفة. في الحقيقة، وبعد أن أثبتنا أصولها المصرية، وجب علينا توجيه انتباهنا إلى ذلك المكان بالذات دون غيره، وأول ما تراودنا فكرة الأصل المصري للكلمة، نجد أنفسنا أمام العبارة الحقيقية التي اشتق منها اسم "القبالة" أو "الكا با لاه" KA-BA-LAH. وهذا يؤدي بنا إلى مفهوم الكا - با - أخ - KA - BA - AKH، أو كا - با - آه (شرحت هذه الفكرة جيداً وبإسهاب في مقدمة الجزء الخامس).

خلال توالي فصول هذا الكتاب سوف نتوصل تدريجياً إلى الدليل الجازم على الأصول المصرية لهذه الفلسفة العريقة التي أصبحت تُسمى "قبالة". فكما رأينا، اللغة العبرية (لغة تعاليم القبالة) ليست لغة اليهود أصلاً بل لغة الكهنة المصريين الذين استخدموها لممارسة طقوسهم المتمحورة حول العلوم السريّة التي كانوا يحرسونها بعناية. وسنتعرّف لاحقاً على المصدر الفلكي الذي اقتبست منه الأحرف العبرانيّة.

بعد الاطلاع على المعلومات التي وفرتها المواضيع السابقة بخصوص القبالة، لا بد من أن تكون لدينا انطباع قوي يميل إلى أصولها المصرية. حيث تبين، كما رأينا، أن اللغة العبرية (لغة تعاليم القبالة) ليست لغة اليهود أصلاً بل لغة الكهنة المصريين الذين استخدموها لممارسة وتناقل العلوم السريّة المحروسة بعناية. حتى أن الاسم "قبالة" اشتقّ من مصطلح مصري ثلاثي هو "كا، با، أخ"، وبالإضافة إلى رموز وشعارات المحافل السريّة التي تعتق العقيدة القبالية (الماسونية مثلاً) هي مصرية وليست يهودية. وغيرها من دلائل وإشارات كثيرة أخرى تميل إلى الأصل المصري للفلسفة القبالية.

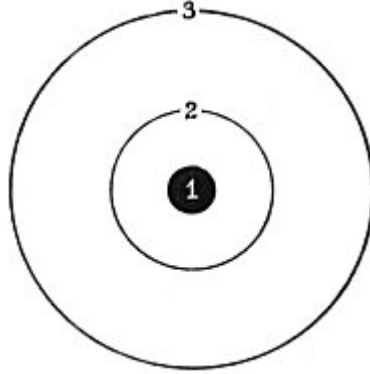
قبل التعرّف على الفلسفة المصرية بصيغتها النقيّة الخالية من الترميز والتشفير، من المُستحسن تكوين فكرة عامة عن فلسفة القبالة بصيغتها الحالية. هذا مع أنها غير واضحة تماماً بحيث يتعدّر استيعابها جيداً إن لم يكن الفرد حائزاً على بعض المفاتيح الأساسية. سوف أذكر المبادئ الأساسية لهذه الفلسفة، ليس بهدف توضيحها لأنني لن أنجح بذلك في مساحة قصيرة، بل بهدف إجراء مقارنة بينها وبين التعاليم المصرية وبالإضافة إلى عدد كبير من التعاليم المشابهة التي سادت في حضارات مختلفة عبر عصور مختلفة، حيث يبدو أن هذه الفلسفة كانت عالمية الانتشار بالرغم من تعدد أشكالها وصيغها الظاهرية.

نظام التجلي القبالي

يتصورّ القبلايون الإله الأكبر (العقل الكوني) بأنه مفهوم غير قابل للاستيعاب عند محاولة استكشافه إلا عبر إزالة، بانتظام، كافة خصائصه وأوصافه المُدرَكة والمعروفة. بعد إزالة كل شيء معروف، ما يتبقى هو "أين سوف" AIN SOPH، الحالة الأبدية للوجود (الكينونة). رغم تعدّد تعريفه، لكن من البديهي أنه منتشر في كل الفضاء. مع أنه مجردّ إلى درجة الاستحالة، إلا أن أين سوف AIN SOPH هو حالة غير مشروطة لكل شيء (بل مطلقة). كافة المحتويات والمواد والكائنات العاقلة هي متجسّدة انبثاقاً من الأعماق الغامضة لـ أين سوف، لكن المطلق ذاته هو مجردّ من المحتوى والمادة والعقل. يمكن تشبيه أين سوف لحقل عظيم من الأرض الغنية والتي منها ينبت أنواع لا تحصى من المزروعات، كل منها تحمل لوناً مختلفاً، وتتمتع بشكل مختلف، ورائحة مختلفة، لكن رغم ذلك، فجذورها جميعاً مغروسة في ذات التربة القاتمة، والتي هي ذاتها تتخذ شكلاً مختلفاً عن كل ما نبت منها. في هذا المثال، النباتات تمثّل الأكوان، والآلهة، والإنسان، وجميعهم يستمدون غذائهم من أين سوف وجميعها تأتي من مصدر واحد، وهو جوهر يتعدّد تعريفه. إن جميع هذه الأشياء، مع أرواحها ونفوسها وأجسامها، هي مصنوعة من هذا الجوهر، ومقدّر لها بعد فناءها أن تعود إليه، كما تعود النبتة بعد ذبولها لتتحولّ إلى تربة سوداء من جديد. أين سوف هو الخالد الوحيد، السرمدى الذي انبثقت منه كل الأشياء.

يُشار إلى أين سوف من قبل القبلايين على أنه الأقدم من بين كل الأقدمين. كان دائماً يُعتبر بأنه ليس ذكراً ولا أنثى. يُرمز له بالعين المُغمضة. بينما يُمكن القول عن أين سوف بأنه إذا تم تعريفه فهذا يعني تدنيسه. كان المعلمون الأوائل يفترضون نظريات معيّنة بخصوص الصيغة التي كان فيها أين سوف يبعث الخلق من نفسه، وكانوا يسخرّون لهذا الكيان المطلق رموزاً محددة بصفاتها واصفة، جزئياً على الأقل، لقواه وقدراته. رمزوا لطبيعة أين سوف بدائرة، وهي ذاتها ترمز أصلاً للأبدية. هذه الدائرة

الرمزية تطوّق مساحة لا محدودة من الحياة المتعذر استيعابها، والحدود الدائرية لهذه الحياة هي مطلقة ولامتناهية بحيث يتعذّر قياسها.



حسب التعاليم السريّة، فإن حياة الخالق الأعلى تتخلّل كل شيء، كل الفضاء، وفي كل زمان، لكن لأسباب بيانية، ومن أجل التوضيح، تم تحديد الخالق، الحياة الشاملة الأزلية، ضمن حدود الدائرة [3]، هذا الحدّ الذي يمكن تسميته بحد الوجود المقدّس. الحياة المقدّسة التي تتخلّل المنطقة الواقعة ضمن الدائرة [3] تتركّز وتتكاثف عند النقطة [1]، والتي تتجسّد لتتخصّص هذه الكينونة المجرّدة المتكاثفة. القوى الخلاقة التي تتدفّق عبر النقطة [1] تنزح إلى التجسيد بصيغة الكون المرئي في الفضاء الوسيط، أي الدائرة [2].

حسب هذا المفهوم، الله [عزّ وجلّ] ليس مركزاً فحسب بل هو المساحة أيضاً. فالمركزية تمثّل الخطوة الأولى نحو المحدودية. لذلك، فإن المراكز المتشكّلة وسط محتوى أين سوف هي محدودة لأنه مقدّر لها أن تتلاشى في النهاية لتعود إلى سببها الأول، بينما أين سوف هو لا محدود لأنه يمثّل الحالة المطلقة لكل شيء. الشكل الدائري الممنوح لـ أين سوف يدلّ على أن الفضاء هو محصور نظرياً داخل كرة شبه بلورية، حيث لا يوجد شيء خارجها، ولا حتى الفراغ. داخل هذه الكرة، التي ترمز لـ أين سوف، تجري عملية الخلق والتلاشي. إن كل عنصر أو مبدأ يُستخدم طوال أبدية الولادة والنمو والتلاشي الكوني يجري ضمن المحتوى الشفاف لهذه الكرة غير المدركة. إنها "البيضة الكونية" Cosmic Egg التي لم تتكسر بعد، وتبقى كذلك

إلى أن يأتي اليوم الذي يمثّل نهاية "دورة الضرورة" Cycle of Necessity، حيث كل شيء يعود إلى سببه النهائي.

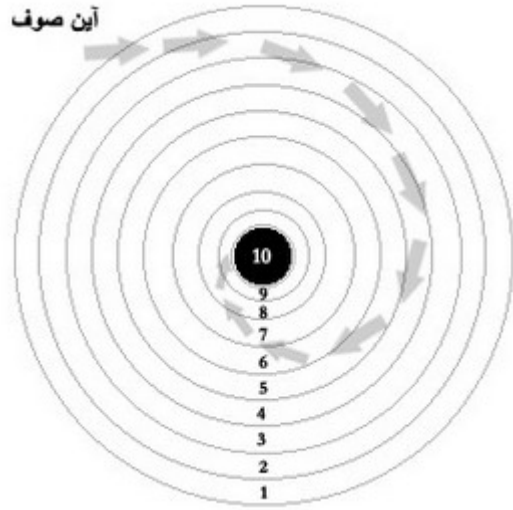
خلال عملية الخلق، تميل الكينونة المنتشرة لـ أين سوف إلى النزوح من محيط الدائرة إلى مركزها ثم تشكّل نقطة، والتي بدورها تمثّل المتجسّد الأول.. المحدودية البدائية للـ [O] المنتشر في كل مكان. عندما ينزح الجوهر الإلهي من الحدود الدائرية نحو المركز، يترك خلفه هاوية، أو، كما يسميها القبلانيون، العدم العظيم Great Privation. إذًا، فقد شكّل أين سوف حالة ثنائية بينما في البداية كان لا يوجد سوى حالة واحدة فقط. الحالة الأولى تتمثّل بالنقطة المركزية، الإشعاع الأولى للحياة الأزلية. حول هذا الإشعاع هناك الظلام الذي يسببه تبدّد الحياة بسبب انزياحها نحو المركز لخلق النقطة الأولى، أو ما يمكن تسميتها بالبذرة الكونية universal germ. إذًا، لم يعد أين سوف الكوني يشعّ عبر الفضاء، بل من فوق الفضاء انطلاقاً من النقطة الأولى التي تم تشكيلها. بمعنى آخر، كان أين سوف يملأ الفضاء بكامله، لكنه صنع تركيزاً مكثفاً من نفسه مما أدى لنشوء هاوية، عدم عظيم، أو فضاء فارغ. لكن هذا لا يُعتبر في القبالة بأنه فراغاً كاملاً، حيث كما في الوسيط المائي، يبقى هناك ضوء لكنه يكون بدرجة أقلّ من نقطة الخلق التي تم صنعها.

إن استمرارية انزياح أين سوف نحو مركزه أنتج تشكّل النقطة داخل الدائرة. أُطلق على النقطة اسم الله، كونه يمثّل الانفراد الأسمى للجوهر الكوني. ويقول كتاب "زهر" Zohar بهذا الخصوص: "عندما رغب مستتر المستترين أن يكشف عن نفسه، صنع لنفسه أولاً نقطة منفردة. كان اللامحدود مجهولاً بالكامل، ولم يكن يبعث أي نور قبل انطلاق هذه النقطة المضيئة بعنف إلى مجال الرؤية.."

عندما ظهرت النقطة البيضاء المضيئة، سُميت "كيثر" Kether، وتعني "تاج"، ومنها انبعثت تسعة كرات عظيمة، فرتبت نفسها على شكل شجرة. هذه الكرات التسعة مع التاج شكّلت أول نظام "سافيروت" Sephiroth. هذه العشرة مثّلت المحدودية الأولى

لعشرة نقاط مجردة ضمن طبيعة أين سوف ذاته. لم تنزل قوة أين سوف إلى هذه الكرات بل انعكست عليها كما ينعكس نور الشمس على الأرض والكواكب. سُميت هذه الكرات العشرة بأحجار الصفيير المضيئة.

إذاً، تجلّت النقطة المتكاثفة لـ أين سوف على شكل عشرة دوائر متراكزة، وكل منها تمثل قوى معيّنة أطلق عليها الأسماء التالية: [١] التاج Kether، [٢] الحكمة Chokmah، [٣] البيّنة Binah، [٤] الرحمة Chesed، [٥] القوة والعزم Geburah، [٦] الجمال Tipareth، [٧] النصر أو الاقتناء Netzache، [٨] المجد أو التألّق Hod، [٩] الأساس Yesod، [١٠] المملكة Malkuth.

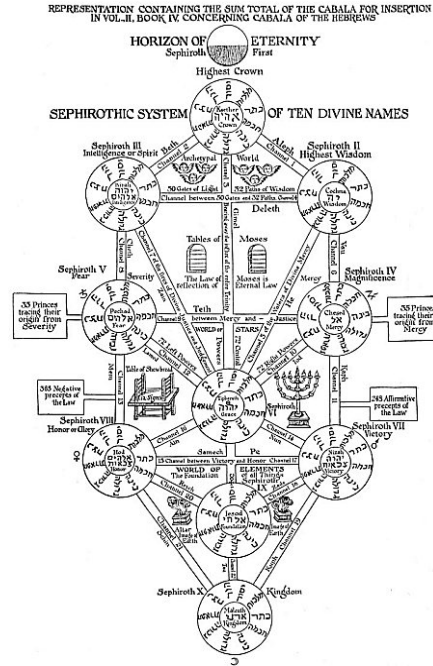


تمثل هذه الحلقات العشر الخواص الجوهرية التي يتجسّد عبرها الإله الأسمى في الوجود. هذه السمات العشر تُعتبر شيئاً واحداً مع المحتوى الإلهي. هي القوى المشكّلة للعالم المادي.

يُعلمون في المدارس السريّة أن كل إنسان يمثّل مركز هذا التراكز السببي. وهو ذاته التراكز السببي لكل الوجود. إن تحكّم الحلقات التسعة العليا بالجانب المادي (الدائرة المركزية) يُسمى "الحياة"، وروح الإنسان هي في الحقيقة مجرد اسم أُطلق على هذا الكيان المضيف المؤلّف من عدة قوى عاقلة غير مرئية، والذي ركّز قواه على المادة عبر نقطة واحدة تُسمى "الأنا" ego (الذات) والموجود داخل كل فرد. رغم أن الكون يقبع داخل الإنسان، إلا أنه لازال جاهلاً تماماً لهذه الحقيقة، لأنه لا يستطيع استيعاب

أو السيطرة على ما هو أسمى منه وأعظم منه. على أي حال، كافة هذه المستويات العليا بدورها تسيطر عليه، وهذا يبدو واضحاً من خلال نشاطاته ووظائفه الجسدية. وإذا لم تفعل هذه المستويات العليا ذلك، فسوف يكون الإنسان مجرد كتلة من المادة الميتة. الموت هو مجرد نتيجة لانحراف نبضات الحياة الصادرة من الحلقات العليا بعيداً عن الجسد المادي.

لقد أصبح واضحاً بعدها أن مقومات روح الإنسان وأعضاءه الموجودة في المستوى المادي تمثّل، بالتمثيل، سلسلة مراتب من هيئات وكيانات ذكية تقع في العوالم الأعلى. وقد رتبت تعاليم القبالة هذه القوى على شكل شجرة تمثّل مخطط ثنائي الأبعاد لهذه العوالم المتعددة الأبعاد، وهي مؤلفة من عشر مقامات، التسعة الأولى تمثّل القوى المتحركة بالإنسان، والمقام العاشر يمثل تجسيده المادي.



وجب العلم بأن أول صورة للشجرة ظهرت في العام ١٦٥٢م، بعدما نشر "أثناسيوس كيرشر" Athanasius Kircher هذا الشكل في كتابه "يوديبوس إيجبتياكوس". لكن

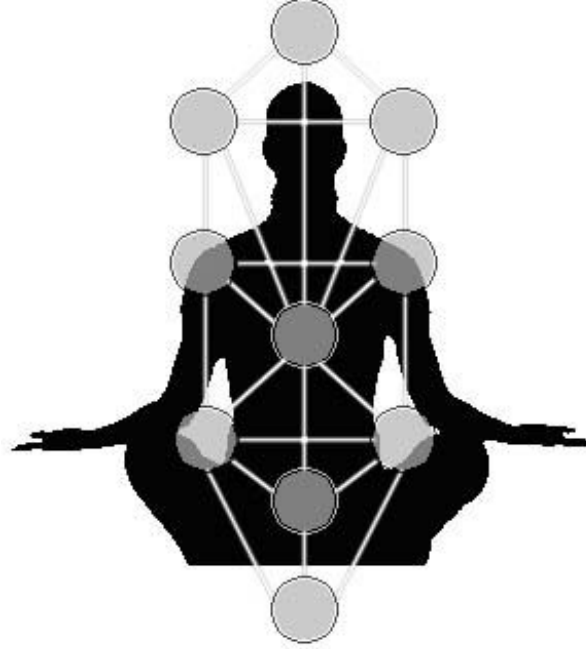
على أي حال، فإن مكونات "شجرة الحياة" هي من أقدم المبادئ للعقيدة القبلاية، بالإضافة إلى أن الشجرة تعود إلى حقب تاريخية غابرة تسبق ظهور القبالة بعصور مديدة، كما سنكتشف لاحقاً. في هذه الشجرة الواحدة، تم جمع كافة التعاليم السريّة التي كانت مبعثرة في الأدبيات القبلاية العديدة والمتشعبة

تعتبر شجرة الحياة جزءاً مهماً من تعاليم القبالة، فمن دونها لم يكن ممكناً فهم الفلسفة القبلاية أو استيعاب مبادئها. إنه نظام فكري يوصف العلاقة المتبادلة بين مجموعة من الشخصيات الأولية archetypes، كل منها ترمز إلى مظهر مختلف من الحياة. علم النفس، علم الفلك، تحضير الأرواح، الميثولوجيا، علم الأرقام، علم الهندسة،.. وغيرها، جميعها تتسجم بتناغم مع مخطط شجرة الحياة.

المقام	الكيان الحاكم	
القوى	الملائكة	
١	التاج Kether	ميتاترون Metatron
٢	الحكمة Chokmah	رتزائي Ratziel
٣	البيئة Binah	ترفقائيل Tzaphqiel
٤	الرحمة Chesed	تزدانجيل Tzadqiel
٥	العزم Geburah	كمائيل Kamael
٦	الجمال Tipareth	رافائيل Raphael
٧	النصر Netzache	هانئيل Haniel
٨	المجد Hod	ميخائيل Michael
٩	الأساس Yesod	جبرائيل Gabriel
١٠	المملكة Malkuth	صندلفون Sandalphon

الشجرة هي عبارة عن خريطة للطاقات الشخصية وأفكارها. إنها طريقة مجدية لجلب التوازن والانسجام إلى حياة الفرد. وفق تعاليم القبالة، بمساعدة السيفيروث أو شجرة

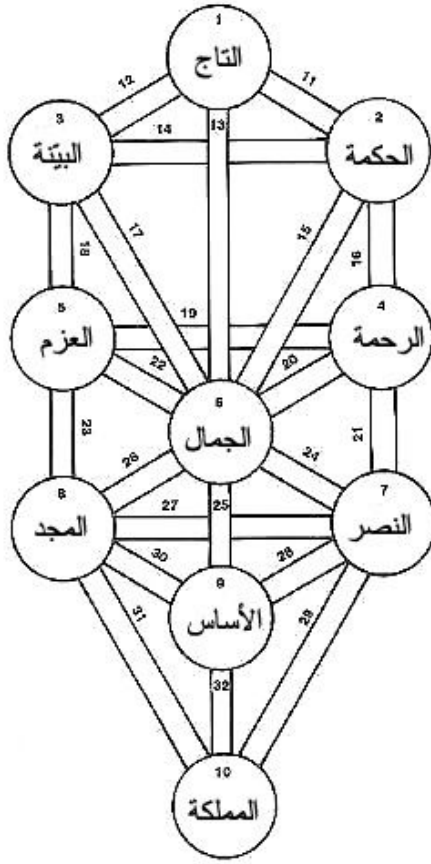
الحياة، يرتقي الإنسان إلى الله عبر الحوزة على معنى كل سيفيروت بالتتالي. ويعتبر إنجاز الارتقاء من سيفيروت إلى آخر بأنه حوزة على مستوى جديد من الحكمة والمعرفة.



بالرغم من أنها تبدو معقدة للوهلة الأولى، بسبب تعدد المواضيع التي تشملها (الفلك، علم الأرقام، الخيمياء.. إلى آخره)، لكن مع ذلك يمكن اعتبار منظومة شجرة الحياة الأكثر تكاملاً ووضوحاً وسهولة الاستخدام بالمقارنة مع التعاليم الإيزوتيرية الشرقية ومفاهيمها المعقدة. وبما أنها مختلفة عن التعاليم الإيزوتيرية الأخرى، فبالتالي لا بد من أن رياضتها الروحية تختلف أيضاً، بحيث صيغت بطريقة تجعلها تتناغم مع المخطط الهندسي لشجرة الحياة وخصائص مقاماتها العشرة.

مجرد ما فهمنا طريقة توزيع المقامات (السيفيروت) والعلاقة التي تربط فيما بينها، نستطيع بعدها إصلاح الخلل الحاصل في كينونتنا واستعادة التوازن عبر ممارسة تمارين معينة تشمل "التصوّر الفعال".

هذه الشجرة تحتوي على عشرة دوائر، تمثل الأرقام ١ إلى ١٠، وموصولة مع بعضها بـ ٢٢ قناة أو مسلك، وهذه المسالك تمثل الأبجدية العبرية المؤلفة من ٢٢ حرف. إذا أضفنا الأرقام العشر الأوائل مع المسالك (الأحرف) الـ ٢٢ يصبح نخرج بالرقم السحري ٣٢ كنتيجة نهائية، والذي، حسب التعاليم، يمثل مسالك الحكمة الـ ٣٢. وحسب التعاليم القبلانية أيضاً، تُعتبر الأحرف والأرقام مفاتيح كل المعرفة، حيث من خلال الاستعانة بالنظام السري الذي استُخدم لترتيبها سوف تُكشف كافة أسرار الخلق. ولهذا السبب تُسمى "مسالك الحكمة". هذه الحقيقة الخفية لازالت محجوبة بعناية في منظومة الدرجات الماسونية الـ ٣٢.



المقامات في الشجرة (من ١ إلى ١٠) تمثل طاقة ساكنة، بينما المسارات الرابطة بينها (من ١١ إلى ٣٢) فتمثل طاقة ديناميكية. ولهذا السبب فإن معرفة المقامات وحدها لا يكفي للخروج بنتيجة مجدية من أي نوع.

النسخة العربية الكاملة لشجرة الحياة القبالية			
وتضمّ [٢٢] حرف موزّع بين المسالك على النحو التالي:			
	إلى المقام	من المقام	الحرف
	٢ إلى	١ من	أ
	٣ إلى	١ من	ب
	٦ إلى	١ من	ج
	٣ إلى	٢ من	د
	٦ إلى	٢ من	هـ
	٤ إلى	٢ من	و
	٦ إلى	٣ من	ز
	٥ إلى	٣ من	ح
	٥ إلى	٤ من	ط
	٦ إلى	٤ من	ي
	٧ إلى	٤ من	ك
	٦ إلى	٥ من	ل
	٨ إلى	٥ من	م
	٧ إلى	٦ من	ن
	٩ إلى	٦ من	س
	٨ إلى	٦ من	ع
	٨ إلى	٧ من	ف
	٩ إلى	٧ من	ص
	١٠ إلى	٧ من	ق
	٩ إلى	٨ من	ر
	١٠ إلى	٨ من	ش
	١٠ إلى	٩ من	ت

شجرة الحياة والمسالك الواصلة بين

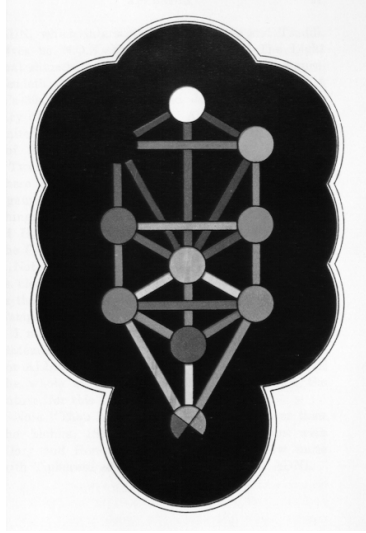
المقامات، وكل مسلك مُتملّ بحرف أبجدي

بخصوص أسياد الملائكة في شجرة الحياة

وفقاً لتعاليم القبالة، كل مقام في شجرة الحياة مرتبط بسيد ملائكة. هذه العلاقة الملائكية تمثّل القوة المسيطرة للمقام في عالم "برياه" (عالم رؤساء الملائكة في العوالم

الأربعة). يُنظر إلى أسياد الملائكة بأنها أعوان الله، وأعلى تجليات "السيفيروث" (المقامات) تحت اللجّة (الهوائية)، ويمثلون رموزاً لأعلى البلوغ في كل من مقامات الشجرة، والتي يمكن فهمها أو تصوّرها ذهنياً. تمثّل هذه الملائكة أنقى تجليات الألوهية التي تتجسّد بصيغة التعددية في الكون، وبالتالي تمثّل هدف تركيز أقوى الأنظمة الصوفية التنويرية وكذلك السحرية. بينما على الجانب الآخر، خلال مراحل التطور الروحي، هذه الكيانات تمثّل الغايات الأسمى للشخصية البشرية. (هذه الفكرة ستوضح جيداً في كتاب "منبع أصول الحكمة").

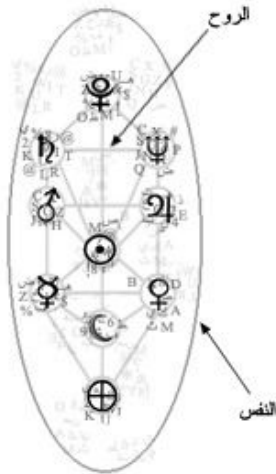
منظومة شجرة الحياة عموماً



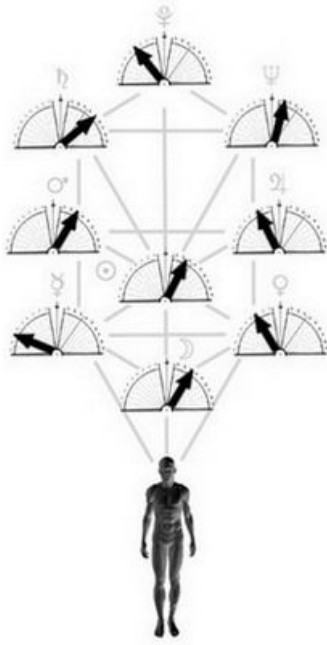
تمثّل مجموعة تعاليم شجرة الحياة منظومة كزمولوجية قديمة جداً تفسّر الوجود وكل تجلياته عبر تصنيفات وتعريفات مجردة، مركزة بشكل أخصّ على القوى الكونية الرئيسية التي تتألف منها الشجرة، حيث تحتلّ ٩ مقامات منها، بينما المقام العاشر يمثّل التجسيد المادي. و"الصفير" يمثّل "العدم" .. اللا وجود، والذي هو بنفس الوقت "كل

شيء موجود" لكن بطريقة ساكنة. تمثّل "شجرة الحياة" مخطط أولي متسلسل لعشرة تجليات و ٢٢ مسار تتبثق عبرها الميكانيكية الكونية للوعي والطاقة. إنها بكل تأكيد، ناتجة من عقول عبقرية وتجاوزية بنفس الوقت، حيث ليس من السهل رسم مخطط "ذو أبعاد محددة" لكيان كوني "متجاوز للأبعاد". تمثّل الشجرة "المخطط التشريحي لبنية إله الكون"، وبما أننا خلقنا بصورته، فهذا يعني أن المخطط يكشف أيضاً عن تشريح البنية الروحية لكل فرد منا.

ذكرت سابقاً بأنه في مستوى الإنسان، تجد هذه الطاقات والقوى الرمزية تعبيراتها كأشكال مختلفة من الشخصيات الرمزية. هذه الشخصيات الرمزية تندمج بدرجات مختلفة في كل فرد منا لتكون خلطة معينة تمثّل شخصيته النهائية الفريدة من نوعها. أي إذا عدنا إلى التعريف السابق للروح وأجرينا عليه بعض التعديلات على ضوء المعلومات الجديدة سوف نخرج بصيغة جديدة. ذكرنا في أحد الأجزاء السابقة أن "الروح" (أو "البرامج البايومعلوماتية" BIO MATRIX) تمثّل عنصر معمم على كل إنسان، أي كل إنسان يحوز على ذات الآليات والوظائف التي تجسدها "الروح"، لكن الفرق بين كل روح وأخرى يكمن في اختلاف مقوماتها المندرجة ضمن مخطط "شجرة الحياة".

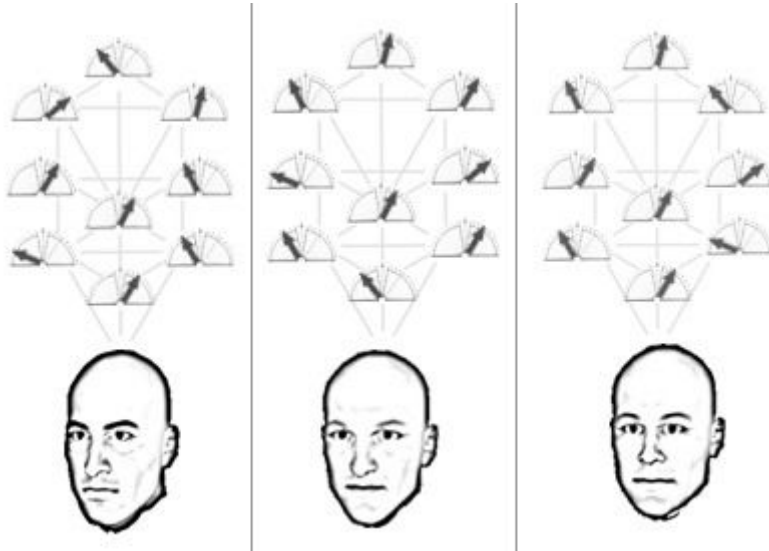


ووفق هذا المخطط المسمى "شجرة الحياة"، يُصبح واضحاً أن الاختلاف بين كل إنسان وآخر يكمن في تفاوت نشاط مقامات هذه الشجرة. أي الاختلاف في مقومات الروح. (أوردت الرموز الرومانية لسهولة تمييز هذه القوى المختلفة)



يمكن توضيح المسألة أكثر من خلال الرسم
المقابل:

كل إنسان تُحدّد طبيعته وخواصه الفريدة بفعل
تفاوت درجات تأثير المقامات في شجرة الحياة
الخاصة به. وهذا التفاوت في درجة التأثيرات
ينتج من عوامل زمانية ومكانية (فلكية/بيئية)،
وسوف نتعرف على هذه الأمور في إصدار
آخر.



التفاوت في درجات تأثير المقامات في الشجرة الخاصة للكينونة الفردية تلعب دور
أساسي في تكوين كافة الجوانب التي تتميز بها طبيعة الفرد، مثل: مكونات شخصيته
عموماً، بنيته الأخلاقية والنفسية، بنيته الفيزيولوجية، ميوله، مزاجه،.. إلى آخره.

إذا عدنا إلى فكرة "تفاوت درجات تأثير المقامات في شجرة الحياة الخاصة بالفرد"، وأسقطناها على هذه الظاهرة "الفلكية" التي تعرفنا عليها في الجزء الخامس، نستنتج بأن التأثيرات الدورية للقوى الكونية تتلاعب بمعايير هذه المقامات بشكل دوري ومؤقت. وكل طاقة كونية تتناغم مع أحد المقامات أو مجموعة منها. أي تزيد من قوتها في فترات معينة، ثم تضعفها في فترات أخرى. هذه السمفونية الخفية التي تتحكم بجوهر الكينونة البشرية كانت معروفة جيداً في الماضي وبكل تفاصيلها. (ذكرت عيّنات من هذه الممارسة في الجزء الخامس من مجموعة "من نحن").



الأمر لا يقتصر على تكوين الطبيعة الفردية فحسب، بل على كافة جوانب الوجود. وجب فهم "شجرة الحياة" على أنها نموذج يمكن الاعتماد عليه في تفسير حالات ووقائع كثيرة. فمثلاً، خلال تعريفنا لـ"روح الجماد" في كتاب "أقول شمس المعارف الكبرى"، قلنا بأن كافة الخواص التي ينسب بها الكائن المتجسد بصفته المادية هي عبارة عن أوامر معلوماتية يتلقاها من مصدر آخر يقبع في المستوى التجاوزي. هذه هي ذاتها التي نشير إليها بـ"الروح".

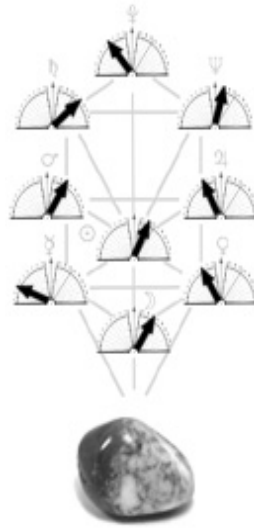
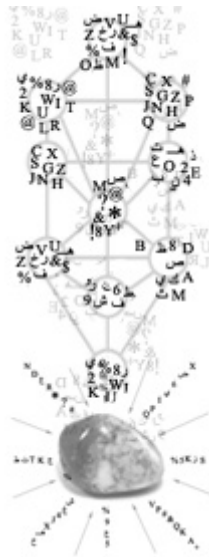


روح الجماد، أو "البرماج المعلوماتي" Matrix، كما صورتها في الإصدار السابق.

لكن وفق الصيغة الجديدة لتعريف "روح الجماد"، أي بعد إسقاطها على منظومة شجرة الحياة، الفرق بين كل روح وأخرى يكمن في اختلاف درجات أو معايير مقامات شجرة الحياة الخاصة بتكونها.

وفق الصيغة الجديدة لتعريف "روح الجماد"، الفرق بين كل مادة وأخرى يكمن في اختلاف معايير مقامات شجرة الحياة الخاصة بتكونها الروحي.

التفاوت في درجات تأثير المقامات في الشجرة الخاصة للكينونة الفردية تلعب دور أساسي في تكوين كافة الجوانب التي تتميز بها طبيعة المادة عن الأخرى.



تُستخدم "شجرة الحياة"، وبشكل فعال، كمنظومة كونية/شمولية لفهم الأشياء ولماذا تتصرف أو تكون بهذه الطريقة في عالمنا. كل مقام في الشجرة له "نظام وصله" المجرد والمدروس بعناية، خصوصاً من ناحية علاقته بالظواهر الطبيعية، اللون، الرقم، الحرف الأبجدي، يوم الأسبوع، الغذاء، الكلمة المنطوقة، وكل شيء آخر (سوف نأتي على هذا الموضوع في إصدار لاحق، حيث وجب المرور على عدد كبير من المواضيع التحضيرية من أجل استيعابه بشكل جيد).

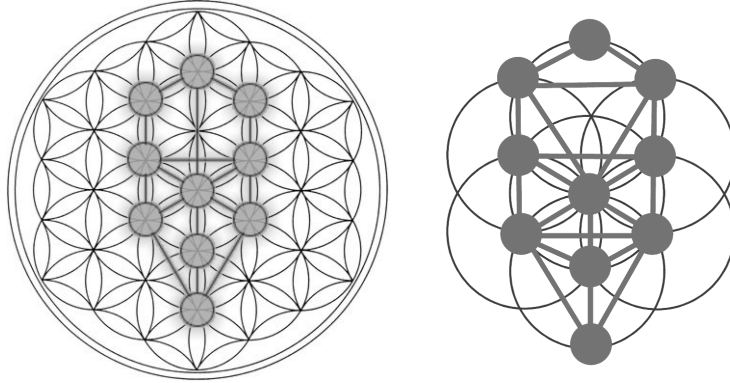
المقامات في الشجرة ليست مجرد توصيفات صوفية عميقة ومعقدة كما تصورها التعاليم الباطنية المتعلقة بها، بل تمثل عناصر فعالة في الحياة بكافة مستوياتها: المادية، العقلية والروحية. الآلهة والأرواح والملائكة وغيرها من الكائنات الماورائية التي قدسها الكهنة وعبدها الرعايا هي عبارة عن قوى كونية نشطة في الطبيعة، تتفاعل مع كينونتنا البشرية، وكل الأشياء الأخرى، بطريقة تجاوزية لكنها ملموسة ويمكن إدراكها بسهولة (إذا كرّسنا بعض من وقتنا واهتمامنا لذلك). كل من هذه المقامات يتناول جانب من تلك القوى الكونية المتفاعلة معنا في الحياة. والمنظومة الكاملة للشجرة تساعدنا على تفسير الكثير من الألغاز التي لازالت تربكنا خلال البحث عن إجابات لها. كما أنها تعني رحلتنا نحو التنوير الروحي والفكري.

".. وجب التشديد باستمرار على أن "السافيروت"، أي المقامات التي تحويها أشجار الحياة القبلائية، وكذلك خواصها ومهامها وشخصياتها، هي كما حال رموز التعاليم الفيثاغورثية، أي مجرد رموز وتشبيهات توصف مظاهر المنظومة الكونية مع كافة أجزاءها بالتفصيل وبشكل علمي سليم. المعنى الحقيقي والشامل لهذه الرموز والشعارات قد لا يُكشف بالكلمات المكتوبة أو المحكية، بل تُستشرف عن طريق الدراسة والتأمل. كُتب في كتاب "سفر زوهار" بأن هناك جلاباب، وهذا الجلاباب يمثل العقيدة المكتوبة، والتي يمكن لكل إنسان رؤيتها. بينما الذين يفهمون لا يتوقف نظرهم عند حد الجلاباب، بل يخترقه ليسبر الجسد الذي يقبع داخله.. وهذا الجسد يتمثل بالشفيرة الفلسفية والفكرية. إن أحكم الحكماء، خدام الملك السماوي، لا ينظرون سوى إلى الروح.. العقيدة الروحانية، والتي هي أساس القانون الأزلي. عن هذه الحقيقة

العظيمة، كتب "ألفاس ليفي" Eliphas Levi مصرحاً بأن لا أحد يستطيع دخول المنزل السري للحكمة إلا إذا ارتدى عباءة "أبوليونوس التيانى" Apollonius of Tyana، ويحمل بيده مصباح "هرمز الحكيم" Hermes. العباءة ترمز إلى خواص التحصيل الذاتي من معرفة وثقافة وعلم، وبالإضافة إلى الاعتماد على الذات، والتي يجب أن تكسو الباحث بالعزم والثبات. بينما المصباح السرمدي التابع للحكيم الأسطوري يرمز إلى العقل المنتور والفكر المتزن، ودون حضور هذه الصفات لا يمكن لأسرار العصور أن تُكشف أبداً.."

ماتلي بالمر هول

صُممت "شجرة الحياة بطريقة عبقرية جاعلة علاقة كل مقام مع الآخر يمثل آلية التواصل بين كل شيء في الكون. ليس على مستوى شمولي فحسب، بل على مستوى فردي.. وليس هذا فحسب، بل تتجلى هذه المنظومة ابتداءً من مستوى الكون بكامله نزولاً إلى المستوى الذري.

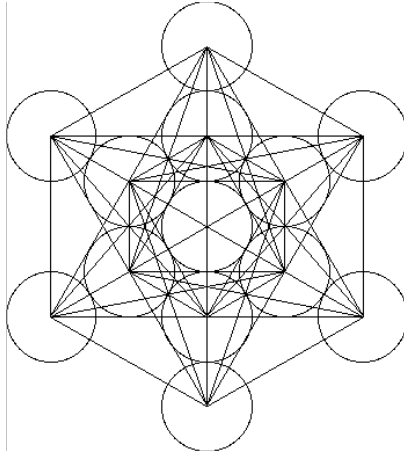


منظومة شجرة الحياة تدخل في تركيبية المادة ابتداءً من البذرة الأولى مروراً على زهرة الحياة، وصعوداً عبر مراحل متتالية حتى تشمل الكون بكامله

كل بذرة مؤلفة من سبعة مراحل للخلق (ذكرتها في الجزء السابق "أقول شمس المعارف الكبرى" موضوع "زهرة الحياة")، وهذه المراحل المتتالية تخلق قوى متفاعلة ببعضها (وفق منظومة شجرة الحياة) على المستوى الجسيمي الدقيق. وكل زهرة حياة تتألف من مجموعة بذور مندمجة لتشكل شجرتها الخاصة المؤلفة من ذات القوى التي

تتألف منها البذرة أصلاً. هذه المراحل تمثل سبعة حالات تجاوزية يحددها نوع العلاقة بين مقامات شجرة الحياة. تجتمع القوى السبعة بفعل قوانين كونية معينة، وبصيغ مختلفة، لتخلق كافة الأشكال البنوية في الحياة، بواسطة أحجار البناء الرئيسية ممثلة بالمجسمات الأفلاطونية Platonic Solids.

الجانب الذي يتناول آلية تشكّل منظومة شجرة الحياة على المستوى الذري يُعتبر مهم جداً بالنسبة لمن يعمل بمجال الخيمياء وتحويل المعادن وكل المواد الأخرى عموماً.

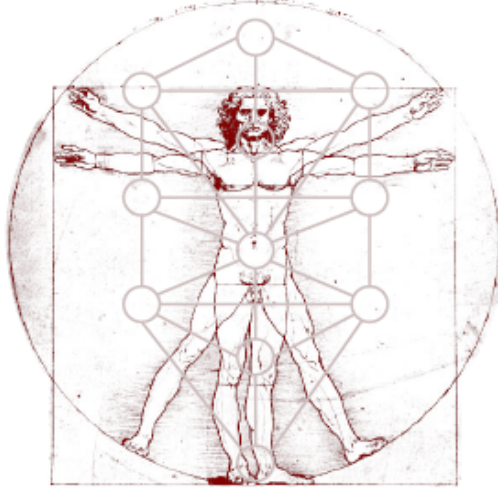


مكعب ميتاترون Metatron Cube

داخل هذا النموذج الهندسي، الذي يمكن تشكيله من الدوائر السبعة، وتحكمه صيغة العلاقة بين مقامات شجرة الحياة، يكمن كافة الاحتمالات التي تتشكّل وفقها البنية الهندسية لتركيبية المادة. غالباً ما تمثل خمسة أشكال ثلاثية الأبعاد تُسمى "المجسمات الأفلاطونية". هذه المجسمات الخمسة، مع كافة صيغ تركيبها ببعضها، تخلق كافة الهيئات الممكنة في الكون، إن كانت تابعة لكائنات حيّة أو جامدة على السواء.

الـ"ميتاترون"، الذي يمثّل الهيئة الشاملة لكافة المجسمات الأفلاطونية، هو ذاته اسم الملاك الذي يحتلّ المقام الأوّل في شجرة الحياة القبالية.

استخدام هذه الصيغة لا يقتصر على مجال الخيمياء، بل على كل عمل تجاوزي مهما كان نوعه. فإذا تابعنا تشكّل زهرة الحياة صعوداً حتى مستوى كينونة الإنسان، نجد أنها تخضع أيضاً لمنظومة "شجرة الحياة". وتتجلى هذه المنظومة صعوداً حتى تشمل الكون بكامله.

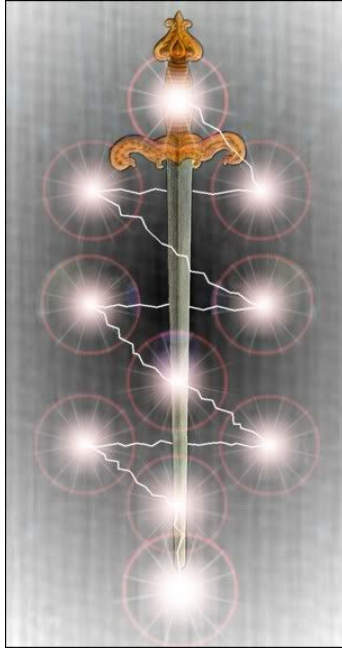


شجرة الحياة تمثّل مخطط تشريحي لكيثونة الإنسان بكل مستوياتها: الروحية، العقلية،
والجسدية

درب السيف ودرب الأفعى

هناك مسارين يمكن اتباعهما خلال دراسة/ممارسة تعاليم شجرة الحياة، وكل منهما يمثّل أحد مظهري الممارسة العملية لهذه التعاليم. صحيح أن التقريب بين هذين الجانبين التوأمين خاطئ، لكننا مجبورون على ذلك من أجل توضيح الفكرة جيداً. يُشار إلى هذين المسارين بدرب "السيف" ودرب "الأفعى".

يُتبع درب السيف في تعاليم "شجرة الحياة" خلال وصف وشرح الآلية التي تجلّى فيها الكون المادي عبر مراحل متعددة وبواسطة قوى متعددة تبيّن فيها الشجرة. السيف يمثّل المسار النازل للكيان المقدّس خلال تجليه في العالم المادي. أي "طريقة الخلق".

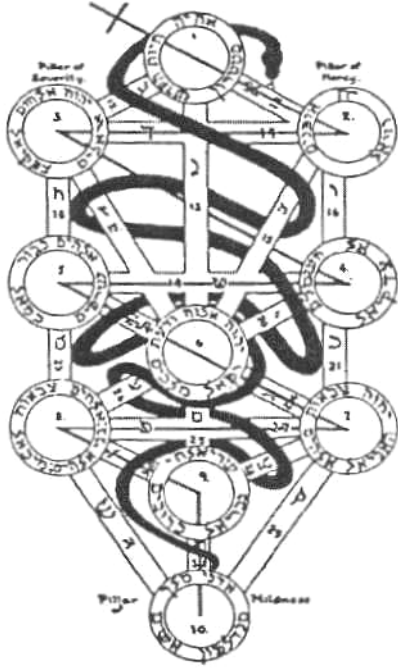


مسار السيف يمثّل آلية التجلّي. يتم تصويره عموماً (تعاليم القبالة) بحيث يكون مقبضه عند مقام "كيثر" (التاج)، أي في أعالي السماوات. ورأسه مغروس في مقام "ملكوث" (المملكة). ويوصف على شكل صاعقة رعدية تضرب الأرض (رمز السرعة الخاطفة). هذا الطريق يمثّل درب الحكمة، قوة السحر، تجلي الفضيلة، والدين.

يتعلّم الطالب عبر هذا المسار كل ما يتعلق بالطقوس، الأخلاق، السحر، صناعة كينونات فكرية، وأشياء كثيرة أخرى.

أما درب الأفعى فيمثّل مسار العودة. الأفعى تمثّل طريق التسلّق إلى أعلى الشجرة، الابتعاد عن الوجود المادي ووالعودة إلى الأصول الإلهية. الأفعى إذاً تمثّل درب

العودة. يصورونها على الشجرة بحيث يكون ذيلها عند مقام "ملكوث" (المملكة)، أي الوجود الدنيوي، بينما رأسها يقع عند مقام "كيثر" (التاج)، أي في أعالي السماوات. يبدو أن رمزية الأفعى ناسبت هذه العملية من جانب آخر، حيث معروف عنها بأنها تغيّر جلدها بين الحين والآخر. وهذا ما يحصل مع الممارس خلال تسلقه مقامات الشجرة عبر مساراتها المتعددة، حيث كلما وصل إلى مرتبة معينة تتغير شخصيته بالكامل ويصبح إنسان مختلف تماماً.

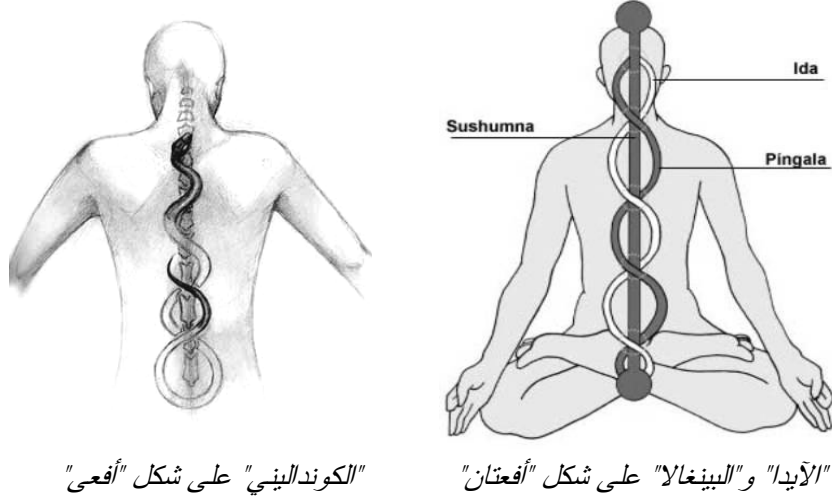


مسار الأفعى يمثّل الطريق إلى التحول والتغيير، الفهم والبيّنة، النمو الروحي للفرد. خلال اتباعه هذا المسار، يتعلّم الطالب كل شيء عن التأمل، النمو الشخصي، البحث عن المعرفة والبيّنة.

إذاً، بعكس ما نتصوره أو توحى به الخرافات والأساطير، ترمز الأفعى في الحقيقة إلى درب التطور الروحي عبر تسلق المسارات والمقامات المتعددة لشجرة الحياة.

يبدو أن الأفعى ترمز إلى ذات الفكرة في تعاليم "اليوغا" أيضاً. فهي ترمز أولاً إلى عملية تفعيل "الكونداليني" Kundalini، حيث أن تنشيط الدوامات أو مراكز تجمع الطاقة (الشاكرات) بطريقة منظمة ومدروسة سوف تؤدي إلى استنهاض الملكات المسؤولة عن القدرات الخارقة، ويشار إلى هذه الحالة بصحوة "الكونداليني". وتوصف على شكل أفعى قابعة في قاعدة العمود الفقري. إن سيرها من الأسفل إلى الأعلى يشير إلى عملية تنشيط "الشاكرات" ابتداءً من "الشاكرا" الأدنى صعوداً إلى "الشاكرا"

الأعلى. وفق تعاليم "اليوغا" أيضاً، تتكون "البرانا" من ضدين أو قطبين متعاكسين هما الأيدا Ida و**البينغالا** Pingala اللتان تسمحان عند توازنهما بظهور ضد ثالث يدعى Sushumna. ويقال بأن هذه الطاقات الثلاث تتوزع في مناطق الجسم من خلال الشاكرات السبع. فهذان الضدان يصوران أحياناً على شكل أفعتان أيضاً.



أحد المعارف المهمة التي يحوزها المريد من خلال الإلمام بتعاليم "درب السيف" التي توصف وتشرح الآلية التي تجلّى فيها الكون المادي عبر مراحل متعددة وبواسطة قوى متعددة تبيتها الشجرة، هو الطريقة الحقيقية التي تمكنه من صناعة "كينونات فكرية" فعالة وقوية، أي بمعنى آخر: ممارسة تحضير الكائنات الغيبية، وخلق الأشياء من العدم، وغيرها من قدرات تجسّد أمور ملموسة على أرض الواقع. فيما يلي وصف مختصر لممارسة تحضير الكائنات الغيبية.

شجرة الحياة وممارسة تحضير الكائنات الغيبية

ذكرت في الإصدارات السابقة (الجزء ٣ من مجموعة "من نحن؟") أن ما يفعله الكهنة خلال شعائر استحضار الأرواح هو في الحقيقة عبارة عن عملية صناعة كينونات فكرية تتبع من ممارسي الطقوس ومكلفة بمهام مختلفة، أو عملية استحضار قوى كونية تنتمي لأحد طبقات، أو أبعاد، التجلي الكوني (شجرة الحياة). يشير الهندوس إلى ما يُسمى "أغاسا" Agasa (القوة الروحية التي تتصرف ككيان خفي عاقل) باسم "أرتا أشانكراسيا" arta-ahancârasya، أي قوة "الأنا". وهذا يكفي لتوضيح لغز الكائنات الغيبية التي طالما حيرت أكبر الأدمغة عبر التاريخ. فالقوة الروحية التي تصنع الأرواح أو الكائنات الغيبية الأخرى تتبع أساساً من الممارس نفسه. لكن، كما شرحت في كتاب "أقول شمس المعارف الكبرى"، يمكن للكينونة الفكرية التي يصنعها الممارس أن تتلبسها إحدى "النفوس" الخفية التي تقيم صلة معينة مع المستوى التجاوزي من كينونته، وبطريقة لازالت آليتها غامضة لكن لها علاقة بظاهرة "الرنين المتناغم"، وهذا ما استعرضناه خلال الحديث عن "لوح الأويجا".

هناك نقطة مهمة وجب ذكرها هنا لكي تتوضح الصورة أكثر. خلال تناول موضوع "لوح الأويجا"، تبين أن الكائن الغيبي الذي يتم استحضاره يختلف بين ثقافة وأخرى، حيث قد يمثل روح شخص ميت أو جني أو عفريت أو حتى مارِد.. وهكذا، حسب اختلاف المعتقد والتقليد المحلي.

رأينا كيف أن جميع الذين مارسوا هذا المجال في العالم الغربي، وكذلك الباحثين، كانوا محضرين مُسبقاً، نفسياً وعقلياً، بأنهم سيدخلون إلى مجال التعامل مع أرواح الموتى وليس غيرها. أي أن قناعاتهم الخاصة تجاه هذا المجال ساهمت في تجسيد البيئة التي تليق بالبيئة الأرواحية وليس بيئة الجنّ أو غيره. أي أن ما فعلوه هو الانخراط بمسرحية ذهنية (بفعل العرف الذهني) تجسد مشهد الأرواح. بينما لو مورست في مكان آخر لا يؤمن بالأرواح، فسوف تكون "المسرحية الذهنية" مختلفة

تماماً. تصوّر إلى أي مدى يمكن أن تبلغه قدرة الإنسان على تجسيد معتقداته. فهذه العملية لا تتعدى كونها إحدى الحالات التي يتجلى فيها الإنسان أمام نفسه، مع استعراض جانب من قدراته الهائلة والتي تتماشى مع "المسرحية الذهنية" التي يتبعها. والسبب في الغموض والالتباس الذي تشهده هذه الحالة (التي هي مجرد عملية خداع للذات) هو جهل الإنسان عن نفسه وطبيعته الاستثنائية، وذلك نتيجة المفاهيم الخاطئة التي نشأ عليها. هذا هو السرّ في ظاهرة حضور كائن غيبي خلال استخدام "لوح الأويجا" أو "الكتابة الأوتوماتيكية" أو أي ممارسة أخرى تتعامل مع كائنات غيبية.

سوف نكتشف لاحقاً في هذا الكتاب بأن الأمر ذاته ينطبق على الصيغ المختلفة لتعاليم شجرة الحياة في كافة الثقافات حول العالم. فالقبالة مثلاً تتعامل مع ملائكة بينما البيتريس تتعامل مع أرواح، وأنظمة روحية أخرى تتعامل مع آلهة وكائنات غيبية مختلفة. وبالرغم من الفرق الشاسع بين هذه الكائنات، إن كان في الهيئة أو الشكل، إلا أن النصوص تبقى متطابقة، إن كان من حيث المفاهيم، صيغة الاستحضار، أو في الأدوار التي تلعبها هذه الكائنات، أو حتى المرتبة التي تحتلها في مقامات الشجرة.

إذاً، فالصورة التي يكونها الشخص بخصوص الممارسات السحرية تختلف تماماً عن القصد الحقيقي منها. بخصوص الكيانات الروحية التي يُزعم بأنها تحضر في المكان، وقد يراها الممارس أحياناً لكن بهيئة تعتمد على ما يؤمن به من أفكار (جن، شبح، ملاك،.. إلى آخره)، هي في الحقيقة قوى (أو كيانات فكرية نابعة من الممارس ذاته) تم تجسيدها نتيجة المناخ الذي كونه الممارس في المكان بحيث يكون مناسب لتجسيدها.

نحن نتكلّم هنا عن كيانات طاقية، أو كينونات فكرية، قمنا بتجسيدها في نقطة معيّنة وفق إرادتنا (وعي ديناميكي). وهذه الكيانات الفكرية قابلة لأن تتخذ أي شكل نريده خلال تجسيدها، لكن بما أننا نشأنا على معتقدات تقنعنا بأنها كيانات ذكية فهذا بالضبط ما تظهره وتسلكه بعد تجسيدها. وبالتالي أصبح لدينا منهج علمي (كباقي المجالات الأخرى) يشبه السيف ذو حدّين. والأمر يعود للطبيعة الشريرة للممارس ذاته، وليس

لأن هذه المعرفة شريرة بالكامل. وهذا ما جعل الحكماء الأوائل متشددون في المحافظة على سرية هذه العلوم التي أشير إليها بـ"التقليد" The Tradition، أو "الأسرار" The Mysteries، بحيث لا يمكن كشفها بأمان سوى للذين استغنوا عن طموحاتهم الشخصية وكرسوا حياتهم للخدمة غير الأنانية للبشرية. وكانت تتلى أقسام وتعهّدات صارمة بعدم إفشاء سرّ هذه المعارف التي سيطّلع عليها المنتسب الجديد، وكانت عقوبة كل من ينقض هكذا تعهّد هي الموت تعذيباً وبالآلم الشديد.

لقد علموا منذ البداية بأن التعلّم على انتهاج هذه الممارسات التجاوزية هو أسهل بكثير من التعلّم على انتهاج تهذيب النفس أخلاقياً وروحياً. إن كل من حاز على قسط صغير من هذه العلوم المهيبة وكانت نفسه لا تزال مُدّسة بالشؤون الدنيوية سوف يحدث دماراً هائلاً في مسار الطبيعة وكل ما فيها من كائنات حيّة.

ذكرت أيضاً في الجزء الثالث طريقتين لاستحضار الكائنات الغيبية: [١] — طريقة توسّل واستجداء، أو التضرّع لحضور إله معيّن أو سيّد ملائكة أو غيرها من كيانات مهيبة وذات منزلة سيادية. ويشيرون للعملية باللغة الإنكليزية invoke أي مناشدة للحضور. [٢] — طريقة الاستدعاء أو الاستحضار بالأمر والتهديد. وهذه هي الطريقة الشائعة في الكتب العربية، حيث يتم استدعاء الخدام وتهديدهم بالزجر والحرق وغيرها من خزعلات واردة في الكتب السحرية. ويشيرون للعملية باللغة الإنكليزية evoke أي استدعاء للحضور. وقد ذكرت طريقة ثالثة وهي طريقة الاستحواد أو تقمّص الكيان المراد تحضيره.

يبدو واضحاً أن الممارس خلال الطريقة الأولى يستحضر كيان كوني (قوة كونية)، بينما في الثانية هو يستحضر مجسم فكري (قوة كامنة في داخل الفرد وتصنعها "الصحة الديناميكية" لديه)، والفرق بين العمليتين كبير جداً. وإذا أردنا تفسير ذلك وفق مفاهيم الفلسفة التجاوزية، نقول بأن الفرق بينهما يكمن في الفرق بين "العالم الكبير" macrocosm الذي يمثّل الكون و"العالم الصغير" microcosm الذي يمثّل الإنسان. أي: في الطريقة الأولى، خلال اندماج الممارس مع الوعي الكوني (عبر

الطقس السحري الذي يقيمه) فهو يسمح للقوة الكونية لأن تغمر وعيه بالكامل وتستخدمه كوسيط للتجسد. بينما في الطريقة الثانية، وخلال اندماج الممارس مع الوعي الكوني (عبر الطقس السحري الذي يقيمه) فهو يلعب دور "العالم الكبير" macrocosm ومن ثم يجسد كياناً من "العالم الصغير" microcosm (أي من نفسه).

وبما أن هناك قوى متعددة في الكون بحيث كل منها لها خواصها وميزاتها المختلفة، فالحال ذاته مع القوى الكامنة في الفرد، وهي أيضاً مختلفة ومتنوعة. كل قوة لها مهمتها الخاصة وتأثيراتها الخاصة. لكن عندما يتم استدعاء القوى الكونية (أي الآلهة أو أسياذ الملائكة مثلاً) وجب على الممارس أن يستسلم لهم بالكامل بمحبة واستعطاف، وهذا واضح في الأقسام التي يتلوها السحرة لاستدعاء تلك الكيانات المهيبة. بينما خلال استدعاء القوى الفردية الكامنة (خادم، جن،.. إلى آخره) فالأمر يختلف حيث تكون منزلة الممارس أعلى وبالتالي يستخدم صيغة الأمر والتهديد، وهذا أيضاً ما نلاحظه في الأقسام المستخدمة لاستحضارها.

بالإضافة إلى "شخصنة" الكينونات الفكرية، عبر جعلها تتخذ طابع كيانات خفية عاقلة (أرواح، جن، عفاريت،..)، الأمر ذاته حصل مع القوى الكونية حيث حولوها إلى شخصيات قائمة بذاتها. إذاً، في الوقت الذي ننظر فيه إلى "الملائكة" (وفق مستوى معرفتنا المتواضعة) على أنها كائنات مجنحة ترفرف في الجو، كانت بالنسبة للمطلعين على العلوم السريّة عبارة عن قوى كونية معينة ولا يستطيع أحد تحديد خواصها وتأثيراتها سواهم. إذاً، هذه الكائنات الغيبية بالنسبة للحكماء الأوائل لا تمثل كيانات أو مخلوقات روحانية مقدسة بل تأثيرات كونية مهيبة.

الأمر ذاته ينطبق على تعاليم الـ"بيتريس" الهندية، و"القبالة" اليهودية، حيث الأولى نظرت لهذه القوى الكونية على أنها "أرواح أجداد"، والثانية نظرت إليها على أنها "ملائكة". سوف نتعرف لاحقاً على تعاليم أخرى متطابقة تماماً (آشورية، مصرية، أفريقية،.. إلى آخره) لكنها تحدثت عن هذه القوى الكونية بصفاتها "آلهة".

الكائنات الغيبية وفق منظومة شجرة الحياة

بعد أن تعرفنا على منظومة شجرة الحياة والقوى الممثلة لمقاماتها، والتي هي في الحقيقة تمثّل جوانب مختلفة لكيان واحد، أصبحت الفكرة واضحة بالنسبة لنا. فالقوى الكونية المختلفة التي أشرت إليها سابقاً لم تعد غامضة، بل يبدو أنها متوافقة تماماً مع تلك التي تحتلّ مقامات شجرة الحياة. أي بمعنى آخر، الكائنات الخفية المختلفة التي يحضّرها الممارس، هي ليست مختلفة بالمعنى الذي نظنه، بل تمثّل جوانب مختلفة للشيء ذاته. الأمر مشابه تماماً للآلهة المختلفة التي عبدها القدماء، لكن هذه الآلهة مثّلت في الحقيقة وجوه متعددة لكيان كوني واحد. يمكننا استيعاب كامل هذه الفكرة بسهولة من خلال الشروحات المصوّرة التالية:

[١] — يتمتع الإنسان بقدرة طبيعية على صناعة كينونات فكرية، لكنها في الحالة العادية تكون عشوائية وينقصها الكثافة والتنظيم الكافي لتجسيد نتائج فعلية على أرض الواقع. (يمكنك العودة إلى الجزئين [٢] و[٥] للتعرف أكثر على طبيعة الكينونة الفكرية والوعي الديناميكي)



[٢] — هناك عدد كبير من التعاليم الروحية التي تساعد الإنسان على تطوير القدرة على صناعة كينونات فكرية أكثر فعالية وكثافة (اليوغا مثلاً):



[٣] – لكن تعاليم شجرة الحياة تذهب بعيداً في هذا المضمار، حيث لا تساهم في تطوير هذه القدرة فحسب، بل تعمل على تنظيمها أيضاً. فالقوى التي تتعامل معها (الفردية والكونية) مُصنفة ضمن أقسام، ومندرجة في ترتيب تسلسلي متناغم مع مخطط "شجرة الحياة" وهو مخطط التجلي الإلهي في العالم المادي، وهذا يجعلها ترتكز على أسس علمية بمعنى معين:



مجرد معرفة حقيقة أن الكينونة الفكرية هي قطعة من مجالنا الحيوي، أينما كان موقع تشكلها في الكون (بسبب طبيعتنا الهولوجرافية)، فهذا يجعلنا نستنتج بأنها تمثّل نسخة طبق الأصل لتركيبتنا الروحية (مخطط شجرة الحياة الخاص بنا)

[٤] – وفق تعاليم شجرة الحياة، الكائنات (القوى) التي يتعامل معها الفرد هي منظّمة ضمن ترتيب مدروس بعناية وبالتالي فهو ليس عشوائياً (كما تظهره الكتب السحرية

السخيفة). وكل قوة خفية يتم التعامل معها متخصصة لمهام محددة في الحياة وهذا ما يجعل التعامل معها مجدياً وذو نتائج فعالة ومثمرة:



[٥] — بما أن "الكوينونة الفكرية" هي قطعة منّا، وتمثّل نسخة مطابقة لتركيبتنا الروحية، فهذا يجعلها متناغمة مع أي تغيير يحصل في منظومتنا العقلية، البيولوجية، والنفسية. فإذا قمنا بالتركيز على إبراز خصائص مقام معين في شجرة الحياة وجعله يطغى على المقامات الأخرى (وهذا يتطلب التدريب)، فسوف يصبغ "الكوينونة الفكرية" بشخصية خاصة تتميز بخصائص ذلك المقام تحديداً:



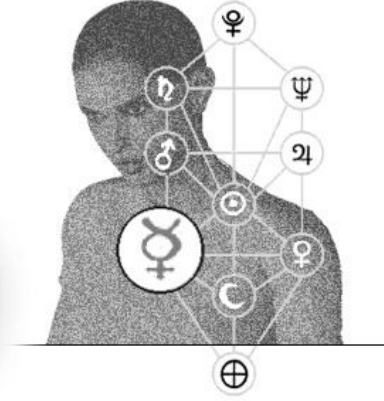
Jupiter



الكوينونة الفكرية المتشكلة بتناغم مع المقام الرابع تحمل خصائص شخصية الإله جوبيتر، سيد الآلهة، أو ما يقابله من ملائكة وأرواح في الثقافات الأخرى



Mercury



الكيونة الفكرية المتشكلة بتناغم مع المقام الثامن تحمل خصائص شخصية الإله ميركوري، رسول الآلهة، أو ما يقابله من ملائكة وأرواح في الثقافات الأخرى

[٦] – هذه الطريقة المنظّمة في التعامل مع القوى والكيانات الخفية (أي وفق منظومة شجرة الحياة) تنطبق على كل صيغ التحضير، أي الطرق الثلاثة الموصوفة سابقاً: طريقة التوسّل والاستجداء (قوى كونية)، طريقة الاستدعاء أو الاستحضار (كيونة فكرية)، وطريقة الاستحواذ أو تقمّص الكيان المراد تحضيره.

هذه الممارسة تتطلّب الكثير من المعلومات الإضافية لكي تكتمل صورتها. خصوصاً تلك المتعلقة بموضوع "الوعي الديناميكي" للفرد وآلية عمله في هذا الكون الهولوجرافي. (خصصت لهذا الموضوع كتاب خاص في هذه المجموعة).

أعتقد بأن القارئ أصبح يستوعب فكرة أننا نتكلّم هنا عن كيانات طاقية، أو كيونات فكرية، يتم تجسيدها أو استحضارها في نقطة معيّنة وفق إرادة الممارس. وهذه الكيانات الفكرية قابلة لأن تتخذ أي شكل أو هيئة، حسب القناعة والمعتقد. إنه علم قائم بذاته، منهج علمي خاص مؤلف من مجموعة مبادئ وممارسات يمكن تطبيقها للحصول على نتائج ملموسة. لكنه في النهاية يشبه السيف ذو حدّين، حيث الأمر يعود لطبيعة الممارس الذي يستخدمها، خيرة أم شريرة، وليس لأن هذه المعرفة شريرة

بالكامل. وهذا ما جعل الحكماء الأوائل متشددون في المحافظة على سريّتها. لكن في النهاية، تحقق الأمر المتوقع والمحتوم الذي كان الحكماء يخافونه لحد الهوس، حيث حصل الانقلاب الشهير الذي تحدثت عنه مراجع تاريخية كثيرة، ووقع ذلك العلم فعلياً في أيدي غير كفوءة. وكانت بكل تأكيد، أكبر لعنة ضربت وجه الأرض! هم ذاتهم السحرة الذين لازالت ذريّتهم تتوارث المعرفة السريّة منذ تلك الفترات السحيقة التي نجحوا فيها بالانقلاب على الحكماء الحقيقيين. وها هم اليوم يحولون عالمنا الحالي إلى جحيم. كل هذا ولم نشعر بوجودهم أصلاً.

ذكرت في الجزء [٦] من مجموعة "من نحن؟" كيف كان الأجداد يجرون طقس بسيط للتأثير على النمل ودفعه إلى مغادرة البيدر. وطبعاً من المؤكّد أن هذا الطقس بريئ وليس له علاقة بالشيطان وعملاءه. هو مجرد عرف تقليدي توارثه المزارعون عبر العصور. لكن هذا لم يمنع حقيقة أنه يستند على علم حقيقي. ويبدو واضحاً أن هذا العلم له علاقة بطريقة أو بأخرى بصناعة الكينونات الفكرية. وبكل تأكيد، هذا هو العلم ذاته الذي يتوارثه "المسيطرّون" الأبالسة، ويتحكمون بالعالم عبر مجموعة من الطقوس المريعة (مثل عبادة "مولوك" البومة الصنم) المصممة خصيصاً لأغراض شريرة. تصوّر مدى فضاخة الأمر: طالما استطاع مزارع بسيط وجاهل أن يؤثّر على النمل ودفعه إلى التصرف وفق رغبتهم، فما بالك مجموعة من الكهنة المتمرسين بهذا العلم كاملاً متكاملًا، أي يعرفون أي قوّة سيحضرون، وفي أي موعد فلكي، ووفق أي صيغة؟! ماذا يستطيعون فعله بشعوب العالم؟!!

إن ما وصفناه في الصفحات السابقة ليس سوى بعض الأفكار الأولية بخصوص منظومة شجرة الحياة التي تتمحور حولها فلسفة القبالة، والغاية من ذكرها هنا، وبهذه الصيغة المُقتضبة والسطحية، فهي من أجل إجراء مقارنة بين القبالة وتعاليم كثيرة أخرى مشابهة تماماً سادت في حضارات مختلفة عبر التاريخ. لا يمكن استيعاب هذه المنظومة الفلسفية بسهولة قبل إجراء شرح كامل ومفصّل لجانبيها النظري والعملية، وذلك عبر مجموعة واسعة من المواضيع.

عودة إلى القبالة اليهودية، والبيتريس الهندية

لقد كتشف الباحث "لويس جاكلواه" Louis Jacolliot في كتابه عن الكثير من التطابقات بين تعاليم القبالة وتعاليم البيتريس، رغم بعض الفروقات مثل تعامل القبالة مع ملائكة بينما البيتريس تعاملت مع أرواح. فيما يلي أحد المقارنات التي أجراها الباحث بين التعاليم وطريقة تعاملهما مع السيفيروت العشر (القبالية) والبرادجاباتي العشر (الهندية). مع العلم أن "جاكلواه" كان يعتقد بأن القبالة هي فلسفة يهودية المنشأ (وقد بيّنأ خطأه)، لكن هذا لا يؤثّر بشيء على سياق الموضوع الذي نحن بصددده:

القسم الثالث

مقارنة مع القبالة اليهودية

Compared with the Jewish Cabala

الفصل الخامس

السيفيروت العشرة

THE TEN ZEPHIROTH

تمثل السيفيروت العشر الخواص العشر الجوهرية التي يتجسّد عبرها الإله الأسمى في الوجود. هذه السمات العشر، الممثلة بالحكمة، البيّنة، الرحمة، العزم، الجمال، المجد.. إلى آخره، تُعتبر شيئاً واحداً مع المحتوى الإلهي، لكن بما أن الله هو ثابت لا يتغيّر، يعتبره القباليون دائماً في حالة حركة، والسيفيروت العشر هي أدوات السلطة العليا، مخلوقات ذات طبيعة سامية، نوع خاص من الكائنات.

بهذه الطريقة يكشف الله [عزّ وجلّ] عن نفسه، وينتقل من حالة البعث إلى حالة التصرف.

سوف أترك الآن الساحة للعبراني اللامع الذي اتخذ مرشداً لي في هذا الموضوع، حيث يستطيع تقديم وصف أكثر صحّة لهذه المفاهيم. يقول السيّد "فرانك":

".. الله حاضراً في السيفيروت العشر، وإلا لا يستطيع التعبير عن نفسه عبرها.. لكنه لا يقبع كلياً فيها، هو ليس كل ما استطعنا اكتشافه عنه، من خلال هذه الهيئات السامية من الفكر والحياة. في الحقيقة، السيفيروت لا تستطيع أن تشمل المطلق. الـ"أين صوف"، الذي يمثّل المصدر الأوّل لكل هذه الهيئات، والذي، رغم هذه الإمكانية، ليس له هيئة، أو بالأحرى، وبشكل أصحّ، بينما لكل سيفيروت اسم خاصبه، فهو وحده لا اسم له ولا يمكن أن يكون له اسم.."

إذاً، يبقى الله [عزّ وجلّ] الكيان اللامحدود الذي لا يوصف، والذي لا يمكن استيعابه، والذي تكون مرتبته أعلى من كل العوالم التي تعبّر لنا عن وجوده، وحتى عالم الانبعاث. هكذا هي أيضاً طبيعة كل من الـ"برادجاباتي" Pradjapatis العشر في التعاليم الهندية، وكذلك خاصية علاقتها تجاه "سوايامبهوفا" Swayambhouva، الكيان المستتر. إن التشابه بين التعاليمين كبير جداً، ومذهلة لدرجة أن أي تعليق قد نقوم به سوف يُضعف قوة تشابههما.

وفقاً لكل من القباليين والمؤمنين بالبيتريس، فإن السيفيروت العشر والبرادجاباتي العشر، التي تمثّل أسياد المخلوقات، هي في الحقيقة تمثّل خواص الألوهية المتجسّدة في الأرواح العشر الأسمى، التي تجسّد نفسها في الطبيعة. وبهذه الطريقة، فإن العقيدة القائلة بنبات الإله [عزّ وجلّ]، الذي استطاع التعبير عن نفسه عبر التصرف فحسب، لم تنتهك بأي درجة.

التشابهات القريبة بين هذين الاعتقادين، الهندي واليهودي، هي جديرة بالملاحظة فعلاً، حيث لم نجد مثيلاً لها في أي نظام فلسفي آخر برز في تلك الفترة، وهي تشير دون شكّ إلى درجة صلة القرابة بين النظامين الهندي واليهودي. أما بخصوص الأسبقية، أيها جاء قبل الآخر، فنعود إلى الفكرة المطروحة سابقاً في هذا الكتاب، حيث

نظام "السيفيروت العشر" لم يُدخل إلى القبالة سوى قبل زمننا الحالي بعدة قرون، بينما نصوص الـ"مانو"، الـ"فيدا"، والـ"أغروشادا باريكشاي" كانت موجودة قبل ذلك بآلاف السنين. وجب الملاحظة أيضاً بأن هذه الأرواح العشر الأسمي، كما البرادجياتي الهندية، تقع على رأس تسلسل هرمي كبير من الأرواح الأخرى، وهي ذات وظيفة مُلهمة ووسيطية أيضاً، والتي تتراأس التحولات المستمرة للجزء الحيوي، وتحت إشرافها وإرشادها تتقدم النفس البشرية من درجة كمال إلى أخرى حتى تصل إلى رحاب النفس الكونية. يتحدث كتاب "سفر ينزراع" عن هذه التجسيدات السامية بالطريقة المبهمة التالية: "هناك عشرة سيفيروت، عشرة وليس تسعة، عشرة وليس أحد عشر. تصرّف لكي تفهمها بطريقة ذكية في حكمتك الخاصة، لكي يكون عقلك، بصيرتك، معرفتك، وأفكارك منهكة جميعاً في تفحصها واستقصاءها باستمرار. دع كل شيء يستند على أساسها ويعيد الخالق إلى أساسه..".

".. بالنسبة للسيفيروت العشر، ليس هناك نهاية، ولا مستقبل أو ماضي، لا خير ولا شر، ليس لها عرض أو ارتفاع، لا في الشرق ولا في الغرب، ولا في الجنوب ولا في الشمال..".

".. السيفيروت العشر هي كما أصابع كل يد حتى العدد عشرة، خمسة في كل يد، لكن بينهما توجد رابطة الوحدة..".

".. نهاية السيفيروت موصولة بالبداية، كما الشعلة موصولة بالجمرة، الإله هو واحد، ليس هناك ثاني..".

".. أغلق فمك لكي لا تتمكن من الكلام عنها، وكذلك قلبك لكي لا تتمكن من التفكير بها، وإذا نسي قلبك نفسه، عُد به إلى مكانه مرة أخرى، فلهذا السبب تم توحيدهما معاً..".

ألم تكن نصوص الـ"أغروشادا باريكشاي" مطابقة تماماً عندما قالت، قبل ظهور القبالة بقرون عديدة:

".. بالنسبة للبرادجاباتي العشر، التي هي أسياذ كل الكائنات المخلوقة، والتي هي ماريتشي Maritchi، أتري Atri، أنغيراس Angiras، بولاستيا Poulastya، بولاها Poulaha، كراتو Cratou، براتشيتاس Pratchetas، فاسيشتا Vasichta، بريغو Brighou، نارادا Narada، ليس هناك بداية أو نهاية، لا في الزمان أو المكان، حيث هم منتجات الجوهر الوحيد لروح واحدة وعبر نفس واحد.."

".. هذا سرّ مميت.. أغلق فمك لكي لا يُكشف أي جزء منه أمام قطيع الدنيويين.. اضغط على دماغك لكي لا ينتشر أي جزء منها خارجاً.."

شجرة الحياة في تعاليم "البيتريس" الهندية	
مقامات الـ"برادجاباتي" Pradjapatis العشر	
	١ ماريتشي Maritchi
	٢ أتري Atri
	٣ أنغيراس Angiras
	٤ بولاستيا Poulastya
	٥ بولاها Poulaha
	٦ كراتو Cratou
	٧ براتشيتاس Pratchetas
	٨ فاسيشتا Vasichta
	٩ بريغو Brighou
	١٠ نارادا Narada

أرواح الـ"برادجاباتي" في تعاليم البيتريس هي متطابقة تماماً من حيث الخصائص والسمات مع أسياذ الملائكة في تعاليم القبالة

سوف استنتج في الختام بأن كامل عقيدة الـ"بيتريس" مشمولة بمعرفة هذا التسلسل الهرمي الهائل من الأرواح، والذي على قمته تقف الـ"برادجاباتي"، أي السيفيروت الهندية. وبشكل مماثل، كامل تعاليم القبالة اليهودية مشمولة بالمعرفة الباطنية للسيفيروت.

انتهى الاقتباس

حتى الباحث "جاكلواه" الذي له الفضل في اكتشاف هذا التطابق بين النظامين الفيلسفيين، لم يكن يعلم أصلاً، ربما لعدم توفر المعلومات في حينها، بالأصول المصرية للقبالة، حيث كان مقتنعاً بأنها نشأت في القرن الثالث عشر مع ظهور "سفر زوهار"، وهذا ما جعله يستنتج بأن الهند هي المصدر الأول والأساسي لفلسفة القبالة. لكن على ضوء المعلومات الجديدة التي أصبحت بحوزتنا الآن، بالإضافة إلى المعلومات التي تفضّل بها "جاكلواه" مشكوراً، أصبح ضرورياً الخروج باستنتاج جديد يستند على معطيات جديدة. فنعود إلى السؤال: أيهما جاء من الآخر، القبالة أو البيتريس؟

بعد نظرة سريعة على الاقتباس المأخوذ من كتاب "جاكلواه" (الفصل الثاني عشر من القسم الثاني، والذي بعنوان "صيغة الاستحضار")، تبين بوضوح أن كتاب "البيتريس" الهندوسي يحتوي في أحد فصوله على ألفاظ عبرية (مصرية) مكتوبة بلغة هندوسية، أي إذا قرأت المقاطع أمام العبري فسوف يفهمها بينما الهندوسي لن يتمكن من ذلك مع أنها مكتوبة بالهندوسية. وهذا وحده يؤدي بنا إلى افتراضين: إما أن "البيتريس" استمدت تعاليمها من القبالة، أو أن الاثنين انحدرتا من مصدر مشترك سبقهما. وأعتقد بأن الافتراض الثاني هو الأقرب إلى الحقيقة. ولهذا الأمر أسبابه أيضاً.

قبل متابعة البحث في الأصل الأول لهذه التعاليم، هناك نقطة مهمة وجب التوقف عندها، لا بد من أنها مثلت مسألة محيرة بالنسبة لكم مما يدفعكم إلى التساؤل. إذا نظرنا إلى "القبالة" التي يمارسها الماسونيون الكبار (الأبالسة)، وتلك التعاليم المتطابقة

التي يمارسها الناسك الدرويش (الفاكير) المُسمّاة بـ"البيتريس"، سوف يراودنا مباشرة شعور بوجود خطأ ما في الموضوع. اختلاف كبير واضح وضوح الشمس. هناك فرق شاسع بين الاثنين. كيف يمكن للقبالة والبيتريس أن يمثلان ذات المنهج الروحي في الوقت الذي نرى فيه الأول (الماسوني) هو دنيوي/شيطاني.. يسيطر على العالم بالدم والدموع، بينما الثاني (الفاكير) هو زاهد/روحاني.. متشرّد في الشوارع ويقفّات من حسنات الماريّن!!؟



(اليمين) ألبرت بايك، الماسوني الشيطاني الذي اعتبر يوماً أكثر الرجال نفوذاً في العالم. (اليسار) ناسك درويش متشرّد في الشوارع يقفّات من حسنات الماريّن. كيف يمكن لهذين الشخصين أن يكونا منخرطين في نفس التعاليم الروحية!!؟

هذا اللغز الذي يزرع الحيرة والإرباك في نفوسنا سوف يزول تماماً بعد الاطلاع على الحقائق التي تحملها الفصول التالية من هذا الكتاب. لكن الأمر الأكثر إذهالاً هو أنه بعد إجراء مقارنات بين هذه التعاليم (القبالة والبيتريس) وبين تعاليم وأنظمة فلسفية أخرى مختلفة سادت عبر حقبة زمنية متعاقبة، تبين في النهاية أنها تتمحور جميعاً حول نفس المبادئ والأفكار رغم تغيّر طريقة السرد والتفسير. أي أن سيناريو

المسرحية يبقى ذاته بينما أسماء الممثلين تتغير. تبين أن شجرة الحياة، التي تتمحور حولها تعاليم البيتريس وتعاليم القبالة، موجودة في معظم الثقافات حول العالم، كما تمثل أساس الأديان التي ظهرت لاحقاً في الشرق الأوسط، اليونان، أفريقيا، اسكندنافيا، وحتى في أمريكا الوسطى والجنوبية، وهذا ما سنتعرف عليه في الفصول التالية.

نحن نتحدث هنا ليس عن منظومة تعليمية روحية/فلسفية فحسب، بل عن جهاز قائم بذاته. أي لا يتوقف الأمر عند حدّ تعريفنا على أسرار الطبيعة وغوامض الحياة وإرشادنا على العيش بتناغم معها، بل يمكن استخدامه لتحقيق غايات كثيرة عملية. فبالتالي، هذا الجهاز يمثل سيف ذو حدين. يمكن استخدامه للشر أو الخير. والخيار يعود للفرد ذاته. هذه التعاليم لا تفرض عليه أي توجه محدد، لا خير ولا شر. يبدو أن المسيطرون على العالم اختاروا الاستخدام الثاني، أي الشرير، لتحقيق مآربهم الدنيوية. بينما بعض المجموعات الأخرى حول العالم كانت أكثر روحانية، مثل الزهاد في الهند (الفاكير) الذين سخروا هذه المعرفة بطريقة تعزز تطوّرهم الروحي، حيث علموا أن الحياة الحقيقية تكمن ما بعد الحياة. نحن ضيوف مؤقتين في هذه الدنيا، وفي آخر المطاف سوف نعود إلى موطننا الحقيقي. فما الجدوى من هذا الكفاح العيبي للنشبت في عالم زائل مؤقت. رغم استعراض المسيطرون "المتنورون" حقيقة تمنعهم بدرجة عالية من الذكاء والحكمة وقوة التخطيط والتنظيم، لكنهم في جوهر الحقيقة، ومن ناحية تجاورية، يُعتبرون من أغبي المجموعات البشرية في الكون!

القبالة الكلدانية

في كتابه الذي بعنوان "نبوءات زورستر الكلدانية الموحاة" The Chaldaean Oracles of Zoroaster (منشور عام ١٨٩٥م)، أشار الباحث الثيوسوفي "و. واين وسكوت" W. Wynn Westcott إلى التشابه الكبير بين هذه الحكيم الكلدانية الموحاة (Oracles) وفلسفة الغنوسطيين، الأفلاطونية المستحدثة والقبالة. كتب في مقدمة الكتاب، شارحاً مدى التطابق بين المفهوم الروحي الكلداني والقبالي:

لقد تم الجزم بأن الماجوس الكلدانيون حافظوا على تعاليمهم السرية عبر تقليد التوارث الشفوي من الأب للإبن. قال "ديودوروس" Diodorus (فيلسوف إغريقي من القرن الرابع ميلادي): " .. إنهم يتعلمون هذه الأشياء، ليس بنفس المنهج الإغريقي، حيث عند الكلدانيين، الفلسفة تنتقل عبر تقليد التوارث العائلي، أي الإبن يتلقاها من والده، ويكون مُعفى من مزاولة أي مهنة أخرى. وبالتالي يتفرغ الأولاد للتعاليم التي يدرسونهم إياها آبائهم. يتعلمون كل شيء بشكل كامل وكثيف.. يتشربون المعتقد الذي مُنح لهم..".

يبدو أن بقايا فتات هذا التقاليد الشفوي موجود في ما تُسمى "الحكم الموحاة" Oracles، والتي وجب دراستها على ضوء القبالة واللاهوت المصري القديم. الطلاب يعلمون بأن القبالة يمكن تفسيرها بشكل واضح واستثنائي عبر اللجوء إلى أوراق التاروت Tarot (سوف أنكرها لاحقاً)، مع العلم أن هذه الأخيرة جاءت من أصول مصرية (اللاهوت المصري القديم). لو قدر للتعاليم الكلدانية أن تنتقل بنفس الطريقة (المكتوبة أو المصورة) لما تعرضت إلى التحريف والتشويه الذي تعانيه اليوم.

الأسس التي تركز عليها كامل البنية الهيكلية للقبالة اليهودية هي عبارة عن شرح أو وصف لعشرة قوى إلهية (مقدسة) منبعثة بالتتالي من النور السرمدي، والتي تُعتبر أوصافها وميزاتها المتنوعة مفاتيح رئيسية لكل الخلق. يُقال بأن هذه السلسلة المقدسة التي على شكل ثلاثة "تواليث" للقوة (أي تسعة قوى)، متجسدة جميعاً في المقام

العاشر، تندرج عبر أربعة عوالم تُسمى: "أزِيلوث"، "برياه"، "بِتزيراه"، و"أسياه"، هي امتداد متدرج ابتداءً من الخفي إلى المادي الملموس. هذه الفرضية في جذورها الميتافيزيقية تميل إلى فكرة "وحدة الوجود" (الحولوية) pantheistic، مع أنها بنفس الوقت تنزع إلى فكرة "وجود الله" theistic يدير شؤون العالم عبر وسائط (قوى)، لكن الفكرة النهائية تقول بوجود "كيان" واحد وراء كل الظواهر، وهو الإله الأساسي المطلق، والذي انبعث الكون الملموس من فكرته.

لكن على الجانب الآخر، هذه النظرة القبالية تتطبق تماماً على المنظومة الكلدانية. الجداول التالية توضّح الانسجام والتماثل بين الفلسفة الكلدانية والقبالة اليهودية. سوف نرى كيف أن "العقل الأول" والثالث "المُدرك عقلياً" Intelligible: الأب Pater، الأم Mater (أو قدرة الحمل Potentia) والإنسان، مصنفون في العالم العقلي للنور العلوي. "العقل الأول" يمثّل رمز الذكاء الأولي بصفته كيان قائم بذاته يقبع في "العمق الأبوي" Paternal Depth. هذا يتركز عبر الانعكاس ليتجلى في "العقل الثاني"، وهو ممثّل القوة الإلهية في عالم السماء العليا Empyrean (منطقة النور الصافي)، الممثّل بثالث آخر من القوى الإلهية، والمعروفة بالثالث "المُدرك عقلياً" و"الفكري" Intellectual بنفس الوقت. ثم يأتي "العالم الأثيري" الذي يتضمن "الثالث" ثالث ذو طبيعة فكرية. بينما العالم الرابع هو عالم العناصر المحكوم بواسطة "الهيبيزوكوس" Hypezokos، أو "زهرة الحياة"، وهو الباني الفعلي للعالم.

المخطط الكلداني للعوالم الأربعة

[العالم الأول]

العمق الأبوي	الكيانات المُدركة عقلياً
العقل الأول	عالم النور العلوي
الثالث المُدرك عقلياً	
الأب، الأم (قدرة الحمل)، الإنسان	

[العالم الثاني]

العقل الثاني	
أينجيز Iynges	الكائنات المُدرّكة عقلياً وفكرياً في عالم السماء العليا (منطقة النور الصافي)
سينوشيز Synoches	
تيليترا تشيا Teletarchæ	

[العالم الثالث]

العقل الثالث	
الكوزماغوي Cosmagogi الثلاثة	الكيانات الذكية في العالم الأثيري
مرشدو الذكاء الجامدون	
"الأميليبستي" Amilicti الثلاثة	
الرعود الحقودة	

[العالم الرابع]

"الهببوزوكوس" Hypezokos (زهرة الحياة)	عالم العناصر
أنظمة العناصر الجوهرية والقابلة للوصف بالكلام	"الدمي أورغو" Demiurgos (القوى) النشطة في الكون المادي
الأرض – المادة	

مخطط القبالة للعوالم الأربعة

[العالم الأول]

"أين"	النور اللامحدود المُدرّك عقلياً	عالم "أتزيلوث" Atziluth
"أين صوف"		
"أين صوف أور"		
المتلث النوراني المشعّ		

[العالم الثاني]

كثير (التاج)	عالم "برياه" Briah، القوى الإلهية
"بيناه" (النبينة)	"تسوكما" (الحكمة)

[العالم الثالث]

"جيبوراه" (العزم)	"تسيسيد" (الرحمة)	عالم "يتزراه" Yetzirah (أو التشكل)
"تيبيرات" (الجمال)	"تيتزراخ" (النصر)	
"هود" (المجد)	"يسود" (الأساس)	

[العالم الرابع]

"ملكوت" (المملكة)	عالم "أسايا" Assiah (التجسيد المادي)

الأرض – المادة	

المخطط الكلداني للكائنات

الكائنات الممثلة للتصنيف السابق والتي تدير شؤون الكون:

1	"هيبيرارنشي" Hyperarchii – أسيا الملائكة
2	"أزونوي" Azonœi – الآلهة
3	"زونوي" Zonœi – آلهة الكواكب

[٤] عفاريت/ملائكة علوية

[٥] نفوس البشر

[٦] عناصر/عفاريت سفلية

النارية
الهوائية
الأرضية
لمائية
العفاريت الشريرة — الطبيعة الإلبسية

تمحور اللاهوت الكلداني حول ثلاثة أقسام كبرى من الأشياء العلوية: القسم الأول هو السرمدى، دون بداية أو نهاية، وهو "العمق الأبوي" Paternal Depth، حُضن الإله. القسم الثانى عُرف بأنه ذلك النمط الذي له بداية لكن دون نهاية، هو عالم الخلق أو "عالم السماء العليا" Empyrean. القسم الثالث يمثل آخر رتبة من الأشياء الإلهية، له بداية في الزمن وسوف يزول في النهاية. هذا هو العالم الأثيري المؤقت. عبر هذه العوالم الثلاثة تمتد سبعة دوائر: واحدة في "عالم السماء العليا" (أو متاخمة لها)، وثلاثة دوائر في العالم الأثيري Ethereal، وثلاثة أخرى في عالم العناصر Elementary، بينما في الوقت نفسه، كامل العالم المادي (وهو العالم الرابع) مؤلف من هذه العوالم السابقة. وجب عدم خلط هذه الدوائر السبعة مع الكواكب المادية السبعة (النظام الشمسي)، مع أن هذه الأخيرة هي ممثّلات مادية لتلك الدوائر، والتي يمكن اعتبارها مادية وفق المفهوم الميتافيزيقي فحسب.

خلال النظر في هذا المخطط للتجلّي الإلهي، وجب تذكّر أن "النور العلوي" supramundane Light (التجاوزي أو فوق المادي) كان يُعتبر الانبعاث الأول من "العمق الأبوي" والرمز العقلي للعالم العلوي حسب ما يستطيع عقل الإنسان استيعابه، فهو الجوهر الكوني النهائي، كليّ الوجود. كما أن "عالم السماء العليا" هو أكثر كثافة من العالم الأول، لكنه يبقى مصدر خفي للخلق. والانبعاث الثالث يمثل بدوره الرمز العقلي للعالم الأثيري (عالم التشكيل)، وكذلك الانبعاث الرابع يمثل الرمز العقلي لعالم

العناصر (المادي). عبر هذه الوسائط المترجّعة، تتجلى تصورات "العقل الأبوي" أخيراً في الزمان والمكان.

بطريقة ما، يبدو أن العقلية الشرقية لم تتغيّر كثيراً عن ما كان سائداً منذ آلاف السنين، حيث ما نعتبره اليوم خيالي وغريب في التقاليد الشرقية (الهند والصين مثلاً) لازالت تجد صدى في قلوب وعقول شريحة كبيرة من البشرية. لازال عدد كبير من المفكرين والعلماء العصريين يؤيدون معتقدات مشابهة، لكن ليست متطابقة تماماً، للمفاهيم الكلدانية القديمة. حيث معظمهم أصبح يسلم بحقيقة أن آلية القوانين الطبيعية في الكون تُدار من قبل قوّة خفية واعية تتصف بالذكاء المبدع. لقد تقدمت الفلسفات القديمة خطوة إلى الأمام من خلال اعتبار هذه القوى الكونية بأنها تمثّل كيانات عاقلة (آلهة) تسكن الكون الماورئي، وكل منها متخصص بجانب معين من الكون المتجلي. وبالتالي، التاريخ يعيد نفسه، حيث القديم والجديد يعكسان معاً حقيقة واحدة لكنها متعدد الأشكال.

انتهى الاقتباس

شجرة الحياة الآشورية

وحضارات ما بين النهرين بشكل عام



شجرة الحياة الآشورية

يبدو أن هناك المزيد من الحقائق المذهلة بخصوص تعاليم القبالة والبيتريس التي ساعدنا الباحث "جاكلوا" على اكتشاف التطابق الواضح فيما بينها. وكذلك التشابه الذي لاحظته الباحث الثيوسوفي "و. واين وسكوت" بين التعاليم الكلدانية والقبالة. لكن المعلومات الإضافية جاءت هذه المرة على يد الأستاذ "سيمو باربول" Simo Parpola، وهو باحث من جامعة "هلسينكي" Helsinki في فنلندا. بعد إجراء أبحاث تتناول الثقافة الآشورية تبيّن بشكل واضح وجود تشابه كبير، إلى حد التطابق، بين تعاليم القبالة وعلم اللاهوت والتصوّف الآشوري (السومري، الأكادي، والبابلي عموماً). بعد إجراء دراسة معمّقة لكل من "السيفيروت" (شجرة الحياة القبالية)

والمقامات التي تشملها شجرة الحياة الآشورية، استطاع أن يعيد صياغة الشجرة الآشورية عبر ترتيب الآلهة الآشورية على المقامات بشكل يجعلها متطابقة مع المقامات التي تحتلها الملائكة في الشجرة القبالية.

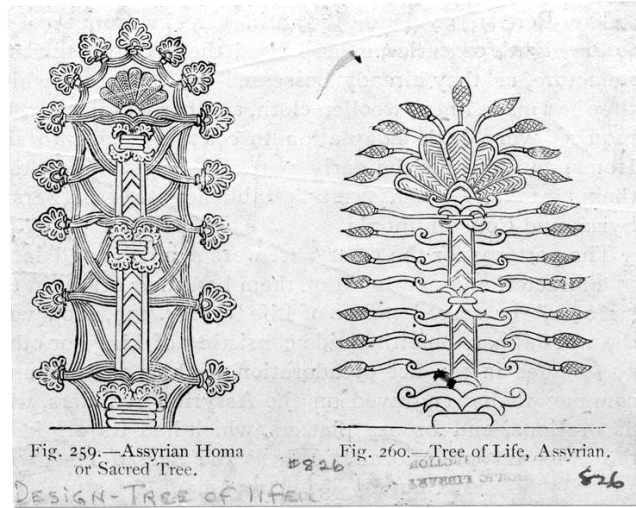
قام بإجراء مقارنة بين خصائص "أين صوف" Ein Sof وطريقة توزيع قواه على مقامات السيفيروت للشجرة القبالية، مع خصائص الإله "أشور" Assur وقواه المختلفة، فتمكن بعدها الدكتور "باريولا" من اكتشاف تطابق كبير، ليس في مقامات الشجرة فحسب، بل في النصوص المكتوبة أيضاً لكل من التعليمين. حتى أن الآشوريون نسبوا أرقام معينة لآلهتهم بنفس الطريقة التي اتبعها القباليون لملائكتهم. لكن الفرق هو أن الآشوريين استخدموا نظام عددي ستوني (مبني على العدد ٦٠)، بينما القباليون استخدموا النظام العددي العشري. وبفضل هذه الأرقام الآشورية، يمكن إلقاء ضوء جديد على "السيفيروت" القبالية واكتشاف المزيد من معانيها الصوفية الباطنية.



غالباً ما يُصوّر الإله "أشور" (الموازي لـ"أين صوف" في القبالية) وهو مخلّق فوق الشجرة المقدسة الآشورية.

كانت فكرة "شجرة الحياة" منتشرة جداً لدى الآشوريين لدرجة أن الفنانين لديهم لم يكلّوا من رسمها في كل مكان وبأشكال وهيئات مختلفة، ولهذا السبب نلاحظ أن كل شجرة تختلف عن الأخرى من حيث الشكل وعدد الأغصان (مقامات الآلهة)، وبالتالي أصبحت رمزية أكثر من كونها تمثّل الهيكل الفعلي للتعاليم الباطنية.

تشير المخطوطات إلى شجرة الحياة الآشورية بأنها تمثّل "المعرفة الإلهية" أو الحكمة القديمة. "إنها الطريق الذي يحوّل الفرد إلى إنسان كامل..". جميع الأفكار المتناولة لهذه الشجرة تشير إلى أنها تمثّل الجسر الواصل بين العالم الدنيوي والإله الأعلى في السماوات. إنها السلم الذي يجب تسلقه عبر حياة الزهد والتتسك. إنها الأداة التي تمكّن الفرد من الحوزة على المعرفة والقوى الإلهية. هذه الشجرة تمثّل بشكل عام طبيعة القوى وراء عملية الخلق في كل المستويات، من العوالم الصغرى حتى العوالم الكبرى. هذه الأوصاف هي ذاتها التي نسبت لشجرة القبالة.



شجرة الحياة الآشورية، والشجرة الآشورية المقدسة. كلاهما تمثّل نفس الفكرة. رسمها الفنانون في كل مكان وبأشكال وهيئات مختلفة، ولهذا السبب اختلفت كل شجرة عن الأخرى من حيث الشكل وعدد مقامات الآلهة، فأصبحت رمزية أكثر من كونها تمثّل الهيكل الفعلي للتعاليم الباطنية

الأمر المشابه أيضاً بخصوص التعاليم الباطنية الآشورية هو أنها تُعتبر "أسرار مقدسة" محروسة بعناية فائقة، ومُقتصرة على مجموعة قليلة من الأعضاء المنتسبين. إن استخدام مصطلحات مثل *mūdû mūdâ likallim lā mūdû aj īmur* أي "دع المتعلمون يعلمون المتعلمون، فالجهلة يعجزون عن الرؤية.."، والعبارة *pirištu ša ilāni rabûti*، أي "سر الآلهة العظماء.."، يشبه تماماً الأفكار التي يستخدمها القبليون خلال الحديث عن تعاليمهم السريّة. فمثلاً، فقط الرجال المتزوجون والذين بلغوا سن الأربعين من عمرهم، يستطيعون الاطلاع على التعاليم.

تتألف الشجرة الآشورية من تسعة مقامات تمثل تسعة آلهة عظماء. أما المقام العاشر الموازي لمقام "ملكوت" القبالي (المملكة الدنيوية)، فيمثل الملك الدنيوي للبلاد الذي يحكم باسم الآلهة. جميع هؤلاء الآلهة يمثلون قوى "آشور" العظيمة. "آشور"، إله السماوات الذي خلق نفسه والكون، يتعذر رؤيته لكنه موجود. "آشور" هو مصدر كل القوى الإلهية. لا يمكن إدراك "آشور" مباشرة، لا من قبل البشر ولا حتى الآلهة، الذين هم خليقته أصلاً. لا يمكن استيعاب طبيعته بشكل كامل، لكن "آشور" هو مجموع الآلهة قاطبةً.



"آشور" محاطاً باللهب المتوهج لشعاره المميّز

إن تهجئة "آش" *as* في اسم "آشور" يمكن تفسيرها ليس فقط بمعنى "الإله الأوحد"، بل أيضاً بمعنى "الله واحد"، وكذلك "الإله المحبوب" (أي أرفع من مستوى الإدراك البشري). القرص المجنح، الذي يرمز للشمس، يمثّل "آشور" ويعتبره كمحيط لا محدود من النور الغامر للعالم الخفي وباعثاً سطوعه في أعماقه.

مقارنة بين المقامات الآشورية والقبالية في شجرة الحياة

١- مقام "أنو" Anu، رمز إلى السلطة، يتوافق مع مقام "كيثر" Kether من حيث المواصفات والأهمية، والذي يمثّل سفירות التاج في شجرة القبالة.

٢- مقام "إيا" Ea، رمز الحكمة والمعرفة، يتوافق مع مقام "تشوكمه" Chokmah، الذي يمثّل سفירות الحكمة في شجرة القبالة.

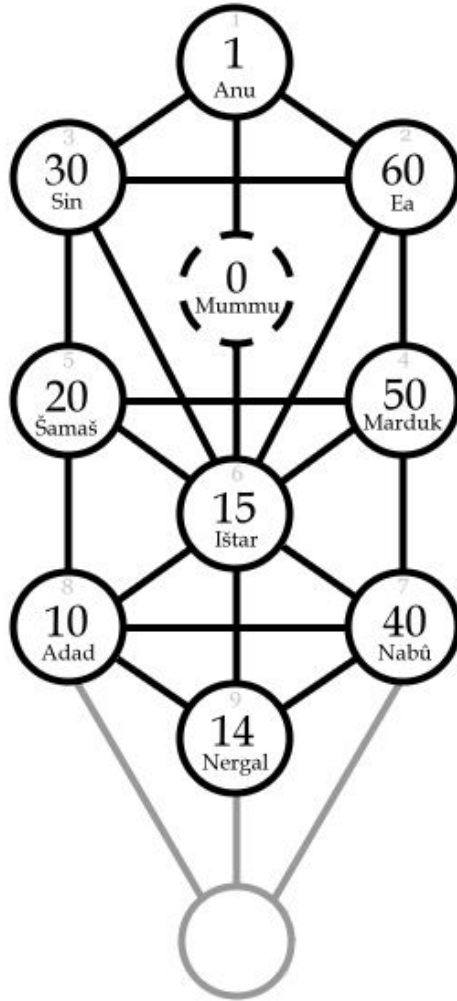
٣- مقام "سين" Sin، رمز الصفاوة والتعقل، يتوافق مع مقام "بيناه" Binah، الذي يمثّل سفירות النيئة في شجرة القبالة.

٤- مقام "ماردوك" Marduk، رمز الرحمة والإبداع، يتوافق مع مقام "تشييسيد" Chesed، الذي يمثّل سفירות الرحمة في شجرة القبالة.

٥- مقام "شاماش" Samas، رمز العدل والاستقامة، يتوافق مع المقام الخامس "جيبوراه" Geburah، الذي يمثّل سفירות العزم في شجرة القبالة.

٦- مقام "عشتار" Istar، رمز الحب والجمال، يتوافق مع مقام "تيفاريث" Tiphareth، الذي يمثّل سفירות الجمال في شجرة القبالة.

٧- مقام "نابو" Nabu أو "نينورتا" Ninorta، رمز النصر، يتوافق مع مقام "تيتزاه" Netzah، الذي يمثّل سفירות النصر في شجرة القبالة.



شجرة الحياة الآشورية

قوى "آشور" التسعة (الآلهة العظماء)، وكل من هذه القوى لها اسمها، رقمها، ووظيفتها الخاصة.

٨- "آداد" Adad، رمز المجد، يتوافق مع مقام "هود" Hod، الذي يمثّل سفירות المجد في شجرة القبالة.

٩- "نيرغال" Nergal، رمز الدمار والقوة الجنسية، يتوافق مع المقام "ياسود" Yesod، الذي يمثّل سفירות الأساس في شجرة القبالة.

١٠- يحتلّ هذا المقام الملك الدنيوي للبلاد، والذي يحكم باسم الآلهة (حيث كان الملوك يُعتبرون أولاد "آشور" وتجسيّدات أرضية لإرادته)، ويتوافق مع مقام "ملكوث" Malkuth، الذي يمثّل سفירות المملكة في شجرة القبالة.

بناء على ما سبق، يمكن صياغة شجرة الحياة الآشورية بحيث تتألف من تسعة مقامات إلهية، ويُلاحظ بأن المقام العاشر، وهو التجسيد الأرضي للآلهة، غير موجود. أما المقام "مومو" (المحاط بدائرة منقّطة) فيتوافق تماماً مع مقام "داث" Daath المزيف في شجرة القبالة وبالتالي ورقمه صفر في نظام الأعداد (سوف أشرح الأمر لاحقاً).

الأصول السومرية

لقد مارس السومريون تبادل ثقافي ولغوي مستمر مع الشعوب الأكادية شمال بلاد النهرين، وذلك على مدى أجيال طويلة قبل إخضاع مناطقهم من قبل "سارغون الأكادي" (٢٣٤٠ ق.م). لقد تم إدخال الأساطير والممارسة الدينية السومرية بسرعة إلى الثقافة الأكادية، ويُفترض بأنها اندمجت أولاً مع معتقدات أكادية أصلية والتي بدورها تلاشت تماماً عبر التاريخ. لقد كانت الآلهة الأكادية نظائر مطابقة للآلهة السومرية، وحتى أن بعضها بقي هو ذاته حتى مجيء الحكم البابلي والأشوري. فمثلاً، الإله السومري "آن" An هو أساس الإله الأكادي "أنو" Anu، بينما الإله السومري "أنكي" Enki، فقد أصبح لاحقاً "إيا" Ea. والآلهة السومرية "نينورتا" Ninurta و"أنليل" Enlil، فقد بقيا ذاتهما في بانتيون الآلهة الأكادية.

الآلهة السومرية هي: [١] "آن" An (قبة السماء)، [٢] "أنليل" Enli (إله الهواء)، [٣] "أنكي" Enki (إله الماء الصافية، الخصوبة الذكورية، المعرفة)، [٤] "ينانا" Inanna (آلهة الحب الجنسي، الخصوبة الأنثوية، والحرب)، [٥] "كي" Ki (آلهة الأرض)، [٦] "نانا" Nanna (إله القمر)، [٧] "نينغال" Ningal (زوجة نانا)، [٨] "نينليل" Ninlil (آلهة الهواء وزوجة إنليل)، [٩] "نينورتا" Ninurta (إله الحرب، الزراعة، أحد آلهة الرياح السومرية)، [١٠] "أوتو" Utu (إله الشمس).

البابليون

في القرن السابع عشر ق.م، سيطر البابليون العاموريون Amorite على جنوبي بلاد النهرين. خلال الحقبة البابلية القديمة، كانت اللغات السومرية والأكادية لازالت تُستخدم لغايات دينية. معظم الأساطير السومرية المعروفة اليوم لدى المؤرخين جاءت من الحقبة البابلية القديمة، إما على شكل نصوص سومرية منسوخة (الأكثرها وضوحاً هي النسخة البابلية لملمحة جلجامش)، أو على شكل تأثيرات سومرية وأكادية واضحة في الأساطير البابلية. تم استبدال بانتيون الآلهة السومرية/الأكادية، حيث تم تقديم إله

أعلى جديد: "ماردوك" Marduk. كما أن الآلهة السومرية "إينانا" تطوّرت إلى نظيرتها المعروفة باسم "عشتار" Ishtar خلال الحقبة البابلية القديمة.

الحرانيون والحثيون

تبنى الحرانيون الإله الأكادي "أنو" وأدخلوه إلى بانتيون آلهتهم، وذلك حوالي العام ١٢٠٠ ق.م. أما الآلهة الأكادية الأخرى التي أُدخلت إلى البانتيون الحراني فهي "آياس" Ayas (النظير الحراني للإله "إيا" Ea)، "شاوشكا" Shaushka (النظيرة الحرانية للآلهة "عشتار")، و"إنليل" Ninlil الذي نشر البابليون أسطورهته بشكل واسع.



تم تصوير شجرة الحياة في الكثير من الأختام واللوحات السومرية والأكادية

يبدو أن هذا المفهوم كان سائداً في كافة الحضارات الأخرى في المنطقة، الأكادية، البابلية، الكلدانية، والسومرية. ملحمة "جلجامش" هي إحدى القصص الرمزية المتمحورة حول فكرة الخلود، وبكل تأكيد، لها علاقة مباشرة بهذه الشجرة.

تماثل في أحداث الأساطير

بعض الروايات في الديانة السومرية تبدو متشابهة مع الروايات الواردة في نصوص الأديان الشرق أوسطية الأخرى، المنقرضة منها وتلك التي لازالت قائمة حتى اليوم. فمثلاً، قصة "طوفان نوح" التي تتحدث عنها الديانات السماوية تتشابه في بعض مظاهرها لأسطورة الطوفان السومرية. العالم السفلي اليهودي Sheol (عالم الأموات، أو الجحيم) هو متشابه تماماً لوصف عالم "كيغال" Kigal السومري والبابلي. وقد

لاحظ الكثير من الباحثين المتخصصين في التقاليد السومرية، مثل البروفيسور "سامويل نواه كرامر" Samuel Noah Kramer، وجود تشابهات بين الأمثال السومرية والأكادية، مع تلك التي وردت لاحقاً في النصوص اليهودية، ومعظمها وارد أيضاً في "سفر الأمثال" في الإنجيل.

العهد القديم (التوراة) بمعظمه هو عبارة عن مجموعة روايات منقولة من روايات سابقة أكثر قدماً، ويبدو واضحاً بأن السيناريو العام الذي يصوره كل من سفر التكوين Genesis وسفر الخروج Exodus في العهد القديم هو منقول عن روايات سومرية قديمة. هذا مع الأخذ بعين الاعتبار الأخطاء الفادحة التي اقتُرِفَت خلال الترجمة والتفسير، وبالإضافة إلى عمليات التحريف المقصودة وغيرها من أمور سوف نتعرف على عينات منها في الفقرة التالية. لكن بشكل عام، أصبح من الواضح جداً أن الأساس هو سومر القديمة.

تحدث اللوائح السومرية عن "آدين" E.DIN (وبعني: مقرّ الصالحين). السومريون تكلموا عن "أدين" Edin، بينما التوراة تكلمت عن "عدن" Eden. وإذا أردنا الأخذ بالرواية الأساسية (أي السومرية)، فهذا يعني أننا نتكلم عن مكان تركز الآلهة. أما عبارة "جنة عدن"، فجاءت من كلمة مركبة لفظها الأصلي هو: "جا.آن. أدين"، ومعناها هو أن سيد الآلهة "آن" An (أو "أنو" Anu عند الأكاديين) يقبع في "مكان تركز الآلهة" ("أدين" Edin).

تحدثت النصوص السومرية عن قصة الملك "سارغون الأكبر" وكيف وجدوه وهو طفل صغير موضوع في سلة تطوف وحدها في النهر وانتشل على يد عائلة ملكية قامت بتربيته. بينما التوراة تحدثت عن نفس القصة لكن الاسم يختلف، حيث الطفل كان النبي موسى عليه السلام، والذي نشأ بين أسرة ملكية مصرية.

المصدر الأساسي

جميع الأحداث التي تكلمت عنها أساطير الأمم المختلفة حول العالم هي متشابهة من حيث السيناريو العام، رغم اختلاف التسميات وبعض التفاصيل الثانوية. قد تمثل روايات تاريخية لأحداث حقيقية، لكنها تبقى قصص رمزية تخفي داخلها معلومات باطنية أكثر عمقاً من مجرد أحداث واقعية. أما بخصوص النصوص اليهودية، ورغم نجاح الباحثون في إيجاد متطابقات سومرية وبابلية لها، إلا أنها تبقى محافظة في مظهرها العام على ما يجزم بأصولها المصرية! كيف يمكن لهذا أن يحصل؟

لا أريد أن أكرر عملية المقارنات بين النصوص (التي هي عديدة)، لكن لضرورة الأمر، أعتقد أن مقارنة واحدة تكفي لتوضيح المسألة. سوف نستعين بجدول واحد مُقتبس من الفصل العاشر من كتاب "التاريخ الدوري للعالم" A Cyclical History of the World، لمؤلفه الباحث "ستيفن. إي. فرانكلين" Stephen E. Franklin حيث تم المقارنة بين الشخصية التاريخية المصرية "مينز" Menes (الملك "مينوس" الذي وحد مصر بعد الطوفان العظيم)، وقصة نوح في النصوص اليهودية. يؤكد الكاتب بأن كافة القصص الأشورية/البابلية/السومرية التي تحدثت عن الطوفان العظيم تعود بأقصى الحدود إلى حوالي ٢٠٠٠ ق.م، أي بعد غزو الملك "سارغون" Sargon لمصر بثلاثة قرون، ويمكن أن يكون الطوفان التاريخي قد حدث قبل ذلك بستمئة عام. الجدول التالي يبيّن التشابه بين الروايتين:

التاريخ المصري	النصوص اليهودية
١- "مينز" هو الذي حكم أول الرجال.	١- "نوح" (اسمه بالعبرية "مني") الذي أصبح الحاكم الطبيعي للبشرية بعد الطوفان.
٢- في زمن "مينز" كانت مصر بالكامل مجرد مستنقع مائي ما عدا مقاطعة واحدة هي "طيبة" Thebes، أي بمعنى آخر، كانت البلاد مغمورة كلياً بالماء.	٢- في زمن "نوح"، ليس فقط مصر، بل الأرض بكاملها كانت مغمورة بفعل الطوفان، و فقط ولاية "طيبة" Thebes لم تكن كذلك، حيث مالت السفينة التي نجت من الطوفان. كلمة "طيب" THBE أو "طيباه" THEBAH تُستخدم في النصوص العبرية للإشارة إلى "سفينة".

٣- سكان "طيبة" سمو أنفسهم أقدم الرجال.	٣- احتوت "طيب" أو "طيباه" (سفينة نوح) أبناء كل الرجال، وبالتالي هم أقدم الرجال، حيث تكاثرت البشرية من جديد بعد الطوفان.
٤- في "طيبة" تم بناء سفينة عظيمة، يبلغ طولها حوالي ٣٠٠ ذراع.	٤- كان طول "طيب" أو "طيباه" (سفينة نوح) يبلغ ٣٠٠ ذراع.
٥- ذكر "هيرودوتوس" Herodotus (المورخ الإغريقي) بأن حمامتان طارتا من "طيبة" إلى مناطق مختلفة.	٥- طير "نوح" الحمامة مرتين من سفينته ليتأكد من جفاف الأرض قبل خروجه.
٦- بعد المصريين، تشكلت الحيوانات أولاً في أرض "طيبة".	٦- تقول النصوص العبرية بأن كل الحيوانات كانت مجموعة في السفينة، ومع خروجها من "طيب" أو "طيباه" (سفينة نوح)، تكون قد خرجت من "طيبة" فعلاً.
٧- علم "مينز" الناس كيف يمجّدوا الآلهة وتقديم الأضاحي لها.	٧- بعد خروج نوح من السفينة، أقام مذبحاً للإله وقدم القرابين المحروقة.
٨- كان "مينز" أول من قدم رفاهية المائدة.	٨- بعد الطوفان، سمح نوح بأكل اللحم.
٩- تباهى سكان "طيبة" بأنهم أول من عرف الكرمة (العنب).	٩- بعد الخروج من السفينة ("طيب" أو "طيباه") كان نوح أول من زرع الكرمة.

يضيف الكاتب قائلاً في مكان آخر من الفصل ذاته: ". في القرن التاسع عشر تم محاولة تفسير عناصر معيّنة وردت في الإنجيل عبر مقارنتها مع نظريات واضحة لها في منظومة الأساطير البابلية المكتشفة حديثاً في حينها. لكن لسوء حظ أولئك الباحثون، وكما رأينا للتو، الطوفان الذي وصفته النصوص البابلية عُرف أيضاً في مصر، أي قبل البابليين بقرون.."

وفي مكان آخر من ذات الفصل أيضاً: ". رغم محاولة بعض المفكرين تفسير هذه الأساطير العالمية على أنها "رموز فكرية نفسية" تكمن في خفايا النفس، إلا أن هناك سبب يجعلنا نجزم بحقيقة أن هذه الأساطير المذكورة في معتقدات الشعوب المختلفة انحدرت من ديانة واحدة تمثل الأصل، مما يؤدي إلى استنتاج حقيقة وجود أساس تاريخي لهذه المسألة... ربما حصل ذلك في أحد العصور الغابرة حيث برزت منظومة دينية عالمية تزامنت مع ازدهار سلطة سياسية عالمية، امبراطورية هائلة. لكن على أي حال، فإن الدلائل التي تشير إلى هكذا حقيقة هي قليلة جداً.."

لماذا استُبعدت الأصول المصرية من ساحة البحث؟

في الفصل الأول من الكتاب نفسه، (وعنوان هذا الفصل "ترتيب التواريخ اليهودية، المصرية، والأشورية" Alignment of Hebrew Egyptian, and Assyrian Chronologies) كتب المؤلف يقول: هناك مشكلتان أساسيتان في محاولة تنسيق التواريخ اليهودية مع المصرية، وكذلك مع تلك العائدة لطيف واسع من الحضارات الأخرى. المشكلة الأولى تتمثل في أنه لا يوجد أي تاريخ مصري كامل متكامل لنجري معه مقارنة. هناك لوائح عديدة، لكنها ناقصة، من أسماء ملوك، ومُعظمها مُشتقّ من كتابات "مانيثو" Manetho (كاهن مصري عاش في القرن الثالث ق.م) الذي دوّنها في عصر "بطليموس"، أو الحقبة "الهيلينية"، ثم انحدرت إلينا بهذه الصيغة. كما هناك نصب وتمائيل وأوراق بُردى سُجّل عليها مآثر أحد الفراعنة أو العديد منهم، مع غياب الإشارة إلى السياقات التي مورست وفقها هذه المآثر. أما المشكلة الثانية، فهي على الجانب اليهودي، وتتمثل بالمزاعم الواردة في النصوص التي تفترض تفاصيل تاريخية صحيحة حيث عاش الناس بين المائة والتمتلي عام وغيرها من دلالات تجبرنا على إخضاعها للفحص والتساؤل حول طبيعتها العجائبية.

كما أن هناك مشاكل كثيرة أخرى في النصوص اليهودية التي تزعم تأريخها الصحيح للأحداث التاريخية. أكثرها وضوحاً هي أنه بالرغم من الإشارة المتكررة إلى "فرعون" Pharaoh، إلا أنه نادراً ما يُذكر اسمه (أو اسمهم). يمكن تفسير ذلك بناء على الحقيقة التي ذكرها الكاتب "أدولف إيرمان" Adolf Erman في كتابه "الحياة في مصر القديمة" Life in Ancient Egypt، حيث: "تجنّب المصريون استخدام اسم الملك الحاكم... أو القصر، بيت الملك، الصالة المزدوجة العظمى، وفوق ذلك كله، "البيت العظيم" (بيرو) (pero)... وهذا الاسم الأخير استخدم خطأً وبشكل واسع لدى اليهود والأشوريون بصفته الاسم الفعلي للملك المصري.."

أي كلمة "فرعون" جاءت من كلمة "فيرو" اليهودية/الأشورية التي معناها المصري هو "البيت العظيم" (بيرو) أو بيت الملك.

ولا حتى أن المواقع الموصوفة في النصوص اليهودية تمثل المواقع الفعلية المعروفة لدينا من النصوص والسجلات المصرية. يبدو الأمر وكأن سلسلتان مختلفتان من الأحداث المتطابقة حصلت في عالمين مختلفين تماماً. وبالرغم من الإشارة إلى أعداد كبيرة من الناس، قبائل بكاملها أحياناً، إلا أن القصص الرئيسية تمحورت حول عدد محدود جداً من الأفراد، وأعمار هؤلاء الأفراد، لو لم تُمدد سنواتها (تبلغ قرون أحياناً)، سوف يبدو واضحاً أن تلك القصص تغطي مدة زمنية قصيرة.

انتهى الاقتباس

الديانة المصرية القديمة

فكرة عامة

كانت الديانة المصرية القديمة عبارة عن منظومة معقدة من المعتقدات والشعائر التي مثّلت جزءاً مهماً من حياة المجتمع المصري القديم. تمحورت حول التفاعل المصري مع مجموعة متنوعة من الآلهة التي اعتُقد بأنها حاضرة في، وتتحكم بـ، قوى الطبيعة وعناصرها. أما الأساطير التي تحدثت عن هذه الآلهة فالغاية منها هي تفسير أصول وسلوك تلك القوى التي تمثّلها. والممارسات الدينية المصرية كانت عبارة عن جهود تسعى إلى تقديم العطايا لتلك الآلهة بهدف نيل رضاها.

بعض الممارسات الدينية التي سادت في إحدى الحقب كانت تتمحور حول الملك المصري (الفرعون). بالرغم أنه كان إنساناً عادياً، اعتُقد بأن الفرعون ينحدر من سلالة الآلهة. كان يتصرف بصفته الوسيط الشرعي بين شعبه والآلهة، وكان ملزماً شرعاً وقانوناً بأن يستجدي بقاء هذه الآلهة عبر إجراء الطقوس الخاصة وتقديم العطايا لكي يستمروا في المحافظة على توازن النظام الكوني. فبالتالي، خصصت الدولة مصادر تمويل هائلة لإجراء هذه الطقوس وإقامة المعابد المناسبة لها. حتى الأفراد العاديون يستطيعون التفاعل مع الآلهة لغاياتهم الخاصة، فيستجدون مساعدتها عبر الصلوات أو استحضارها عبر الطقوس السحرية. هذه الممارسات الشعبية كانت تختلف عن الشعائر الدينية التي تجري في المعابد الحكومية، مع وجود رابط بينهما بطريقة ما. لقد تنامي هذا التقليد الديني النافذ ليشهد ازدهاراً واسعاً خلال تاريخ مصر الطويل لدرجة أنه زاد من نفوذ الكهنة بحيث طغى في النهاية على سلطة الفرعون.

هذه الممارسة الدينية التي انخرط بها المصريون تعود أصولها إلى ما قبل الحضارة المصرية التي نعرفها، وبقيت قائمة طوال ٣,٠٠٠ سنة دون انقطاع. لكن هذا لم يمنع حصول تغييرات في تفاصيل معتقداتها عبر الزمن، حيث شهدت بعض الفترات تفوق أهمية آلهة معينة على حساب أخرى، لكنها ما تلبث أن تتلاشى لتبرز مكانها آلهة

جديدة تجذب اهتمام أكبر. حتى أن العلاقة المعقدة التي تربط الآلهة ببعضها كانت تتغير بشكل جذري. هذه التغييرات لم توفر حتى أعظم الآلهة المصرية مثل إله الشمس "رع" Ra، وإله الخلق "أمون" Amun، والآلهة الأم "إيزيس" Isis. وحتى هناك فترة، لكنها قصيرة جداً، وفق اللاهوت الشاذ (بالنسبة للمنطق السائد في حينها) الذي فرضه الملك "أخناتون" Akhenaten، تم تعيين إله واحد فقط بدلاً من بانتيون الآلهة التقليدي، وكان اسمه "أتن" Aten، لكن المنظومة الدينية عادت إلى صيغتها السابقة بعد موت أخناتون مباشرة. رغم كل ما تعرّضت له من تحريف وإعادة صياغة، بقيت هذه المنظومة الدينية التقليدية صامدة، حتى خلال الفترات العصبية التي خضعت فيها مصر للاحتلال الأجنبي، واستمر الحال كذلك إلى أن جاءت المسيحية أخيراً في القرون الأولى للميلاد مما أدى إلى بداية نهاية هذا التقليد الديني للأبد. خلفت هذه المنظومة الدينية العديد من الكتابات والصورح الدينية، كما أنها تركت تأثير هائل ونافذ على ثقافات العالم، القديمة والعصرية.

اعتقد المصريون بأن ظواهر الطبيعة المختلفة هي عبارة عن قوى إلهية. تشمل هذه القوى الإلهية العناصر، خواص حيوانية، أو قوى مجردة. آمن المصريون بـ"بانتيون الآلهة" pantheon (مجموعة كاملة من الآلهة متعددة الوظائف)، وكل منها كان مُخصّص لمظهر معين من مظاهر الطبيعة والمجتمع البشري. تمثّلت ممارستهم الدينية باسترضاء هذه القوى الطبيعية ومحاولة توجيهها إلى المصلحة الإنسانية. هذه المنظومة الدينية "المشركة" (الإيمان بعدة آلهة) كانت معقدة جداً، حيث كُلفت بعض الآلهة بمهام متعددة ومتداخلة مع آلهة أخرى، وبالتالي تعددت تجلياتها ولعبت أدوار متنوعة (ومتناقضة أحياناً) في الأساطير المختلفة. بشكل شاذ ومعاكس للمنطق، كانت قوى الطبيعة، مثل الشمس، ترتبط بعدد من الآلهة بدلاً من إله واحد. كان البانتيون يتغير على الدوام (حسب السلطة الكهنوتية المسيطرة)، حيث أحياناً يتراوح بين آلهة عظيمة تلعب أدوار حيوية في الكون وبين آلهة صغيرة أو حتى عفاريت موكلّة بمهام وأدوار تافهة. هذه الحالة تشمل أيضاً عملية تبني آلهة من ثقافات غريبة، وأحياناً ينصبون أحد الملوك (الفراعنة) الأموات كإله. كانوا يعتقدون بأن الفراعنة الأموات هم مقدسون، وأحياناً حتى العاميين المميّزين (مثل "أمنحوتب") كانوا يُألّهون. (كما ذكرت

سابقاً، تعتمد حالة الجنون الاعتقادي على نوعية السلطة الكهنتية المسيطرة. لقد صنعت هذه الشريحة الكهنتية الإبليسية حالة من الفوضى العقائدية المظلمة طوال فترة سيطرتهم على شؤون البلاد).

الصيغة التي تم خلالها تصوير الآلهة في الفنون المصرية لم تمثل الهيئة الحقيقية للآلهة إذا تجسّد فعلاً في العالم المادي، حيث كانت الطبيعة الحقيقية للآلهة غامضة حسب المعتقد العام. بدلاً من ذلك، هذه التصويرات هي أشكال رمزية تهدف أولاً إلى سهولة التمييز بين هذه الآلهة ذات الطبيعة المجردة أصلاً. وثانياً، كانت الأشكال الرمزية تعبّر عن الدور الذي يلعبه الإله في الطبيعة. لكن على أي حال، معظم الأيقونات التي مثلت هذه الآلهة لم تكن ثابتة على إله واحد، حيث تبدلت أكثر من مرّة عبر الحقب التاريخية المتلاحقة.



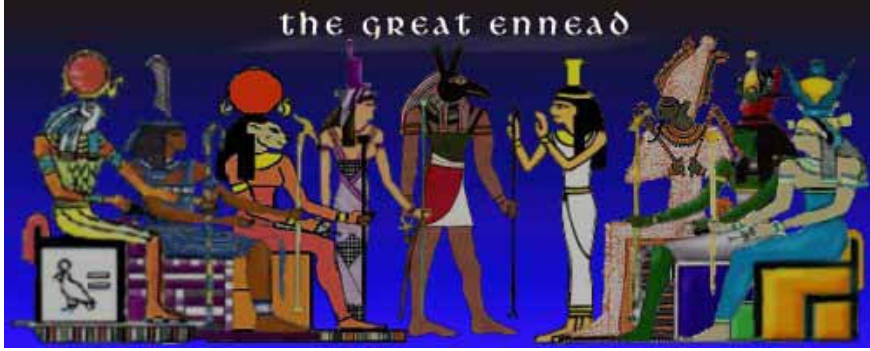
صورت الآلهة المصرية الرئيسية على شكل بشر وبعضها اتخذ أحياناً شكل حيوانات. من اليسار: [١] حورس Horus، [٢] شط Set، [٣] ثوث Thoth، [٤] خنوم Khnum، [٥] هاتور من اليسار: [٦] سوبك Sobek، [٧] رع Ra، [٨] أمون Amon، [٩] بتاه Ptah، [١٠] أنوبيس Anubis، [١١] أوزيريس Osiris، [١٢] إيزيس Isis.

لاحظ كيف أن كل الآلهة في الصورة (باستثناء أوزيريس) تحمل بأيديها الـ"أنخ" Ankh (الصليب المصري القديم) وبعضها يحمل عصا الـ"واز" Was. تذكر هذه الملاحظة جيداً لأننا سنتناولها لاحقاً في فصول قادمة.

لدى الآلهة المصرية علاقات معقدة فيما بينها، وهذا يعكس جزئياً تفاعل القوى الطبيعية التي تمثلها. غالباً ما كان المصريون يوحّدون الآلهة في مجموعات لكي تعكس العلاقة التفاعلية بين القوى في الطبيعة. بعض مجموعات الآلهة كان يشمل عدد كبير منهم، وكانت تتقارب فيما بينها من ناحية تشابه الوظيفة. كانت المجموعات

تحتوي غالباً على آلهة صُغرى ذات هوية فردية. بينما مجموعات أخرى كانت تضم آلهة مستقلة عن بعضها لكنها ترتبط ببعضها من حيث المعنى الرمزي لرقمها السحري الذي كان مُقدر جداً في الميثولوجيا المصرية. كما أنهم كانوا يجمعون زوجين من الآلهة بصيغة ذكر/أنثى بحيث تمثلان قطبيتين متعاكستين للظاهرة ذاتها (سلبى أو إيجابى). أكثر المجموعات شيوعاً هي تلك التي تشمل ثلاثي عائلي يتألف من "الأب"، "الأم"، و"الإبن" الذين كانوا يُعبدون معاً.

بعض المجموعات كانت ذات أهمية واسعة المدى. أحدها هي تلك المعروفة بـ"الإنبياد" Ennead، أو "مجلس التسعة" (معبد هيليوبوليس) وتتألف من تسعة آلهة تتمحور حولها منظومة لاهوتية تشمل مجموعة أساطير تتناول موضوع الخلق، الملكية المقدسة، والحياة ما بعد الموت (سوف أتناولها بالتفصيل لاحقاً).



مجلس التسعة، المعروف بـ"الإنبياد" Ennead

كما هناك مجموعة "الأوغدود" Ogdoad، وتتألف من ثمانية آلهة (معبد هيرموبوليس) تتمحور حولها منظومة لاهوتية تتناول صيغة مختلفة لأسطورة الخلق. تصور آلهة "الأوغدود" بهيئات بشرية لكن برؤوس حيوانات، أو يُرمز لها عموماً على شكل ضفادع (ذكور) وأفاعي (إناث). هي مرتبة بأربعة أزواج مؤلفة من ذكر وأنثى. تمركزت عبادتها في مدينة "هيرموبوليس" Hermopolis (محافظة المنية).



مجموعة "الأوغدود" Ogdoad، وتتألف من ثمانية آلهة تتخذ رؤوسها شكل الحيوانات غالباً ما تُصوّر بهيئة ضفادع (نكور) وأفاعي (أناث).

يمكن التعبير عن العلاقة القائمة بين الآلهة عبر عملية الدمج (التوحيد)، حيث يمكن لإلهين أو أكثر أن يوحدان ليتشكل إله مُركّب. نتج من عملية الدمج هذه حالة معينة تتمثل بإمكانية حضور إله في آخر أثناء قيام هذا الإله الآخر بوظيفة الإله الأول. هذه العلاقة الواصلة بين الآلهة كانت زئبقية ومعقدة لدرجة أنه لا يمكن معرفة أي إله تجسد في الآخر في مكان وزمان معين. كانت عملية الدمج هذه تجمع أحياناً بين آلهة تتمتع بنفس الخواص، وفي أحيان أخرى تجمع بين آلهة مختلفة الخواص، ومثال على هذه الحالة الأخيرة هو عندما تم جمع الإله "أمون" (إله القوة الخفية) مع الإله "رع" (إله الشمس)، نتج "أمون رع"، الذي وحد القوة الكامنة وراء كل الأشياء مع أعظم قوة مرئية في الطبيعة.

هذه الحالة (المجنونة) التي وصفها بخصوص التلاعب برمزية الآلهة عبر الحقب التاريخية هي ذاتها التي عانت منها كافة الأديان القديمة حول العالم، حيث تعاقب عليها سلطات كهنوتية مختلفة وبالتالي تعرّضت مفاهيمها الأصلية للكثير من التشويه والتحريف لكي تتناغم مع رغبة السلطة السياسية القائمة. فضاعت المفاتيح الحقيقية

المؤدية إلى الغاية الأساسية من وجود هذه الآلهة أصلاً، وكذلك الأساطير التي تمحورت حولها.

التقاليد الدينية الإغريقية عانت الأمر ذاته. حيث تزايد التعقيد في العلاقات القائمة بين الآلهة مع مرور الزمن. تمحورت الأساطير الإغريقية حول مجموعة مؤلفة من ١٢ إله رئيسي معروفة باسم "دوديكاثيون" Dodekathion، أو آلهة جبل "أوليمبوس" Olympus الذين حازوا على السيادة المطلقة بعد تغلبهم على "الجبابرة" Titans بعد معركة دامية. كان "الجبابرة" حكام العالم الأوائل قبيل اندحارهم أمام "الأولومبيون".
(هذه الفكرة وحدها تشير إلى حصول انقلاب شامل في النظام الكهنوتي القائم في البلاد).



لوحة تبيّن بعض "الجبابرة" Titans، وكان عددهم ١٢: "أوشينوس" Oceanus، "تثيس" Tethys، "هايبريون" Hyperion، "ثيا" Theia، "كويوس" Coeus، "فويبي" Phoebé، "كرونوس" Cronus، "ريا" Rhea، "منيموسين" Mnemosyne، "تميس" Themis، "كريوس" Crius، "إيابيتوس" Iapetus.

أما آلهة "أوليمبوس" المنتصرون فيُشار إليهم بأسماء عديدة، لكن أشهرها التالية:

"زيوس" Zeus، "هيرا" Hera، "بوسايدون" Poseidon، "ديميتر" Demeter، "أثينا" Athena، "ديونيسيوس" Dionysus، "أبولو" Apollo، "أرتميس" Artemis، "أريس" Ares، "أفروديت" Aphrodite، "هيفايستوس" Hephaestus، و"هيرمز" Hermes.



آلهة "أوليمبوس"

المرجع التاريخي الأول للشعائر الدينية المتمحورة حول هذه الآلهة هو ترتيلة الشاعر "هومروس" Homer الموجهة للإله "هيرمز". يمكن تتبع أصول الطقوس الدينية الإغريقية المتمركزة حول عبادة آلهة "أوليمبوس" إلى القرن السادس ق.م في مدينة "أثينا"، لكن الأمر المؤكّد هو أنها لم تكن قائمة في الحقبة الميسينية Mycenaean (أي حوالي ١٠٠٠ ق.م). لكن على أي حال، فإن مفهوم "الآلهة الإثنا عشر" كان واسع الانتشار حول العالم ويسبق الحقبة الإغريقية والرومانية بعصور طويلة.

أما الرومان، وبالرغم من تشابه آلهتهم مع الإغريق، لكن ممارستهم الدينية كانت مختلفة. غالباً ما تعاملوا مع أساطيرهم وكأنها تمثل التاريخ الحقيقي للعالم، بالرغم من الأحداث الخرافية والمعجزات الماورائية التي تزخر بها تلك الأساطير. أما ممارستهم

الدينية، فكانت تتركز أكثر على الطقوس والعرافة والمؤسسات الدينية (المعابد) بدلاً من الاهتمام بالتعقيدات اللاهوتية وأساطير الخلق. لطالما أبدى الرومان توقهم لتشبيه آلهتهم بالآلهة الإغريقية، فكانوا يترجمون قصص الآلهة الإغريقية حرفياً لكن مع استبدال أسماءها فقط. أما المراجع الرئيسية للأساطير الرومانية فتتمثل بملحمة "الإنيادة" Aeneid للشاعر الروماني "فرجيل" Virgil (٧٠ - ١٩ ق.م)، وبقايا كتب المؤرخ الروماني "ليفيا" Livy (٥٩ ق.م - ١٧ ميلادي). كان للرومان عدد كبير من الآلهة لكن أشهرها وأكثرها نفوذاً هي تلك النظيرة لآلهة "أوليمبوس" الإغريقية. وأسمائها هي التالية (مع نظائرها الإغريقية المبيّنة بحجم صغير):

جوبيتر Jupiter [زبوس]، جونو Juno [هيرا]، نبتيون Neptune [يوسايدون]، سيريز Ceres [ديميتر]، مينيرفا Minerva [أثينا]، باخوس Bacchus [ديونيسوس]، أبولو Apollo [أبولو]، ديانا Diana [أرتميس]، مارس Mars [أريس]، فينوس Venus [أفروديت]، فولكان Vulcan [هيفايستوس]، وميركوري Mercury [هيرمز].



الإلهان الرومانيان "مارس" (يمين) و"أبولو" (يسار)

عندما نصل إلى التقاليد الهندوسية، سوف نواجه منذ البداية مشكلة كبيرة في إحصاء ذلك الكم الهائل من الآلهة التي خلقتها التعاليم الفلسفية المختلفة في تلك البلاد. تُعتبر هذه الآلهة تجسيدات فعلية في العالم (Murti). يُنظر إلى هذه الكائنات، إما بصفتها مظاهر مختلفة للاله الواحد "برهمن" Brahman، أو بصفتها تجسيدات فعلية للاله الأعلى في أجساد البشر أو الحيوانات (Avatar)، أو مجرد كيانات روحية قائمة بذاتها يُشار إليها بـ"ديفاس" Devas. كل هذه التصنيفات والتعريفات تختلف حسب اختلاف الفلسفة أو الطائفة الهندوسية. غالباً ما تُصور هذه الكائنات بهيئة أشباه بشر أو أشباه بشرية جزئية، وهذا أيضاً يعتمد على نوع المذهب والفلسفة، لذلك نرى تنوع كبير في الأيقونات المقدسة الهندوسية التي تتناول كل من هذه الآلهة.

إذا شملت كافة المذاهب المنتمية للتقليد الديني الهندوسي، فسوف يبلغ عدد هذه الآلهة ٣٣٠ ألف! لهذا السبب سوف لن استتفز الوقت في دخول هذه المتاهة المعقدة، لكن سأكتفي بتوضيح فكرة مهمة جداً هي أن كل من المذاهب الهندوسية المختلفة تركّز اهتمامها بعشرة أو اثنا عشر إله رئيسي. والنقطة المهمة التي أُرغب في إظهارها هي أن مواصفات ووظائف هذه الآلهة الرئيسية تشبه إلى حد كبير تلك العائدة إلى الآلهة الإغريقية الرئيسية. فمثلاً، نجد تطابق بين "فيشواكارما" الهندوسي والإله "فولكان" الإغريقي، وكذلك الحال مع "إندرا" و"زيوس"، و"فيشنو" مع "بوسايدون".. وهناك تشابه بين الآلهة الثانوية أيضاً، مثل "كاما" Kama إله الرغبة (أو الحب، حسب المذهب) الذي يتطابق مع الإله "إروس" Eros الإغريقي.. وهكذا.

كما أسلفت سابقاً، تحتوي الميثولوجيا الهندوسية على عدد كبير من القصص والروايات. لكن بعضها صمد عبر عصور طويلة بسبب جدارتها وأهميتها في المساعدة على استيعاب الفلسفة الهندوسية عموماً، ولهذا السبب اجتمعت كافة المذاهب الهندوسية على تبنيها. من بين هذه الأساطير نجد "الماهابارتا" Mahabharata، و"الراماياتا" Ramayana. كما أن هناك نقاط التقاء أخرى لهذه المذاهب المختلفة، أهمها هو الثالوث المقدس الهندوسي، أو "التريمورتي" Trimurti، ويتألف من ثلاثة آلهة رئيسية تُعتبر مركزية في البانتيون الهندوسي. أولهم هو "براهمن"، خالق الحياة

على الأرض، ويليه الإله "شيفا" Shiva و"فيشنو" Vishnu. في نصوص "الفيدا" القديمة، كان الإله الخالق اسمه "براجاباتي" Prajapati، لكنه استُبدل مع الوقت بالإله "برهمان" وذلك وفق سيناريوهات عديدة توصفها الأساطير.



"براهمان"، الإله الأعلى الذي انبعثت منه كل الآلهة الأخرى

أما أقدم الآلهة (الديفاس Devas) التي وردت في نصوص الفيدا، فتُعتبر الرئيسية التي اشتق منها كل هذا الطيف الواسع من الآلهة، وهي التالية:

إندرا Indra، أغني Agni، سوما Soma، فارونا Varuna، ميترا Mitra، سافيترا Rudra رودرا، برادجاباتي Prajapati، فيشنو Vishnu، أريامان Aryaman، والأشفين ashvins. كما هناك آلهة مهمة أخرى مثل ساراسفاتي Sarasvati، أوشاس Ushas، وبريثفي Prithvi.

الميثولوجيا والعلوم الباطنية

الطريقة التي يتناول بها الخبراء العلمانيون أساطير الشعوب المختلفة هي سطحية، ظاهرية، وتميل على الأغلب إلى إظهار سمة الغباء البشري أكثر من أي شيء آخر. كل ما يمكن الحصول عليه في المراجع العلمية الرسمية هو عبارة عن سرد تاريخي وممنهج لـ"ظاهرة" الأساطير والبحث العلمي في أسباب ظهورها ومدى انتشارها. لكن إذا نظرنا إلى "الأسطورة" بعينها، أي أسطورة، بعد تخلينا لبرهة عن عقليتنا العلمية (السطحية)، سوف يسهل علينا رؤية الحقيقة واضحة وجلية، فنتمكن بعدها من اختراق القشور الخرافية السخيفة والغوص إلى الجوهر للحصول على الكنز.

عندما تدرس أساطير الحضارات القديمة، بعقلية علمية تجاوزية (وليس مادية)، سوف تدرك مباشرة بأنها مُصممة بنفس الصيغة، والرموز ذاتها موزعة على ذات المخطط. لكن بسبب التحريف الذي تعرّضت له هذه الأساطير خلال انحدارها عبر الأجيال، يتطلب الأمر القليل من الجهد الإضافي قبل الخروج بنتيجة. كافة الأساطير تتحدث عن آلهة نازلة من السماء (وترمز إلى قوى قادمة من مستوى ذبذبة أعلى)، أو آلهة قادمة من البحر (والبحر يرمز إلى حقل "الوعي" المنتشر في كل مكان). كما نلاحظ في هذه الأساطير وجود أزواج من الآلهة في كافة المجالات وعلى كل المستويات (وترمز إلى قطبيات متعكسة لذات الظواهر). نلاحظ أيضاً وجود نمط الأحداث ذاته، حيث الخلق، الازدهار، ثم الدمار.. ثم الخلق من جديد وهكذا.. (وترمز للطبيعة الدورية لكل الأشياء. ولعلم الفلك دور كبير في هذا المضمرة). أما ورود مفهوم "العالم السفلي"، والذي جعلتنا الأساطير نكوّن انطباع سلبي بخصوصه، حيث غالباً ما ربطوه بعالم الأموات، فهو بكل بساطة يمثلّ العالم الماورائي.. العالم التجاوزي الذي يقبع "أسفل" (تحت، خلف، ماوراء) العالم المرئي والملموس.

الواقع هو في الحقيقة عبارة عن انبعاث "هولوجرافي" يُشاهد من خلال عين الوعي في سياق الزمان/المكان. ترمز العين، في كل الأساطير، إلى مكان تجسيد الخلق الذي انبثقت منه كل الأشياء على شكل وعي أولي، فيتم اختبارها وتذكرها قبل انتقال العين

إلى موقع آخر. كل الآلهة (العظمى والصغرى) في أساطير العالم تتبع هذا النمط من الانبعاث الإلهي الأول. كل هذه القوى الكونية تمثل جوانب مختلفة من الكينونة الإلهية الواحدة. وبالتالي تمثل جوانب مختلفة من كينونتنا الفردية.

لطالما لاحظ الخبراء في الآثار المصرية وجود نزعة توحيدية خفية في الديانة المصرية القديمة بحيث تعبر بأكثر من طريقة عن فكرة توحيد كل الآلهة في إله واحد، لكنهم (أي الخبراء) لم يستوعبوا الفكرة جيداً وبالتالي لم يتمكنوا من إيجاد الرابط الخفي بين هذه الفكرة والسبب وراء تعدد الآلهة. هناك الكثير من الأمثلة في الأدبيات المصرية حيث يُذكر الله بشكل مجرد دون الإشارة إلى أي إله آخر. لكن هذا النوع من الإشارات المثيرة لم يساعد الباحثين كثيراً بل زاد من إرباكهم. لكن على أي حال، ستبقى الفكرة غامضة ومعقدة طالما بقيت العقول التي تدرسها مصبوغة بالعلمانية المادية. كيف يمكن لباحث أكاديمي، مهما كان لامعاً، أن يتوصل إلى الجواب اليقين في الوقت الذي يعجز عقله عن تجاوز حدود المادي والملموس؟

في العام ١٩٧١م، أكد "أريك هورنونغ" Erik Hornung (أستاذ في علم المصريات بجامعة بازل، سويسرا) بأن السمات التي يتمتع بها أي كيان أسمي يمكن إنسابها لعدد كبير من الآلهة، حتى في الفترات التي تشهد تفوق آلهة أخرى، وأضاف مجادلاً بأن القصد من الإشارة إلى إله غير محدد (أي الله) هو في الحقيقة إشارة إلى أي إله. فاستنتج أخيراً بأن الديانة المصرية لم تعرف أي إله واحد يكمن وراء مجموعات الآلهة المتعددة. لكن الجدل لم ينتهي هنا حيث هناك آراء أخرى مناقضة تماماً لهذا الاستنتاج.

لكن على الجانب الآخر، أكد كل من الباحث الألماني "جان أسمان" Jan Assmann (أستاذ في علم المصريات) والباحث الأمريكي "جيمز بيتر ألن" James P. Allen (متخصص في علم اللغات والأديان، وأستاذ في علم المصريات بجامعة براون) بأن المصريين كانوا يسلمون بدرجة معينة بوجود قوة إلهية واحدة. حسب وجهة نظر البروفسور "ألن"، فإن فكرة "وجود كيان إلهي واحد" تزامنت ضمناً مع التقليد الديني المشترك

(تعدد الآلهة). يضيف قائلاً من الممكن أنه فقط الكهنة المصريين حازوا على هذه الحقيقة المحجوبة والمتمثلة بوجود قوة إلهية موحدة تقبع ما وراء الآلهة المتعددة، لكن على الجانب الآخر، من الممكن أيضاً أن الرعايا المصريين العاديين أدركوا وجودها أيضاً، لكن في حالات معينة فقط.

دعونا نتعرف على السبب الحقيقي وراء هذا اللغز المحير الذي أربك كل من حاول البحث في المسألة. في الفقرة التالية، المأخوذة من مقدمة كتابه، يشرح "بالمر هول" كم حفظ من هذا العلم القديم من خلال استخدام الرموز. هذا جعل تلك المعلومات الثمينة تُخزن على مرأى الجميع، فتجسد على شكل هياكل وصروح، روايات خرافية ونصوص مقدسة، ومع ذلك تبقى محجوبة عن الجميع بسبب طبيعتها المشفرة، بحيث لا يمكن فك رموزها سوى من قبل الذين سبق وحازوا على العلوم السرية القديمة بدرجة معينة:

الفلسفة الرمزية وتشفير النصوص

".. الرمزية هي لغة العلوم السرية. فيها تكمن ليس فقط التعاليم الروحانية والفلسفية، بل علوم الطبيعة ككل، حيث كل قانون وقوة معروفة في الكون تم تجسيدها بطريقة تتناسب الإدراك البشري المحدود من خلال طريقة الترميز والتشفير. إن كل شكل من أشكال الوجود في هذا الكون المتنوع جداً، تم ترميزه. من خلال الرموز، لم يتواصل البشر مع بعضهم سوى بالأفكار التي تبرزها اللغة المكتوبة، أما الأفكار التي تكمن ما وراء تلك اللغة فتبقى مجهولة. بعد رفض اللهجات التي يستخدمها الإنسان بصفتها تافهة، غير ملائمة، وغير جديرة بتخليد الأفكار المقدسة، قرّر حراس "الأسرار الكونية" استخدام الترميز كوسيلة بارعة ومثالية لحفظ علومهم الخارقة. من خلال شكل واحد (رقم أو صورة أو نموذج)، يمكن للرمز أن يكشف أو يحجب، حيث أنه بالنسبة للحكيم يبدو الرمز واضحاً، بينما للجاهل يبدو الشكل غامض وغير مفهوم. وجب على كل من يتوخى كشف أسرار التعاليم القديمة أن لا يبحث في محتويات

صفحات الكتب التي قد تقع في أيدي التافهين غير الجديرين، بل في الباطن الذي حُجبت فيه أصلاً.

كم كان القدماء بعيدي النظر. لقد تنبهوا إلى حقيقة أن الدول والأوطان تأتي وتذهب، وأن الإمبراطوريات لا بد من أن تنهار، وأن العصور الذهبية حيث الفنون، العلوم، والمثل العليا يتلوها دائماً العصور المظلمة حيث الجهل والتوحش والخرافات. حاملين في ذهنهم وبشكل أساسي الحاجة إلى إيجاد أخلاف وسلالة صالحة لإكمال المسيرة، تجاوز عقلاء الزمن القديم أقصى الحدود للتأكد من أن علمهم محفوظ بأمان. حفروها على وجوه الجبال وأخفوها في مقاسات الصور العملاقة، وكل منها كان بالفعل أعجوبة هندسية بحد ذاتها. أخفوا علوم الكيمياء والرياضيات في الروايات الخيالية والخرافات بحيث يخلدها الجهلاء، أو في جسور القناطر التابعة لمعابدهم التي لم يمحوها الزمن أو يطمسها طوال هذه المدّة. لقد كتبوها بطريقة تجعلها محصّنة من التخريب البشري وقسوة العوامل البيئية المدمّرة.

يحدّق الإنسان اليوم باحترام ومهابة وتبجيل إلى تلك الصروح الجبارة كالأهرامات القابضة وسط رمال مصر، أو الهرم المدرّج في "بالانك" (يعود لحضارة المايا في المكسيك)، جميعها تمثل شواهد صامتة على فنون وعلوم الماضي الضائعة. ووجب على هذه الحكمة أن تبقى محجوبة، إلى أن يتمكن هذا العرق البشري من قراءة اللغة الكونية – "الرمزية". في الصور الرمزية، الحكايات الرمزية وخرافات وطقوس القدماء يكمن علوم سرّية تتناول أسرار الحياة العميقة، وهذه التعاليم قد حُفظت بالكامل في يد مجموعة صغيرة من العقول المختارة منذ بداية العالم. وبعد مغادرتهم الحياة، خلف هؤلاء الفلاسفة المنتورون منهجهم بحيث يستطيع غيرهم أيضاً فهمه واستيعابه. لكن من أجل تجنّب وقوع هذا المنهج في أيدي غير متحضّرة حيث يتم تحريفها، بقيت هذه الأسرار العظمى مخفيّة بحجاب الرمزية والحكايات الخرافية. وكل من تمكن اليوم من اكتشاف مفاتيحها الضائعة يستطيع من خلالها فتح المخزن المحتوي على كنز الحقائق الفلسفية والعلمية والدينية..".

فيما يلي اقتباس من مقدمة الفصل ٣٩ الذي بعنوان "الكتابة السرية كعامل مهم في الفلسفة الرمزية". يشرح فيه "بالمر هول" بعض الطرق التي أتبعته خلال حجب التعاليم السرية وسبب التعقيد الشديد الذي اتبعوه لإنجاز ذلك.

الكتابة السرية كعامل مهم في الفلسفة الرمزية

The Cryptogram as a factor in Symbolic Philosophy

مانلي بالمر هول

لا يمكن اعتبار بحث أو دراسة تتعامل مع الرمزية بأنها كاملة في غياب قسم خاص يتناول الكتابات المشفرة. لطالما اعتبرت الكتابة المشفرة عنصراً أساسياً في الأوساط العسكرية والدبلوماسية، لكن العالم العصري تجاهل الدور المهم الذي لعبه علم التشفير في مجال الأدب والفلسفة. لو جُعل فن فك تشفير الكلمات الرمزية علماً شائعاً، قد ينتج من ذلك اكتشاف حكمة كبيرة غير متوقعة في كتابات كل من الفلاسفة القدامى وفلاسفة القرون الوسطى. إذًا، أصبحنا نعلم الآن السبب وراء إسهاب العديد من الكتاب القدامى في الكلام المطول الذي يجعل النص يبدو مملاً ومضجراً، كانوا يفعلون ذلك قصداً من أجل إخفاء الكلمات والعبارات المشفرة.

لقد تم إخفاء الكلمات المشفرة بأكثر الطرق مكرراً وحذافة. فيمكن مثلاً إخفائها على شكل طباعة مائية على الورق الذي كُتبت عليه النصوص الظاهرة. أو يمكن أن تُخفى في جلد غلاف الكتاب. يمكن إخفاءها تحت ستار الترقيم غير السليم للصفحات. يمكن استخلاصها من الحروف الأولى للكلمات أو الكلمات الأولى للجمل. يمكنها أن تكون محجوبة ببراعة في معادلات رياضية أو في رموز غامضة يتعذر فهمها. يمكن استخلاصها من لغة مضطربة غير مفهومة ربما تمثل لغة اصطلاحية لمجموعة معينة. يمكن كشفها عن طريق تسخين الورق لأنها كُتبت بنوع خاص من الحبر السري. يمكنها أن تكون على شكل كلمات مشفرة أو أحرف مشفرة أو عبارات ملتبسة بحيث لا يمكن فهمها إلا بعد إعادة قراءتها أكثر من مرة. إذا قام المهتمين بالأبحاث الماسونية بأخذ هذا الموضوع على محمل الجد، يمكنهم أن يجدوا في كتب

ومخطوطات تعود للقرنين السادس عشر والسابع عشر المعلومات الضرورية لسد الهوة في التاريخ الماسوني والموجودة بين المدارس السرية في العالم القديم والأخوية الماسونية التي تشكلت في القرون الثلاثة الماضية.

المعلومات السرية للمدارس القديمة لم تُكشف أبداً أمام الدنيويين سوى عبر وسيلة الرموز. لقد لعبت الرمزية وظيفة مزدوجة تتمثل بحجب الحقائق المقدسة عن غير المنتسبين وكشفها أمام المؤهلين لفهم الرموز. الأشكال هي رموز لمبادئ مقدسة عديمة الشكل. الرمزية هي لغة الطبيعة. يخترق الحكماء الحجاب بتبجيل واحترام وبنظرة واضحة يتأملون الواقع. لكن الجهلاء، العاجزين عن التمييز بين الخطأ والصواب، ينظرون إلى كون مليء بالرموز. يمكن القول عن الطبيعة.. الأم العظيمة.. بأنها ترسم أشكال غريبة على سطوح الأشياء، لكن فقط أمام أكبر أبناءها وأكثرهم حكمة وكمكافأة على إيمانهم وإخلاصهم تكشف الحجاب عن أبجديتها المشفرة والتي تمثل المفتاح لفهم هذه الأشكال الغريبة.

لقد ابتكرت معابد الحكمة القديمة لغاتها الخاصة بحيث لا يعرفها إلا المنتسبين ولم تُستخدم سوى داخل الحرم. لقد اعتبر الكهنة المتنورون بأن مناقشة الحقائق الكونية عن العوالم العليا بذات اللغة التي يستخدمها الدنيويين هو تدنيس سافر للتعاليم المقدسة. وجب حجب العلوم المقدسة داخل لغة مقدسة. لذلك تم ابتكار أبجدية سرية، وعندما توجب كتابة أسرار الحكماء، تم استخدام كتابة غير واضحة بالنسبة للجهلاء. هذا النوع من الكتابة سُمي بالأحرف السحرية أو الأحرف المقدسة. بعض من هذا النوع من الكتابة (كالكتابة الملائكية angelic writing المشهورة) لازالت تُستخدم حتى الآن في المراتب العليا من الماسونية.

لم تفي الأبجدية السرية بالغرض المطلوب بشكل كامل، حيث رغم نجاحها في حجب المعاني الحقيقية للكتابات، إلا أن مظهرها العام يكشف بوضوح عن حقيقة أنها كتابة مشفرة وتخفي داخلها معلومات سرية. وبالتالي، عبر البحث المتأنى لفك الرموز أو حتى عبر تعذيب أصحاب المخطوطات المشفرة، تمكن الدنيويين من الحصول على

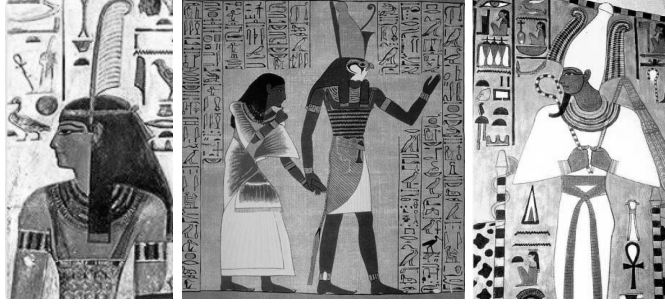
المفاتيح الخاصة لهذه الأبجدية السريّة وبالتالي كُشف الكثير من المعلومات أمام الجبهة التافهين. هذا الأمر أدى إلى ضرورة البحث عن وسائل أكثر مكرراً وبراعة لحجب الحقائق المقدسة. كانت النتيجة ظهور أنظمة تشفير كتابية معقدة صُممت خصيصاً لحجب كل من الرسالة والرموز المشفرة معاً. بعد ابتكار طريقة مجدية ومُحكمة لنقل أسرارهم عبر الأجيال، شجّع المتورون الأوائل التداول بمخطوطات معيّنة مُعدة خصيصاً لهذا الغرض، حيث تحتوي على المعلومات المشفرة وكذلك على المفاتيح الخاصة لفك التشفير، وتحتوي هذه النصوص على أعرق الأسرار الروحية والفلسفية.

".. الرموز ليست أكاذيب.. الرموز تحتوي على الحقيقة. القصص الرمزية والاستعارات ليست خزعبلات.. فهي تحمل المعلومات. وبنفس الوقت، يمكن فهمها، بطريقة معيّنة، من قبل كل من هو غير مستعد لتلقي الحقيقة الواضحة.."
الدكتور "بول كاروس"، تاريخ الشيطان وفكرة الشر، 1900م

".. كان دائماً للرموز والاستعارات القديمة أكثر من ترجمة واحدة. كانت تكشف دائماً عن أكثر من معنى، وأحياناً أكثر من اثنين، حيث الأولى كانت تخدم كغطاء للثانية.."
ألبرت بايك Albert Pike

بالإضافة إلى التشفير الأوّلي للتعاليم عبر تحويلها إلى قصص رمزية بحيث لم يفهمها أحد سوى المنتسب المُحضّر مسبقاً، خضعت هذه التعاليم لعملية تشفير ثانية وثالثة ورابعة.. بالاستعانة بمنظومة ترميز معقدة تستخدم الأحرف والأرقام بطريقة حسابية خاصة بحيث لا يعلم بها سوى مجموعة صغيرة من المطلعين. لقد شدّد "بالمر هول" في كتابه على مسألة التشفير والكتابة الرمزية في سبيل حجب الحكمة المقدسة. وقد خصّص فصلاً كاملاً خلال الحديث عن مسألة التشفير لمدى أهمية هذا العامل في حجب التعاليم السرية. أشهر أنظمة التشفير الرقمية التي استُخدمت هي الجيماتريا Gematria، النوتاريكون Notarikon، والتموره Temurah.

الأساطير المصرية وفق نظرة تجاورية



كما حالة باقي الأساطير الأخرى حول العالم، الأساطير المصرية هي مجرد روايات رمزية تهدف إلى شرح وتفسير سلوكيات ووظائف القوى المختلفة في الطبيعة. أصبحت هذه القوى فيما بعد لا تمثل سوى آلهة صنمية يستخدمها الكهنة لابتزاز الرعايا. يمكن لتفاصيل أحداث القصة الرمزية أن تختلف من أسطورة إلى أخرى، ويُعتبر هذا أمر طبيعي طالما بقي أبطال القصة ذاتهم، حيث كل قصة قد تمثل تصرفات معينة اتبعتها هذه القوى وفق ظروف طبيعية مختلفة، وبالتالي فالأسطورة تختلف. لكن مع مرور الوقت، وبعد تعرّضها للتحريف والتشويه، وصلت الأساطير إلينا بهذه الصيغة المشوّهة وغير المجدية. هذا ولم نذكر عامل مهم جداً وهو تعدد الأسماء التي تشير إلى ذات الإله، وكل أسطورة وصلت إلينا بأسماء مختلفة لأبطالها مما زاد الأمر تعقيداً.

نادراً ما وصل إلينا أساطير كاملة متكاملة مكتوبة أو مصوّرة، حيث غالباً ما كانت تحتوي النصوص على فقرات مُجتزأة من كامل الأسطورة، أو حتى تلميحات فقط. وبالتالي فالمعرفة التي اكتسبناها عن الميثولوجيا المصرية استُخلصت بمعظمها من التراتيل التي وصفت أدوار بعض الآلهة، ومن نصوص سحرية وشعائرية وصفت الأفعال التي ترمز لها أحداث الأسطورة، ومن النصوص المتعلقة بشعائر الدفن التي ذكرت أدوار الكثير من الآلهة في عالم الأموات. وهناك بعض المعلومات التي وفرتها مراجع غير دينية لكنها زامنت تلك الفترة. وأخيراً، بعض المؤرخين الإغريق

والرومان، مثل "بلوتارش" Plutarch سجلوا بعض الأساطير السائدة في أواخر أيام الحضارة المصرية.

من بين أهم الأساطير المصرية هي تلك التي توصف عملية الخلق. وفقاً لهذه القصص، انبثق العالم كمساحة جافة وسط محيط أولي يشوبه الفوضى. أي بنفس الطريقة التي يتشكّل فيها "أين صوف" في تعاليم القبالة، لكن باستخدام كلمات واستعارات مختلفة. هناك صيغ عديدة لأسطورة الخلق التي توصف هذه العملية بطرق مختلفة. مثل: تحوّل الإله "آتوم" إلى العناصر التي شكّلت العالم.. أو نتيجة الكلام الخلاق المنبعث من ذكاء الإله "بتاه" Ptah.. أو نتيجة فعل قامت به قوة "أمون" الخفية. بصرف النظر عن هذا التنوع في وصف العملية، إلا أن فعل الخلق يبقى في جميع الحالات يمثّل التأسيس الأول للإله "معات" maat ونمط الدورات الزمنية اللاحقة للحدث.

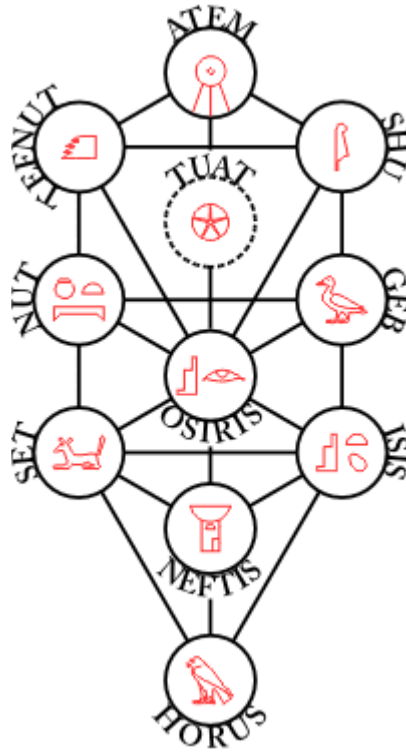
الأمر الملفت بخصوص كل من أساطير الخلق هو أنه إذا قمنا بإسقاط أحدها على منظومة تعاليم القبالة، أي وزعنا أبطالها على شجرة الحياة، كلٌ وفق دوره، فسوف تتناسب تماماً مع طريقة توزيع الملائكة القبالية. فيما يلي مثالين واضحين على ما أقصده، حيث سأتناول أسطورتين مختلفتين جاءتتا من معابد مختلفة وحقب زمنية مختلفة من التاريخ المصري:

[١]

أسطورة الخلق في معبد "رع" العظيم

في معبد "رع" Re العظيم بمدينة "هيليوبوليس" Heliopolis (مدينة أثرية مدمرة تقع شمالي مصر، شمال شرقي القاهرة)، كانوا يعبدون إله الشمس "رع"، أكثر الآلهة أهمية وأعظمها شأنًا في تلك الفترة، وهو يمثّل شمس الظهيرة حيث تكون بأقوى توهجها. تقول الأسطورة بأنه خلق نفسه من أكمة برزت في المياه الأولية لـ"نون" Nun، أو من زهرة اللوتس الأولى. ثم راح يخلق الآلهة العظماء التسعة المذكورون في

أسطورة الدورة الأوزيرية المصرية القديمة Osirian cycle. وهم: "آتوم" Atum (أو "آتم" Atem) الذي كان أول ما انبثق من الأكمة المتشكلة في مياه "نو" Nu، هذه الأكمة مثلت بداية الخلق. من "آتوم" انبثق إلهان هما "شو" Shu و"تفنوت" Tefnut. من هذين الإلهين وُلد الإلهان "توت" Nut و"غيب" Geb (أو "سيب" Seb) وكانا في حالة تفاعل مستمر إلى أن وُضع "شو" بينهما. ثم أنجب "توت" و"غيب" كل من "أوزيريس" Osiris، "إيزيس" Isis، "ست" Set و"نبيثيس" Nephthys. وتمثل هذه الآلهة في النصوص المصرية القديمة ما يمكن أن نسميه "مجلس الآلهة" المقدس، أو "الإنبياد" Ennead المذكورة في صفحات سابقة. إذا قمنا بتوزيع هذا المجلس المقدس على شجرة الحياة فسوف تبدو على الشكل التالي:



شجرة الحياة التي قدّسها الكهنة في معبد "رع" العظيم

خلال مسيرة تطوّره الروحي في معبد "رع" العظيم بمدينة "هيلوبوليس" كان المنتسب الجديد يتسلّق شجرة الحياة مبتدئاً من مقام "حورس"، مروراً بمقام "أوزيريس"، إلى أن يندمج أخيراً مع الذات الإلهية لـ"آتوم".

مقارنة بين مقامات معبد "رع" ومقامات القبالة في شجرة الحياة

١- "آتوم" Atum يتوافق مع مقام "كيثر" Kether (التاج)، وقد تم تعديل اسم هذا الإله المصري إلى عدة أسماء مختلفة مثل: "آتم" Atem، "آمون" Amun (طيبة)، "رع" Ra، و"آتون" Aton (أخناتون).

٢- "شو" Shu يتوافق مع مقام "تشوكمه" Chokmah (الحكمة).

٣- "تفوت" Tefnut تتوافق مع مقام "بيناه" Binah (البيّنة).

٤- "نوت" Nut تتوافق مع المقام الخامس "جيبوراه" Geburah (العزم)، ملك الحرب، وهو سيفيروت العزم. لكن هناك رديف آخر للمقام "جيبوراه" ويتمثّل بالآلهة "نيث" Neith التي تختلف عن "نوت". تُعتبر آلهة مصر المحاربة منذ السلالات الأولى، وبهذه الخاصية تتوافق تماماً مع مقام "جيبوراه" مقعد الإله المحارب.

٥- "غيب" Geb (أو "سيب" Seb) يتوافق مع مقام "تشيسيد" Chesed (الرحمة)، الملك المُمجّد. هذا الملك هو مانح القانون، مثل البناء والهيكلية. من المفروض أن يمثّل مقام "جيبوراه" لكن مكانته كوالد "أوزيريس" جعله متصل بهذا الموقع.

٦- "أوزيريس" Osiris يتوافق مع مقام "تيفاريث" Tiphareth (الجمال).

٧- "إزيس" Isis تتوافق مع مقام "نيتزاه" Netzah (النصر). إذا تجرأ أحدهم على رفع الحجاب عن "إيزيس" سوف يُفتح الدرب إلى الفجر الذهبي. لكن كما ورد في كل

المخطوطات: " .. لقد حاول الكثيرون، ومات الكثيرون..". مع مرور الوقت، وعبر تقدمها في السن، يمكن لإيزيس أن تتحوّل إلى ألهة سوداء. كانت طقوس "إيزيس" منتشرة جداً حتى بين غزاة مصر المتعددين، وذلك بسبب الطبيعة الخيرة للسحر الذي يمثّل صيغة "نيتزاه". " .. تحمل! .." تقول إيزيس.

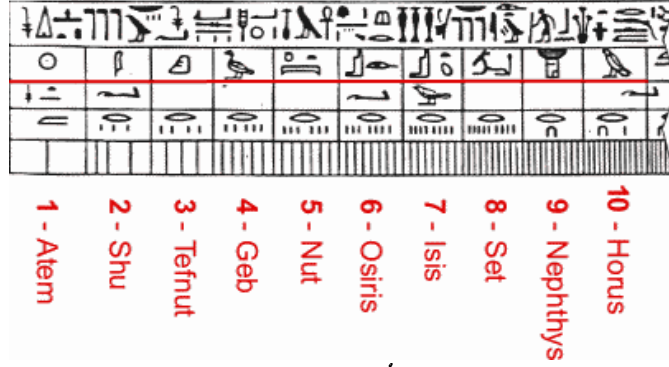
٨- "ست" Set يتوافق مع مقام "هود" Hod (المجد).

٩- "نبيثيس" Nephthys تتوافق مع المقام "ياسود" Yesod (الأساس).

١٠- كما الحال مع الشجرة الآشورية، فإن "حورس" Horus، الملك الدنيوي للبلاد (كان الفراعنة يُعتبرون تجسيدات لروح حورس) يتوافق مع مقام "ملكوت" Malkuth (المملكة). يُعتبر "حورس" من أقدم الآلهة بحيث يعود إلى ما قبل زمن السلالات، ويُصوّر دائماً على شكل طائر الصقر. كما أن مقام "ملكوت" يمثّل دائرة العناصر الأربعة، وكذلك الحال مع "حورس" الذي له أربعة أبناء: "هابي"، "دواموتيف"، "إمساتي"، "كبهسنوف".

— أما مقام "تاوت" Tuat (المحاط بدائرة منقطة في الشجرة) فيتوافق تماماً مع مقام "داث" Daath المزيف في شجرة القبالة. (سوف أشرح الأمر لاحقاً).

الدليل الذي يثبت إمكانية احتلال "حورس" للمقام العاشر المنحدر من مجلس الآلهة التسعة في معبد "رع" هو ظاهر بوضوح في "عصى القياس السحرية" التي اكتشفت في الموقع عام ١٨٢٢م على يد العالم الفرنسي "إدمو فرانسوا جومار" Edme-Francois Jomard، ويُشار إلى عصى القياس هذه بـ"عصى أمين أن أبت". كانت تُستخدم للقياس وفق مبدأ الهندسة المقدسة (نسميها اليوم سلسلة أرقام فابوناتشي، أنظر في كتاب "من نحن" الجزء ٣) حيث محفور عليها تقسيمات الذراع الملكي، ولكل من هذه التقاسيم رمزها الخاص، وهذه الرموز تمثّل التسلسل الرتبي للآلهة المعبد، ابتداءً من "آتوم" وانتهاءً بـ"حورس" ممثلاً التقسيم العاشر. (أنظر في الشكل التالي).



"عصى أمين أن أبت" التي كانت تُستخدم للقياس وفق مبدأ الهندسة المقدسة

أما الدليل الذي يثبت حقيقة استخدام الكهنة في معبد "رع" لمنظومة شجرة الحياة في ممارستهم الروحية، فهي واضحة من خلال صيغة المناشدات التي كانوا يرتلونها في طقوسهم، وفيما يلي إحداهما: الترتيل رقم ٥٧٤، موجّه إلى الشجرة المقدسة: " .. أحبيك أيتها الشجرة التي تحوّل الإله، الذي يقف تحته آلهة السماء الدنيا، الذي نهايته مطهورة، ودخله محروقة، الذي يبعث خارجاً ألم الموت، فلتجمع أولئك الذين في الهاوية، فلتجمع أولئك الذين في الامتداد السماوي..". .. وهكذا إلى آخره.

[٢]

أسطورة أوزيريس وإيزيس

تقول الأسطورة بأن الكيان الأسمى تجلّى في العالم الدنيوي بصفته أوزيريس Osiris (أو "أوشر" As-ar باللغة المصرية القديمة)، الذي حكم ممثلاً لقانون "ماعت" Ma'at المقدّس. شعر "ست" Set الأخ الأصغر لـ"أوشر" بالغيرة، فقتله وقطع جسده إلى أجزاء متعددة ثم اغتصب العرش. قامت إيزيس Isis (أو "أوشت" Aset)، زوجة "أوشر" المخلصة بجمع أجزاء جسده المقطّعة وبطريقة سحرية أنجبت منه ولداً، اسمه حورس Horus (أو "هيرو" Heru بالمصرية القديمة). قام "هيرو" في النهاية بالانقلاب على عمه الشرير "ست" بمساعدة من "تيهوتي" Tehuti (أو "دجيهوتي")

Djeheuty وهو الإله الذي يمثّل الحكمة) فاستعاد العرش، فحكم بعدها بلاد الأحياء بينما حكم "أوشر" بلاد الأموات (العالم السفلي). يمكن إيجاد صيغة مماثلة لهذه القصة في "كتاب الأموات" المصري، بالإضافة إلى نصوص الأهرامات.

مقارنة بين آلهة أسطورة أوزيريس ومقامات القبالة في شجرة الحياة

— تبدأ شجرة الحياة بالمقام "صفر" المحلّق فوق مقام "كثير" (التاج)، وتمثّل حالة الله والوجود قبل خلق العالم الظاهري. يُشار إلى هذا المقام السامي بأسماء كثير مثل: "أمين" Amen، "آتوم" Atum، "أتن" Aten، "نو" Nu، و"نوت" Nut. هذا المقام يتوافق تماماً مع "أين صوف" في تعاليم القبالة.

١— "أوشر" As-ar (أوزيريس Osiris)، يرمز إلى "كليّة الوجود" أو "الفكرة الرئيسية"، تجلّي الله في العالم، وهو صورة منعكسة للمقام "صفر" الموجود فوق الشجرة. أي بمعنى آخر، المقام "صفر" يمثّل الله قبل تجلّيه، أو خلال احتجابه، بينما المقام [١] على الشجرة يمثّل تجلّي الله في العلم الملموس. هذا المقام يتوافق مع مقام "كثير" Kether (التاج) في شجرة القبالة.

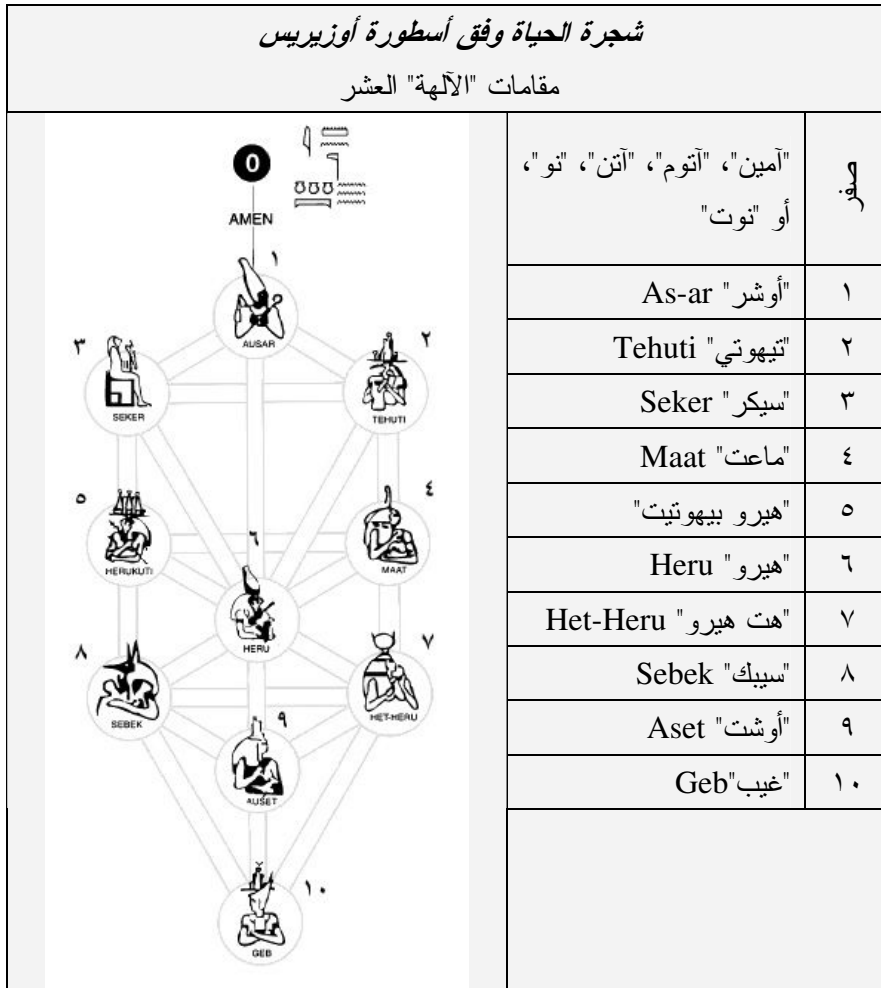
٢— "تیهوتي" Tehuti (أو "حجیهوتي" Djeheuty، إله الحكمة والمعرفة)، يرمز إلى "كليّة المعرفة" و"الإرادة الإلهية". ويتوافق مع مقام "تشوكمه" Chokmah (الحكمة) في شجرة القبالة.

٣— "سيكر" Seker (أو "سوكار" Sokar)، يرمز إلى "كليّة القدرة" و"قوة الخلق". ويتوافق مع مقام "بيناه" Binah (البيّنة) في شجرة القبالة.

٤— "ماعت" Maat (آلهة العدل والحق، النظام الكوني). ترمز إلى "القانون الإلهي"، "الحقيقة"، "التناغم"، و"العلاقة المتبادلة بين كل الأشياء". وتتوافق مع مقام "تشيسيد" Chesed (الرحمة) في شجرة القبالة.

٥- "هيرو بيهوتيت" Heru-Behutet، أو "حورس بهودتي" Horus Behudety، يرمز إلى "فرض القانون الإلهي"، ويتوافق مع مقام "جيبوراه" Geburah (العزم) في شجرة القبالة.

٦- "هيرو" Heru (حورس)، يرمز إلى "إرادة الإنسان"، أي الروح التي يستمد منها الإنسان إرادته خلال ممارسة الحياة. إن تغلب "هيرو" على "ست" في الأسطورة لاستعادة المملكة يتوافق تماماً مع مقام "نيتزاه" Netzah (النصر) في شجرة القبالة.



٧- "هت هيرو" Het-Heru (أو "هاتور" Hathor. ألهة الخصوبة والحب)، ترمز إلى "البهجة"، "الخيال"، "الرغبة"، و"الجمال". هذا يجعلها تتوافق تماماً مع مقام "تيفاريث" Tiphareth (الجمال) في شجرة القبالة.

٨- "سيبك" Sebek (يرمز إلى جبروت الفرعون)، يرمز إلى "المنطق"، "الذكاء"، "الإيمان"، "التواصل"، ويتوافق مع مقام "هود" Hod (المجد) في شجرة القبالة.

٩- "أوشت" Aset (أو إيزيس). وترمز إلى "النفس"، "الذاكرة"، "التعلم"، "قابلية التأثر"، "التفاني"، و"التنشئة". وتتوافق مع المقام "ياسود" Yesod (الأساس) في شجرة الحياة.

١٠- "غيب" Geb (إله الأرض)، ويرمز إلى "الجسم"، "اللحم والدم والحواس الحيوانية"، "التحفيزات والعواطف"، وهذا يجعله يتوافق تماماً مع مقام "ملكوت" Malkuth (المملكة) في شجرة الحياة والذي يمثل الكينونة الدنيوية.

إن طريقة توزيع أدوار الآلهة على شجرة الحياة يعكس طريقة تفكير الكهنة وتوجههم العام في شؤون الحياة. من خلال إجراء مقارنة سريعة بين الشجرتين المصريتين السابقتين نكتشف مباشرة أن الثانية هي أكثر روحانية من الأولى. بالإضافة إلى أنها أرقى من الناحية الفلسفية. على أي حال، هناك عدد كبير من التعاليم التي صاغها الكهنة المصريون عبر العصور، وهذان مجرد مثالان.

العامل المهم الذي يساعدنا على ترتيب الآلهة في مكانها المناسب في مقامات شجرة الحياة يتمثل بما تتميز به من خصائص وما تلعبه من أدوار. وهذا العامل ينطبق على كافة الأساطير حول العالم. لكي نستوعب هذه الفكرة بشكل جيد، سوف ألجأ إلى آلهة الأساطير الإغريقية والرومانية التي ألفناها جيداً بعد أن اعتدنا عليها من خلال التعامل مع مجال الأبراج الفلكية أو قراءة الكفّ أو غيرها من وسائل أخرى مما جعلنا قابلين على استيعابها أكثر من غيرها. لهذا السبب أعتقد بأن كل فرد تعامل مع هذه الشخصيات بطريقة أو بأخرى يعلم بديهياً ما ترمز له. فمثلاً عندما يُذكر أمانا اسم "مارس" Mars (المريخ) سوف يتبادر إلى ذهننا مباشرة رمز

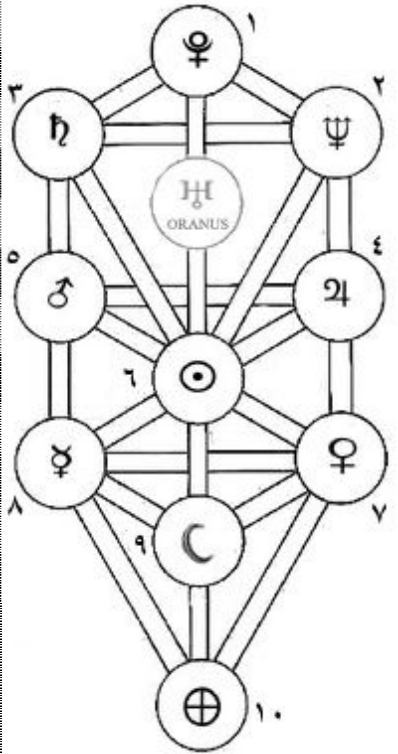
القوة والعزم والحرب.. إلى آخره، بينما "ميركوري" Mercury (عطارد) يجسد في أذهاننا رمز الحنكة والفصاحة، والتجارة والسفر... إلى آخره.

شجرة الحياة الرومانية والإغريقية

كما الحال مع الأساطير المصرية، حيث التحريف والتشويه والتضليل.. فقد مرّت منظومة الأساطير الرومانية واليونانية بنفس الظروف تقريباً، وبالتالي ضاعت معانيها الأصلية والغاية الحقيقية التي ترمز لها وصيغت من أجلها. لكن رغم ذلك يمكننا صياغة شجرة حياة خاصة بالاعتماد على أدوار أبطال تلك الأساطير التي انحدرت إلينا وفق الصيغة التي وردت بها في الأدبيات الرومانية واليونانية.

الإغريق	الرومان	
هيدس Hades	بلوتو Pluto	١
بوسيدون Poseidon	نبتيون Neptune	٢
كرونوس Kronus	ساتورن Saturn	٣
زيوس Zeus	جوبيتر Jupiter	٤
أريس Aries	مارس Mars	٥
أبولو Apollo	أبولو Apollo	٦
أفروديت Aphrodite	فينوس Venus	٧
هرمز Hermes	مركوري Mercury	٨
أرتميس Artemis	ديانا Diana	٩
ديميتر Demeter	سيريز Ceres	١٠
مقام "أورانوس" يتوافق تماماً مع مقام "داث" Daath المزيف في شجرة القبالة (سوف أشرح الأمر لاحقاً)		

مقارنة بين الآلهة الإغريقية والملائكة القبلانية

ملائكة القبالة	آلهة الإغريق	
	هيدز Hades	١
Metatron "ميتاترون"	Poseidon بوسيدون	٢
Ratziel "رتزائي"	Kronus كرونوس	٣
Tzaphkiel "تزفانيل"	Zeus زيوس	٤
Tzadkiel "تزدانيل"	Aries أريس	٥
Kamael "كامانيل"	Apollo أبولو	٦
Raphael "رافائيل"	Aphrodite أفروديت	٧
Haniel "هانئيل"	Hermes هرمز	٨
Michael "مikhail"	Artemis أرتميس	٩
Gabriel "جبرائيل"	Demeter ديميتير	١٠
Sandalphon "صندلفون"	مقام "أورانوس" يتوافق تماماً مع مقام "دات" Daath المزيف في شجرة القبالة (سوف أشرح الأمر لاحقاً)	

شجرة الحياة الأفريقية

في الوقت الذي نشغل فيه أنفسنا بالبحث في الفلسفات والثقافات العالمية الكبرى في كل من الصين والهند، واليونان وروما، والشرق الأوسط متجاهلين تماماً ثقافات أفريقيا السوداء، تفوتنا بذلك فرصة عظيمة في اكتشاف كنوزها الفلسفية الرائعة التي لا تقل مرتبةً من حيث الحكمة والقيمة الروحية.

بين الثقافات الروحية الأفريقية المختلفة والمتنوعة، يمكننا ملاحظة لون معين يسري في معظم أنحاء القارة السوداء، ابتداءً من غربها إلى أواسطها وحتى جنوبها. ويتجلى حيناً على شكل طقوس وشعائر سحرية، وأحياناً على شكل أنظمة دينية رفيعة المستوى، إن كان من الناحية الروحية أو التنظيمية. أشهرها هي تلك التي لشعوب "الدوغون" (Dogon (مالي)، "اليوروبا" (Yoruba (نيجيريا وبنين)، "الولوف" (Wolof (السينيغال وغمبيا)، و"الأكان" (Akan (غانا وساحل العاج). يُشار إلى هذا اللون من الثقافة الروحية بـ"علوم خاميت الروحية". وإذا كان الفرد ملم جيداً بالتاريخ المصري سوف يدرك مباشرة بأن كلمة "خاميت" (أو كاميت" أو "كيميت".. حسب اللهجة الأفريقية المحلية) جاءت من كلمة "خيم" الهيروغليفية، وتمثّل الاسم الذي أطلق على مصر القديمة.

هناك بعض المجموعات الروحية (مدارس سرية أفريقية) التي توضّح هذه المسألة جيداً من خلال الاسم الذي أطلقتته على نفسها، مثل أخوية "بوناباكولو أباسي خيمو" Bonaabakulu abasekhemu الموجودة في جنوب أفريقيا، والمعنى الحرفي لهذا الاسم هو "أخوية المصريين رفيعو المستوى". وهذه الأخوية تتفاخر بأصول نشأتها التي تعود إلى أيام الفرعون "خوفو"، أي منذ أربعة آلاف سنة، ومؤسسها الأول كان أحد كهنة "إيزيس". ومهمتها الرئيسية كانت ولا زالت تتمثّل بـ"نشر الحكمة المنحدرة من الأقدمين بين كافة أعراق وقبائل أفريقيا..". أما ممارسة ودراسة تعاليمها

السريّة من قبل أعضاءها المنتسبين فتُسمى Ukwazikwesithabango ومعناها *"..العلم الذي يعتمد على قوة الفكر.."*.

لكن هناك أمر مهم بخصوص ممارسي هذه الثقافة الروحية ذات الأصول المصرية. فهؤلاء يزعمون بأنه ليس فقط ثقافتهم انحدرت من مصر بل أصولهم العرقية أيضاً. أي أنهم يتفاخرون بانتماء أجدادهم إلى شعب "الكاماو" أو "الخامو" أو "الخيمين" (نسبة إلى بلاد مصر). تحدثت روايات تاريخية كثيرة عن فترة معيّنة في التاريخ التي شهدت فيها مصر هروب عدد كبير من كهنة المعابد (رجال العلم) إلى خارج البلاد، بسبب المجازر الثقافية والعلمية التي تعرّضت لها، وانتشروا في كل أنحاء العالم. ويبدو أنه كان لأفريقيا حصّة كبيرة من هؤلاء. كان ذلك قبل آلاف السنوات طبعاً، أي قبل التاريخ المكتوب بعصور.

هناك نقطة مهمة أودّ إضاعتها هنا، وهي أن بعض هذه التعاليم الروحية الأفريقية، ذات الأصول المصرية، تتطابق بشكل مذهل مع تعاليم "الفيدا" الهندية! وهذا أمر وجب أخذه بعين الاعتبار خصوصاً بعد مراجعة فرضية الباحث الفرنسي "جاكلواه" حول الأصول الهندية لكافة الفلسفات الروحية المتطورة حول العالم.

أستطيع ذكر عدد كبير من التعاليم الروحية الأفريقية المتمحورة حول شجرة الحياة، لكن سأكتفي باثنتين فقط. سأحدث أولاً عن تقليد "إيفا/أوريشا" Ifa/Orisha tradition لشعب "اليوروبا" Yoruba (غرب أفريقيا). صحيح أن هذا التقليد نبع من ثقافة شعب "اليوروبا" لكن ليس جميعهم يمارسونها أو منخرطون في شعائرها ومعتقداتها. لكن هذا لم يمنع التقليد من الانتشار بشكل واسع، وبأشكال وصيغ المختلفة، في أفريقيا وأمريكا الجنوبية (سانتيريا Santería).

على أي حال، هذا التقليد يتمحور حول مجموعة نصوص "إيفا" Ifa المقدسة التي أوحيت إلى النبيّ "أورونميلا" Orunmila قبل أكثر من أربعة آلاف سنة. كانت تعاليم "أورونميلا" موجّهة إلى شعب "اليوروبا" والتي تمحورت حول وسائل التنبؤ بالمستقبل،

التعددية. هذا "المصدر الأول والوحيد" هو السبب الأول، الخالق، الكيان "الضروري" الذي هو متوحد في كينونته وجوهره. فقط عبر التعويذات، الطبول والرقص، وأعشاب خاصة، يستطيع الفرد أن يوقض "الأوريشا" في داخله، فيتصالح مع جسده، ليتمكن بعدها التوحد مع هذا الكيان العظيم، والعودة إلى النور الروحي والصحة الجسدية.

من الجدير إضافة نقطة مهمة أخرى هنا، وهي التشابه المذهل في منظومة العلاج بالأعشاب لدى "اليوروبا" (وأفريقية بشكل عام) وتلك السائدة بين هنود أمريكا الشمالية، والصين والهند. فمثلاً، التطابق بين منظومة "أوساين" Osain الأفريقية للعلاج بالأعشاب (تعود إلى أصول مصرية قديمة)، ومنظومة العلاج الصينية واضح من خلال مفهوم "الين" Yin و"اليانغ" Yang المعروف لدى الصينيين، و"أوشون" Oshun و"شانغو" Shango الأفريقية. أما منظومة "أيورفيدا" Ayurveda الهندوسية فيمكن استنتاج التطابق مباشرة، ليس من خلال مقارنة المفاهيم فحسب، بل التطابق بين الكلمات والتهجئة والمعاني أيضاً، كالكلمات التالية:

منظومة "أوساين" Osain	منظومة "أيورفيدا" Ayurveda
أوزيريس	إسوارا
إشثار	إشفارا
ساماد	سامادهي
أوريشا	دوشا
ماي	مايا
أوغون	غونا
أوباتالا	باتا
كيبش	كابا

تذكر أن أصول منظومة "أوساين" للعلاج بالأعشاب انحدرت من مصر وليس الهند، وهذه الحقيقة وحدها تجبرنا على إعادة النظر في الأصول الحقيقية للتقاليد الروحية والفلسفية الهندية بشكل عام.

أرواح "الأوريشا" وتأثيراتها وفق ترتيبها في مقامات ومسارات شجرة الحياة

فيما يلي قائمة "الأوريشا" بأسمائها المختلفة (باختلاف المذاهب التي تفرعت من تقليد "إيفا" الأساسي، في كل من أفريقيا وأمريكا الجنوبية)، ومراتبها التي تحتلها في شجرة الحياة.

	المقامات		
	صفر	أولورون Olorun، أودوماري Odumare، أوغ أوغو Oag-Ogo، إليمي Elemi، أمي Emi.	
	١	أوباتالا Obatala	
	٢	نلا nla، ألا موريري Ala-morere، كوكبو kpokpo، ألابالاتشي Alabalache، أوغينيا oginia، أنانسي Anansi	
	٣	أودودوا Odudua، إيا أغبا Iya Agba، إلي Ile.	
	٤	تشانغو Chango، جاكوتا Jakuta	
	٥	أغون Ugun (أغون باداغريس Ogoun (Badagris)	
	٦	تشانغو Chango	
	٧	إيفا Ifa، أودودوا Odudua، بانغو Bango	
	٨	أدجي تشالوغا Aje Chaluga	
٩	إيموجا Iyemoja		
١٠	دادا Dada، إلي Ile، أوكو Oko		
المسارات الواصلة بين مقامات الشجرة			
١١	أفيفي، أوبي، أرونغان	١٢	أوسانين، أروني
١٣	أوشو، أل باهو، أوشوسي، إياموجا، أيدويو، توغو، أنانسي	١٤	أودودوا، إلي، شامبانا
١٥	أغون، شانغو	١٦	إفي، إلي

١٧	إيبيجي، أورو	١٨	أبيكو، إلبري، أوجيهون، أوبين إجهون، أبي
١٩	دانغي، أيدويديو، مانمانا، سلوانغا	٢٠	إلي أروشا أوكو، تشوغودو
٢١	شانغو	٢٢	أغونغون
٢٣	ألوكون، أولوسا، أوبا، أوبا	٢٤	أيدويديو، إري، دانغي
٢٥	أيدويديو، أنتوماري	٢٦	إليغا، إشو، أونغوغو أغو، إلبيرا، أدون
٢٧	أوغون، أغون باداغريس	٢٨	أودودوا، أودو إياموجا، إياوا
٢٩	إياموجا، إفي، أديي أرانا	٣٠	أرون، إلبدا، أندلوسان، أجاهوتو
٣١	مانمانا، أرون أبادي، أغونغون	٣٢	زانغبيتو، أوغبوني، إغونغون، بوجي

الفودو في جزيرة هايتي

Haitian voodoo

"الفودو" voodoo، هذه الكلمة التي لازالت تزرع الرعب في نفوس الكثيرين بسبب ارتباطها بالسحر الأسود، وقد بلغت الأفلام الأمريكية في تضخيم جانبها "الشرير"، هي في الحقيقة إحدى الممارسات الشعائرية الأفريقية التي انتقلت مع العبيد الأفارقة إلى العالم الجديد، وكما نجد "السنتريا" Santeria في كوبا، و"كاندوبيل" Candomble في البرازيل، و"أوبياسين" Obeayisne في جمايكا، و"شانغو" Shango في ترينيداد، نجد أيضاً "الفودو" في جزيرة هايتي. برزت إلى السطح مجدداً بعد نيل العبيد حريتهم حيث دفعتهم حماستهم للعودة إلى ديانة الأجداد. ومنذ حينها بقيت تمثل الديانة الأبرز في الجزيرة حتى اليوم. وها هي اليوم تُمارس بصيغ وأشكال مختلفة حسب اختلاف المجموعة أو الطائفة. تُمارس شعائر "الفودو" بهدف مناشدة الأرواح (تُسمى "لواس" Lwas) ودعوته للحضور للمساعدة، الإرشاد، أو غيرها من غايات أخرى للاستفادة من قواها وقدراتها العظيمة. الـ"لواس" هي أرواح الأجداد التي أصبحت عبر الأجيال تجسديت لمبادئ وخواص معينة. غالباً ما يُقام وليمة كبيرة بهدف إغراء الـ"لواس" لتحضر. يرتدي الممارسون عباة (أو ألبسة عادية) بيضاء اللون ويتم إرشادهم ومساعدتهم من قبل الـ"أوغان" Ougan (كاهن

ذكر) والـ"مانبو" Manbo (كاهنة أنثى) حتى يُستحوذ عليهم في النهاية من قبل الـ"لواس". خلال الرقص، الغناء، وقرع الطبول على نغمة محددة، تأتي الـ"لواس" أخيراً لتستحوذ على مضيفهم الأرضي. خلال عملية الاستحواذ هذه، تتمح الأرواح عبر مضيفيها (الأشخاص المستحوذ عليهم) الحكمة والإرشاد السليم في الشؤون الدنيوية. الأمر الذي يهمننا هو أن هذه الأرواح مقسومة إلى مجموعات (أمم وطوائف)، وكل مجموعة لها قائدها (كما سيّد الملائكة في القبالة) ولها طقوسها وممارساتها ونغمتها الموسيقية (الطبول) الخاصة. الذي استوقفني هو المقارنة المذهلة التي أجرتها الكاتبة "سالي آن غلاسمان" Sallie Ann Glassman في كتابها "رؤيا الفودو" Vodou Visions، حيث وجدت أن طريقة تقسيم هذه الأرواح وفق خصائصها ووظائفها تتوافق تماماً مع طريقة توزيع الملائكة في شجرة القبالة. تم توزيعها كما يلي:

اللواس	
١	دامبالا وأيدا ويديو Damballah Ayida Wedo
٢	نان نان بوكلو Nan Nan Buklu
٣	غيدي Gede
٤	أغوي Agwe
٥	أوغو Ogou
٦	ليغبا Legba
٧	إرزولي Erzulie
٨	سيمبي Simbi
٩	ماسا Masa
١٠	أزاكا Azaka

إن الدمار الهائل الذي خلفته الغزوات والاحتلالات الهمجية حول العالم، وما رافقها من سلطات طغيان واستبداد، وما تبعها من جهل وانحطاط، لم يترك لنا فرصة للتعرف على ذلك الكم الهائل من أشجار الحياة المحفورة في المعابد ومجالس الحكمة والمدارس الفلسفية في كافة الأمم والحضارات القديمة، كما حصل مع مصر واليونان وأمريكا الجنوبية وغيرها من مناطق في العالم تعرّضت لدمار ثقافي شامل. لكن كما أسلفت سابقاً، هناك فرصة كبيرة لإعادة صياغة "أشجار الحياة" الضائعة لهذه الحضارات القديمة، وذلك من خلال الاطلاع على أساطيرها الشعبية والتعرف على أدوار أبطالها. الأمر يتطلب تسخير بعض الجهد والوقت لإنجاز المهمة بنجاح. فمثلاً، خلال إجراء مقارنة عابرة وسريعة في مرجع فلكي بين آلهة اليونان والآلهة الهندوسية، بالاستناد على ما ترمز له من سمات وخصائص وأدوار لعبتها في الأساطير، استطعت إنشاء شجرة حياة هندوسية. دعونا أولاً نتعرف على الجدول الذي يقارن بين الآلهة:

الإله الإغريقي	الإله الهندوسي	المعنى الإغريقي	المعنى الهندوسي
هيدز Hades	كوبيرا Kubera	إله العالم الماورائي، أو إله الثروة.	إله الثروة، ويوصف بأنه مهول ورهيب.
بوسيدون Poseidon	فارونا Varuna	إله البحر	إله الماء أو الشتاء أو البحر.
كرونوس Kronos	شاني Shani	إله الزراعة، وهو صارم	إله الواجب، وهو صارم
أورانوس Uranos	فاسوكي Vasuki	إله السماء	الكائن السماوي
زيوس Zeus	غورو Guru، أو بريهاسباتي Brihaspati	سيد الآلهة، والد السماء	معلم الآلهة، أو رب الآلهة
أريس Aries	مانغالا Mangala	إله الحرب، والشدة	إله العزم
أبولو Apollo	سوريا Surya		
أفروديت Aphrodite	شوكرا Shukra	آلهة الخصوبة والحب والرغبة	آلهة الحماسة والخصوبة والنقاء
هرمز Hermes	بودها Budha	رسول الآلهة، إله الحنكة والدهاء والتجارة والحكمة	إله معروف بذكاءه، ويعني الاسم حرفياً: الذكاء، الحكمة، الحنكة
أرتميس Artemis	تشاندرا Chandra	آلهة الصيد والمزاج	آلهة معروفة بقلة الصبر، وتعني إشعاع
ديميتر Demeter	بريثفي Prithvi	آلهة الأرض	آلهة الأرض

بعد إسقاط الآلهة الهندوسية على منظومة شجرة الحياة ستبدو المنظومة الهندوسية على الشكل التالي:

مقارنة بين الآلهة الإغريقية والآلهة الهندوسية

الهندوسية	الإغريقية	
Kubera كوبرا	Hades هيدس	١
Varuna فرونا	Poseidon بوسيدون	٢
Shani شاني	Kronus كرونوس	٣
Vasuki فاسوكي	Zeus زيوس	٤
غورو، أو Brihaspati بريهااسباتي	Aries آريس	٥
Mangala مانغالا	Apollo أبولو	٦
Surya سوريا	Aphrodite أفروديت	٧
Shukra شوكر	Hermes هرmez	٨
Budha بودها	Artemis أرتميس	٩
Chandra تشاندرا	Demeter ديميتير	١٠
	مقام "أورانوس" Uranos يتوافق تماماً مع مقام "فاسوكي" Vasuki في منظومة الشجرة.	

ملاحظة: كما في الحالة المصرية، هناك عدد كبير من الأشجار التي يمكن صياغتها من الأساطير الهندوسية، وهذه الشجرة تمثل إحداها.

هناك طريقة أخرى تمكننا من تتبع أثر هذه التعاليم الروحية المتمحورة حول شجرة الحياة في كافة أنحاء العالم. ليس عبر الأساطير، ولا التقاليد الروحية، بل عبر "فكرة رمزية" منتشرة في كل مكان حول العالم. هذه الفكرة الرمزية تُسمى **شجرة الحياة!**

شجرة الحياة في كل مكان وكل زمان

".. إن شجرة المعرفة الواصلة بين السماوات والعالم الدنيوي، وكذلك شجرة الحياة التي تمثّل صلة الوصل بين كل الخليقة، هما ذاتهما "شجرة العالم" و"الشجرة الكونية" المعروفتان في كل ثقافات العالم بأشكال مختلفة. وفقاً للباحثين، فإن شجرة الحياة وشجرة المعرفة الموصوفتان في معظم فلسفات وأديان العالم تمثلان الشجرة ذاتها.."
الموسوعة البريطانية Encyclopædia Britannica

إن مفهوم "شجرة الحياة"، المصوّرة غالباً على شكل شجرة متفرّعة إلى أغصان عديدة، يمثّل فكرة رئيسية فحواها أن كل الخليقة على الأرض موصولة ببعضها البعض، وقد استُخدم هذا المفهوم في العلم، الدين، الفلسفة، الميثولوجيا، ومجالات كثيرة أخرى لشرح هذه الفكرة. فمثلاً: [١] استخدمت كموضوع رئيسي في عدد كبير من علوم اللاهوت، الأساطير، والفلسفات. [٢] استخدمت كاستعارة ترمز إلى غذاء الروح وإنعاشها. [٣] استخدمت كمفهوم صوفي يشير إلى التواصل المتداخل لكل جوانب الحياة على هذا الكوكب والكون عموماً. [٤] استخدمت أخيراً من قبل الداروينيين (أولاد القروء) لشرح مراحل تطوّر الحياة.

لقد ذُكرت أنواع عديدة من "أشجار الحياة" في التقاليد الشعبية، ثقافات الأمم، وكذلك الخرافات، غالباً ما ترمز إلى الخلود أو الخصوبة. لكن أصولها جميعاً نبعت من الأنظمة الدينية المسؤولة عن قولبة تفكير الحشود وتوجيهها.

شجرة الحياة المصرية

في الأساطير المصرية، مثل منظومة "مجلس التسعة" في "هيليوبوليس" التي تناولناها سابقاً، يُعتبر الزوج الأول، باستثناء "شو" و"تقنوت"، "غيب" و"تويت"، هو "إيزيس" و"أوزيريس". قيل بأنهما انبعثا من شجرة السنط (أكاسيا) في "ساوسيس"، والتي اعتبرها المصريون "شجرة الحياة". مشيرون إليها بأنها "الشجرة التي ينطوي داخلها الحياة والموت". هناك أسطورة لاحقة تتحدث عن كيف قام "شت" بقتل "أوزيريس"

ووضعه داخل تابوت، ثم رماه في النيل، فطُمر التابوت عند قاعدة شجرة "الأثل" (الطرفاء). وهناك أيضاً اعتقاد مصري آخر يتناول شجرة "الجميز" المقدسة، والتي وقفت على العتبة بين الحياة والموت، واصلة العالمين ببعضهما.



لوحة مصرية قديمة تصوّر شجرة "الجميز" المقدسة. نحن نرى الظاهر ونمتع عيوننا بجماله، لكن الكهنة المصريون يرون الباطن الذي ترمز إليه الشجرة أصلاً.

غالباً ما يُشار إلى شجرة الحياة في الهيروغليفيات المصرية بطريقة رمزية لا معنى لها ظاهرياً كالمثالين التاليين، لكن المحافل السرية تعلم جيداً إلى ما ترمز إليه.



هناك المزيد عن شجرة الحياة المصرية لاحقاً، وقد خصصت لها موضوع كامل.

شجرة الحياة البهائية

يظهر مفهوم "شجرة الحياة" في نصوص العقيدة البهائية على أنه يشير إلى تجلي الله على شكل معلّم عظيم يظهر للبشرية من جيل إلى جيل. يمكن تفصيل هذه المفهوم أكثر، حيث يُعتبر المعلّم المتجليّ بأنه جذور الشجرة وجذعها، بينما أتباعه يمثلون الأغصان والأوراق. الثمرة التي تنتجها الشجرة تغذي الحضارة المتقدمة على الدوام.

غالباً ما يتم التفريق بين "شجرة الحياة" و"شجرة المعرفة" (شجرة التمييز بين الخير والشر). الأخيرة تمثّل العالم المادي بكل ما يشمله من متناقضات مثل الخير والشر، النور والظلام. بينما في سياق آخر مختلف عن السابق، تمثّل "شجرة الحياة" العالم الروحي، حيث تتعدم فيه كل المتناقضات المزدوجة ويندمج كل شيء ببعضه.

شجرة الحياة الصينية

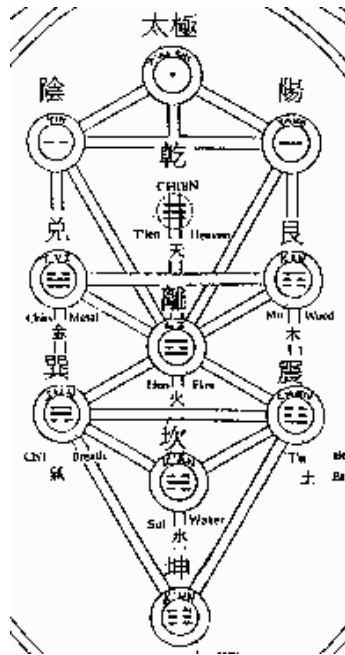
وردت "شجرة الحياة" في الأساطير الصينية بأشكال وهياكل عديدة، لكن غالباً ما كانت الصور تشمل تنين وطائر الفينيق، حيث التنين يرمز إلى الخلود. هناك رواية طاوية مثلاً تتحدث عن "شجرة" تنتج ثمرة المشمش مرة واحدة كل ثلاثة آلاف سنة. وكل من يأكل منها يصبح خالداً.



شجرة الحياة الصينية

نحن نرى الظاهر ونمتع عيوننا
بجماله، لكن الأسياد الصينيون يرون
الباطن الذي ترمز إليه الشجرة أصلاً

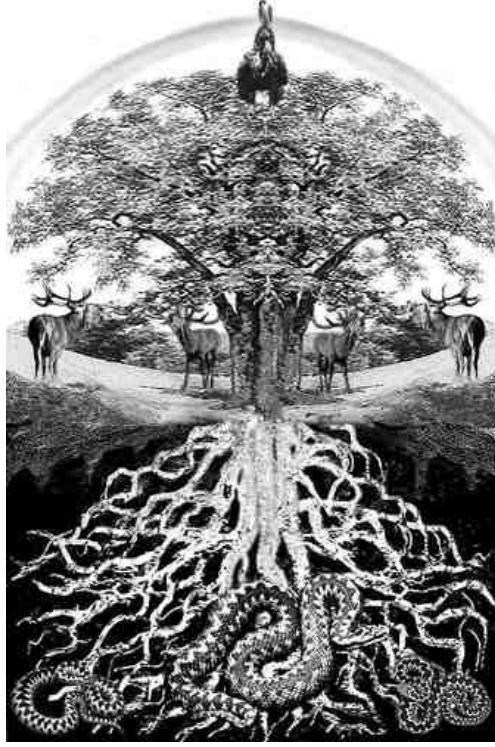
أحد الاكتشافات الأثرية التي جرت في "سانزينغوي" بمقاطعة "سيشوان" في التسعينات من القرن الماضي، خرج من الموقع الأثري الذي يعود إلى ١٢٠٠ ق.م ثلاثة أشجار برونزية، ويبلغ ارتفاع إحداها حوالي ٤ أمتار. عند قاعدتها يوجد تنين، ويتدلى من أحد أغصانها السفلى ثمرة، وعلى قممها يقبع طير غريب الشكل يشبه الفينيق وله مخالب. وفي المقاطعة ذاتها حصل اكتشاف أثري آخر لشجرة حياة أخرى تعود لسلالة "هان" (٢٥٠-٢٢٠ ميلادي). عند قاعدتها يقبع وحش مجنح له قرون. أوراق الشجرة هي على شكل دوائر معدنية وأشخاص. على قممها يقبع طائر مع عدة دوائر معدنية والشمس. صحيح أنه لم يظهر على أي من المخطوطات أو التُحف الصينية أي شكل لشجرة الحياة بصيغتها الحقيقية (كما القبالة) لكن من خلال أساطير الكثير من مدارسها الروحية المختلفة يمكننا صياغة شجرة حياة بناءً على خصائص أبطالها أو قواها المتعددة. فيما يلي مثال على ذلك. لقد تمكن الساحر الماسوني "أليستر كراولي" من صياغة شجرة حياة بناءً على منظومة الـ"أي تشينغ" I Ching الصينية، الطاوية الصوفية esoteric Taoism، والمدرسة الكونفوشية المستحدثة Neo-Confucian school.



شجرة الحياة الصينية التي صاغها الساحر الماسوني "أليستر كراولي" بعد إجراء أبحاث على منظومة الـ"أي تشينغ"، الطاوية الصوفية، والمدرسة الكونفوشية المستحدثة.

شجرة الحياة الجرمانية والاسكندنافية

كان للأشجار دوراً مهماً في الوثنية الألمانية، حيث ظهرت بمظاهر مختلفة في النصوص الناجية عبر العصور وكذلك الأساطير الشعبية التي تتحدث عن آلهتهم. أما شعوب "النورس" Norse (اسكندينايا القديمة) فتمثلت شجرة الحياة التي قدسوها بتلك التي سموها "يوغدرازيل" Yggdrasil، شجرة العالم، وهي شجرة كبيرة (غالباً تُصوّر على شكل شجرة السرو أو شجرة الدردار) تتمحور حولها معظم أساطيرهم. ويُعتقد بأن شجرة السنديان العائدة للبطل الأسطوري "ثور" Thor (لدى القبائل الجرمانية) متصلة بشجرة "يوغدرازيل"، وكذلك شجرة "أوبسالا" Uppsala المقدسة (السويد). ويُذكر في أساطير شعوب "النورس" أيضاً بأن فاكهة التفاح المجلوبة من صندوق مصنوع من خشب الدردار يمنح الخلود للآلهة.

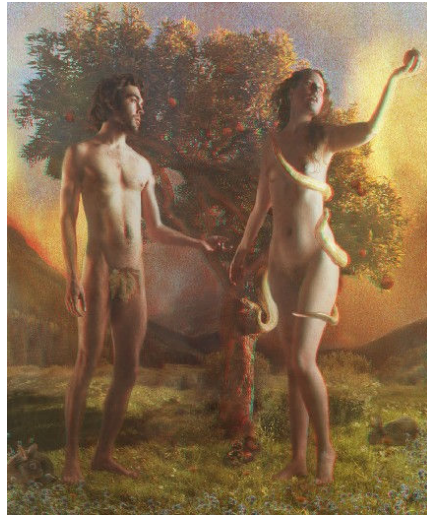


شجرة "يوغدرازيل" .. لاحظوا الأفعى عند جذورها والطائر على قممتها

شجرة الحياة في التوراة

"أنتز شايم" هي الكلمة العبرية المستخدمة في اليهودية للإشارة إلى "شجرة الحياة". هذا المصطلح الوارد في "سفر الأمثال" يرمز إلى التوراة بكاملها. كما أن كلمة "أنتز شايم" (أي شجرة الحياة) ترمز إلى "اليشيفا" (المدارس الدينية اليهودية) وكذلك الكنيس اليهودي، وبالإضافة إلى ممارسات وأعمال أخرى لها علاقة بالتطور الروحي كنتك الممتلئة بكتابات بعض الحاخامات. كما أن هذه الكلمة استخدمت في القدم للإشارة إلى العواميد الخشبية التي عُلّق عليها الرقّ المحتوي على نصوص التوراة Sefer Torah.

وردت "شجرت الحياة" أيضاً في "سفر التكوين" Genesis، وغالباً ما تُعتبر مختلفة عن "شجرة المعرفة". بعد أن غضب الرب من آدم وحواء نتيجة الأكل من "شجرة المعرفة" تم طردهما من جنة عدن، لكن بقيت "شجرة الحياة" قائمة فيها. ومن أجل منع أي وصول للشجرة مستقبلاً تم تعيين ملاكين يحملان سيف متوهج على المدخل. (سوف نعود إلى هذه الفكرة لاحقاً لمقارنتها مع تعاليم أخرى تحدّثت عن تعيين أسود أو نمور، أو كائنات أخرى ترمز للباس، لحراسة الشجرة).



آدم وحواء .. الشجرة والأفعى

شجرة الحياة في الهند

تلعب النباتات دوراً مركزياً في الثقافة الهندية، والتي هي أصلاً ثقافة نباتية (من حيث الطعام). وردت رمزية شجرة الحياة في الترتيلة رقم [١٣٥] من الكتاب العاشر للـ"ريغ فيدا" Rig-Veda (أقدم نصوص الفيدا الهندوسية وأكثرها أهمية)، وفي الفصل الخامس عشر من الـ"بيغافاد غيتا" Bhagavad-gita (أغنية الله المقدسة. مندمجة مع ملحمة الماهابارتا السنسكريتية). هناك نوعان من أشجار التين (تسمى "أشفيتا" بالسنسكريتية) المقدستان في الثقافة الهندية: شجرة "البانيان" banyan (تين البنغال) وشجرة "البيبال" peepal (تين هندي أيضاً). ترمز شجرة "البانيان" إلى الخصوبة، حسب الـ"أغني بورانا" Agni Purana (إحدى القصص السنسكريتية تتحدث عن أعمال الآلهة الهندوس وخلق الكون وإيادته وإعادة خلقه)، لذلك فيه معبودة من قبل أولئك الذي يرغبون في إنجاب الأولاد. كما أنه يُشار إليها بشجرة الخلود في الكثير من النصوص الهندية.



تلعب شجرة التين الهندية في العديد من النصوص الهندوسية إما دور المراقب أو المشارك فعلياً في الأحداث. كان الحكماء والمستشرقون يجلسون في ظلّ شجرة التين بهدف إنشاد التنور، فيتباحثون في شعائر الفيدا ويمارسونها. "الشجرة البوذية" التي حقق "غوتاما بوذا" في ظلّها التنور هي شجرة "البيبال".

الشجرة البوذية

رمزية الشجرة البوذية

يُشار إلى الشجرة البوذية على أنها "شجرة الحكمة"، وهي رمز مقدّس في البوذية لأسباب عديدة نبعت من اجتهادات مختلفة وفرضيات متباينة لدرجة يعجز فيها الفرد عن معرفة أي منها هي الصحيحة. أهم هذه الأسباب هي:

[١] – الشجرة تمثّل المكان الذي أحرز فيه بوذا التنوّ، وبالتالي فنُعتبر مقدّسة من الناحية الجغرافية. [٢] – إنها تمثّل مفهوم قديم جداً، ويعتبرها البعض "الشجرة العالم" الأسطورية. وبالتالي فهي مقدّسة من الناحية الزمانية. [٣] – تعتبر هذه الشجرة بأنّها تمثّل رمزياً التقدم نحو التحرر من قيود المادة، وبالتالي فهي مقدّسة من ناحية التطوّر الروحي. [٤] – قيل بأنّها كانت يوماً تمطر الزهور، وبالتالي اعتبرت مقدّسة من الناحية الإلهية.

في جميع هذه الحالات تبقى الحقيقة هي ذاتها: الشجرة البوذية تمثّل المدخل إلى الـ"دهارما كايا" Dharmakaya (النظام الكوني الطبيعي والأخلاقي الذي يشمل كافة المخلوقات) الذي يمثل أكثر المظاهر التجاوزية أهمية في البوذية. لكن هذا المدخل لا يرتكز على الوعي (الصحة) البسيط العادي. الدخول إلى الـ"دهارما كايا" هو عبر "سامبهوغا كايا" Sambhogakaya، وهي المسارات المارة عبر العوالم المتوسطة للبوذية التانترية، وهذه طبعاً تعرّضت بمعظمها للنسيان وفقدت إلى الأبد.

خلاصة الكلام هي أن المعنى الحقيقي للتأمّل عبر "الشجرة البوذية"، يرتكز على "شجرة رمزية"، شجرة التين، والتي توفّر معاني غنية متعددة للطبقات للنفس خلال الرحلة نحو التنوّ. وهذا ينطبق على شجرة الحياة في تعاليم القبالة.



بوذي جاهل
للحقيقة (كما حال
الكثيرون غيره)
يتأمّل عند قاعدة
شجرة حقيقية!

شجرة الحياة في حضارات أمريكا الجنوبية والوسطى

تُعتبر فكرة "شجرة الحياة"، أو "شجرة العالم" وفق مفهوم العام، من الأفكار المسيطرة في أساطير الخلق المُعبر بها في الأيقونات والهيروغليفيات الهندية الأمريكية. يمكننا إيجاد عدد كبير من الأساطير والأعمال الفنية المصوّرة لشجرة الحياة في تقاليد وثقافات كل من حضارة المايا Maya، الأزتك Aztec، إزابان Izapan، ميكستك Mixtec، أولمك Olmec، الإنكا Inca، وغيرها. غالباً ما تصوّر أشجار الحياة مع عصافير على أغصانها، وجذورها تمتد في التربة أو الماء، وأحياناً كثيرة يقبع تحتها وحش بر مائي يرمز إلى العالم السفلي (الماورائي).



شجرة الحياة تعود إلى حضارة الأزتك. لاحظ وجد طير على كل غصن والأفعى المحيطة باللوحة



شجرة الحياة تعود إلى حضارة إزابان



شجرة الحياة تعود لحضارة الأولمك Olmec (ازدهرت بين ١٢٠٠ و ٤٠٠ ق.م في السواحل الجنوبية الشرقية من المكسيك) لاحظوا الأفعى الصاعدة.

شجرة المايا

اللوحة التالية هي من بين التّحف المعودة التي نجت من أدي التخريب والدمار التي عمّت القارة الأمريكية في فترة الغزو الأوروبي، وهي موجودة في معبد "الصليب المطرق"، ويُعتبر أحد المعابد الرئيسية الثلاثة في مدينة "بالانك" Palenque الأثرية (حضارة المايا) في المكسيك، والمعروفة بمجموعة معابد "الصليب".



لوحة "شجرة الحياة" في معبد "الصليب المطرق"، يعود تاريخها إلى العام ٦٩٨ م.

تم بناء المعبد من قبل الملك "تشان باهلوم" Chan-Bahlum إحياء لذكرى والده وكذلك احتفالاً بشعائر تبوؤه العرش بعد موت والده، الملك "باكال". تبيّن اللوحة "تشان باهلوم" على اليسار، يلبس فقط رداء الأسد وشعره الطويل ملفوف كدليل على جهوزيته لتحمل أنقال غطاء الرأس الملكي، الذي يرمز إلى أعباء السلطة. يقف والده "باكال" على الجانب الآخر، يرتدي كساء الموت، ويمسك بشعار السلطة الملكية. نلاحظ في الوسط وجود "شجرة الحياة" بإحدى أشكالها التي يصورها شعب المايا. تبدو هنا متشكلة من نبتة الذرة، صاعدة من تجمّع مائي ووحش الزنبق Waterlily Monster وهو يرمز إلى مياه الأرض التي هي مصدر الحياة. في قمة الشجرة يقبع طائر مائي ضخم يرتدي قناع "الطائر السماوي" (متوافق مع "أين صوف" في نظام شجرة القبالة). أغصان الشجرة هي على شكل أكواز ذرة متجلية بهيئة رؤوس بشرية (مقامات شجرة الحياة). يُصوّر الملك "باكال" وهو يقدم لابنه أداة لإراقة الدماء، وهي أداة تُستخدم في الطقوس من أجل توليد النشوة الروحية. الدوخة الناتجة من النزيف الدموي يؤدي إلى دخول الفرد إلى حالة وعي بديلة. ويبدو أن هذه الوسيلة البشعة كانت الخيار الوحيد بالنسبة لأولئك الناس.

لكن المسألة التي تهمننا هنا ليست إراقة الدماء التي كانت شائعة في طقوس تلك الحضارة، بل تتجاوز ما هو ظاهر إلى ما هو باطن. الفكرة الرئيسية التي تظهرها هذه اللوحة هي أن "باكال" يسلم ابنه "التعاليم السرية" المقتصرة على الحلقة الحاكمة فحسب، بحيث يمكن من خلالها الصعود تدريجياً عبر المقامات المتتالية حتى تتحقق النشوة الروحية ويتم التواصل مع الآلهة دون حاجة للطقوس الدموية.

يبدو أن هذه السلالة الكهنوتية الحاكمة فعلت ما فعله القائمون على كافة المؤسسات الدينية حول العالم: تلقين الشعوب الروايات الرمزية والشعائر الفارغة المتمحورة حولها، بينما احتفظوا هم بالحكمة الحقيقية المبطنّة بين سطورها.

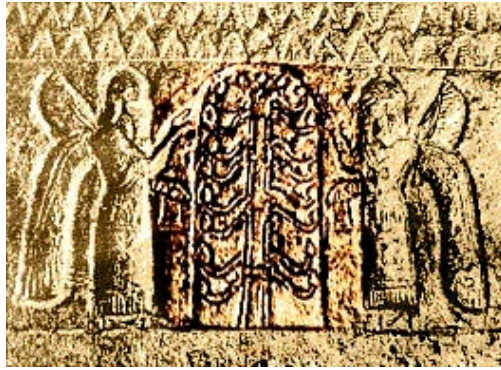
شجرة الحياة التركية

تُعتبر "شجرة الحياة"، أو "شجرة العالم"، رمز أساسي ومهم في ميثولوجيا الشعوب التركية، لم أقصد الدولة التركية بل الشعوب التركية الممتدة إلى أواسط آسيا. فمثلاً، يمكن مشاهدة رمز "شجرة الحياة" بوضوح في علم دولة "شوفاشيا" Chuvashia التركية، التابعة للفدرالية الروسية.



رمز "شجرة الحياة في علم دولة "شوفاشيا" التركية في الفدرالية الروسية

أما دولة "أورارتو" Urartu التي ازدهرت بين القرنين الثالث عشر والسادس قبل الميلاد في جنوب غربي آسيا (بين البحر الأسود وقزوين)، فقد بالغت كثيراً في استعراض "شجرة الحياة" كرمز ديني، حيث حفرتها على دروع الجيوش وجدران الحصون، بالإضافة إلى تصويرها في الكثير من تحفها الفنية.



قطعة من خوزة رأس برونزية تعود إلى مملكة "أورارتو" وتبدو شجرة الحياة واضحة

شجرة الحياة في ثقافات أخرى مختلفة

في ديانة "الشينتو" Shinto اليابانية، تصوّر الأشجار بشكل أوراق مقدّسة وترمز أحياناً إلى صواعق البرق، حيث كانت الأشجار مقدّسة لديهم. بعد موت الأجداد والحيوانات، كانوا يصوِّرونها على شكل أغصان أشجار. إحدى أقدم أشكال الأديان الإغريقية تأصلت من طقوس متمحورة حول الأشجار. وكذلك الشعوب "السلتيّة" Celtic (أيرلاندا) التي كانت تبجلّ الأشجار. إحدى أقدم أساطير هنود "الأوروكويس" Iroquois (أمريكا الشمالية) تحدثت عن العالم الأصيل حيث توجد "شجرة حياة". وفقاً للأسطورة، كانت الشجرة في السماوات حيث عاش البشر الأوائل، إلى أن سقطت امرأة حامل في بحر لامحدود، فأنقذتها سلحفاة عملاقة من الغرق، وشكّلت بعدها العالم على ظهر السلحفاة بواسطة لحاء "شجرة الحياة". يمكن إيجاد فكرة "شجرة الحياة" في أساطير الخلق لدى هنود "أوجيبواي" Ojibway (أمريكا الشمالية)، حيث توصف أحياناً بأنها شجرة الأرز الجذّة، ومنها، أو غيرها، انبعث العالم إلى الوجود.

نستطيع الاستمرار بالحديث عن هذه "الشجرة المقدّسة" إلى لا نهاية لكن أعنقد بأن الفكرة أصبحت واضحة. شجرة الحياة تمثّل فكرة عالمية منتشرة في معظم الثقافات حول العالم. ورغم المظاهر المختلفة التي اتخذتها في كل من هذه الثقافات (أصبحت بمعظمها رمزية وسطحية بحيث تتمحور حولها الأساطير والخرافات المظلمة)، إلا أنها في الحقيقة تركز على فكرتين أساسيتين: [١] شرح الطريقة التي تجلّى بها الخالق في خلقه. [٢] كما أنها تمثّل بنفس الوقت أداة مجدية للتطوّر والارتقاء الروحي.

بما أن التعاليم المصرية العريقة تعرّضت للطمس والتدمير الكامل تقريباً، سوف نواجه صعوبة في تتبّع أثر "الشجرة" لكن لا يعني أن الأمر مستحيل. سوف نتعمّق أكثر في الموضوع بحثاً عن المزيد من الدلائل التي تشير إلى حضور مفهوم "شجرة الحياة" بقوة في الثقافة المصرية. يمكن تتبّع أثرها وفق خيوط أولية عديدة، لكن لتوفير المساحة والوقت، سأتناول خيط واحد مهم:

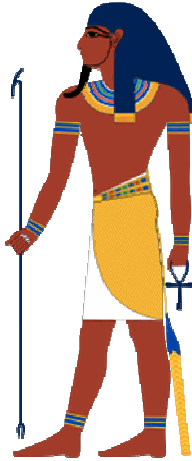
الأنخ

ANKH

رمز شجرة الحياة المصرية



يُعرّف "الأنخ" بأنه رمز الحياة الدنيوية والخالدة معاً. يعتبرها الكثيرون بأنها الصليب الأصلي الذي ابتكره المصريون القدامى كرمز روحي قوي جداً. تزعم بعض المراجع بأن كلمة "أنخ" تعني بالمصرية القديمة "حياة". كما جعلوه يرمز إلى القدرة على منح الحياة وتعزيزها.. أي الحيات المتجددة.. أي الموت والحياة من جديد. أصبحت مع الوقت ترمز إلى الحياة الخالدة، والكون. شكلها الذي يشبه المفتاح شجّع على ظهور الاعتقاد بأنها تستطيع فتح أبواب الموت، وهذه هي النظرة التي تبناها محفل الصليب الوردى والمحافل الهرمزية الأخرى.



غالباً ما يُصوّر الآلهة والملوك بمسكون "الأنخ" بأيديهم كرمز سيطرتهم على قوى الحياة والموت، وبالإضافة إلى كونهم خالدون. لكن أحياناً ما يُصوّر الأموات وهم حاملين الأنخ خلال وزن أرواحهم بعد الموت أو عندما يكونوا على متن قارب إله الشمس، وهذه علامة على أنهم يسعون إلى الحوزة على نفس الخلود من الآلهة. في الحقيقة، هذا التفسير الأخير هو ما توصل إليه الباحثون في الآثار المصرية، نوي العقلية العلمانية المادية. فالنظر التجاوزية لهذا الرمز تختلف تماماً.

إذا افترضنا بأن الحالة التي وصفها الخبراء (العلمانيون) موتاً هي ليست كذلك بل مجرد حالة خروج عن الجسد، وهذه ممارسة كانت شائعة في ذلك الزمن، كما نفترض أيضاً أن الركوب في قارب إله الشمس لا يمثّل عملية تجري بعد الموت بل التزام الفرد بحياة معيّنة تتناغم مع مواقع الشمس المختلفة خلال إبحارها في قبة السماء (وهذا موضوع طويل سوف نتناوله في أجزاء قادمة)، إلى ماذا سيرمز الأنخ في هذه الحالات المختلفة؟ قبل الإجابة على هذا السؤال هناك الكثير من الأمور التفصيلية التي يجب توضيحها.



الأهمية الكبرى التي مُنحت للأنخ طوال العصور، وكذلك عمق رمزيته بالنسبة للملكية المصرية، أدى أخيراً إلى تنبيه تدريجياً من قبل الكنيسة المصرية خلال فترتها الأولى. هذا أمر مهم جداً، حيث قد يمثّل الأنخ الأصل الأساسي الذي تطور منه الصليب.

لطالما مثّل الأنخ رمز ديني مركزي في الحضارة المصرية. لم يظاهايه أي رمز ديني في الأهميّة الروحية سوى شمس "أنخاتون" Ankhaton. وهذا أمر يدعو للتساؤل فعلاً، حيث الأنخ لم يكن يشبه الجسم البشري، ولا حتى الحيوان، مع أن كل الآلهة كانوا بهيئة بشرية مع رؤوس حيوانية كدلالة على رمزية معيّنة. هذا الصليب تضمّن كافة الأفكار المتعلقة بالكينونة الإلهية، والتي هي لامحدودة في الطبيعة. بما أن التوحيد يمثّل جوهر العقيدة المسيحية، بالتالي يبدو أن الأنخ مثّل الخيار الأمثل ليرمز إلى العقيدة بإله واحد قدير. لكن السؤال هو، لماذا رمز "الأنخ" وليس غيره؟

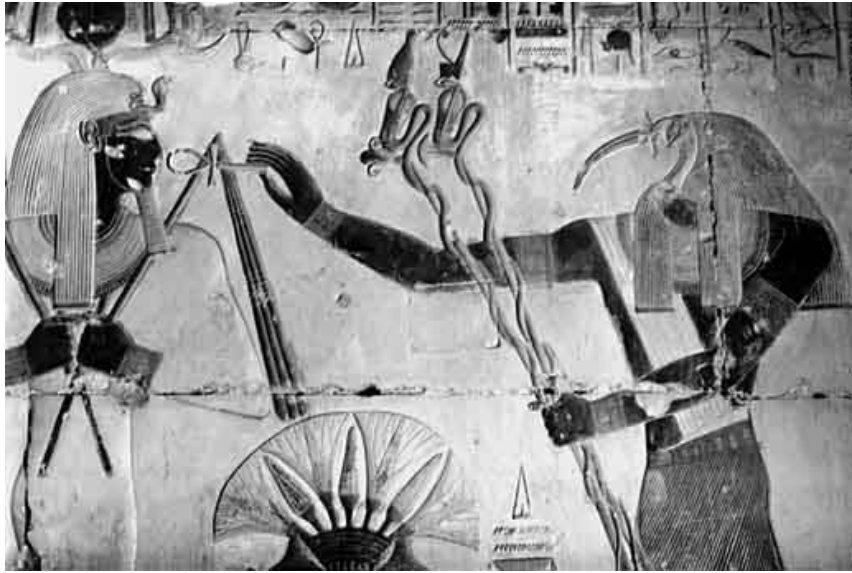
فيما يلي بعض الأسماء، الصفات، والتفسيرات الواردة في مراجع مختلفة، والتي نُسبت للأنخ:

— الأنخ هو الصليب المصري، مفتاح الحياة، مفتاح النيل، الصليب والممسك. الأنخ هو الحياة الأبدية، نفس الحياة، تَلَفُظ الحياة، القَسَم، الميثاق، هبة الحياة، الخلود، القوة،

مانحة للحياة، مفتاح بوابات الموت والحياة الأبدية، الحياة بعد الموت، مانح السيولة الحيوية (طاقة). التوحيد بين الذكر والأنثى (رمز أوزيريس وإيزيس) لتجلّي الحياة.



الأنخ هو رمز الحياة، الحياة الأبدية، الولادة من جديد، الحماية، القوة، الحكمة والعزم. هو رمز التزاوج والخصوبة، الاتحاد بين الذكر والأنثى، السماء والأرض، إيزيس وأوزيريس. هذا الأنخ المانح للحياة لديه القدرة على كشف كل الأسرار. هذه هي صفات شجرة الحياة..!



الإله "توت" يكشف للملك "ساتي" التعاليم السريّة لشجرة الحياة في أبوديس.
هذه الوضعية التي تم تصويرها في الكثير من اللوحات الجدارية فهمت خطأً بحيث
فُسرت بأنها مجرد عملية منح البركة من الآلهة.

يُصوّر الأنخ في بعض الأحيان موضوعاً على الجبهة، بين العينين، وهذا يرمز إلى واجب المنتسب إلى الحلقة الكهنوتية أن يحافظ على سرية التعاليم التي سُمح له بالاطلاع عليها. بصفته حائزاً على بركة البصيرة التي منحتها القدرة الاستبصارية النافذة عبر حجاب العالم التجاوزي، لا يمكنه أبداً كشف السرّ دون فقدان هذه البركة إلى الأبد.

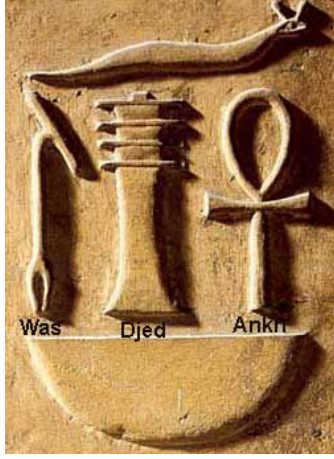
الدليل الجازم

الأنخ – الدجيد – الواز

هذا الرمز المركّب، الذي يتألف من اندماج ثلاثة رموز معاً، هو الأكثر قدسية على الإطلاق، بحيث يرمز إلى أسمى درجات العالم الروحي (التجاوزي). لهذا السبب تم تربيته من قبل الرعايا المصريين كتعويذة قوية جداً إذ يُزعم بأن لها قوى سحرية عظيمة.



تعويذة الـ [أنخ – دجيد – واز]



هناك صيغ كثيرة لجمع هذه الرموز الثلاثة في الكتابة التصويرية. الصورة المقابلة مثلاً تبين خرطوشة (مجموعة صور تمثل كلمة واحدة) ترمز كتابياً إلى هذا المفهوم المقدس. غالباً ما تُستخدم لوصف الفرعون أو تأتي عموماً في سياق الحديث عن أمور ماورائية (تجاوزية).

الأنخ - دجيد - واز] بصيغة الكتابة المصوّرة

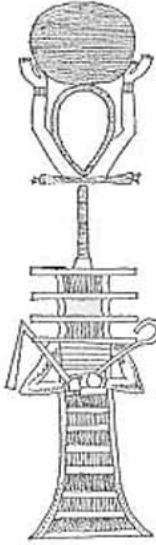
غالباً ما يظهر في اللوحات الفنية صيغة معينة للأنخ والدجيد مع رمز الـ"كا" KA (النفس العليا) الذي يُصوّر على شكل يدين موجهتان للأعلى. وهذا إيحاء واضح لعملية تطوير النفس والارتقاء الروحي.



رمزية "الدجيد" Djed

يُعرف الدجيد أيضاً بـ"عمود دجيد"، أو "دعامة دجيد"، وهو رمز مرتبط بالإله أوزيريس، وبالتالي نُسب إليه معاني كثيرة أهمها: الخصوبة، الحبل السري، شجرة الحياة، العوالم الأربعة، وغيرها. استخدم الدجيد في سياقات كثيرة، وبالتالي تعددت معانيه حسب سياق الموضوع، لكنه أصبح في النهاية يرمز عموماً إلى الثبات، الرسوخ، والاستقرار. أصبح مع الوقت يُعتبر من أشهر الرموز في مصر القديمة.

السبب الذي جعله يرمز إلى الرسوخ والثبات هو أنه (بنظر اللاهوتيين المصريين) يمثّل العمود الفقري للإله أوزيريس. لكن من أين جاء هذا المفهوم الأخير؟



إن للدجيد علاقة وثيقة بالشجرة المذكورة في أسطورة إيزيس/أوزيريس/حورس، والتي تتحدث عن الموت والبعث من جديد.

الإله أوزيريس (يحمل رموز الجلالة الملكية، الخطف والمدرس) يظهر على شكل عمود الدجيد. ويعطوه الأنخ ورمز الـ"كا"، مما يشير بوضوح إلى أن عمود الدجيد يُعتبر ضرورياً في عملية تحوّل الذات الجسدية إلى ذات روحية، وذلك عن طريق ارتقاء الوعي عبر التنوّر.

ذُكر في أحد الأساطير بأن الدجيد برز من الكومة الأولية للخلق، ومثّل العمود الفقري للإله المصري "بتاه" Ptah، وهذا الدور لعبه "أوزيريس" في أساطير سابقة.



الخلاصة باختصار: إذا أردنا وصف الدجيد وفق منظور تعاليم القبالة، نجد أنه يمثّل فعلاً جسد أوزيريس (شجرة الحياة) دعامة العالم، وشفراته الأربعة التي في أعلاه تمثّل المراحل الأربعة التي خُلِقَ عبرها الكون:

[١] "أتزِيلوث" Atziluth

[٢] "برياه" Briah

[٣] "يتزراه" Yetzirah

[٤] "أسايا" Assiah

رمزية "الواز" Was

هذا الرمز الذي كان يمثّل القوة والسيطرة (الدينيوية والماورائية)، حيث يُصوّر على شكل عصى في يد الآلهة، أصبح مع مرور الزمن عبارة عن عصى حقيقية يحملها الملوك وحتى أشخاص عاديين ذوي منزلة اجتماعية رفيعة. أشهر المعاني التي يرمز إليها هي: القوة، السيطرة، النفوذ، الكهنوت، السلطة، الحظ، السلطان (السيادة)، والحكم.

رغم كل هذه المعاني التي نُسبت لهذا الرمز، لكن المظهر يبيّن الحقيقة بوضوح.. هذا الشكل يمثّل هيئة "أفعى" أو فصيلة من الزواحف. وإدراك هذه الحقيقة يكفي للتوصل إلى حلّ اللغز.

اكتشاف السرّ



إذاً، تبين أن هذا الرمز المقدس له معنيين: باطني وظاهري. في الأوساط العامة، أي الذين ينظرون إلى ظاهر الأمور وليس باطنها، كان هذا الرمز الثلاثي يُستخدم كتعويذة مقدسة لأنه يمثّل ثلاثة فضائل للشمس (الإله الأعلى)، أي "الحياة" (الأنخ)، "الرسوخ" (الدجيد)، و"القوة" (الواز). ويشاركونهم بالنظرة السطحية الخبراء العصريين (الأكاديميين)، والذين لا يقلون غباءً، حيث ترجموا هذه الرموز الثلاثة على أنها من

بين الألقاب المنسوبة للفرعون: كامل الحياة (الأنخ)، كامل الثبات (الدجيد)، كامل القوة (الواز).

بينما في أوساط المحافل السريّة كانوا ينظرون إلى هذا الرمز وفق معناه الباطني. كان يرمز بالنسبة لهم: حالة الوحدة مع الإله الأعلى. فمثلاً، كل من يحمل هذا الشعار (أو الوسام) يُعتبر الفرد الذي وحد حياته مع الإله الأعلى! لكن كيف فعل ذلك يا ترى؟ هل كان ذلك عبر عبادة الشمس؟ أو عبر التضرّع للأصنام في المعابد؟.. لا، بل عبر تسلّق شجرة الحياة.. كالأفعى.. وتجاوز العوالم الأربعة.. ثم تحقيق مرتبة الكمال.. والتوحد مع العقل الكوني.

لكن هذه الفكرة الأخيرة أيضاً بحاجة إلى المزيد من التوضيح. ما هو دور الأفعى في العملية؟ وكيف تتم العملية أصلاً؟ الجواب هو "درب الأفعى" المعروف في القبالة. نحن نشاهد الكثير من الصور التي تظهر أفاعي بوضعيات غريبة كالصورة التالية:



الأفعى تتسلّق النجوم (المقامات) التسعة

إذاً، المعنى الفعلي لشعار الـ [أنخ – دجيد – واز] هو إحرار الوحدة مع الإله الأسمى عبر اتباع درب الأفعى لتسلّق مقامات الشجرة، وبهذا يكون الفرد قد بلغ مرتبة الكمال. والسبب الذي جعل عصي "الواز" ترمز للقوة هو أن حاملها اتقن تعاليم الشجرة من جانبيها: درب الأفعى (الارتقاء الروحي)، ودرب السيف (القدرة على إنجاز أي شيء يرغبه بقوة السحر). لكن هذه الرمزية حُجبت عن الناس العاديين وأصبحت تُعبّر ظاهرياً عن المقام الرفيع من الناحية الاجتماعية وليس الروحية.

تعاليم "شجرة الحياة" المصرية

فكرة أوليّة



الفكرة الجوهرية التي تأصلت منها فكرة "الأفعى" الواردة في كافة هذه الأساطير ليس لها علاقة بالأفعى أصلاً بل ترمز إلى شيء آخر مختلف تماماً. هي تمثل أحد توجّهين يمكن اتباعهما خلال دراسة الشجرة أو ممارسة تعاليمها بشكل عملي.

تم تمثيل التعاليم الروحية المصرية الرئيسية على مخطط انحدر إلينا باسم "شجرة الحياة". هو مخطط يوضّح الطريقة التي خلق من خلالها الله العالم، الإنسان، وصيغة إقامة الإنسان المؤقتة في العالم. تحتوي الشجرة على ١١ مقام، مُرقم من "صفر" إلى "عشرة". يقبع المقام "صفر" في الأعلى، ويُصوّر بأنه "فوق" الشجرة. هذا المقام يمثّل، ويتوافق مع، حالة الله وحالة الوجود قبل خلق العالم الظواهري الملموس. في التقاليد المصرية، هذا المظهر من الله عُرف بأسماء عديدة، مثل: "أمين" Amen، "آتوم" Atum، "آتن" Aten، "نو" Nu، و"نوت" Nut.

شجرة الحياة تصنّف العالم ابتداءً من الحالة التجاوزية للإله المحبوب، غير المتجلى (أمين، آتوم، آتن، نو، نوت) الممثلة بالمقام [صفر] فوق الشجرة، ثم الحالة المتجلى لله

والممثلة بالمقام [١]، ثم الهيئات التي تجلى عبرها الله [جلّ جلاله] في هذا العالم والمُمثّلة بالمقامات [٢] إلى [١٠]. وفق التعاليم المصرية، خلق الله مركبة (الإنسان) ليتجلى عبرها في العالم الذي هو خليقته أصلاً، وذلك ليختبر ذاته كخالق. من أجل أن يختبر نفسه كخالق، منح الله الإنسان إرادة حرّة. (أي كائن حيّ يتمتع بإرادة حرّة في كافة أنحاء الكون شأنه بذلك شأن الإنسان بخصوص هذا المفهوم). لأن الإنسان يتمتع بإرادة حرّة، هذا بالضبط هو السبب الذي جعله حرّاً في تجاوز القانون الإلهي وإبطال الإرادة الإلهية.. أي عن طريق اقرار الشروع على أنواعها. لكن الله يبقى كامناً في "اللاوعي" (وفق مفهومنا العصري)، يدير النشاطات اللاواعية (النفسية والعقلية) منتظراً صحة الإنسان وسعيه إلى تطوير الأقسام العليا من روحه، فيعود ويوافق إرادته مع الإرادة الإلهية. إن التجربة الدنيوية للإنسان ليست من أجله أصلاً، بل تتخرط في سياق المصلحة السامية للخطة الإلهية. يمكننا النظر إلى الوجود الدنيوي (بكل ما يشمله من معاناة) بأنه يخدم هدف توفير الصعوبات الحياتية من أجل تحفيز القوى الإلهية الكامنة، أو بمعنى آخر، استثارة الحالة التي تبدأ خلالها "النفس" الفردية بالسعي إلى إعادة توطيد وبعثها في المستويات العليا من شجرة الحياة.

سوف أتحدث بالتفصيل عن خصائص الآلهة أو أسياذ المقامات في "شجرة الحياة" المصرية في الأجزاء اللاحقة.

يبدو أن هذه التعاليم السابقة لم يقتصر وجودها في الثقافة المصرية، بل نراها متجلية في كافة الثقافات والحضارات الأخرى. خلال الاطلاع على شجرة الحياة بأشكالها وصيغها المتنوعة في الثقافات المختلفة حول العالم، لاحظنا وجود بعض العناصر المتشابهة في معظمها، كالطيور أو الكائنات المجنحة المحلقة فوق الشجرة مثلاً، أو الثمار والفاكهة التي تنتجها الشجرة.. وغيرها من أشياء رمزية تمثل الشيء ذاته (رومي حقيقة معروفة طبعاً لدى القائمين على المدارس السرية في كل تلك الأمم)، لكن من بين العناصر التي تُمثل عامل مشترك بينها جميعاً نجد "الأفعى"، والتي ظهرت أحياناً بهيئة أحد أنواع الزواحف (تمساح، تنين، وحش برمائي.. إلى آخره) حسب اختلاف الأسطورة

الشعبية، وأحياناً نجد "طير" معيّن (أو كائن مجنّح) يقبع عند قمة الشجرة. كل هذه العناصر لها رمزية خاصة لمعلومات مشفرة.



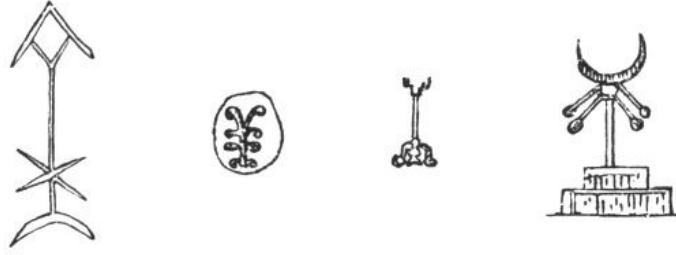
الشجرة، رجل وامرأة، والأفعى... مشهد يتكرّر في كل مكان

تختلف الرموز لكن التقليد السري يبقى ذاته

في كتابه الاستثنائي الذي بعنوان "هجرة الرموز" The Migration of Symbols (١٨٩٤) أجرى الفقيه الماسوني "غوبليه دي ألفيلا" Goblet d'Alviella (١٨٤٦ – ١٩٢٥م)، وهو محامي من أصل بلجيكي، مقارنة بين عدد كبير من معتقدات وأديان العالم: الشرق الأدنى، الهند، أوروبا، والأمريكيتين. حاول تفسير معاني مجموعة واسعة من الرموز والشعارات مثل الصليب المعقوف Swastika، الكوكب المجنح Winged Globe، الشوكة ثلاثية الشعب Trident، وصولجان "هرمز" Caduceus (ملفوفة حوله أفعتان، ويُمثّل شعار الأطباء اليوم)، لكن أبرز الرموز التي تشترك فيها كافة الثقافات، والتي يبدو أنها تشمل كافة الرموز السابقة في بوتقة واحدة، هي "شجرة الحياة" Tree of Life. مع العلم أن الأستاذ "دي ألفيلا" لم يأتي على ذكر تعاليم القبالة، لا من قريب ولا بعيد، بل ركز اهتمامه على محاولة تفسير الطريقة العجيبة التي انتشرت فيها هذه الرموز المشتركة في معظم ثقافات العالم، بالإضافة إلى تفسير العوامل التاريخية والنفسية والاجتماعية المتمحورة حولها. هذا الكتاب يحتوي على مئات الصور والشروحات، ويُعتبر كنز ثمين بالنسبة لكل المهتمين بنشوء وتطور الأديان والمعتقدات. سوف أقتبس بعض الصور وشروحاتها من الفصل الرابع من كتابه والذي بعنوان "ميثولوجيا الشجرة ورمزيتها" SYMBOLISM AND MYTHOLOGY OF THE TREE.

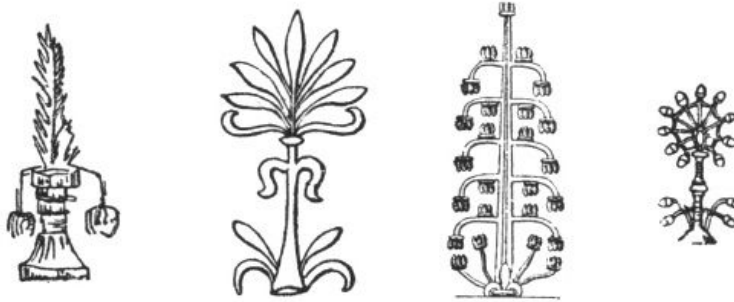
كتب مؤكداً بأن "الشجرة" تمثل أحد المواضيع الأكثر انتشاراً في ثقافات العالم، ويمكن تمييزها في كل مكان رغم اتخاذها أحياناً هيئة بعيدة كل البعد عن كونها شجرة، لكن حضور دلائل أخرى في اللوحة أو الختم أو الاسطوانة يشير بوضوح إلى هويتها وما ترمز إليه من معاني.

يمكن مثلاً أن تظهر على شكل ساق منقرعة عند القاعدة، وتعلوها عند القمة تشعب أو هلال، وقد يقطعها عند الوسط خطين متصالبين أو متدليين، ويمكن أن تحمل هذه الخطوط فاكهة عند نهاياتها. كما تبيّنه النماذج التالية:

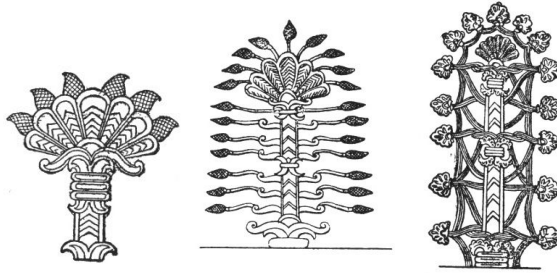


أشكال وهيئات بدائية ترمز للشجرة

يمكن للأشكال البدائية للشجرة أن تتجلى بهيئة شجرة نخيل، أو رمان، أو سرو، أو عريشة عنب.. إلى آخره، كما تبيّنه النماذج التالية:



لكن من ناحية أخرى، يمكن أن يتم المبالغة في زخرفتها بحيث تصبح الشجرة أكثر تعقيداً، حيث قد تحتوي أحياناً على أجزاء تابعة لنباتات مختلفة، وهذا ما أظهرته مثلاً رمز الشجرة المحفورة في التُحف والصروح الآشورية:



شجرة الحياة الآشورية

يؤكد الباحث "دي ألفيلا"، وعبر شروحات مطولة، أنه مهما بلغت قيمتها الفنيّة والتزيينيّة إلا أنها لا تتجاوز كونها ذات قيمة دينيّة مقدّسة في المقام الأول، حيث غالباً ما تكون مصحوبة بشخصيات دينيّة خلال رسمها أو حفرها على الأواني والتحف الملكيّة والمقدّسة. بالإضافة إلى حضور الدائرة المجنّحة (أو كائن مجنّح) عند قمة الشجرة ممثلاً القدسية السامية (أشور في نينوى، وبعل في بابل مثلاً). المظهر الآخر الأكثر شيوعاً لرمز "الشجرة" هو تصويرها بين شخصين مواجهين بعضهما البعض، في وضعية التبجيل، وقد يمثلان الطبقة الكهنوتيّة أو الطبقة الملكيّة.



أو قد يمثلان كائنين من المخلوقات المخيفة كذلك المصوّرة في النقوش الكلدانية/الآشورية، مثل الأسود، كائنات تشبه أبو الهول، وحوش تشبه العنقاء، خيول وحيدة القرن، ثيران مجنّحة، أشباه بشر، جنّ أو عفاريت، كائنات لها جسم أسد ورأس نسر،... إلى آخره.

يبدو واضحاً أن هذه الأزواج من المخلوقات المحيطة للشجرة هي من نوعين ويختلف معنى رمز الشجرة حسب الشخص التي تحيطها. وهذه الشخص هي من نوعين: بشري، وحيواني (غالباً ما يكون وحشي). فيما يلي عيّات من الشخصيات الحيوانيّة التي تحيط بالشجرة:



نقوش كلدانية
محفورة في
الحجر



FIG. b. From a Phoenician Bowl.



FIG. a. Bas-relief of Nineveh.

رسمه مأخوذة من زبدية فينيقية

نقش بارز من آثار مدينة نينوى



FIG. d. From a Sassanian Bowl.



FIG. c. From a Persian Cylinder.

رسمه مأخوذة من زبدية ساسانية

شخص آرامية في اسطوانة فارسية



FIG. f. Archaic Vase of Athens.

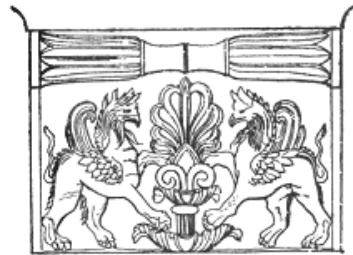


FIG. e. Capital of the Temple of Athene at Priene.

مزهريّة يونانية

نقشة من معبد يوناني في أيونا (تركيا)



FIG. 4. Bas-relief of Bharhut.

نقشة بارزة في "بهارهوت"، الهند



FIG. g. Bas-relief of the Baptistery of Cividale.

نقشة بارزة رومانية في معمودية "سيفيديل"



FIG. j. From a Tympanum of the Church at Marigny.

نقشة من كنيسة "ماريني"، فرنسا



FIG. 8. Tanjore Carpet.

نقشة سجادة من "تanjور"، الهند



رسمه على مزهرية من قبرص



من موقع أثري في جزيرة صقلية



رسمه على مزهرية من قبرص



عملة معدنية تعود للفترة "الغالوية"، فرنسا

ذكر الباحث "دي ألفيلا" بأن رموزاً مشابهة لهذه الشجرة كانت موجودة بكثرة في الهند أيضاً قبل الغزو اليوناني. إن وجود شجرة بين أسدين متواجهين في النقوش البوذية في "بهارهوت"، الهند، هو دليل على هذه الحقيقة. وفي النقوش البارزة في "كانهيري"، الهند، حيث تختلط فيها الرموز البوذية مع بقايا عبادات سابقة، تُصوّر الشجرة بهيئة "شيء مقدّس" (كعمود أو زهرة لوتس تمثل عرش "بوذا") بين فيلين يواجهان بعضهما. وبعد زوال البوذية من الهند ورثت المذاهب البرهمنية هذه الرموز مع إجراء تعديلات، مثل استبدال "بوذا" بـ"بارباتي" زوجة "فيشنو".

ذكرنا سابقاً عينات من الشخوص الحيوانية التي تحيط بالشجرة. وفيما يلي شخوص بشرية تحيط بالشجرة:





FIG. 7. Syrian Ornamentation.

رسمه على صحن نحاسي من سوريا



FIG. 8. Mexican Manuscript.

رسمه في مخطوط يعود لحضارة المايا



FIG. 9. Indian Sculpture.

من النقوش البارزة في كهف "كارلي"، في الهند.

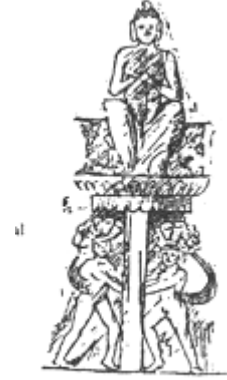


FIG. 10. Indian Sculpture.

من المحفورات الحجرية في كهوف "كانيركي"، في الهند.



FIG. 11. Japanese Group.

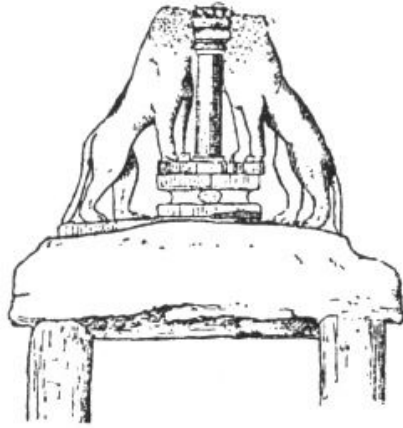
تحفة خشبية يابانية (موجودة الآن في متحف "غوميه" في باريس)

يمكن استنباط الدلالة التي تفسّر الفرق بين كائنات مخيفة تحرس الشجرة (كهنة)، وبين أشخاص عاديين يجلبونها، من القصة التي تحدثت عن "غضب الرب من آدم وحواء نتيجة الأكل من "شجرة المعرفة" وطردهما من الجنة، ومن أجل منع أي وصول للشجرة مستقبلاً تم تعيين ملاكين يحملان سيف متوهج على المدخل..". أي أن الكائنات المخيفة تمثل حراس الشجرة. وقد يكونوا كهنة أو محفل سرّي أو غيرها.

يمكن لرمز الشجرة أن يتخذ هيئة مختلفة تماماً رغم أنها تمثل ذات الفكرة. فقد تُصوّر بهيئة عمود، أو كأس، أو شُعلة، لكنها في جميع الأحوال تبقى بين كائنين حارسين.



الشجرة على شكل
مزهرية بين أسدين.
منحوتة حجرية من
"فريغيا" (تركيا).



الشجرة بهيئة عمود يحرسه
أسدين. يعلوا هذا النصب الحجري
البوابة الرئيسية لمدينة "ميسينيا"
Mycenae القديمة جداً، جنوبي
اليونان.

شعار "نافا راتنا" nava-ratna (الكواكب
التسعة) في "التبت"، وهو رمز بوذي مُستعار
من الهندوسية.

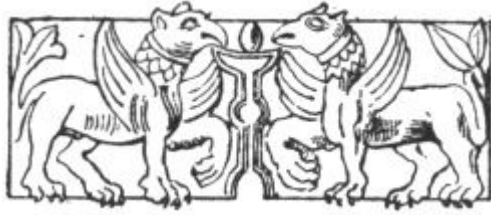




الصليب (يُشار إليه لدى بعض الطوائف المسيحية بـ"شجرة الحياة") يتوسط طيرين.



فن مسيحي من القرن الثالث، عبارة عن "كأس مقدّس" بين طاووسين



شمعدان، أو شُعلة، يتوسط كائنين من "الغريفين" (كائنات خرافية).

نقشة على اسطوانة تعود للحضارة الحثية، وتبدو الشجرة على شكل عمود يعلوه "الكوكب المجنح".



نقشة على اسطوانة فارسية، تبدو فيها الشجرة مُمثّلة بمحرقة أو شُعلة بين كائنين حارسين، والكائن المجنح يخلق فوقها.

إذاً، أينما وجدت شعارات أو نقوش مقدّسة تصوّر شمعدان أو شُعلة أو عمود أو صليب أو زهرة اللوتس أو كأس أو مزهريّة، يحرسها كائنات أو شخوص مخيفة، فاعلم بأن ما تنظر إليه هو رمز "شجرة الحياة"، والمعنى الفعلي لهذا الشعار هو:

التقليد السريّ (منظومة تعاليم الشجرة) المحروس بعناية فائقة من قبل حلقة كهنوتية ضيقة أو محفل سريّ يحافظ على الأمانة الموكّلة إليه.



وقد ذهب الأستاذ "دي ألفيلا" أبعد من ذلك، منوهاً بطريقة غير مباشرة إلى شعارات المؤسسات الحكومية الأوروبية، خصوصاً البريطانية منها، التي ترمز إلى ذات المعنى. وذكر مثال واحد فقط (مع أن هناك العشرات منها) ممثّل بشعار "المعهد الملكي للمهندسين البريطانيين" Royal Institute of British Architects، وهو عبارة عن "شجرة حياة" ممثّلة بـ"العمود المزرکش" Corinthian column (وهو عمود معروف جيداً في الهندسة الإغريقية القديمة)، ويحرسه أسدين.

هذا مجرد غيبض من فيض الشروحات والروابط التي وفّرها الباحث المميّز "غوبليه دي ألفيلا" خلال سعيه إلى توضيح صلة الوصل الغامضة والمحجوبة بين رموز شجرة الحياة وتعاليمها الروحية الموحّدة في كافة الثقافات المختلفة حول العالم وعبر العصور.

شجرة الحياة وعلم الأرقام



يمكننا رؤية منظومة شجرة الحياة متجسدة في كل مكان، حتى في علم الأرقام، والذي يُعتبر من العلوم الرئيسية التي انحدرت إلينا عبر العصور. علم الأرقام هو أحد الأنظمة، التقاليد، أو المعتقدات العديدة التي تسلّم بوجود علاقة باطنية بين الأعداد والطبيعة بكل مظاهرها وبما فيها من أشياء جامدة وحيّة على السواء. لقد نشأت مناهج فلسفية كاملة حول نظام الأعداد، وأشهرها المدرسة الفيثاغورثية (ازدهرت في اليونان في القرن السادس ق.م). اعتقد "فيثاغورث" Pythagoras، وفلاسفة آخرون في زمانه، بأن المفاهيم الرياضية، لأنها أكثر عملائية من المفاهيم المادية (لسهولة تعديلها وتصنيفها)، فهذا يجعلها أكثر واقعية. (لا يمكن استيعاب هذا المفهوم قبل التعرف على الفلسفة الهرمزية ومبادئها الرئيسية)

غالباً ما يشمل علم الأرقام مظاهر مقتبسة من ثقافات متنوعة (وحتى معلمون أوائل) مثل العلوم البابلية، مدرسة فيثاغورث، الفلسفة الفلكية المنحدرة من الاسكندرية (ازدهرت في العصر الهيليني)، العلوم الصوفية المسيحية القديمة، الغنوصيين، النظام الباطني اليهودي (القبالة)، الفيدا الهندية، كتاب "دائرة الموت" الصيني، كتاب "أسياد البيت السري" المصري، والعلوم السحرية العربية.. وغيرها من مراجع أخرى لكنها ثانوية. سوف أتناول هذا الموضوع بإسهاب في أجزاء لاحقة، لكن من المناسب هنا الإشارة إلى علاقة علم الأرقام بمخطط شجرة الحياة.

بالرغم من تنوع واختلاف التعاليم التي تتناول علم الأرقام، إلا أنها مُختصرة جميعاً على تسعة أرقام (أي من [١] إلى [٩])، غالباً ما يوجد ذكر للـ[صفر] لكنه يُعالج

بطريقة فلسفية. بالإضافة إلى وجود حالات استثنائية، رغم أنها نادرة لكنها مهمة، أُدخل فيها الرقم [١٠] إلى المنظومة. أشهر المعلمين الذين منحوا أهمية كُبرى للرقم [١٠] هو فيثاغورث بذاته، ولهذا السبب يجدر ذكره هنا.

ارتبطت منظومة الأرقام التسعية (أي من صفر إلى تسعة) بكل جوانب الحياة، الدنيوية والتجاوزية. حتى في علم الفلك تم ربط كل من هذه الأرقام بجرم سماوي في المنظومة الشمسية. وهناك أرقام متربطة بثريات نجمية. وكذلك الحال مع علم الخيمياء، حيث الكثير من النظريات الخيمائية ارتبطت بشكل وثيق بعلم الأرقام. الخيميائي الإسلامي الشهير "جابر بن حيان"، وهو مبتكر الكثير من الصيغ الخيمائية التي لازالت تُستخدم حتى اليوم، جعل تجاربه وإجراءاته الخيمائية تتوافق كلياً مع نظام أرقام معقدّ ومدرس بعناية بحيث يعتمد على الأسماء العربية للمواد الكيميائية، أي وفقاً للرقم السحري للكلمة أو الاسم العربي، والذي يمكن استخلاصه من خلال حساب الجُمَّل (ذكرته بشكل عابر في بداية هذا الكتاب).

استُخدم علم الأرقام أيضاً لتحليل الشخصية والتنبؤ بالمستقبل (لكن ليس بشكل مفصّل بل عناوين رئيسية فحسب)، ومعرفة النتيجة لغاية معينة أو أمر معين، ذلك عبر معرفة طبيعة النتيجة وقطيبتها (سلبية أو إيجابية). أو يمكن حساب إمكانية التوافق بين شريكين، زوجين، خصمين،.. إلى آخره، أو الجهة التي تميل إليها القوة.. إلى آخره. كل هذه وغيرها يشملها علم الأرقام. لكن الذي يهمنا هنا هو "القاعدة"، أو المخطط الأساس الذي ترتكز عليه هذه المنظومة الحسابية. لا بد من أن تستند على فلسفة معينة وإلا لما استطاع المتعاملون بها الإبداع والابتكار في هذا المجال. على ماذا استند فيثاغورث مثلاً خلال إنشاء مدرسته الفلسفية التي ترتكز أساساً على ظاهرة الأعداد وعلم الأرقام؟

هذه النقطة بالذات هي التي لم يفطن لها أي من الباحثين الذين زعموا خبرتهم في هذا المجال. خلال قراءتي لأحد الكتب (التي تزعم بأنها إيزوتيرية)، لاحظت كيف أن الكاتب "الفلهوي" يسرح ويمرح في عالم الأرقام (بطريقة تظهر بوضوح أنه يحاول

استعراض مدى إلمامه بهذا المجال أكثر من السعي إلى توضيحه للقارئ) ويوصفها بطريقة فلسفية (أو تفلسفية) لكن دون جدوى! لا يمكن استيعاب الموضوع إطلاقاً، كل ما يمكن الخروج به هو انطباع واحد أصرّ الكاتب على ترسيخه في النفوس: "أن الكاتب فقيه في هذا العلم الباطني بينما القارئ هو مغفل يعجز عن استيعابه!"

لو أن هذا الكاتب واسع الاطلاع فعلاً، لما أجهد نفسه (وأجهدنا معه) وهو يلف ويدور حول فكرة مركزية لكنه يجهلها، حيث كان يوصف لنا شجرة الحياة بطريقة رقمية لكن دون أن يدري بذلك! لأنه بكل بساطة يجهل وجود أي علاقة بين شجرة الحياة وعلم الأرقام! حتى أنه يجهل وجود منظومة شجرة الحياة أصلاً!

دعوني أقتبس فقرة واحدة فقط من هذا الكتاب "الإيزوتيري!" (الخالتي تماماً من الصور أو رسوم الشرح)، حيث كان يوصف لنا رقم [الصفحة] بطريقة شاعرية:

".. علم الأرقام ليس إلا لتقريب المفاهيم من الفهم العام؛ ولتقريب الحقائق من الفهم الباطني. فالأرقام ما كانت مجرد كمية من الأعداد فحسب، بل هي أصلاً تعابير عن معانٍ تمتد، ورموز تتمدد..... حتى تجاوز السر الكبير — سر الصفر!.. أساس البناء هو الرقم واحد، وأساس الخلق هو الرقم صفر!!!.. إن القوة، والإرادة، والبدائية، تكمن في الرقم واحد، وبينما السرّ، والانطلاقة، والخلق، يكمن في الصفر! وهذه القاعدة تنطبق على كل شيء.."

في مكان آخر من الكتاب، تحت عنوان "الأرقام وبدء الخليقة"، يضيف الكاتب "العبقري!" قائلاً:

".. ذكرنا أن [في البدء كان الفراغ والعدم]. لكن الفراغ ما كان يوماً (أبدياً) لأن سر الخلود لا يكمن في ما قبل الصفر، بل في الصفر. والفراغ كان صفراً... والصفر قابل لتلقي الأرقام، كما الرحم قابل لتلقي بذرة الحياة.."

".. فالفراغ كان رحم الوجود، أي صفر الوجود... وجاء الإله الأعظم – رب الوجود وسيّده المطلق – وألقى في رحم الفراغ بذرة الحياة. فكان الإله هو الوحدة المطلقة، التي تلاها الصفر. أما بذرة الحياة، فقد كانت الازدواجية، أي الرقم اثنين.."

".. لكن حين انبثق الوليد الجديد – الكائن الجديد – من رحم الفضاء ، تثلث الوجود: رب الوجود، وبذرة الحياة – أو الحياة الأم – والكائن الإنساني. وهكذا صار الرقم ثلاثة بدء الخلق وبداية انطلاقة الخليقة.."

لاحظوا التشابه هنا بين هذا الوصف وتلك المذكورة في أساطير الخلق المتمحورة حول شجرة الحياة. لكن الكاتب "العبقري"! أخطأ في الترجمة بمواقع كثيرة في النصّ، وانطلاقاً من هذه الأخطاء الأولية راحت تتكرر الأخطاء إلى أن تعاضمت لاحقاً عبر الفقرات والفصول، حتى توصل الكاتب إلى نقطة يدور فيها حول نفسه، والقارئ طبعاً يدور معه في حلقة مفرغة لا نهاية لها. والسبب هو جهل الكاتب للمخطط الأساسي الذي بُني عليه علم الأرقام (شجرة الحياة)، وإلا لما وقع في هذا الخطأ الفادح.

يتابع الكاتب في نفس الفقرة، ويبدو حصول إصلاح ذاتي مع متابعته وصف العملية، فيقول:

".. إذن الصفر هو الذي يستوعب البداية – لأن الرقم واحد هو البداية. فلولا الصفر، لما كان الواحد، ولما كانت الانطلاقة... ولو لم يوجد رحم الفراغ، لما كان ليوجد الكون، وينبثق الإنسان.."

".. الصفر هو التأهب للانطلاق، بينما الواحد هو الانطلاق نفسه. ولكي تكون الانطلاقة سليمة متزنة، كان لا بد للواحد أن ينطلق على أساس الثالوث – أي الرقم ثلاثة. وهكذا كان ... وصار نظام كل وجود يرتكز على هذا الثالوث المقدس.."

يبدو هنا أن الكاتب بدأ ينحرف مجدداً عن مسار الفكرة الأساسية، حيث طَير الرقم [٢] خلال قفزه مباشرة إلى الثالوث المقدس، محاولاً تجاهل الأمر وكأن شيئاً لم يكن!

يتابع في نفس السياق قائلاً:

".. وهذا النظام يطبق على كافة الأعمال، في شتى الميادين. فإن أراد شخص ما القيام بعمل ما؛ فإنه يفكر في ضرورة القيام بهذا العمل قبلاً. أي هو يزرع الفكرة في رحم عقله أولاً ثم يخطط ويصمم لهذا العمل، ثانياً. ومن ثم يبدأ التنفيذ، وهذه هي الخطوة الثالثة، وهذا الأمر ينطبق أيضاً على من يريد أن يؤلف عملاً أدبياً مثلاً... ثلاث مراحل يجب أن يقطعها: أولاً، التفكير في أهمية تأليف الكتاب؛ ثانياً، التصميم للعمل، وتحديد المواضيع وتبويبها؛ وثالثاً المباشرة بالكتابة.

".. وهكذا... كل عمل، ليرى النور يجب أن يمرّ عبر ثلاث، وينفذ من خلال قاعدة الرقم ثلاثة. وبما أن الكون والخلقة وجدوا على مبدأ هذا الرقم، كان لا بد لكل مخلوق أن يحمل من مكونات الخالق، ويحوي من صفات الخلق. من هنا، أصبح مبدأ الرقم ثلاثة قانوناً، يُطبق في كل عملية خلق. وما نعني بالخلق، هو كل عمل يعتبر خلقاً أو إبداعاً بالنسبة لموجده. فتأليف كتاب يعتبر عملاً خلقاً، كذلك رسم لوحة، وحتى الانتقال من مكان إلى آخر هو عملية خلق – بالمفهوم البعيد للكلمة.."

لم يخبرنا الكاتب كيف توصل إلى هذا الثلاث. لاحظوا كيف بدأ الحديث عن الرقم [٣] مباشرة دون أن يخبرنا كيف توصل إليه. أين الرقم [٢] في هذه العملية، وما هو دوره؟ يبدو أن الكاتب يجهل الجواب.

ثم يختم الكاتب هذه الفقرة بحكمة "معوجة" قائلاً:

".. من هنا نستنتج أن عملية الخلق هي أشبه بعملية ابتكار... عملية تجميع معطيات بأساليب خلاقة عديدة. لكن ذلك لا يتم إلا بوجود الشخص المبتكر، أو الخالق، أي تواجد الرقم واحد، وكذلك الصفر.."

لقد أعادنا إلى الواحد والصفر مجدداً! بعد أن طيّر عناصر الثلاث (أي الرقم [٢] و[٣]) مرّة واحدة. من الواضح أن كاتبنا العزيز (كما باقي الخبراء المزعومين) لا

يفقه شيئاً في علم الأرقام، ولا حتى الفلسفة التي يرتكز عليها. لكن الذي استوقفني في هذا الوصف هو مطابقته مع وصف الخالق في الفلسفة الهرمزية (كما سنر لاحقاً)

ما فعله الكاتب في هذا السرد الفلسفي هو اتباع القاعدة الفلسفية لعلم الأرقام، لكن بطريقة مشوهة ومطلّلة (هو لم يقصد التظليل طبعاً، لأنه مُطلّلاً أصلاً). إن تجاهل الرقم [٢] لم ينتج من هفوة أو خطأ طباعي بل من مبدأ فلسفي يقلل من قيمة هذا الرقم. فحتى فيثاغورث كان يستخف بالرقم [٢] ويزدريه لأنه يمثّل مفهوم القطبية (أي الازدواجية والتعاكس). كان يعتقد أنه بفعل الرقم [٢] خلقت الهاوية الكبرى، الانشقاق الذي ولد التمييز والتناقض في العالم. أشاروا إليه بالرقم "الوقح" و"المتهور" الذي فصل نفسه عن الواحد الأحد.

نستنتج من ذلك أن تجاهل الكاتب "العبري!" للرقم [٢] هو مبرر وله سبب منطقي وفقاً للشرح الفلسفي لعملية الخلق الموصوفة في أدبيات فيثاغورث ومدرسته. لكن كان عليه تنويرنا بالموضوع لكي لا نضيع في مناهات التساؤل والغموض. على أي حال، وجب العلم بأن هذا التحقير للرقم [٢] ليس له أي دلالة أو معنى عملي تطبيقي، بل هو مجرد تعبير مجازي للدور الذي لعبه هذا الرقم في الأسطورة التي خلقها الحكماء الأوائل لشرح علم الأرقام. بينما في الحقيقة، الرقم [٢] يرمز إلى صفات عظيمة في حساب الجمل، وهذه حقيقة يعرفها كافة المتعاملين في علم الأرقام.

هناك حقيقة لازال يجهلها الكثيرون. كافة أنظمة علم الأرقام حول العالم، وحتى فلسفة فيثاغورث الرقمية، ترتكز على مخطط شجرة الحياة. هذا المخطط يمثّل القاعدة الأساس، وبالتالي، يمكن إصلاح الأخطاء التي يقترنها علماء الأرقام من خلال العودة إلى هذا المخطط المرجع. دعونا الآن نتعرّف على الفلسفة الأساسية التي ارتكزت عليها أوصاف صديقنا الكاتب "العبري" لعملية التجلي المتسلسل للأرقام. سوف أوصف فيما يلي مراحل التشكل الرقمي لشجرة الحياة بالاستناد على مرجع آخر متخصص.

وصف مراحل التشكل الرقمي لشجرة الحياة

المقامات، أو الانبعاثات العشرة، للشجرة هي مجرد مظاهر أو وجوه مختلفة للمقام الأول (كثير) الذي بدوره يمثّل كليّة الوجود.. أي أنه الواحد الأعلى. لكن حتى الواحد هو مجرد لطفة (أو وصمة) بالنسبة للكمال السامي للصفر المُسبق الوجود. إذا كان على الواحد أن يكون، ثم يصبح واعياً لوحده، فلا بد من أن يتأمل في ذاته. هذا الانعكاس في الذات يخلق الاثنتين (أي أصبح الواحد واعياً لنفسه ولانعكاسه معاً). المعرفة بوجود فرق بين الواحد والاثنتان يخلق مباشرة حالة ثالثة.

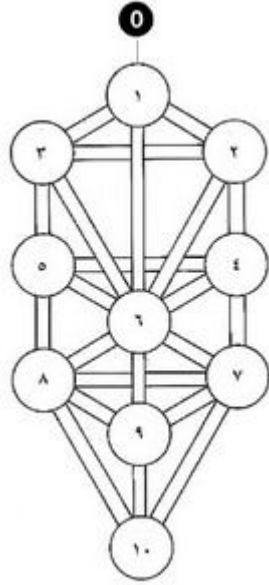
هذا "الثالوث" يبقى مجرد بذاته، وموجود فقط في حالة كمون. على أي حال، النموذج الأساسي قد تشكل عبر عملية تحويل الواحد إلى ثلاثة. هذه الصيغة الأولية تطلق عملية تفاعل متسلسل يحاكي كامل سيناريو الخلق، أي عملية تجلّي الوعي/النور/الروح في المستوى المادي.

يتجلّى الكون الظاهري من خلال عملية انحدارية عبر المقامات السبعة التالية. فيخلق ثالوث آخر مؤلف من [٤] [٥] [٦] عبر انعكاس ثالوث [١] [٢] [٣].

والعملية ذاتها التي خلقت [٣] من [١] و [٢] تخلق أيضاً الثالوث الثالث المؤلف من [٧] [٨] [٩].

العشرة، وهو العالم المادي، يمثّل المنتج الأخير لهذه العملية، فيصوّر معلقاً في أسفل الشجرة كثمرّة نهائية لعملية الخلق.

ثم يأتي بعدها الوصف المفصّل للأرقام الفردية. لكن هناك نقطة مهمة يجب ذكرها هنا. فيثاغورث لم يأتي أبداً على ذكر شجرة الحياة بشكل مباشر وبالصيغة الواضحة التي تناولناها هنا، لكن رغم ذلك يبدو أنه اعتمد عليها كثيراً في صياغة فلسفته المتعلقة بالأرقام. فيما يلي بعض المفاهيم الواردة في فلسفته، والمشيرة بوضوح إلى ارتباطها الوثيق بتعاليم شجرة الحياة:



كافة أنظمة علم الأرقام حول العالم، وحتى فلسفة فيثاغورث الرقمية، تركز على مخطط شجرة الحياة وفلسفتها الخاصة. هذا المخطط يمثل القاعدة الأساس، وبالتالي، يمكن إصلاح الأخطاء التي يقترفها علماء الأرقام من خلال العودة إلى هذا المخطط المرجع.

أطلق الفيثاغورثيون على الرقم [1] اسم "الميحاد" monad، وذلك لأنه ليس مجرد "واحد" بل هو "الواحد الشامل لكل شيء" (وهذا بالضبط ما يمثله المقام الأول في شجرة الحياة). اعتبروا "الميحاد" بأنه الرقم النبيل، والد الآلهة والبشر. يرمز الميحاد أيضاً إلى مجموع الأرقام الأخرى ككل. وبالتالي يُعتبر الكون بكامله "ميحاد"، لكن الأجزاء الفردية من الكون (كالعناصر والكواكب.. إلى آخره) تُعتبر أيضاً ميحادات قائمة بذاتها بالنسبة للأجزاء التي تتألف منها، بالرغم من أنها تُعتبر بدورها أجزاء من ميحاد أكبر مؤلف من مجموعها. شبهوا "الميحاد" أيضاً إلى بذرة الشجرة التي، بعد

نموها، تتفرع إلى أغصان (أرقام). بمعنى آخر، الأرقام هي بالنسبة للميحاد كما أغصان الشجرة بالنسبة لبذرة الشجرة.

من خلال دراسة الميحاد الغامض لفيثاغورث، تمكن الفيلسوف والرياضياتي الألماني "غوتفريد ولهم لبنيتز" Leibnitz (١٦٤٦ – ١٧١٦م) من تطوير نظريته المذهلة حول ذرات العالم، وهي نظرية متوافقة تماماً مع تعاليم المدارس السريّة. حيث "لبنيتز" بذاته، كما أكد "بالمر هول"، كان عضو منتسب لأحد تلك المدارس السرية.

بالنسبة لبعض الفيثاغورثيون يُعتبر الميحاد مرادفاً للواحد، لكنه لا يمثّله. حيث عرّفوا الرقم واحد بذاته بأنه "ذرة الجميع" (أي يقبع في قمة شجرة الحياة فوق الأرقام الأخرى). بالنسبة لهم، الواحد يختلف عن الميحاد، حيث مصطلح الميحاد يُستخدم للإشارة إلى مجموع الأجزاء كوحدة كاملة، بينما الواحد هو مصطلح يُطبق على كل من هذه الأجزاء منفردة.

نتيجة هذه الحالة الموصوفة سابقاً، اعتبروا الميحاد بأنه ذكر وأنثى معاً، رقم مفرد ومزدوج معاً.. يمثّل الله، لأنه نهاية وبداية كل شيء، لكنه بذاته ليس له نهاية ولا بداية. هو وعاء المادة، لأنه خلق الاثنتين، التي تعتبر مادة جوهرية. يُعتبر الميحاد العقل المُنتش (من إنتاش البذور) لأنه أساس كافة الأفكار في الكون. بما أن الميحاد هو الأب، فالرقم [٢] يمثّل الأم، وبالتالي يمثّل هذا الرقم أي إلهة أنثى تحتل هذه المكانة في الأساطير.

والآن لاحظوا كيف وصفوا خواص كل مقام في شجرة الحياة بطريقة فلسفية:

— في الوقت الذي يرمز فيه الميحاد إلى الحكمة، الاثنتين يرمز إلى الجهل، حيث فيها تكمن نزعة الانفصال والاختلاف، وهي نزعة تدلّ على الجهل. لكن مع ذلك، تُعتبر الاثنتين أم الحكمة، حيث يمكن للطبيعة الذاتية الجاهلة أن تولد الحكمة. (هكذا كان وصفهم الالتفافي لسياق تشكّل المقام الثاني في الشجرة وهو مقام "الحكمة").

— الرقم [٣] (الثالوث) هو رقم الحكمة أيضاً، لكنه مجموع الحكمة والبيّنة معاً. (البيّنة تمثل المقام الثالث في الشجرة). إن قدسية الرقم [٣] (المثلث، والثالوث) مشتقّ من حقيقة أنه مصنوع من الميحاد والاثنتين. الميحاد يرمز إلى الأب الإلهي والاثنتين ترمز إلى الأم العظيمة. وكون الرقم ثلاثة مصنوع من هذين الرقمين فهو بالتالي ذكر وأنثى معاً ويرمز إلى حقيقة أن الله ولدّ عوالمه من نفسه، والذي في جانبه الخلاق يُرمز إليه دائماً بالمثلث العظيم. من خلال مزوجة الميحاد مع الاثنتين أصبح والد الذريّة، حيث الاثنتين تمثّل الرحم الذي حضن العالم الذي لازال بدوره في طور الجنين.

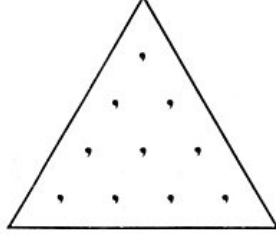
من أجل توفير الوقت والمساحة، سوف أختصر الأمر في أفكار قليلة أخرى. تذكر أن غاييتنا مُقتصرة على إثبات التشابه بين فلسفة الأرقام وتعاليم شجرة الحياة.

— يُمثّل الرقم [٦] بالنسبة للفيثاغوريين "خلق العالم" كما وصفها الأنبياء والمدارس السريّة. يُسميه فيثاغورث "مكمل كل الأقسام". اعتبروه شكل الأشكال، المفصل المركزي للكون. هذا ما يمثله المقام [٦] بالضبط في شجرة الحياة، حيث موقعه الهندسي في مخطط الشجرة يجعله واقع بين المقامات العليا الممثلة للملكات الإلهية والمقامات الدنيا الممثلة للملكات الدنيوية. الرقم [٦] هو "الشمس في الأفق" المُعلّقة بين السماء والأرض. إذاً، الرقم [٦] بالنسبة للفيثاغورثيين هو رقم التوازن.

— في الوقت الذي تجاهلت فيه الأنظمة الفلسفية الأخرى الرقم [١٠] على أنه خارج التسلسل الفعلي لتجليّ الخلق، اعتبره فيثاغورث الرقم الأكثر أهمية. أعظم الأرقام، ليس فقط لأنه يمثّل مثلث "تيتراكتيس" tetractys (مثلث "القوة" المحتوي على عشرة نقاط)، بل لأنه يستوعب كافة النسب الرياضية والمتناغمة. قال فيثاغورث بأن الرقم [١٠] يمثّل طبيعة الأرقام، لأن كل الأمم تصل إليه ثم تعود مجدداً إلى الواحد.

كان الرقم [١٠] يُسمى السموات والأرض، لأن الأولى تشمل الأخيرة. (نفس الأفكار الواردة في تعاليم شجرة الحياة، حيث المقام الأوّل يشمل الأخير). قسم الفيثاغورثيون الأجرام السماوية إلى عشرة أنظمة. كما زعموا أن الرقم [١٠] هو مكمل لكل الأرقام

ويشمل في ذاته طبيعة المفرد والزوج، المتحرك وغير المتحرك، الخير والشر.. كل هذه المتناقضات تجتمع في المقام الأخير في شجرة الحياة والممثل للعالم المادي.



الـ"تيتراكتيس" الذي يمثّل إله الكون وكافة مظاهره (شجرة الحياة ومقاماتها)

من خلال الأمثلة السابقة، لاحظنا كيف أن كل رقم يحمل ذات مواصفات المقام الذي يقابله في شجرة الحياة. لكن هذا العلم ذهب أبعد من ذلك، حيث جعل كل رقم يتمتع بشخصية متوافقة مع شخصية الآلهة أو الإله الذي يحتل نفس المقام في الأساطير والقصص الرمزية. كل رقم له جانب سلبي وجانب إيجابي، ولهذا السبب نرى أن الإله يلعب أحياناً دور سلبي وأخرى دور إيجابي في الأسطورة. هذه الفكرة ستتوضّح جيداً خلال تناول موضوع علم الأرقام وتحليل الشخصية، بالإضافة إلى المزيد بخصوص هذا المجال عموماً، والذي سأعطيهِ في إصدارات قادمة.

كل شيء في الكون يخضع لقانون. حركة الكواكب، تسلسل الفصول، وبنية الأجسام المادية لا يحددها عامل الصدفة أو تفاعلات عشوائية بل تحكمها قوانين رياضية. الكون بكامله محكوم بالأرقام، وهذا بالتالي يجعل الإنسان غير مستثنى من هذا المبدأ. إن الإلمام بهذا العلم سيمكن الفرد من استثمار هذا القانون الرياضي الكوني بأشكال مختلفة، مثل التعرف على الأرقام التي تصبغ شخصية الفرد وتؤثر في حياته. وبما أننا نتحدث عن منظومة كونية تخضع لقانون ثابت وليس مجرد صدف عشوائية، فهذا يجعلنا قادرين على استشراق معلومات مستقبلية عبر عملية حسابية بسيطة.

المصدر المحجوب

كافة شعوب العالم القديم، باختلاف عقائدهم ومذاهبهم الفكرية والدينية، آمنوا بوجود قوة كونية عاقلة.. عقل كلي.. يشمل كل شيء موجود، بل هو الوجود أصلاً. والأمر الأهم هو أن أوصاف وخصائص هذا الكيان العقلي العظيم متشابهة بين كافة هذه المذاهب والتقاليد، ودرجة التطابق أحياناً كما رأينا من خلال الأمثلة الواردة في هذا الكتاب. معظم الفلاسفات والعقائد عرفت تلك الحكمة القائلة " .. كما في الأعلى، كذلك في الأسفل.."، وأن الإنسانية ستجد في داخل ذاتها الطبيعة الكونية برمتها. وطالما أن الأوصاف متشابهة لدرجة التطابق فلا بد من أنها جاءت جميعاً من مصدر واحد. من أين جاء هذا "المصدر الواحد" لفكرة "الكون العاقل" التي كانت منتشرة في كافة أنحاء العالم في إحدى فترات التاريخ؟

أطلق الروائي "الدوس هوكسلي" Aldous Huxley على فكرة "إمكانية اكتشاف الإنسانية للطبيعة الإلهية والأكوان عبر النظر إلى ذاتها" اسم الفلسفة الخالدة (أو العريقة) Perennial Philosophy. كتب يقول (في كتابه الذي يحمل نفس العنوان، والصادر عام ١٩٤٥)..:

".. الفلسفة الخالدة *Philosophia perennis*، وهو مصطلح أوجده الفيلسوف "لينتزر" Leibnitz، ويمثل الميتافيزيقيا التي تعترف بواقع إلهي جوهرى بالنسبة لعالم الأشياء والحياة والعقول.. يمثل علم النفس الذي يجد في النفس شيئاً مماثلاً، أو حتى متطابقاً، مع هذا الواقع الإلهي.. يمثل علم الأخلاق الذي يضع المعرفة النهائية للإنسان بالأرضية الباطنية والتجاوزية لحقيقة أن كل شيء يمثل شيء واحد جامع وسرمدي. يمكن إيجاد مبادئ هذه الفلسفة "الخالدة" في المعارف التقليدية لكافة الشعوب البدائية في كل زاوية في العالم، ويمكن إيجادها أيضاً في كافة الأديان العظيمة بصيغتها المتطورة. الصيغة الأولية لهذا العامل المشترك الأعظم في كل النظريات اللاهوتية السابقة واللاحقة كتبت لأول مرة منذ آلاف السنين، ومنذ تلك الفترة تم معالجة هذا

الموضوع الذي لا ينضب مراراً وتكراراً، ومن وجهة نظر كل تقليد ديني وبكل اللغات الأساسية في آسيا وأوروبا.."

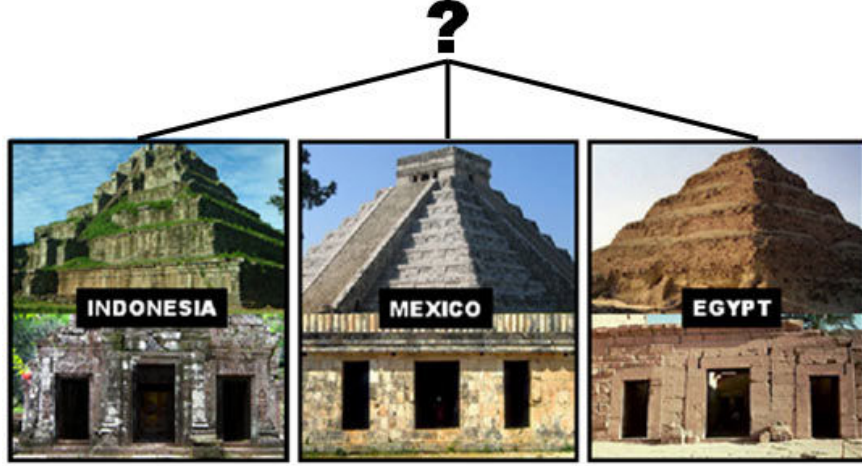
ربما لم يكن المصريون هم أول من صاغ هذا النظام الفلسفي/الروحي المنظور المرتكز على "شجرة الحياة"، حيث ورثوه من حضارة سابقة أكثر تطور وجبروت، لكن الأمر المؤكّد هو أنهم المسؤولين عن انتشاره في كافة أنحاء العالم، وذلك من خلال آثار المفاهيم المصرية الواضحة في هذه المنظومة أينما كانت حول العالم رغم اختلاف العقائد والتقاليد، خصوصاً تعاليم "القبالة" التي يبدو أنها لازالت محافظة على صيغتها الكاملة المتكاملة منذ أيام مصر الفرعونية (تذكّر أن اللغة العبرية هي اللغة السريّة لكهنة المعابد المصرية). لقد تعرفنا سابقاً، وسوف نتعرّف لاحقاً عبر توالي الأجزاء، وجود لمسة مصرية في كافة الأنظمة الفلسفية والعلوم الروحية، مثل تقاليد "الفيديا" الهندية، "الطاوية" و"الكونفوشيوسية" الصينية، الأديان السماوية، التقاليد الروحية الأفريقية، البوذية، الهندوسية، الفلسفات التجاوزية الإغريقية والرومانية.. وغيرها.

الأمر لم يعد يتعلّق بأي من المذاهب المنحدرة كان على صواب وأيها كان على خطأ، المسألة الجوهرية تكمن في أن جميع الفلسفات القديمة، السريّة منها والظاهرية، مهما أبدته من اختلافات وتناقضات، فالحقيقة أصبحت واضحة جليّة: جميعها انحدرت من مصدر واحد، لكن هذا المصدر الأول هو قديم جداً لدرجة يستحيل تحديد تاريخه أو أصوله. تذكر أننا نتكلم هنا عن عشرة آلاف سنة على الأقل، أيام كانت مصر "مروج خضراء وتسقط من سماءها أمطار غزيرة.."، لكن من الواضح أن هذا المصدر كان هائل جداً، شامل جداً، متطور جداً، مهيب جداً وهذا ما نستشعره وجدانياً عندما نتناول أي جانب من آثاره الفكرية أو العينية. هذا ما بدأنا نشعره تدريجياً مجرد ما بدأت تعاليم "شجرة الحياة" تتكشف أمامنا رويداً رويداً، وبالصيغة ذاتها، في كل مكان وكل زمان على سطح هذه المعمورة.

دلائل أثرية قوية على حضارة العصر الذهبي

ازدهرت قبل التاريخ المكتوب

هل ورثت الحضارات القديمة المعروفة لدينا ذات "المعرفة الراقية" من حضارة أم
اندثرت قبلها بقرون طويلة؟



لاحظوا التشابه في هندسة البناء، لصروح مختلفة حول العالم، ومن قبل حضارات من
المفروض أن التواصل بينها معدوماً في حينها (مصر، المكسيك، إندونيسيا). بالإضافة
إلى الأهرامات المدرجة، هناك ما يُسمى "الواجهة الثلاثية" Triptych، وهي واجهة
مدخل بناء تحتوي على ثلاثة أبواب.

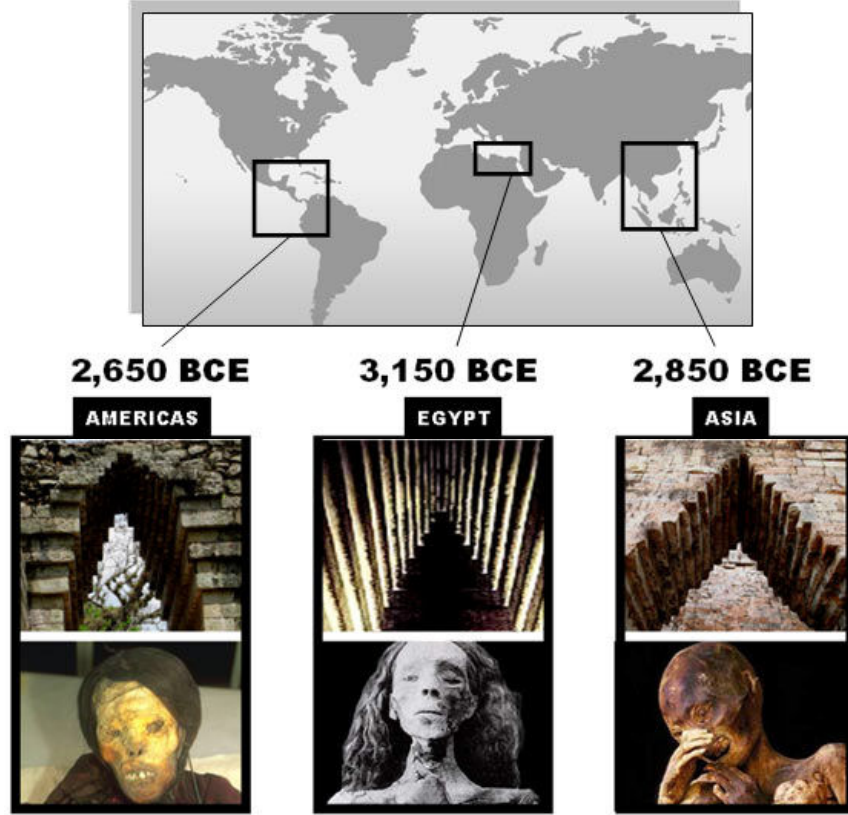
هناك فصل مفقود من تاريخ الإنسانية، وكان فصل هائل بقدر ما كان حاسم في مصير
البشرية. ازدهرت خلاله حضارة متقدمة جداً لدرجة لم يستطع شيئاً التغلب عليها
سوى كارثة كونية اكتسحت الكوكب بالكامل. بعدها بفترة طويلة بدأت تبرز حضارات
أقلّ عظمة، وهي ذاتها التي وثّقها التاريخ المكتوب، ويبدو أنها نجحت في الاحتفاظ
ببعض الإرث المعرفي الذي خلفته الحضارة الأولى.

هناك قصتين مختلفتين يتم روايتهما عن التاريخ. الأولى هي تلك التي أصبحنا نألفها في
الكتب المدرسية. لكن هناك رواية أخرى أكثر غموضاً حول التاريخ والتي بقيت

محجوبة لأسباب معينة وبالتالي لم تنتشر بشكل واسع. هذا التاريخ المحجوب وقليل الانتشار أصبح يُعرف بنظرية "العصر الذهبي" Golden Age.

تم اقتراح هذه النظرية وتعزيزها من قبل مجموعة واسعة من الباحثين الأكاديميين اللامعين في العصر الفكتوري (أوائل القرن التاسع عشر)، وذلك بعد اكتشافهم سلسلة طويلة من التشابهات الغامضة والمتعدّدة تفسيرها بين حضارات العالم – تشابهات مثل الصروح الهرميّة، تقاليد عبادة الشمس، القناطر المثلثة، وعادة التحنيط.. وغيرها.

تشابهات أثرية وثقافية غامضة مُكتشفة حول العالم



كيف يمكن تفسير حقيقة إمام الحضارات الأولى (الصينيّة، المصريّة، والمايا، وغيرها) بشكل واسع بذات العلوم والمعارف التي أدت إلى ذات الإنجازات.

الأمر الأكثر غرابة هو كيف ظهرت هذه الإنجازات العلمية المتقدمة فجأة منذ بداية التاريخ، دون أن تتطوّر من مراحل تدريجية سابقة؟ من أين جاءت هذه المعرفة الكونية الهائلة؟ كان الباحثون الفكثوريون مفتونون بهذه التشابهات الغامضة مما دفعهم إلى الخروج بتفسير أكثر إدهاشاً: نظرية "العصر الذهبي" في التاريخ الإنساني الغابر. وقد جمعوا الكثير من الدلائل التي دعمت هذه الفرضية وحتى أنهم حدّدوا فترة ازدهار تلك الحضارة الذهبية، أي قبل حوالي ١٠,٠٠٠ سنة من ظهور الحضارات الأولى الموثّقة في التاريخ المكتوب. وحدّدوا أيضاً (بالدلائل الجيولوجية والثقافية وغيرها) السبب الذي مسح هذه الحضارة الجبارة من على وجه الأرض: حصول طوفان العظيم اكتسح العالم. (تحدثت عن هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب "العالم قبل الطوفان").

اتفق عدد كبير من الفقهاء الفكثوريين على تسمية تلك الحضارة الذهبية الغامضة باسم "أطلنطس" Atlantis التي غُمرت بمياه البحر، والتصق بها الاسم منذ حينها، وأنا شخصياً أستخدم هذا الاسم للإشارة إليها. وتتابع نظريتهم سرد قصة نجاة بعض سكانها عبر لجوءهم إلى مناطق معينة حول العالم، محاولين إنشاء حضارة موازية لحضارتهم، فظهرت حضارات بُناة الأهرامات على ضفتي الأطلسي في كل من مصر والمكسيك (المايا).

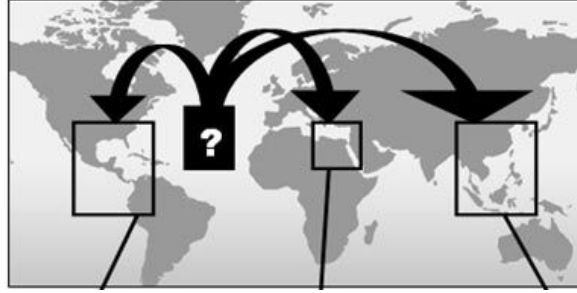
".. أسلافنا الأطلنطيون اختلفوا كثيراً عن رجال اليوم، وبشكل لا يمكن تصوّره.."

روبولف ستينر Rudolf Steiner (١٨٦١ - ١٩٢٥)

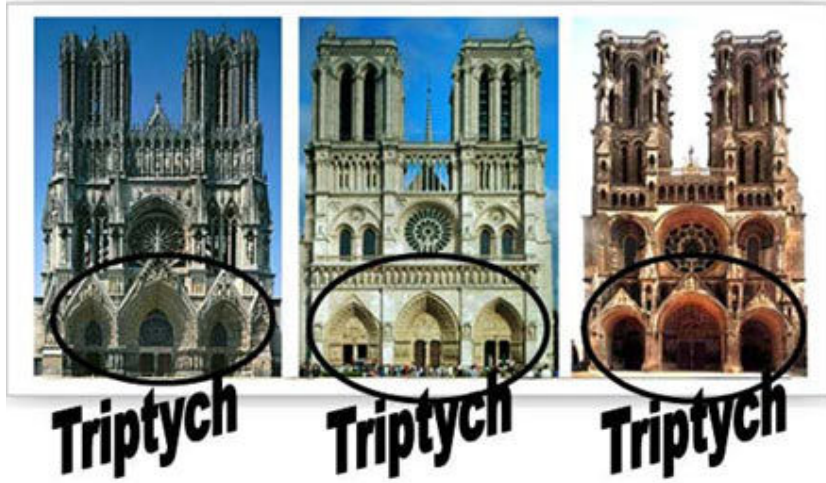
في كتابه أطلنطس & ليموريا Atlantis & Lemuria

بالنسبة للباحثين الفكثوريين، هذه النظرية تفسّر السبب الذي جعل الإغريق والرومان يسلّمون بحقيقة أن مصر كانت تمثّل مخزن عميق للحكمة الخفية والممارسات السحرية الغربية. ويؤكد هذه الحقيقة أيضاً الصبغة المصرية للمدارس والمحافل السريّة القائمة اليوم في الدول الغربية، والتي لا تخفي أصولها المصرية وأنها موكلّة بمهمة صون المعارف المصرية وإبقائها حيّة. لكن ما لم يدركه الباحثون بشكل مؤكّد

هو أن جوهر التعاليم السريّة التي تحجبها تلك المحافل تتمثّل "علم مقدّس" ينور الدرب المؤدية إلى الخلود الروحيّ.



هذا "العلم المقدّس" الذي كان يُرمز إليه هندسياً في إحدى الفترات السحيقة بالواجهة الثلاثيّة Triptych المدخل الثلاثي إلى المعبد، والذي يمكن رؤيته بوضوح في مواقع أثرية مختلفة حول العالم، أصبح مُحتكراً على المحافل السريّة المسيطرة على مجريات العالم الحاليّ.



وقد عبّر "الماسونيون" عن حيازتهم على هذا "العلم المقدّس" بطريقة هندسية أيضاً، من خلال واجهات الكاتيدرائيات القوطية التي بنوها في أوروبا.

يؤكد بعض المنتسبين إلى المحافل السريّة بأنه بعد الإطلاع على هذا "العلم المقدّس" يتحوّل الفرد إلى إنسان آخر مختلف تماماً. يتبنى طريقة جديدة في التفكير، طريقة تمنحهم بصيرة استثنائية وخصائص وقدرات إنسانية خارقة. لكن ليس هذا فحسب، بل يمكن لأي فرد يتمتع بحنكة وإمام واسع أن يجد هذا الكنز المعرفي بسهولة، لأنه ماثلاً بوضوح أمام معظم شعوب العالم!

من هي هذه الحضارة العالمية التي كانت مزدهرة يوماً في تلك الحقبة التاريخية السحيقة، والتي استطاعت ثقافتها الروحية/الفلسفية التأثير على كل شعوب العالم؟ لا بد من أن حكماءها كانوا بدرجة عالية من العبقرية والتنور مما مكنهم من صياغة منظومة تعاليم فلسفية/روحية راقية بحيث يمكن جمعها بصيغة متعددة الجوانب في أساطير خرافية بسيطة قابلة للاستيعاب بسهولة. مجموعة من القصص المشوّقة التي يمكن روايتها جميعاً في ليلة سمر واحدة، تحتوي على كافة أسرار الوجود، بكل جوانبه، مظاهره، ومستوياته. لكنها مشفّرة بطريقة تجعلها قابلة لأن تُقرأ بطرق مختلفة ومن زوايا متعددة، أي بمعنى آخر، نحن أمام اختصار مُركّب يحتوي على كامل الحكمة الكونية وكافة العلوم التي يحتاجها الإنسان ليبنى نظرة شاملة للكون وجزئياته، بكل أبعادهما! والأمر المذهل هو إمكانية كتاب واحد بسيط أن يشملها جميعاً!

الفلسفة الخالدة

طبعاً، من المؤكّد أن المسألة صعبة الهضم بالنسبة لنا نحن العصريون. والسبب هو اختلاف طريقة تفكيرنا. نحن محكومون بمنطق مختلف تماماً عن ما كان سائداً في ذلك الماضي البعيد. فبالتالي قبل أن تفكّر في البحث أصلاً عن مفاتيح النصوص المشفرة للغوص في أسرارها الباطنية، أنت بحاجة إلى أن تفقه بعلم كثيرة أصبح معظمها منقرضاً اليوم إذ لم يبقى منها سوى بقايا فتات من علم الأرقام والفلك وأسرار الحروف.. إلى آخره. لكن رغم هذا كله لازال هناك أمل.

خلال السير قدماً في البحث عن أصول هذه التعاليم الروحية/الفلسفية المتطورة، من المؤكّد أننا سنصطدم بمنظومة فلسفية أخرى مشابهة، إن كان في العراقة أو التوجّه، وتعتبر في الحقيقة مكملّة أو داعمة للمجال الذي نحن بصددّه، وهناك من يعتبرهما توّمان يسيران جنباً إلى جنب في الخفاء وراء حجاب السريّة، حيث هي أيضاً لها مكانة بارزة لدى المنتسبين إلى المحافل السرية. إنها "العلوم الهرمزية". لا يمكن للباحث الجاد في هذا المجال، والراغب في معرفة الحقيقة الأصيلة، أن يتابع سيره متجاهلاً هذا الجسم المعرفي الكبير المؤلف من طيف واسع من العلوم التطبيقية والفلسفية الغامضة والعميقة. هناك ميزة مهمة انفردت بها الفلسفة الهرمزية، بحيث تمثّل بصمة دامغة تشير إليها أينما وجدت، إنها ميزة "السرية المتحفّظة". أينما وجدت "حلقات سرّيّة" في أي منطقة حول العالم فهذا دليل على وجود تقليد "هرمزي". هذه السمة تظهر بجلاء فيما أصبح يُعرف بـ"المحافل السريّة" المنتشرة في كافة أمم الأرض.

البروفيسور "واين شوماخر" Wayne Shumaker من جامعة "كاليفورنيا"، وهو مؤرّخ عصري للعلوم الخفية، يقول في كتابه "العلوم الخفية في عصر النهضة" *The Occult Sciences in the Renaissance* (منشور عام 1972م)، مشدداً على المكانة المهمّة للفلسفة "الهرمزية" وفكرة "العقل الكوني" في التاريخ الحافل للمعرفة الإنسانية:

".. مرّة بعد مرّة يُقال لنا بأنّ العالم حيّ. وبالتالي إذا كان العالم، ولازال، وسوف يكون، كائن حيّ، فبالنتالي لا شيء في هذا العالم فان. طالما أن كل جزء بسيط، كما هو، دائم الحيوية وفي عالم واحد، كائن حيّ، ليس هناك مكان للموت في العالم. عندما سافر "رانسوم" *Ransom*، بطل رواية الكاتب اللاهوتي "سي. أس. لويس" *C. S. Lewis*، لأول مرّة إلى الفضاء، قيل للقارئ بأنّ الكلمة "فضاء" تمثّل مصطلح مجدّف وكفري لهذا المحيط السماوي المشعّ الذي سبّح فيه. لم يستطع وصفه بأنه ميت، بل شعر بأنّ الحياة تندفق منه نحوه كل لحظة. الكون الهرمزي هو حيوي بشكل مماثل،

مفعم بالحياة. وكذلك كان الكون بالنسبة لكل المجتمعات البدائية المتوحّشة التي سبقت القرنين أو الثلاثة الأخيرة حيث تم عقلنة هذا الاعتقاد البدائي أخيراً.."

الدكتور "هوستن سميث" Huston Smith، أستاذ سابق في قسم الفلسفة والديانات بجامعة "سيراكيوز" Syracuse، وكذلك في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT)، ومؤلف الكتاب الشهير "أديان الإنسان" The Religions of Man (طبع ٢ مليون نسخة)، وكتاب "ما وراء العقل المعاصر" Beyond the Post-Modern Mind، وكتاب "الحقيقة المنسية" Forgotten Truth، وصف انطباعاته عن الخيط "الهرمزي" الذي يسري في كافة التقاليد الروحية والدينية حول العالم:

".. جُعل هذا التقليد الأساسي لأن يكون "خالداً" .. وأضيف إلى ذلك، "لا محدود" أيضاً.. لأنه لم يكن "دائماً" فحسب، بل "في كل مكان" أيضاً. هذا العالم الزمكاني (زمان/مكان) يلاءم التقليد الأساسي لكنه لا يستنزفه كلياً، لأنك تجد فيه امتدادات إلى ما وراء المادي.."

".. يعتبرنا هذا التقليد الأساسي بأننا نعيش في عالم يُعتبر نظام القياس فيه "توعياً". أي هو سعيد خمسين بالمئة، تعيس خمسين بالمئة، معلوماً خمسين بالمئة، ومجهولاً خمسين بالمئة. كما أنه متموضع في الوسط بين ما تسميه علوم الكون التقليدية "السموات"، والتي هي أفضل بشكل لا يُضاهى، وبين "الجحيم"، الذي هو أسوأ بشكل لا يُضاهى أيضاً. لكن النقطة المثيرة بخصوص هذا التقليد هي أن الاختلاف يكون بالنوعية، بينما العلم الحديث يعطينا نفس الصورة الثابتة تقريباً. إن الصورة التي يقدمها العلم هي ثابتة دائماً لأنه يجمع المميزات "الكمية" quantitative، بينما تلك الميزات "النوعية" qualitative، مثل الجمال والروح، تفلت من شبكته كما يفلت ماء البحر من شبكة صياد السمك.."

".. كافة المزايا تتقدم بتراصف للأمام. تكون أكثر عظمة، أكثر قوة، أكثر جمالاً وأكثر هناء. جميعها تصعد بالتتابع نحو غاية نهائية حيث تفقد هذه المزايا تميّزها وتندمج كلياً في ما تعجز الكلمات عن وصفه في تلك النقطة..".

إذاً، كافة الدلائل تشير إلى أن المعتقدات العالمية انبعثت من منبع واحد، تقليد أساسي، ذو توجه "توعي" qualitative في نظره للوجود. يؤمن بعقل كليّ يمثّل الواقع الجوهرى للوجود، بل هو الوجود ذاته. إذا تجاوزنا غشاوة الاختلافات اللغوية والمفارقات الفكرية والتناقضات اللاهوتية التي ساهمت في حجب الصورة الشاملة للحقيقة، سنجد أنه ما من فرق بين الله، والبرهمن، والنيرفانا، والروح العظيمة... "الكلّ" يبقى "الكلّ". الاختلاف يكمن في ترجمة الأفكار التي وصفته ووجهات النظر التي تعددت زواياها في النظر إليه. دعونا نلقي نظرة متحصّصة على هذا "التقليد الأساسي"، كما يسمونه. أقصد التعاليم الهرمزية. ربما نجد ما يفيدنا في هذا المضمار.

التعاليم الهرمزية

أشار إليها الأوروبيون بـ"هرميٲكا" Hermetica، ومعروف عن هذه التعاليم عموماً بأنها تمثل طيف واسع من المعارف والعلوم التي احتوتها مجموعة من كتب "الحكمة المقدسة" (عددها ٤٢ كتاباً)، يُزعم بأنها من تأليف هرمز الهرامزة (عالم العلماء)، ويُشار إليه أيضاً بـ "هرمز ثلاثي العظمة" Hermes Trismegistus. تحتوي هذه الكتب على حكمة ميثولوجية وخصائص منسوبة إلى الإله المصري "ثوث" Thoth، الذي هو ذاته الإغريقي "هرمز" Hermes. يعود تاريخ جمعها كتابياً إلى ما بين القرن الثالث ق.م والقرن الأول الميلادي (مع أنها أقدم من ذلك بكثير) وكان تأثيرها هائلاً على تطوّر العلوم الباطنية والسحرية في كل من الشرق الأوسط وأوروبا. حتى الممارسات السحرية والوثنية القديمة في هذه المنطقة من العالم كانت تحتوي على الكثير من الطقوس والرموز الإيزوتيرية المستندة على الكتابات الهرمزية.

كافة الروايات حول تأليف هذه الكتب هي أسطورية أكثر من كونها حقيقية. تروي إحدى تلك الأساطير بأن "هرمز"، الذي زُعم بأنه أحد أحفاد آدم وباني الأهرامات المصرية، هو الذي ألف تلك الكتب. لكن الأرجح أن هذه الكتب (المُحدثة) ألّفها مجموعة متتابعة من الأشخاص عبر السنين. وتقول الأساطير أيضاً بأن هذه الكتب عتيقة جداً بحيث كانت مؤلفة بدايةً من ورق البردي، ومكتوبة بصيغة هيروغليفية.

ذكر "كليمنت الاسكندراني" Clement of Alexandria، مؤرخ المعارف الوثنية، بأن ستة وثلاثين من هذه الكتب الهرمزية احتوت على كامل الفلسفة المصرية، حيث أربعة كتب تناولت علم الفلك، عشرة كتب تُسمى "هيراتيكا" Hieratic تناولت علم القانون، وعشرة أخرى تحدثت عن الشعائر والطقوس المقدسة، كتابين عن الموسيقى، وما تبقى منها تناول علم الكون، الجغرافيا، الرياضيات وعلم القياس، وبالإضافة إلى طرق تدريب الكهنة. الكتب الباقية اهتمت بالطب والعلاج، وطريقة تعامل الجسم مع الأمراض، وأدوات طبية، والإصابة بالعين، وطب النساء.

مُعظم الكتب الهرمزية، مع الكثير من المخطوطات الثمينة الأخرى، ضاعت إلى الأبد خلال حرق المكتبات الملكية في الاسكندرية. أما الكتب الباقية التي نجت من هذه المجزرة فقد تم دفنها في الصحراء حيث لازالت تقبع حتى الآن. ويُفترض بأن عدد قليل من الأعضاء المنتسبين للمدارس أو المحافل السريّة العريقة يعلمون بمواقع إخفائها.

ما تبقى من المعارف الهرمزية تم توارثها عبر الأجيال على شكل شطايا وفتات مبعثرة وتُرجمت إلى لغات عديدة. أشهرها ثلاثة أعمال مهمة جداً نُسبت إلى هرمز مباشرة وهي: "البيماندر" المقدس The Divine Pynander (ويُشار إليه عموماً بـ"راعي البشرية")، يحتوي على ١٧ جزء يشكّل عمل واحد. يمكن إيجاد ضمن هذه الأجزاء الكثير من المفاهيم الهرمزية الأساسية، بما فيها الحكمة المقدسة وأسرار الكون التي كُشفت أمام هرمز، بالإضافة إلى الطريقة التي أسس فيها هرمز مدرسته والآلية الخاصة التي نشر وفقها هذه الحكمة في العالم. لقد تم إعادة جمع وتدوين هذا الكتاب (أي "البيماندر") في القرون الأولى بعد الميلاد، لكن رغم الترجمة الخاطئة والضعيفة، إلا أنه لم يفقد معانيه الأساسية.

أما العمل الثاني الذي نُسب إلى هرمز مباشرة فهو كتاب "البويماندر" Poimmandres (ويُشار إليه عموماً بـ"كتاب الرؤية")، ويمثّل الجزء الثاني لكتاب الأوّل لكنه الأشهر. يتناول هذا الكتاب رؤية هرمز الصوفية للعالم، نشأة الكون، والعلوم السريّة للمصريين كثقافة وكتطوير روعي للنفس.

العمل الثالث الذي نُسب إلى عالم العلماء معروف باسم "لوحة الزمرد" The Emerald Tablet. التي تتناول عموماً موضوع الخيمياء، الزمن (فلك)، والوعي.

هناك الكثير من الكتب المهمة التي تحمل صبغة هرمزية لكنها غير منسوبة لهرمز، أشهرها هو كتاب "بيكاتريكس" Picatrix والمكتوب أساساً باللغة العربية، ربما في القرن الثاني عشر، ويتكلم عن هرمز ويوفّر مشاهد مذهلة عن قواه الخارقة. يقول هذا

المخطوط بأن الأسياد الكلدانيين في فن السحر نظروا إلى هرمز على أنه ساحر قوي بالفطرة، ويستطيع، عبر تصوّر الأمر بخياله، أن يضبط النيل بحيث يتناغم مع حركة القمر. كما كان باستطاعته خلق صور حيوانات (كينونات فكرية) ثم يُخضّر فيها أرواح تتكلّم بأصوات بشرية.

في كتابه الذي بعنوان "الصوفيون" The Sufis، ذكر مؤلفه "إدريس شاه" بأنه "كل من الصوفيين والخيميائيين يزعمون بأن هرمز كان منتسباً إلى حرفتهم". الكثير من الصوفيين، بما فيهم الفارابي، جابر بن حيان، روجر باكون، وغيرهم.. كانوا يُنعتون بأنهم هرمزيون. تُعتبر "الهرمزية" أحد فروع التقليد الأساسي، التعاليم السريّة الباطنية المخفية في قلب كل ديانة وفلسفة أصيلة.

في كتابه "تيمايوس" Timaeus، و"كريتياس" Critias، أشار أفلاطون إلى أن حوالي ٥٦٠ ق.م، داخل معبد الآلهة المصرية "نيث" Neith في مدينة "سايس" (منطقة المحافظة الغربية الآن) بمصر كان هناك صالات سريّة تحتوي على سجلات تاريخية بقيت محفوظة لأكثر من ٩٠٠٠ سنة. يذكر الفيلسوف "بروكلوس" Proclus (آخر أشهر الفلاسفة الأفلاطونيين) اسم الكاهن الأعلى الذي حاوره أفلاطون في "سايس"، وهو "باتنيت" Pateneit. هذا يجعلنا نستنتج بأن التقليد الأساسي كان متوفراً لأفلاطون في هذه الأرشيفات القديمة بمصر. يُقال بأن "بسونشيس" Psonchis، الكاهن الأعلى الذي علّم فيثاغورث، أشار إلى إحدى تلك السجلات المقدسة التي تكلمت عن حدث تاريخي مهم يتمثل باصطدام نيزك عملاق بالأرض في الماضي البعيد.

بعد بروز سلالة "بطليموس" بمصر في ٣٢٣ ق.م، اجتمعت التعاليم المصرية والإغريقية معاً في الإسكندرية، مشكلةً بذلك المركز الفكري، العلمي، الفلسفي والديني لما أصبح يُعرف العالم "الهيليني" Hellenistic World. "مانيثو" Manetho، الكاهن المصري من مدينة "هليوبوليس" (والذي يعني الاسم الهيروغليفي لاسم "هدية من توث")، اشتهر بترجماته العديدة للأسرار المصرية والبابلية إلى الإغريقية. عاش في فترة حكم آخر ملكين في الحقبة البطلمية.

يمكن القول إذاً بأن "مجموعة الحكمة الهرمزية" هي على الأرجح بقايا الحكمة القديمة التي تم جمعها على يد الفقهاء بالاسكندرية في القرن الثاني والثالث بعد الميلاد، والتي نجت من المكتبات الإغريقية ولاحقاً العربية. أما في الغرب (أوروبا)، فقد ضاعت تماماً دون أن تترك أثر، والفضل يعود إلى المراجع العربية التي أعادت إحياء هذا التقليد لاحقاً في العالم الغربي. كما ذكرت سابقاً، هناك الكثير من الشخصيات العربية المرموقة التي نُسب إليها لقب "الهرمزي"، مثل الفارابي (٨٩٠ - ٩٥٤م)، وجابر بن حيان (٧٢١ - ٧٦٦م)، والرازي (٨٥٠ - ٩٢٤م) وابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٦م)، وغيرهم من الذين بدأوا واضحاً أنهم استقوا من جدول الحكمة الهرمزية.

بدأت الكتابات الهرمزية العربية تنتسب إلى أوروبا في الفترة التي تلت بابوية "سلفستر الثاني" Sylvester II (٩٩٩ - ١٠٠٣م) وانتشرت بشكل واسع لدرجة أن أسطورة "هرمز ثلاثي العظمة" أصبحت على لسان الجميع. لكن مجموعة الحكمة الهرمزية الكاملة Corpus Hermeticum لم تتوفر في الغرب حتى ١٤٦٠م، أي بعد بداية ظهور وثائق سرية، ناجية من أرشيف القسطنطينية، في فلورنسا بإيطاليا. الترجمة التي قام بها "مارسيليو فيسينو" Marsilio Ficino عام ١٤٧١م هي التي أطلقت العنان للاهتمام الغربي الواسع بالتقليد الهرمزي، خصوصاً وفق الصيغة التي قدمها كل من "جون دي" Dee، "تريثيموس" Trithemius، "أغريبيا" Agrippa، و"باراسيلسوس" Paracelsus.

مُعظم الأفكار الجوهرية للتقليد الأساسي موجودة داخل "مجموعة الحكمة الهرمزية". الكثير من المعلمين الأوائل للتقليد الأساسي، بما فيهم أفلاطون، "شهاب الدين شهروردي"، "غيوردانو برونو" Giordano Bruno، يشيرون إلى "هرمز" بصفته السلف الأول في ذريتهم الروحية.

لكن يبدو أن هناك المزيد بخصوص هذه الشخصية التاريخية الغامضة نستطيع التعرف عليها في مراجع كثيرة تتناول هذا المجال. كتب "مانلي بالمر هول" في الفصل الخامس من كتابه "التعاليم السرية لكل العصور"، بعنوان حياة وتعاليم توث

هرمز ثلاثي العظمة The Life and Teachings of Thoth Hermes
:Trismegistus

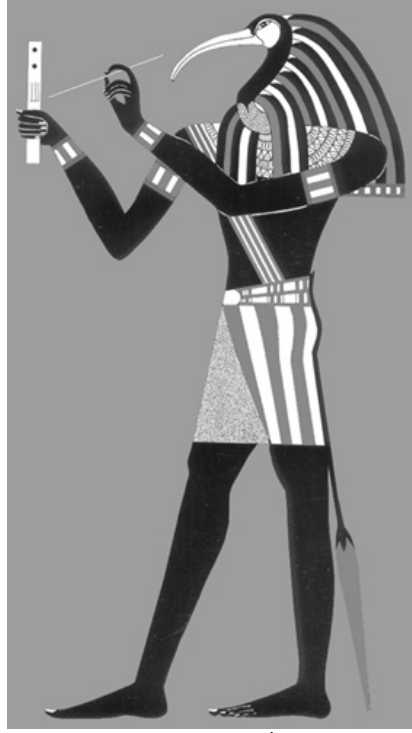
فرضيات حول هوية هرmez

أكد "أيامبليكوس" Iamblichus (فيلسوف أوجد الفرع السوري للمدارس الأفلاطونية المُحدثة Neoplatonism) بأن هرmez ألف ٢٠ ألف كتاب. بينما "مانيثو" Manetho (كاهن مصري مؤرخ، كتب تاريخ مصر في عهد البطالمة) زاد عددها لتصل إلى أكثر من ٣٦ ألف كتاب. وهذه الأعداد الكبيرة تثبت حقيقة أن فرد واحد، حتى لو تمتع بمزايا إلهية، يعجز منطقياً عن إنجاز هذا العمل الهائل بمفرده. بين الفنون والعلوم التي نسبت إلى هرmez نجد الطب، الكيمياء، القانون، الفلك، الموسيقى، علم البلاغة، السحر، الفلسفة، الجغرافيا، الرياضيات (خصوصاً الهندسة)، التشريح، فن الخطابة. وقد نسب الإغريق هذه المجالات إلى "أورفيس" Orpheus (الشاعر والموسيقي الخرافي الذي زخرت به الأساطير الإغريقية).

في كتابه الذي بعنوان "بيوغرافيا أنتيكا" Biographia Antiqua (سيرة تاريخية قديمة) يوصف "فرانسيس باريت" Francis Barrett هرmez قائلاً: إذا تجسد الله فعلياً بهيئة إنسان، فلم يكن ذلك سوى بشخصه، وتبرهن على ذلك كتبه وعمله الذي بعنوان "البيماندر" Pymander. وقد انتشرت بذور أفكاره وعلمه المقدس في كل مكان وعبر كل الأجيال، وأثبت من خلال روعتها وجلالتها بأنه ليس شخصية مقدسة فحسب بل فيلسوف أصيل أيضاً، مستلهماً حكمته من الله وجهات سماوية أخرى، وليس من الإنسان. إلمامه الواسع ومعرفته التجاوزية رفعت من مرتبة هرmez وجعلته في مصاف الكثير من الحكماء والأنبياء الأوائل. في كتابه "الميثولوجيا القديمة" Ancient Mythology كتب "براينت" Bryant قائلاً:

".. ذكرت سابقاً بأن قدموس Cadmus هو ذاته الإله المصري توث Thoth، حيث من الواضح والجلي بأنه هرmez ذاته، خصوصاً عبر إنساب اختراع الأحرف الأبجدية إليه..". ويعتقد الباحثون بأن هرmez هو ذاته "أنوخ" Enoch الوارد في النصوص

اليهودية (النبي إدريس)، والذي يوصفه "كينالي" Kenealy بأنه: "رسول الآلهة الثاني..". وقد دخل هرمز في الميثولوجيا الإغريقية، وأصبح لاحقاً "ميركور" (عطارد) عند اللاتينيين. لقد بجلوه عبر تمثيله بالكوكب عطارد لأنه الأقرب إلى الشمس. من بين كل المخلوقات اختاروا هرمز ليجعله الأقرب إلى الله، فأصبح معروف برسول الآلهة.



الإله المصري توث *Thoth*: إله الكتاب، العلوم، السحر، الدواء الدنيوي، الحساب، الطقوس، والحكمة.

في الرسومات المصرية القديمة، صوروا توث (هرمز) وهو يحمل لوح كتابة يسجل عليها خلال إشرافه على ميزان أنفُس الموتى في صالة أوزيريس للمحاكمة، وهذه إحدى الشعائر الرمزية التي لها دلالات سرية عظيمة. إن لهرمز أهمية عظيمة بالنسبة للفقهاء الماسونيين، لأنه يُعتبر المبتكر الأول لطقوس الانتساب الماسونية، فهذه

الشعائر الخاصة اقتبست من المحافل السرية التي أسسها هرمرز. إن كافة الرموز الماسونية لها طابع هرمرزي. لقد درس فيثاغورث الرياضيات مع المصريين ومنهم اكتسب معرفته بالمجسمات الهندسية الرمزية (المعروفة عموماً بالمجسمات الأفلاطونية). كما يعود الفضل إلى هرمرز بإصلاح منظومة الروزنامة، حيث هو الذي زاد أيام السنة من ٣٦٠ إلى ٣٦٥ يوم، وهذا النظام التقويمي لازال قائماً حتى اليوم. مُنح لقب "ثلاثي العظمة" لأنه كان يُعتبر الأعظم بين كل الفلاسفة، الأعظم بين كل الكهنة، الأعظم بين كل الملوك.

البقايا المشوّمة من التعاليم الهرمرزية

بخصوص موضوع الكتب الهرمرزية، كتب "جيمز كامبل براون" James Campbell Brown في كتابه "تاريخ الكيمياء" يقول: "بعد تجاوز فترة الكلدانيين والمصريين القدامى، حيث ليس لدينا أي بقايا سجلات تتحدث عنهم، وبالتالي لم يصلنا من تلك الفترة أي أسماء لفلاسفة أو كيميائيين بارزين، ندخل الآن إلى فترة تاريخية شهدت كتابة الكتب والمخطوطات، ليس على ورق بل على البُردي. أول ما نلاحظه هو سلسلة طويلة من المخطوطات المصرية المنسوبة إلى هرمرز "ثلاثي العظمة"، والذي قد يكون علامة فعلاً، أو نابغة من النوابع، أو مجرد تشخيص لسلسلة متعاقبة من الكتاب والمفكرين... يعتبره البعض بأنه ذاته الإله الإغريقي هرمرز، والإله المصري توت أو توتي، الذي كان إله القمر، وصوروه في الرسوم القديمة ذو رأس طائر أبو منجل مع قرص وهلال القمر. اعتبره المصريون إله الحكمة، الأحرف الأبجدية، وتاريخ الزمن. كما أن له مكانة مهمة لدى الخيميائيين القدامى بحيث كانت الكتابات المتعلقة بمجال الكيمياء تُسمى كتابات هرمرزية *hermetic*، وكانوا يوصفون الأدوات الكيميائية محكمة الإغلاق بأنها هرمرزية الإغلاق *hermetically sealed*، ولا زالت هذه العبارة تُستخدم حتى اليوم بين الكيميائيين المعاصرين. نجد نفس الآثار الهرمرزية متجذرة في مجال الطب والعلاج، خصوصاً في كتابات بارلسلوزوس *Paracelsus*، وكذلك آثار واضحة في تقاليد وشعائر الماسونيين الهرمرزيين في العصور الوسطى..". بين بقايا الكتابات التي يُعتقد بأنها انحدرت مباشرة من قلم هرمرز نجد عمليين شهيرين. الأول معروف باسم "لوح الزمرد"، والثاني "البايماندر المقدس" والمعروف عموماً

باسم "راعي البشرية". إحدى المفارقات البارزة المتعلقة بهرمز هي أنه يعتبر من الفلاسفة/الكهنة الوثنيين القلائل الذين لم يتناولوه رجال الكنيسة بحقد وكرهية، وحتى أن أحد الكهان الكنسيون ذهب أبعد من ذلك وصرّح بأن هرمز استعرض إشارات كثيرة على تمتعه بالذكاء، ولو أنه كان محظوظاً ليولد في زمن التنوير ويستفيد من إرشادات الكنيسة لأصبح رجلاً عظيماً بالفعل!



هرمز الهرامزة، ثلاثي العظمة، مثلث النبوة والحكمة والمُلك
سيّد كل الفنون والعلوم، كامل في كل الحرف، سيّد العوالم الثلاثة، كاتب الآلهة،
المؤمن على كتب الحياة، المبلّغ الأوّل. اعتبره المصريون تجسيد فعلي للعقل الكوني.
إذا وُجد فعلاً حكيم ومعلّم عظيم باسم هرمز، يستحيل تمييز أوصاف ومزايا هذا
الرجل التاريخي عن الكم الهائل من الأوصاف الأسطورية التي وصمت به في
محاولة تجعله يتماهى مع المبدأ الكوني للفكر.

إحدى أعظم المآسي في عالم الفلسفة تمثلت بضياع كل الكتب الهرمزية تقريباً وكان عددها ٤٢. لقد اختفت خلال حرق الاسكندرية في عهد الرومان، وبالإضافة إلى ما تعرضت له مكتبات البلاد في الحقب التاريخية اللاحقة خلال الغزوات والانقلابات والتحويلات الاجتماعية الهائلة التي عمّت البلاد. كان المسيطرون الجدد، الدينيون والسياسيون معاً، مقتنعون تماماً بأنهم لا يستطيعون إخضاع المصريين دون إحداث هذه المجازر الفكرية على نطاق واسع وقلع تقاليدهم المعرفية والعلمية من جذورها. الكتب الهرمزية التي نجت من نيران المكتبات هُربّت ودُفنت في الصحراء ومواقعها معروفة جيداً لدى عدد قليل من الأعضاء المنتسبين في مدارس سرية مختلفة.

كتاب توث

THE BOOK OF THOTH

بينما لازال هرmez يعيش على هذه الأرض مع البشر، أودع "كتاب توث" المقدس لمجموعة من خلفاء المختارين. احتوى هذا العمل على الإجراءات السرية التي وجب عبرها تحقيق مهمة "إعادة إصلاح البشرية". كما يخدم كمفتاح أساسي للدخول عبره إلى كتاباته الأخرى. لا أحد يستطيع الجزم بما كان يحتويه هذا الكتاب غير أن صفحاته كانت مكسوة بصور ورموز هيلوغرافية غريبة، والتي منحت مستخدميه قوة غير محدودة على الأرواح العلوية والسفلية (قوى كونية). عندما تُحفّز مناطق معينة في الدماغ بواسطة الإجراءات السرية للتعاليم السرية، يتمدد وعي الإنسان ويتضخم، فيستطيع بعدها أن يرى الخالدين ويدخل إلى حضرة الآلهة الأسمى. يصف كتاب "توث" الوسيلة التي تمكن الفرد من تحقيق هذا التحفيز الدماغي. وهذا حقاً يجعل الكتاب يستحق لقب "مفتاح الخلود".

وفقاً للأسطورة، وُضع كتاب "توث" في صندوق ذهبي في الحرم الداخلي للمعبد. ولم يوجد سوى مفتاح واحد لهذا الصندوق، وكان بحوزة "سيد المحفل"، أعلى الأعضاء المنتسبين إلى "التقليد الهرمزي". هو وحده يعلم ما كان مكتوباً في هذا الكتاب السري. لقد فقد العالم القديم كتاب "توث" بعد زوال المحفل. لكن أعضاء المخلصين حملوه

داخل الصندوق المقدس إلى بلاد أخرى. لازال الكتاب موجود اليوم ولازال مستمراً في إرشاد المريدين في هذا الزمن الحالي لئتمكنوا من المثول في حضرة الخالدين. لا يمكن تقديم أي معلومة للعالم أكثر من ذلك في الوقت الحالي، لكن وجب العلم بأن الخلافة المتسلسلة منذ الكاهن الأول الذي أنتسب على يد هرمرز شخصياً لازالت مستمرة دون توقّف حتى هذا اليوم. وبالنسبة لؤلئك المميّزون المناسبون لخدمة الخالدين، فيمكنهم أن يجدوا هذا المخطوط النفيس الذي لا يُقدر بثمن إذا اجتهدوا وبحثوا بصدق وإصرار وبلا كلل أو ملل.

لقد زُعم بأن كتاب "توث" هو في الحقيقة ورق "التاروت" Tarot الغامض الذي يستخدمه العجر للتنبؤ بالمستقبل. هو عبارة عن مجموعة صور رمزية غريبة تغطي ٧٨ ورقة وهي بحوزة العجر منذ فترة طردهم من معابدهم القديمة في مصر (حسب التاريخ المتداول في الحلقات السريّة، ينحدر العجر من أصول مصرية وكانوا كهنة معبد "سيرابيس" Serapeum). يوجد هناك في العالم الآن عدد من المدارس السريّة المختلفة تسمح بانتساب أعضاء جدد إلى محافظها، لكن رغم اختلاف تقاليدها إلا أنها جميعاً تشعل نيران مذبحة من شعلة هرمرز المتوهّجة. في كتاب "توث"، بيّن هرمرز "الطريق الوحيد" للبشرية، وعبر العصور تمكن حكماء كل أمة وكل عقيدة أن يدركوا الخلود بفضل هذا "الطريق" الذي أنشأه هرمرز وسط الظلام بهدف تخليص الإنسانية.

انتهى الاقتباس

خلال حديث "بالمر هول" عن كتاب توث، نلاحظ بأنه، رغم امتناعه عن الإفصاح عن أي معلومة إضافية تتعلق بمكان وجود الكتاب في الوقت الحالي، لكنه أتى على ذكر أوراق التاروت التي يستخدمها العجر للتنبؤ وكأنه يرغب في إرشادنا إلى رأس الخيط المؤدّي إلى هذا الكتاب المخفي لكن بطريقة الإيحاء. في الفصل ٢٨ من الكتاب، يتناول "بالمر هول" موضوع التاروت بشكل مفصّل، ويكشف عن الكثير من الأسرار الأخرى بخصوص أصولها ومعانيها المبطنّة:

دراسة تحليلية لأوراق التاروت An Analysis of Tarot Cards

اختلفت آراء المراجع المختصة بشكل كبير حول أصول ورق اللعب، وكذلك الهدف من ابتكاره، وتاريخ انتشاره في أوروبا. في أبحاثه المتناولة لتاريخ ورق اللعب، تقدم "سامويل ويللر سينغر" Samuel Weller Singer برأي يقول أن هذه الأوراق وصلت أوروبا من الهند عن طريق بلاد العرب. من الممكن أن أوراق "التاروت" مثلت جزءاً من المعرفة الفلسفية والسحرية التي اقتبسها فرسان الهيكل من المسلمين (فترة الغزو الصليبي) أو أحد المحافل السرية العربية التي ازدهرت في سوريا أيامها. وبعد عودتهم إلى أوروبا، قرر فرسان الهيكل، وتجنباً للإدانة والملاحقة، أن يخفوا المعاني السرية للرموز المطبوعة على صفحات هذا الكتاب السحري عبر الزعم بأنه مجرد لعبة للتسلية والمقامرة (كما لعبة الشطرنج). ودعماً لهذه الحقيقة التاريخية، كتب السيد "جون كينغ فان رينسلير" John King Van Rensselaer يقول.

".. حقيقة أن الأوراق جُلبت إلى البلاد عن طريق المحاربين، الذين جاؤوا أيضاً بالكثير من العادات والتقاليد الأخرى من الشرق، هي حقيقة تاريخية ثابتة، ولكنها بنفس الوقت لا تناقض الفرضية التي يتقدم بها باحثون آخرون والقاتلة بأن العجر هم الذين أدخلوها معهم إلى أوروبا منذ بدايات تجولهم في رحابها، مستخدمين هذه الأوراق للتنبؤ بالمستقبل، كما يفعلون اليوم تماماً..".

من خلال العجر، يمكن تتبع أثر هذه الأوراق إلى جذورها الأساسية الممثلة بالرموز الدينية لمصر القديمة. في عمله الرائع الذي بعنوان "العجر" The Gypsies، يقدم "سامويل روبرتس" Samuel Roberts برهان قاطع على الأصول المصرية لورق التاروت. كتب يقول في إحدى فصول كتابه:

".. لا يمكننا تحديد التاريخ الحقيقي لدخول العجر إلى إنكلترا. لكن يمكن الاستدلال على فترة وجودهم من خلال أرشيف السجلات الحكومية والقوانين العديدة التي أُتخذت

بحقهم خلال فترة الملك "هنري الثامن"، حيث تم وصفهم بأنهم غرباء، يزعمون بأنهم مصريين، وأنهم لا يمتنون أي مصلحة أو حرفة، بل يتجولون في البلاد بأعداد كبيرة... هناك أسطورة ملفتة للنظر تتعلق بأصولهم، وتقول أنه بعد دمار معبد السيرابيوم في الاسكندرية، اجتمع قسم كبير من كهنته ليشكلوا رابطة بهدف حفظ أسرار شعائر الإله سيرابيس. وأصبح أحفادهم (الغجر) متجولون يطوفون بلاد الأرض، حاملين معهم أثنى المخطوطات التي نجت من نيران المكتبة: كتاب أنوخ، أو كتاب توث، ولازوا على هذه الحالة حتى اليوم، مجموعة بشرية منفردة بذاتها وتتكلم لغة خاصة قديمة جداً وتحترف التعامل بالسحر والعلوم الخفية..".

يعتقد العلامة الفرنسي "أنتون كورت دي غيلين" Court de Gébelin (في كتابه "العالم البدائي" Le Monde Primitif) بأن الكلمة "تاروت" نفسها مُشتقة من كلمتين مصريتين، "تار" تعني الطريق، و"رو" تعني الملكي. وهذا يعني أن التاروت تمثل "الطريق الملكي إلى الحكمة". في كتابه "تاريخ السحر" History of Magic يذكر ب.كريستيان P. Christian، وهو ناطق بلسان أحد المحافل السرية الفرنسية، وصفاً مذهلاً لتفاصيل أحد طقوس الانتساب إلى محفل مصري قديم، فيذكر في إحدى المراحل من المراسم كيف يضعون أوراق التاروت الرئيسية (عددها ٢٢) على شكل لوحات كبيرة موزعة على جانبي صالة كبيرة. يتوقف المرشح الجديد أمام كل لوحة على حداها (ممثلة بإحدى أوراق التاروت) ليسمع شرحاً عن الدلالات المُبطنة في صورتها الرمزية من قبل أحد الأعضاء المنتسبين. يشير "أدوارد سكوري" إلى نفس مراسم الانتساب إلى "التقليد الهرمزي" في كتابه "الأعضاء المنتسبين العظام" The Great Initiates.

يُعتبر التاروت دون أدنى شكّ من العناصر الحيوية في المنظومة الرمزية لمحفل الصليب الوردى Rosicrucian، وربما تمثل فعلياً ما يسمونه كتاب "المعرفة الكونية" الذي يزعم أعضاء المحفل أنه بحوزتهم. "روتا موندي" Rota Mundi هو مصطلح يرد بشكل متكرر في البيانات المبكرة لأخوية الصليب الوردى. إذا أُجريت إعادة ترتيب لأحرف الكلمة "روتا" سوف تصبح "تارو"، وهو الاسم القديم لمجموعة أوراق

التاروت. تمكن "و.ف.س. وغستون" W. F. C. Wigston من اكتشاف دلائل تثبت بأن السير "فرانسيس بيكون" Francis Bacon استخدم رموز التاروت في كتاباته المشفرة ciphers. الأرقام ٢١، ٥٦، و٧٨ المرتبطة مباشرة بطريقة تقسيم مجموعة أوراق التاروت مُستخدمة بكثرة في كتابات السيد "بيكون" المشفرة. كما أنه في مجموعة مخطوطات شكسبير العظيمة العائدة للعام ١٦٢٣ ورد الاسم المسيحي للورد "بيكون" ٢١ مرة على الصفحة ٥٦ من "علم التاريخ" Histories.

هناك الكثير من الرموز الظاهرة في رسوم أوراق التاروت التي جذبت اهتمام الماسونيين. كما أن علماء الأرقام الفيثاغورثيون سيجدون علاقة مهمة بين الأرقام الظاهرة على الأوراق والرسوم المرافقة لها. أما القباليون، فسوف يبتهجون لآلية التسلسل المذهل لهذه الأوراق وعلاقتها ببعضها، والخيميائيون سيكتشفون رموز وشعارات ليس لها أي معنى سوى لمن اطلع على الكيمياء المقدسة التي تتناول عملية التحول والتطافر أو التجدد وإعادة الإحياء. كما فعل الإغريق القدامى، الذين وضعوا حروفاً من أبجديتهم — مع الأرقام التي تعادلها — على أجزاء مختلفة من جسم "اللوغوس" Logos، ممثلهم الإنساني، كذلك الحال مع أوراق التاروت التي لها تناظرات وتمائلات ليس مع أجزاء الكون فحسب بل في أقسام جسم الإنسان أيضاً. هذه المجموعة من الأوراق تمثل في الحقيقة المفتاح للنبية السحرية للإنسان.

وجب اعتبار أوراق التاروت بأنها: [١] صور هيروغليفية كاملة ومنفصلة، كل منها تمثل مبدأ، أو قانون، أو قوة، أو عنصر من عناصر الطبيعة. [٢] نعتبر علاقة كل منها مع الأخرى هي مماثلة لعلاقة كل عنصر، أو مبدأ، أو قانون، أو قوة في الطبيعة مع الأخرى. و[٣] نعتبرها كما الأحرف الصوتية والساكنة في الأبجدية الفلسفية. القوانين التي تحكم كل الظواهر في الطبيعة هي ممثلة بالرموز المصوّرة على أوراق التاروت، والتي تكون قيمها الرقمية متساوية للظاهرة ذاتها. كما كل بنية أو هيكل له أجزاء وعناصره التي يتألف منها، فإن أوراق التاروت تمثل العناصر التي يتألف منها هيكل الفلسفة. بصرف النظر عن العلم أو الفلسفة التي يعمل بها الطالب، يمكن لأوراق التاروت أن تتوافق مع المحتويات الجوهرية للموضوع الذي يشغله، كل ورقة

ترتبط بجزء معيّن من هذا الموضوع وفقاً للقوانين الرياضية والفلسفية. كتب "أليفاس ليفي" Eliphas Levi يقول: ".. يستطيع الفرد، المحبوس في سجن معزول من أي كتاب سوى أوراق التاروت، وعرف كيف يستخدمها، أن يحوز على معرفة كونية خلال سنوات قليلة، ويستطيع التحدث في كافة المواضيع بحذاقة وفصاحة منقطعاً النظير.. (المرجع "السحر التجاوزي" Transcendental Magic).





انتهى الاقتباس

وصف مختصر لأوراق التاروت

يُعرف التاروت عموماً بأنه مجموعة من الأوراق (نسميها أوراق اللعب) تُستخدم عموماً للتنبؤ بالمستقبل، وهي مؤلفة من ٧٨ ورق أو بطاقة. تُقسم مجموعة التاروت إلى قسمين: [١] الأركان الكبرى Arcana Greater وهي مؤلفة من ٢٢ ورقة تحمل كل منها صورة هيروغليفية وحرف عبري (مصري) ولها معناها السحري/الفلسفي/العلمي الخاص. و[٢] الأركان الصغرى Lesser Arcana وهي مؤلفة من ٥٤ ورقة، وهي ذاتها ورق اللعب الذي يألفه الناس لكن بعد تعديله (إزالة خادم الحاشية Valet) ليصبح عدده ٥٢ ورقة.

الأركان الكبرى

الإمبراطور	الإمبراطورة	الكاهنة العُليا	المشعوذ/لاعب الخفة
			
٤	٣	٥	١

القوة أو العزم	المركبة	العاشقان	الكاهن الأعلى
			
٨	٦	٦	٨

الرجل المعلق	العدالة	عجلة الحظ	الناسك
			
٩	٨	٩	٩

البرج/القلعة	الشيطان	الاعتدال/ضبط النفس	الموت
			
١٠	١٠	١٠	١٠

يوم الحساب	الشمس	القمر	النجمة
			
ו	ק	ז	ה

الأحمق	العالم/الكون
	
ש	ת

صحيح أن الصور عُذلت لتتخذ طابع أوروبي (إن كان في اللباس أو المظهر) لكنها لم تتغير من حيث أدق التفاصيل المبيّنة في الصور الرمزية. أما بخصوص الأحرف العبرية المرتبطة بهذه الأوراق فسوف نتعرف على السبب لاحقاً.






الأركان الصغرى

ذكرت سابقاً بأن الأركان الصغرى هي ذاتها ورق اللعب الذي يألفه الناس لكن بعد تعديله (إزالة خادم الحاشية Valet) ليصبح عدده ٥٢ ورقة. الأركان الصغرى مؤلفة أساساً من ٥٦ ورقة، مُقسمة إلى أربع مجموعات، كل مجموعة مؤلفة من ١٤ ورقة. أما أسماء المجموعات الأربعة فهي:

عربي	فرنسي	إيطالي	إنكليزي
بيستوني	Bâtons	Bastoni	Clubs
كوبا	Coupes	Coppé	Cups
سبات	Épées	Spadé	Spades
ديناري	Deniers	Denari	Diamonds

كل مجموعة تتألف من: الآس، الجوز، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، تسعة، عشرة، الخادم أو الحاجب، الفارس أو الشاب، الملكة أو البنت، الملك أو الشيخ.

لقد طرأت تغييرات كثيرة على الأركان الصغرى لأسباب كثيرة، إن كان من حيث إخفاض عدد كل مجموعة (إزالة الحاجب أو الخادم) أو الاختلاف في الرموز التي تمثل المجموعات. فمثلاً، الأوراق القديمة كانت تحتوي على صور مختلفة عن أوراق اللعب العصرية مما أدى إلى إحداث تغيير كبير في رمزيتها ومعانيها الخفية. بدلاً من الرموز التي نألفها في ورق اللعب العادي (القلوب التي ترمز للكوبا مثلاً) نجد رموز مختلفة تماماً مثل السيوف، الصولجان أو العصي، الدوائر المعدنية ذات النجوم الخماسية، والكؤوس. فيما يلي عينة من الصور التي حملتها المجموعات الأربعة في الأوراق القديمة، وسأكتفي بإظهار الآس، الخادم، الفارس، الملكة، والملك من كل مجموعة.

مجموعة الكوبا				
				
الخادم	الفارس	الملكة	الملك	الآس

مجموعة البيستوني

 PAGE ♄ WANDS	 KNIGHT ♄ WANDS	 QUEEN ♄ WANDS	 KING ♄ WANDS	 ACE ♄ WANDS
الخدم	الفارس	الملكة	الملك	الأس

مجموعة السبات

 PAGE ♄ SWORDS	 KNIGHT ♄ SWORDS	 QUEEN ♄ SWORDS	 KING ♄ SWORDS	 ACE ♄ SWORDS
الخدم	الفارس	الملكة	الملك	الأس

مجموعة الديناري

 PAGE ♄ PENTACLES	 KNIGHT ♄ PENTACLES	 QUEEN ♄ PENTACLES	 KING ♄ PENTACLES	 ACE ♄ PENTACLES
الخدم	الفارس	الملكة	الملك	الأس

بعض المعاني الرمزية للأركان الصغرى

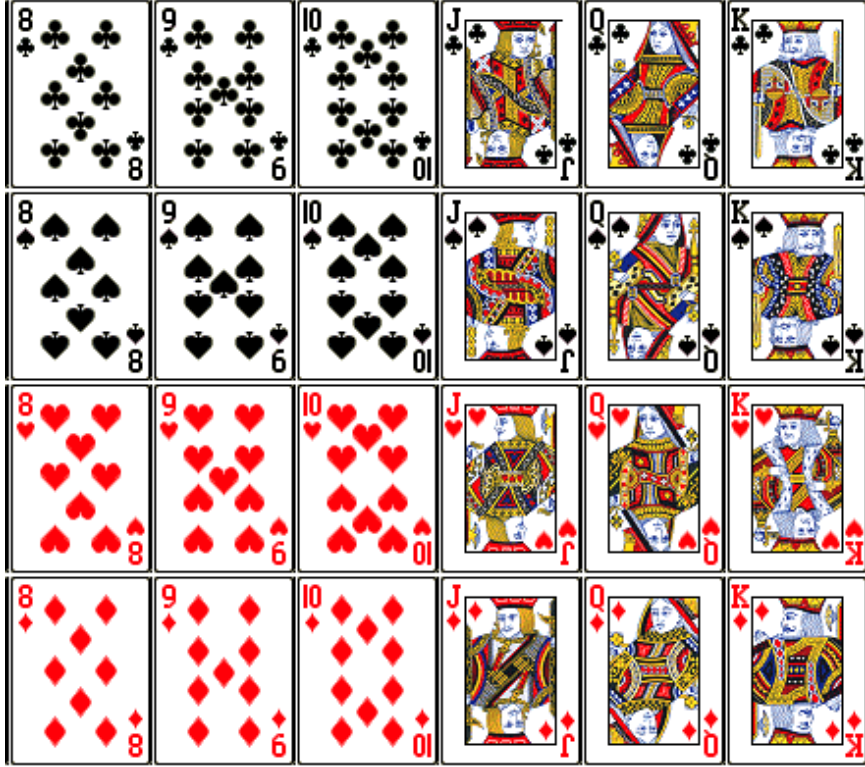
يبدو أن لورق اللعب الذي نألفه معاني رمزية تتجاوز بمستويات عديدة الطريقة السطحية التي ننظر بها إليه كوسيلة للتسلية أو المقامرة. هناك الكثير من المراجع التي يمكن العودة إليها لاستنباط المعاني المبطنّة، لكن يمكننا الاكتفاء بتكوين فكرة عامة عن هذه المعاني من خلال العودة إلى الفصل ٢٨ من كتاب "بالمر هول" خلال تناوله موضوع التاروت. كتب يقول في المعاني الرمزية للأركان الصغرى:

المجموعات الأربعة من الأركان الصغرى ترمز إلى العناصر الأربعة للطبيعة، الزوايا الأربعة للخلق، العوالم الأربعة للقبالة. كما أن المجموعات الأربعة ترمز إلى الشرائح الاجتماعية الأربعة: [١] الكوبا (الكأس) ترمز للكهنوتية (المجتمع العلمي). [٢] السبات (السيف) ترمز للجيش. [٣] الديناري (المال) ترمز للتجارة. [٤] البستوني (العصا) ترمز للزراعة. من الزاوية التي يسميها "كورت دي غيبيلين" Court de Gébelin بـ"الجغرافيا السياسية"، الكوبا تمثّل البلاد الشمالية، السبات تمثّل الشرق، الديناري تمثّل الغرب، والبستوني تمثّل البلاد الجنوبية. الأوراق العشرة (الأرقام) لكل مجموعة تمثّل الأمم التي هي بدورها مقسوم كل منها على الشكل التالي: الملك يمثّل الحكومة، الملكة تمثّل الدين، الفارس يمثّل تاريخ الأمة وخصائصها المحلية، الخادم يمثّل العلوم والفنون. وهناك أعمال كثيرة حول طريقة استخدام أوراق التاروت للتنبؤ بالمستقبل، لكن بما أن هذه الممارسات هي مناقضة للغاية للأساسية من إنشاء التاروت أصلاً، أجد أنه ما من جدوى في تناولها.

أما بخصوص أوراق اللعب الحالية بهيئتها المُستحدثة، فيبدو أنه يمكن استنباط الدلالات منها أيضاً. يكتب "بالمر هول" قائلاً:

يُعتبر ورق اللعب العصري القسم الأصغر من التاروت (الأركان الصغرى)، وقد تم تعديله بحيث جُردت ورقة "الخادم" من كل من مجموعاته الأربعة، وأصبحت كل مجموعة تتألف من ١٣ ورقة. بالرغم من تعديله، فلا زال بهذه الحالة المُختصرة

يتمتع بأهمية رمزية كبيرة، حيث أن ترتيبه الحالي يماثل تقسيمات السنة. اللونين، الأحمر والأسود، يمثلان التقسيمين الأكبرين للسنة، أي عندما تكون الشمس في الجانب الشمالي من خط الاستواء، وعندما تكون في الجانب الجنوبي منه. المجموعات الأربعة تمثّل الفصول، العصور الإغريقية، وحُقب اليوغا الهندوسية. أوراق البلاط (الصور) التي عددها ١٢ تمثّل الأبراج الفلكية، وهي مُرتبة بصيغة الثلاث: الأب، القوة، والعقل. أوراق الأرقام، التي عددها عشرة في كل مجموعة، تمثّل أشجار "السافيروت" القبلانية، وكل شجرة موجودة في أحد العوالم القبلانية الأربعة (الممثلة بالمجموعات الأربعة). الأوراق الـ١٣ في كل مجموعة تمثّل الأشهر القمرية في كل سنة، والأوراق الـ٥٢ لكامل دسنة الورق تمثّل الأسابيع الـ٥٢ لكل سنة.. وهكذا إلى آخره.



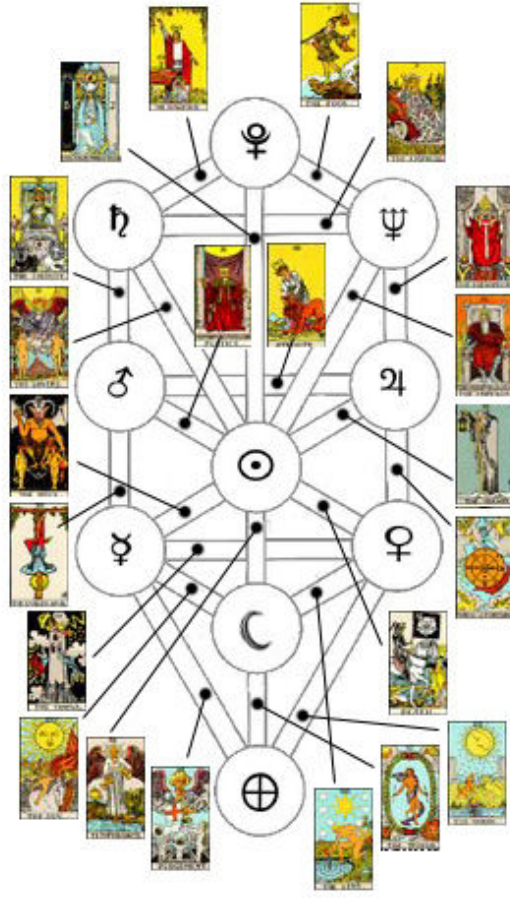
أوراق اللعب بصيغتها الحالية

تحتوي أوراق البلاط (التي عليها صور) على رموز ماسونية مهمة. ٩ من هذه الأوراق لها وجه كامل (تتظر للأمام) بينما الثلاثة الباقية تمثّل وجوه جانبية. هذا يرمز إلى "عجلة القانون" المكسورة، أي تسعة شهور من الحمل، وثلاثة درجات ضرورية للتجلي الروحي قبل إنتاج الإنسان الكامل. الملوك الأربعة المسلحين يمثلون المهندسين المصريين الأمونيين (نسبة لآمون) الذين نحتوا الكون بسكاكينهم. كما أنهم يمثلون الأبراج الرئيسية cardinal signs في الدائرة الفلكية. أما الملكات الأربعة اللوات تحملن أزهار ثمانية البتلات فهن تمثّل الأبراج الثابتة fixed signs في الدائرة الفلكية. الفرسان الأربعة، اثنان منهم يحملان غصن الأكاسيا (فارس الكوبا في يده، وفارس البستوني على قبعته) يمثلون الأبراج الباقية من الدائرة الفلكية. وجب الملاحظة إلى أن أوراق البلاط في مجموعة السبات لا ينظرون إلى الأحرف في زاوية الورقة بل يديرون وجوههم عنها كما لو أنهم يخافون رمز الموت (كما مبين الشكل في السابق). السيد الأعلى لكامل الأوراق هو ملك البستوني، والذي يحمل بيده "الكرة السلطانية" التي ترمز إلى جلالته قدره.

انتهى الاقتباس

يمكننا التعمق أكثر في متاهات الرموز المشفرة لأوراق التاروت إلى ما لا نهاية، لكن هذا لن يوصلنا إلى نتيجة مجدية تشفي آمالنا لأنها بكل بساطة، وكما باقي النصوص والمخطوطات المنحدرة إلينا من الماضي البعيد، تستند على منطق بعيد كل البعد عن المنطق الذي نشأت عليه عقولنا العصرية. لكن الحقيقة المهمة التي وجب ذكرها هنا هي أن أوراق التاروت الرئيسية (مؤلفة من ٢٢ ورقة) تناسب تماماً خصائص ومواصفات المسارات الرابطة بين مقامات "شجرة الحياة"! وهذا يفتح أمامنا باب جديد في متاهة أسرار الحكمة الضائعة. أو من ناحية أخرى، يمكنه أن يمثل منفذ سريع إلى جوهر تعاليمها.

أوراق التاروت ورموزها الباطنية تدخل في صلب تعاليم شجرة الحياة



إن سبب ارتباط الأحرف العبرية بأوراق التاروت يعود إلى أن كل منها، كما أوراق التاروت، تمثل أحد المسارات الواصلة بين مقامات شجرة الحياة، وعددها ٢٢. يبدو واضحاً أن أوراق التاروت هي مكملّة لتعاليم شجرة الحياة.

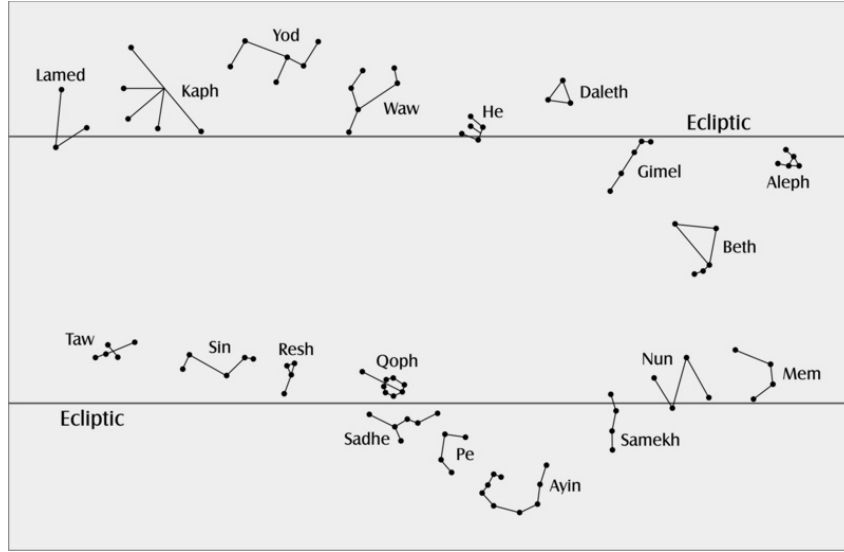
قبل أن يراودك أي شكوك بخصوص الأبجدية العبرية، ربما لم تقتنع بأصولها المصرية كما بيّنت في هذا الكتاب، أعتقد أن الموضوع التالي سيسفي تساؤلاتك العديدة. بعض الباحثين يعيدون هذه الأبجدية إلى أصول فينيقية، واستندوا على دلائل مقنعة لإثبات ادعاءاتهم. لكن مهما كان الأمر، المهم أنها ليست "يهودية" المنشأ أو الابتكار. أما كيف أصبحت فيما بعد تُستخدم كلغة سرّية لدى الكهنة المصريين، فهذا سيبقى من الألغاز العديدة التي يخفيها التاريخ.

أصل الأبجدية العبرانية

بالرغم من النظريات التي تؤكد تفرّع الأبجدية العبرانية (وكذلك اليونانية واللاتينية والعربية) من كتابات هيروغليفية ومسمارية، أو من مزيج رموز قديمة ذات صيغة عشوائية، إلا أن الحقيقة هي عدم وجود أي رابط يجمعها مع تلك الأنظمة الكتابية القديمة. هناك عدة أمور مهمة يجب معرفتها بخصوص هذه الأبجدية. أولها هي أنها أبجدية صوتية (نطقية) phonetic alphabet، أي أن كل حرف يمثّل كلمة قائمة بذاتها (مثل: ألف، باء، جيم، دال... في الأبجدية العربية). الأمر الآخر هو أنها لم تتطوّر من لغة سابقة، بل ابتكرت فوراً في زمان محدد ومكان محدد، حيث كل حرف منها هو عبارة عن خريطة مطابقة لإحدى الثريات النجمية. الأمر الأهم هو أنها من ابتكار فينيقي قبل أن تتحوّل فيما بعد إلى اللغة السريّة للكهنة المصريين. بالرغم من الدور الهامشي الذي نُسب إليهم في كتب التاريخ الرسمية، لكن كل باحث مستقلّ يعلم جيداً أن الفينيقيين كانوا في إحدى فترات التاريخ لاعبين أساسيين على الساحة العالمية. لقد تم اكتشاف آثار فينيقية في أعماق الأدغال البرازيلية، والسهول الداخلية لأمريكا الشمالية، والسواحل الأسترالية، وأواسط أفريقيا، وعدة مواقع في السواحل الاسكندنافية.

في الفصل الأخير من كتابه "أصول ورق التاروت" Origins of the Tarot Deck، يشرح الباحث "ستيفن. إي. فرانكلين" Stephen E. Franklin كيف تم صياغة هذه الأحرف الأبجدية الفينيقية التي، كما أصرّ الكاتب، هي واضحة جداً لدرجة تدعو الفرد للدهشة من العمى المقصود الذي يبديه الفقهاء والمتقنين، الأكاديميين والدينيين. ويضيف قائلاً: ".. دعوني أكرر الأمر مرة أخرى، ربما عجزتم عن استيعاب الأمر: الأبجدية الصوتية ابتكرت.. ولم تتطوّر من مصدر سابق. كيف لي أن أشرح الأمر؟ أنظر إلى ثريات السماء وسوف ترى كيف تم تلفّظ هذه الأبجدية من النجوم التي تشكّل دائرة البروج العربية والهندية. تبدأ الأحرف بـ"ألف" aleph (ثريّة "الدبران" Aldebaran في برج الثور)، ثم اتبع دائرة الفلك إلى اليسار، مروراً على باقي

الأحرف، ثم ابدأ بتتبع الخط الثاني، وهكذا... حتى تنتهي في الحرف "طاء" taw (ثريا نجوم في برج الدلو). كما في الشكل التالي:



الثريات النجمية التي صيغت منها الأحرف الأبجدية الفينيقية

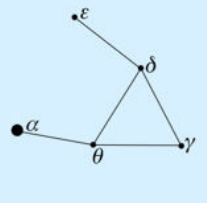

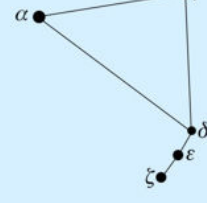

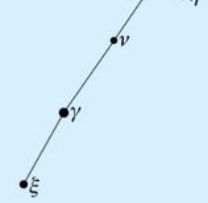

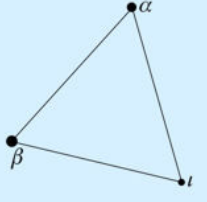

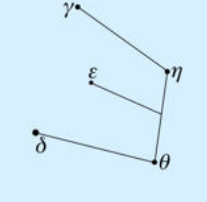

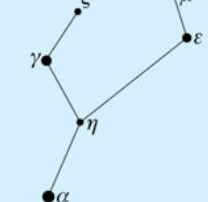

(ملاحظة: خلال تبنيتها من الكهنة المصريين، تم إضافة الأحرف "هيث" Heth (هاء)، "زين" Zain (زين)، و"تاث" Teth (طاء)

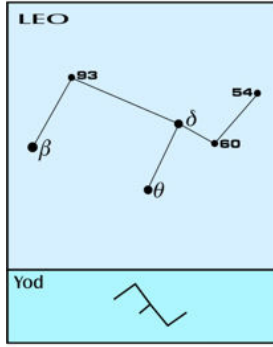
مجموعات النجوم العصرية التي يمكن إيجاد هذه الأحرف فيها تظهر كما هي مبيّنة في الصور اللاحق، مصحوبة مع الشرح ومجموعات النجوم التي يتألف منها كل حرف فينيقي.

الأحرف الأبجدية الفينيقية ونظيراتها الفلكية

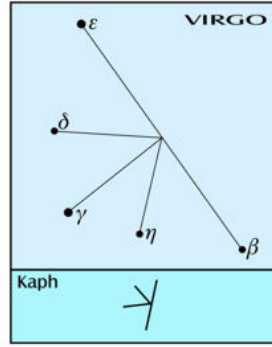
اللفظ الهجائي الممثل بكل حرف هو ببساطة التهجئة الفينيقية لاسم الشيء الذي يشابه المجموعة النجمية التي يمثلها الحرف. الدراسة المصورة التالية مُقتبسة من كتاب "The Alphabet: A Key to the History of البشرية"

Mankind للمؤلف "ديفيد ديرينغر" David Diringer، وكذلك كتاب بعنوان "الأبجدية وأبراج الرزنامة القديمة" The Alphabet and the Ancient Calendar "Signs للمؤلفان "هيو.أ. موران" Hugh A. Moran و"ديفيد.هـ. كيللي" David H. Kelley.

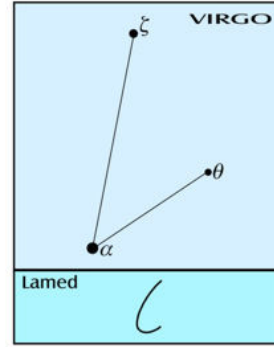
<p>TAURUS</p>  <p>Aleph</p> 	<p>ORION</p>  <p>Beth</p> 	<p>GEMINI</p>  <p>Gimel</p> 
<p>الحرف "ألف" Aleph ومعناه ثور، أو أي ذكر من نفس الفصيلة</p>	<p>الحرف "بيت" Beth ومعناه بيت، منزل، معبد، أو ابنة (بنت)</p>	<p>الحرف "جيمل" Gimel ومعناه جمل (حيوان)</p>
<p>GEMINI</p>  <p>Daleth</p> 	<p>CANCER</p>  <p>He (Heth=𐤇)</p> 	<p>LEO</p>  <p>Waw</p> 
<p>الحرف "دالت" Daleth ومعناه باب، دلو، أو جرّ الماء (سحبه)</p>	<p>الحرف "هه" He ومعناه مغرفة، أو كفكير</p>	<p>الحرف "واو" Waw ومعناه صنارة، خطاف، وتد.</p>



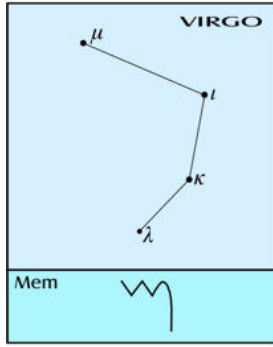
الحرف "يود" Yod
ومعناه يد (ذراع)



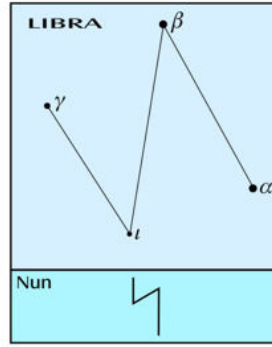
الحرف "كاف" Kaph
ومعناه كفّ، أو يد مفتوحة



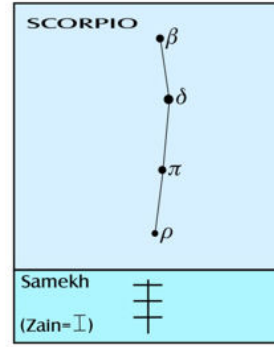
الحرف "لامد" Lamed
ومعناه عصا الراعي



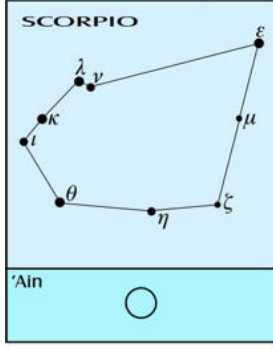
الحرف "ميم" Mem
ومعناه مياه



الحرف "نون" Nun
معناه سمكة، أو أفعى

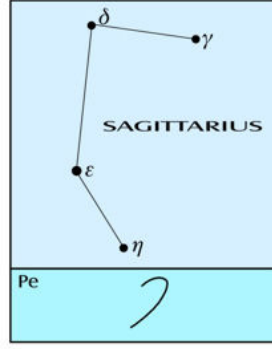


الحرف "سامخ" Samekh
ومعناه محور ارتكاز،
دعم، أو سمكة



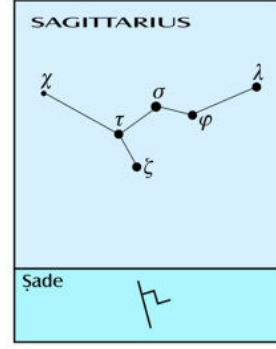
'Ain
○

الحرف "عين" Ayin
ومعناه عين، أو نبع



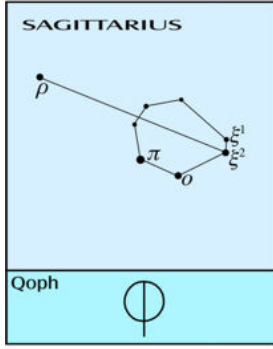
Pe
∩

الحرف "بي" Pe
ومعناه فم (فاه)



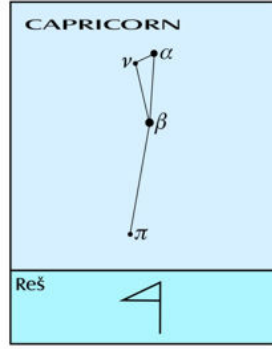
Şade
♄

الحرف "صاد" Sadhe
خطوة، أنف، منجل، سهم،
عدالة، أو رمح



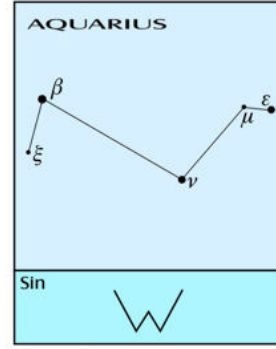
Qoph
⊙

الحرف "قاف" Qoph
معناه قرد، يحيط، يجرح



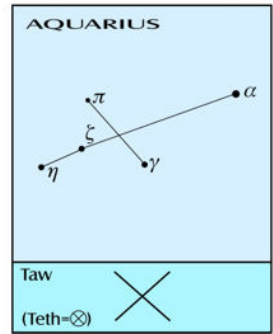
Reş
∟

الحرف "رَش" Resh
معناه رأس، أو رئيس



Sin
∩

الحرف "سين" Sin
معناه سن، غنمة أو معزاة



Taw
(Teth=⊗) ⊗

الحرف "ت" Taw
ومعناه علامة أو إشارة

الأحرف التي أضيفت لاحقاً:

- "زين" Zayin: معناه ميزان أو سلاح. ("الزان" بالعربية)
- "حت" Heth: معناه سياج أو حاجز. (أي "حيط" بالعربية)
- "طت" Teth: معناه "طابة" أو كبة صوف

بعد تطوّر الأحرف الفينيقية إلى العبرية:

الجدول التالي يبيّن شكل الأحرف العبرية الذي تطورت إليه لاحقاً بالإضافة إلى المعاني والأرقام المنسوبة إليها.

الرقم	المعنى	الشكل	الحرف
١	ثور	א	ألف
٢	منزل (بيت)	ב	بيت
٣	جمل	ג	جمل
٤	باب	ד	دالت
٥	نافذة	ה	هه
٦	مسمار	ו	واو
٧	سيف	ז	زين
٨	سور (حيط)	ח	هت
٩	أفعى	ט	نت
١٠	يد	י	يود
٢٠	كف	כ	كاف
٣٠	مهماز الثور	ל	لامد
٤٠	ماء	מ	مم
٥٠	سمكة	נ	نون
٦٠	محور ارتكاز	ס	سامخ
٧٠	عين	ע	عين
٨٠	فم (فاه)	פ	فه
٩٠	صنارة سمك	צ	تصاد
١٠٠	قفا الرأس	ק	قاف
٢٠٠	رأس	ר	رش
٣٠٠	سنّ	ש	شين
٤٠٠	صليب أو علامة	ת	تاو

الاختصار المركّب

إذا نظرنا إلى أي من هذه النصوص القديمة، المقدسة أو غيرها (مثل التاروت)، التي انحدرت إلينا عبر العصور، وبعد تفحص المخطوط والنظر في بساطة حجمه نتساءل: كيف يمكن تصديق المزاعم القائلة بأن هذا المخطوط الواحد البسيط يحتوي على كامل الحكمة الكونية وكافة العلوم التي يحتاجها الإنسان ليعني نظرة شاملة للكون وجزئياته؟

الجواب هو بسيط: إتباع وسيلة الاختصار المركّب. أي عبر صياغة مجموعة من القصص والروايات الرمزية التي تحجب بين سطورها "المعرفة الكاملة". الأمر لا يتوقف عند هذه الحقيقة المذهلة، بل يتجاوزها إلى ما هو أكثر إذهالاً. الحقيقة التي يجهلها الكثيرون هي أن أحد هذه المخطوطات البسيطة التي تحتوي على مجموعة من القصص الرمزية، مثل التوراة اليهودية (المتمحورة حول تعاليم القبالة)، يمكن أن تُقرأ بطرق مختلفة ومن زوايا مختلفة.

إذا رغبت في الاطلاع على الحكمة الكونية من منظور معين، لنقل فلسفي مثلاً، فسوف يكشف لك الجانب الفلسفي من التعاليم. وهذا الجانب الفلسفي يتطلب نظام خاص لفكّ التشفير. بينما إذا أردت العودة إليه كمرجع علمي بحثاً عن صيغ كيميائية (تحويل المعادن) فهذا الجانب له منظومته الخاصة لفكّ التشفير، وبالتالي تستطيع قراءة النصوص بأكثر من طريقة. الحال ذاته مع علم الكون، الروحانيات، الفلك، وغيرها وغيرها.

لكن كما ذكرت سابقاً، الأمر المؤسف هو أنك من أجل أن تتمكن من فكّ شيفرة النصوص والتعمق في أسرارها، أنت بحاجة لأن تفقه بعلم كثيرة (معظمها أصبح منقرضاً اليوم). والأمر الأهم هو أن الإنسان العصري محكوم بمنطق مختلف تماماً عن ما كان سائداً في الماضي البعيد. (وهذا وحده يمثل موضوع آخر قائم بذاته، نوّهت إليه في أجزاء سابقة).

يصعب فهم المسألة بالنسبة لنا نحن العصريون بسبب الاختلاف في طريقة تفكيرنا، وكذلك نظرتنا إلى هذا الشيء الذي نسميه علم. فبالتالي، من أجل النجاح في تتبع أثر الحكماء القدامى والوصول إلى الحكمة النهائية التي أخفوها في قلب متاهات الرموز المشفرة، وجب علينا التعرف على الطريقة التي كانوا ينظرون بها إلى ما نعرفه بـ"العلم والمعرفة".

العلم بالنسبة لنا هو مختلف تماماً. إنه مجموعة واسعة من فروع المعرفة التحليلية والتطبيقية التي فرضت عليها العقلية المادية أن تتشعب إلى أقصى مدى مما زاد مسافة الهوة بين كل منها. إذا نظرت إلى كل هذه الفروع المتشعبة من المعرفة التي تسود اليوم (علوم، تقنيات، فلسفات،.. إلى آخره) هل تتصور بأنك تستطيع اختصارها جميعاً في كتاب واحد؟ هذا مستحيل طبعاً. لكن الحكماء القدامى استطاعوا تحقيق ذلك!

ربما تستنتج بأنهم استطاعوا فعل ذلك لأن علومهم كانت تافهة وبسيطة، لكن تريت قليلاً قبل إصدار حكمك الجائر وانظر إلى المسألة من منظور آخر. السرّ يكمن في اختلاف المنطق وطريقة التفكير. إذا تخّلينا للحظة عن فئاعاتنا المغرورة التي تجزم بحقيقة تفوقنا علمياً ومعرفياً على حضارات العصور الغابرة، فهذا سيسمح لنا الرؤية مباشرة وبوضوح إلى حقيقة أن تلك الحضارات المهيبة ملكت العلوم والمدارس والجامعات. لازالت بلاد مصر والهند تزخر بالبقايا والآثار المادية والمعرفية التي تكشف للباحثين مدى تقدم علوم القدماء ومعارفهم. وأصبحنا على ثقة جازمة اليوم بأن الميزة الطاغية على تلك المعارف تتمثل بـ"الاختصار المركب". أي تلخيص أو إيجاز كل تلك العلوم في عدد بسيط من القوانين الكونية الشاملة. وقد حققوا ذلك بالاعتماد على أحد المبادئ الكونية الثابتة، وهو مبدأ التماثل، القائل بأن "الكل يتوافق مع الجزء والجزء يتوافق مع الكل..". — "كما الحال في الأعلى كذلك الحال في الأسفل، والعكس بالعكس..". هذا المبدأ يجسد حقيقة وجود توافق دائم بين كل القوانين والظواهر في كافة مستويات الوجود والحياة. هذا بالإضافة إلى ناحية واحدة وجب التركيز عليها قبل إمكانية تطبيق تلك المعرفة بشكل عملي وفعال، وتتمثل بـ"تطوير أداء العقل وتحسين جودته"، لأنه سيّد كل القوى المتجلية في الطبيعة.

يبدو أن هذه الطريقة المتمثلة بـ"الاختصار المركّب" للحكمة الكونية قد شوّهت عبر الزمن وفُقدت إلى الأبد ولأسباب عديدة، لكن قبل التعرّف عليها وجب أولاً التعرّف على الحالة الراهنة لبقايا هذه الحكمة الكونية وأين يمكن إيجادها.

الحالة الراهنة لبقايا الحكمة الكونية

لقد انحدر هذا العلم عبر العصور بطرق عديدة ليصل إلينا على شكل فتات مُبعثرة بهذه الصيغة المشوهة، لكن يمكن اختصارها في ثلاثة طرق رئيسية: [١] الجمعيات السريّة. [٢] المذاهب العقائدية. [٣] الشعوب التي تحمل في ثقافتها المتنوعة مخزون غني من الحكمة السريّة لكنها لا تدري ذلك. في الصفحات القادمة، سوف نناقش هذه المواضيع الثلاثة (لكن باختصار)، وسبب ذكرها أصلاً يعود لأهمية الدور الذي لازالت تلعبه في المحافظة على استمرارية "الوضع الراهن".

[١]

الجمعيات السريّة

مثّلت المعابد المصرية المصدر الرئيسي للجمعيات والمحافل السرية المنتشرة في العالم، وتاريخ هذه الجمعيات السرية يسبق التاريخ الرسمي بعصور مديدة. مُعظم الأعضاء المنتسبين للمعابد المُدمّرة التجوّوا إلى أعماق الأدغال والصحاري وحتى وصلوا إلى الشرق الأقصى. في أواخر القرن التاسع عشر (في العام ١٨٨٤) اكتشف الغرب وجود جمعيات سرية في كل من الهند والتبت تحوز فعلياً على مخطوطات تحتوي على "الاختصار المركّب" للحكمة الكونية، كاملة متكاملة، دون أن تتعرّض لأي تحريف أو تشويه عبر الزمن. وقد تأسس المجتمع الثيوصوفي Theosophite Society على أساس توحيد التقليد سرّي الشرقي مع التقليد السري الغربي، لكن حتى هذه اللحظة لم تبدي أي جهة غربية اهتمام فعلي بالحكمة الكونية الكاملة المتكاملة التي صمدت عبر العصور في الهند والتبت، لأن الجمعيات السريّة الغربية اتخذت توجهات وأهداف مختلفة تماماً، حيث تغلّب عليها الطابع السياسي/الديني.

المذاهب الغنوصية Gnostic، العرب، الخيميائيون، محفل فرسان الهيكل، محفل الصليب الوردي، وأخيراً الماسونيون، يمثلون السلسلة الغربية لانتقال الحكمة الخفية، ويا لها من رحلة طويلة، مضنية، وشاقة لدرجة أنه لم يبق منها سوى الفتات المشوّه والمُحرّف. إن مجرد نظرة سريعة على تعاليم هذه المجموعات تكفي لإثبات حقيقة أن التقاليد الحالية للمحافل الماسونية فقدت المعاني الحقيقية للرموز التقليدية التي تحمل الوديعة المترتب عليها نقلها عبر العصور بأمانة لتصل إلينا كاملة متكاملة.

باختصار نقول، لقد فقدت الماسونية الوديعة التي ائتمنت عليها، وبالتالي لا تستطيع تزويدنا بالصيغة الأصلية للـ"الاختصار المركّب" للحكمة الكونية الذي نبحت عنه. ومن ناحية أخرى، حتى لو بقي محافظاً على الأمانة عبر العصور، كيف تتوقع من محفل ظلامي كهذا، يضم بين صفوفه شخصيات بارزة في عالم المال والسياسة والجيش،.. والإرهاب والجريمة المنظّمة والاستخبارات.. أن يبقى متمتعاً بالاستقامة والنزاهة الكافية لتجعله مستعداً لتسليم الأمانة لمن يستحقها فعلياً؟! مع أنه في الحقيقة، ما فعلوه هو العكس تماماً، بدلاً من المساهمة في نشر النور، أمعنوا في دفعنا نحو عتمة الظلام!

يمكننا تكوين فكرة عامة عن موضوع المحافل السريّة وسبب نشوءها من خلال الاطلاع على مقدمة "مانلي بالمر هول" للفصل الأوّل من كتابه والذي بعنوان "المدارس والمجتمعات السرية القديمة التي لها أثرها في الرموز الماسونية العصرية" The Ancient Mysteries and Secret Societies Which Have Influenced Modern Masonic Symbolism. الفكرة مختصرة، لكنها شاملة وواقية:

عندما يواجهون مسألة تتطلب استخدام ملكات التعقّل والتفكّر، يحافظ الأفراد المتعقلين ذوي الذكاء المتوقّد على توازنهم، ويسعون للتوصّل إلى حلّ مجدي ونهائي عبر جمع الحقائق والمعطيات الفاعلة في المشكلة ثم معالجتها. بينما على الجانب الآخر، أولئك ذوي العقلية غير الناضجة، إذا واجهوا مسألة مشابهة، سوف يُصابون بالإرباك. في الوقت الذي يكون النوع الأوّل مؤهلاً لحلّ لغز قدره الخاص، نجد أن النوع الثاني

وجب أن يُقاد كقطيع الأغنام وتعليمه لغة بسيطة تناسب قدرته المتواضعة على الاستيعاب. هذه النوعية تعتمد بالكامل تقريباً على مساعدة الراعي. قال "بولس" الرسول بأنه على هؤلاء الصغار أن يتغذوا على الحليب، لكن اللحم هو غذاء الرجال الأشداء. "عدم التفكير" هو مرادف تقريباً للصبيانية، بينما "عمق التفكير" هو دليل النضوج.

هناك على أي حال عدد قليل من العقول الناضجة في هذا العالم، وبالتالي كان على القدامى أن يقسموا عقيدتهم الدينية/الفلسفية لتلبية حاجات هاتين المجموعتين المختلفتين من العقول البشرية: المجموعة الأولى ذات أهلية فلسفية، والأخرى غير قادرة على تقدير أبعاد الحياة العميقة. للأقلية المتبصرة، تم كشف التعاليم الباطنية أو الروحية. بينما الأكثرية غير المؤهلة تسلمت فقط النصوص الحرفية، أو المعاني الظاهرية لتلك التعاليم. من أجل تبسيط تلك الحقائق العظمية حول الطبيعة والمبادئ الرئيسية للقوانين الطبيعية، تم "شخصنة" القوى الحيوية للكون، فأصبحت تمثل فيما بعد الآلهة ذاتها التي تزرخ بها الأساطير القديمة. في الوقت الذي كانت فيه الجموع الجاهلة المغفلة تجلب القرابين وتقديمها إلى مذابح الآلهة في المعابد، كان الحكماء يعلمون جيداً بأن هذه التماثيل الرخامية ليست سوى تجسيديات رمزية لحقائق كونية عظيمة.

كافة مدن العالم القديم زخرت بالمعابد التي قدمت لها الجموع العطايا والصلوات الوجدانية. في كل مجتمع أيضاً كان هناك فلاسفة وصوفيين، ضليعون جداً في علوم الطبيعة وأسرارها. عادة ما كان هؤلاء يجتمعون ليشكلوا رابطة أو جمعية أو مدرسة فلسفية أو دينية تميل للاحتجاب والسرية. أكثر هذه المدارس شهرة وأهمية هي ما أصبحت تُعرف بالنقابات السرية *Mysteries*. عدد كبير من العقول العظيمة في العالم القديم انتسبوا إلى هذه الأخويات السرية عبر طقوس غامضة وغريبة، وبعضها كان وحشي إلى حد كبير. عرف "الكساندر وايلدر" Alexander Wilder هذه "التقاليد السرية" بأنها تمثل: ". . . مسرحيات مقدسة تُؤدى في أوقات محددة. أكثر هذه المسرحيات شهرة وانتشاراً هي تلك التي لـ"إيزيس" *Isis*، "سابازيوس" *Sabazius*، "سيبيل" *Cybele*، و"ألوسيس" *Eleusis*. . . بعد قبول المنتسبين الجدد يتم إرشادهم

إلى رحاب الحكمة المقدسة التي حُفظت عبر العصور. "أفلاطون"، والذي كان منتسباً إلى إحدى هذه الحلقات السرية، تعرّض لانتقادات لاذعة وقاسية بسبب كشفه في كتاباته المنشورة للعموم عن الكثير من المبادئ الفلسفية السرية "للتقليد الأساسي".

كل أمة قديمة كان لها (ولا يزال) ليس فقط دينها الرسمي، المعروف بمصطلح "دين الدولة"، بل هناك دين آخر لا يُسمح بدخوله سوى النخبة الفلسفية وحدها. الكثير من هذه الجمعيات النخبوية اختفت من وجه الأرض دون أن تكشف أسرارها، لكن القليل منها نجا وبقي قائماً يقاوم مصاعب العصور، كما أن رموزها الغامضة صمدت معها إلى يومنا هذا. معظم الشعائر الماسونية تستند على "طقوس الاختبار" العريقة التي خضع لها المنتسبون، بإرشاد من الكهنة القدامى، قبل أن يؤتمنوا على مفاتيح الحكمة. القليلون يدركون مدى التأثير الذي خلفته المدارس السرية العريقة على المفكرين المعاصرين، وكيفية انتقاله عبر هذه العقول إلى الأجيال القادمة. في كتابه "تاريخ الماسونية العام" General History of Freemasonry، اعترف الكاتب "روبرت ماكوي" Robert Macoy (ماسوني درجة ٣٣) بالفضل الكبير للدور الذي لعبته المدارس السرية في تشييد صرح الحضارة الإنسانية وثقافتها. يقول: ".. يبدو أن كمال الحضارة، وكل التقدم الذي أحرزته الفلسفة، العلم، والفن لدى القداماء يعود سببها إلى تلك المؤسسات التي، خلف حجاب السرية، سعت إلى شرح أكثر الحقائق سمواً في كل من الدين، الأخلاق، والفضيلة، وتخلفها كانطباعات قوية في نفوس تلاميذها... كانت غايتها الأساسية تعليم عقيدة الإله الواحد، بعث الإنسان إلى الحياة الأبدية، جلالته النفس البشرية، وأن تقود الناس إلى رؤية ظلّ الله في جمال، روعة، وفخامة الكون وعظمته..".

مع انحطاط الفضيلة، التي سبقت دمار كل أمة في التاريخ، أصبحت المدارس السرية منحرفة. احتلت الشعوذة مكان السحر الرباني. تم تقديم ممارسات شنيعة لا يمكن وصفها إلى التقليد (كحفلات السكر والتهنّك)، فكان للانحراف اليد العليا. ما من مؤسسة يمكن أن تكون أفضل من الأعضاء الذين تشملهم. في حالة من اليأس والقنوط، راح البعض القليل المتبقي من الأعضاء الصادقين يسعى إلى لملمة وحفظ

التعاليم السريّة من الضياع والنسيان. في بعض الحالات كانوا ينجحون، لكن في معظم الأحيان كانت الحكمة الخفية تضيق إلى الأبد ولم يبقى من المدرسة السريّة سوى القشرة الخارجية الفارغة المملوءة بمجموعة من الدنيويين المتأمرين.

كتب "توماس تيلور" Thomas Taylor يقول: ".. الإنسان هو حيوان ديني بالفطرة. منذ بزوغ فجر وعيه، راح الإنسان يعبد ويبيجل الأشياء كرموز تمثّل ذلك الكائن "الخفي"، "كليّ الوجود"، "المتعزّر وصفه". ذلك "المجهول" الذي لا يمكن اكتشاف أي شيء بخصوصه..".

لقد آمن الفلاسفة القدامى بأنه ما من إنسان يستطيع العيش بفطانة وعقلانية إذا لم يكن ملماً بالمعرفة الأساسية للطبيعة وقوانينها. قبل أن يطيع، وجب عليه الفهم. والمدارس السرية كانت مكرسة نفسها لإرشاد الإنسان في ما يتعلّق بالقانون الإلهي المتجلي في العالم الدنيوية. القليل من الحلقات القديمة كانت تعبد الأصنام أو الآلهة البشرية فعلياً، رغم أن الرمزية التي استخدموها قد تقودنا إلى الاعتقاد بذلك. لكن في الحقيقة، كانوا أخلاقيين أكثر من كونهم دينيين، وفلسفيين أكثر من كونهم لاهوتيين. علموا الإنسان كيف يستخدم ملكاته الذهنية بذكاء أكثر، أن يتمتع بالصبر في وجه الشدائد والمحن، أن يتحلّى بالشجاعة في مواجهة المخاطر، أن يكون صادقاً وسط الإغراءات، والأهم من ذلك كله، أن يعتبر الحياة الفاضلة بأنها التضحية الأكثر قبولاً عند الله، وجسمه يمثّل مذبح المعبد الأكثر قدسية لله [عزّ وجلّ].

لعبت عبادة الشمس دوراً مهماً في كل المدارس السريّة الوثنية القديمة. هذا يدلّ على إمكانية أصولها الأطلنطية، حيث سكان أطلنطس كانوا يعبدون الشمس. كان إله الشمس يُشخّص على شكل شاب جميل، مع شعر ذهبي طويل يرمز لأشعة الشمس. هذا الإله الذهبي الممثّل للشمس تعرّض للقتل على يد مجموعة من المتوحشين الأشرار، والذين يشخّصون الجانب الشرير من مبادئ الكون. عبر شعائر واحتفالات معيّنة، التي ترمز للتطهير والتجدّد، يعود هذا الإله الرائع الممثّل للخير مجدداً إلى الحياة فيصبح مخلص لشعبه. الإجراءات السريّة التي ينبعث عبرها للحياة ترمز إلى

تلك الثقافة القائلة بأن الإنسان يستطيع التغلب على طبيعته الدنيوية، ويسيطر على شهواته، فيبدأ التعبير عن الجانب السامي من ذاته. لقد أوجدت المدارس السريّة من أجل مساعدة الكائن البشري المتخبط في بيئته الدنيوية على إعادة إيقاظ قواه الروحية التي تقبع نائمة داخل نفسه، محاطة بحلقة ملتصقة من الشهوات الدنيوية والانحراف الخلقى. بمعنى آخر، لقد مُنح الإنسان طريقة تمكنه من استرداد منزلته التي خسرها.

في العالم القديم، كافة الجمعيات السريّة تقريباً كانت ذات طبيعة فلسفية ودينية. خلال القرون الوسطى، كانت بمجملها دينية وسياسية، رغم وجود بعض المدارس السريّة النقية العاملة في الخفاء. أما في العصر الحديث، فكل الجمعيات السرية المنتشرة في العالم الغربي أصبحت سياسية و"أخوية" (عائلات منغلقة على نفسها تتوارث السلطة)، والقليل منها فقط لازالت تحيي المبادئ الدينية والفلسفية القديمة.

لا تسمح لنا المساحة هنا لمناقشة موضوع المدارس السرية بالتفصيل. لكن كان هناك أعداد لا تُحصى من هذه الحلقات الخفية، مع فروع منتشرة في كل أنحاء العالم بقسميه الشرقي والغربي. بعضها، كالمدارس الفيثاغورثية والهرمزية، تُظهر بوضوح تأثيرها الشرقي، بينما أعضاء "الصليب الوردی" Rosicrucians، وحسب مزاعمهم، حازوا على معظم حكمتهم من الصوفيين العرب. بالرغم من أن المدارس السريّة مرتبطة عموماً بالحضارة، إلا أن هناك دلائل تشير إلى أن معظم الشعوب غير المتحضرة في أزمنة ما قبل التاريخ كانوا على إمام بها. سكان الجزر النائية مثلاً، ورغم طبيعتهم البدائية، نجد في شعائرهم لمسات ماسونية واضحة.

انتهى الاقتباس

ملاحظة: لقد ورد ذكر العرب (وسوف يرد لاحقاً) أكثر من مرة خلال الحديث عن هذه الجمعيات السريّة وأصولها. قبل أن تشعر بالبهجة أيها العربي الصميم من الأفضل التعرف أولاً على طبيعة هذا المصدر العربي الذي يقصده الماسونيون خلال ذكرهم له بامتنان. هو محفل سرّي كان نشطاً في الشرق العربي إبان العصر الجاهلي، ويُشار إليه عموماً باسم

محفل "نبلاء النظام العربي القديم" Ancient Arabic Order Nobles. هذا المحفل هو المسؤول عن كل الأحداث السياسية والتحويلات الاجتماعية التي حصلت في منطقة الشرق الأوسط منذ العصر الجاهلي..... حتى سقوط غرناطة، ثم اختفى من الساحة متزامناً مع بروز محفل جديد في المنطقة مع دخول الأتراك. ربما اندمج مع المحافل الأوروبية. لكنه ظهر من جديد في نيويورك عام ١٨٧٢م (على شكل نادي اجتماعي رفيع) عن طريق مجموعة من الماسونيين: الدكتور "والتر.م. فليمنج" Walter M. Fleming، "وليام.ج. فلورنس" William J. Florence، "تشارلز.ت. مكلينشان" Charles T. McClenachan، و"وليام.س. باترسون" William S. Paterson، الذين أحياه من جديد، متخذاً اسم "المعبد الصوفي لنبلاء المحفل العربي القديم" Ancient Arabic Order Nobles Mystic Shrine.



شعار محفل "نبلاء النظام العربي القديم"
لاحظ الرأس الفرعوني في الهلال المتدلي من السيف العربي.

يبدو أن هذا المحفل المنبعث من جديد، تيمناً بأجداد الأسلاف، يُعتبر رفيع المستوى حيث من بين شروط الانتساب إليه هو أن يكون الفرد قد تبوأ درجات رفيعة في الفرع الاسكتلندي من المحفل الماسوني. من بين أشهر أعضائه الرئيس الأمريكي السابق "فرانكلن روزفلت".

نحن نعيش أحداث مسرحية طويلة لم تنتهي فصولها بعد، ولم تقطع يوماً عن العرض، منذ انطلاقها قبل آلاف السنين! هل أنت سعيد بالمعلومات التاريخية التي لقنوك إياها في المدرسة ووسائل الإعلام والثقافة الشعبية؟ إذا كنت كذلك، فمبروك عليك، عيش وتهنى!

[٢]

المذاهب العقائدية

كان على المدارس السريّة نقل الجانب العلمي للتقليد الأساسي في رموزها المشفّرة، بينما في نفس الوقت، كان على المذاهب العقائدية (الطوائف الدينية المختلفة) أن تطوّر المظاهر الفلسفية والميتافيزيقية لتلك التعاليم الأساسية. كل مؤسس أوجد عقيدة معيّنة لا بد من أنه كان عضو منتسب "للتقليد" الأساسي، أي بمعنى آخر، كان يعلم جيّداً بأن هناك دين واحد في هذا العالم، وأن العقيدة المذهبية تخدم في ترجمة هذا الدين الأساسي إلى المجتمع المحليّ الذي يبشّر فيه. وجب ترجمة هذا الدين الأساسي بطرق مختلفة تتناسب مع التقاليد والعقليات المتباينة للمجتمعات المحلية والأمم المختلفة. هذه الحقيقة تؤدي بنا إلى حقيقة أخرى مهمة جداً: في إحدى المستويات الرفيعة، هناك في الأعلى، بين صفوف القائمين على المؤسسات الدينية حول العالم، مهما كان نوع الإله الذي تعبد، يوجد شريحة كهنوتية تعلم بأن جميع العقائد في العالم تتمحور حول دين واحد أساسي، وأن ما تمثّله هو مجردّ ترجمات مختلفة لهذا الدين الواحد.

لا بدّ من أن نزاعاتنا الدينية الهادفة إلى تفوق أحد المذاهب على الآخر قد خلقت جواً من التسليّة واللّهو بالنسبة للكهنة المنتسبين للتقليد الأساسي. لقد ضحكوا كثيراً وطويلاً.. هذا يجعلنا نطرح السؤال بالأم: هل كان المؤسسون الأوائل سُدج إلى هذه الدرجة بحيث لم يتوقعوا أنه حتى العقلانيون من البشر يعجزون عن رؤية الحقيقة واضحة جلية: "وحدة كل العقائد ضمن دين واحد أساسي"؟ أم كان لهم نيّة أخرى؟

النعرات الطائفية التي يغذيها القائمون على عقيدتين معيّنتين بأخطائهما، ساهمت في فقدان العقيدة السريّة التي توفرّ المفتاح لوحدة الـ"الاختصار المركّب" للحكمة الكونية. لقد أدت الغرائز الأنانية، مثل حبّ السلطة والتوسّع والتطرّف.. إلى آخره، إلى قمع أي محاولة عقلانية لإعادة تصحيح المسار. ومع ذلك لازال لكل من هذه الطوائف تقليدها الخاص وكتابها الخاص الذي يعلم أولئك الذين يعرفون قراءته جيّداً حقيقة أن الكل موحد تحت راية عقيدة واحدة، رغم اختلاف الشعائر والعادات.

جميع الملاحم الأسطورية العظيمة حول العالم، وكذلك النصوص المقدسة، أصبحت معروفة جيداً بالنسبة للباحثين في الثيولوجيا القديمة بأنها متشابهة وتحدث عن ذات المواضيع. أسطورة "حيرام" الماسونية، ملحمة "جلجامش"، الملاحم الإغريقية والرومانية، التوراة اليهودية، ملاحم "الفيدا" الهندوسية، .. إلى آخره، وقد تبين في النهاية أنه حتى العجر لديهم كتابهم، "التاروت". إن كل من يحوز على المفتاح يستطيع اكتشاف ذات التعاليم في كل هذه النصوص والمخطوطات والملاحم. لكن للأسف الشديد، هذا المفتاح ضاع وسط شريحة المتعصبين الحمقى وخساسة الخبثاء المتعطشين للسلطة. لهذا السبب أصبح من غير المجدي الاعتماد على هذه المجموعات البشرية للبحث عن الحقيقة بطريقة عقلانية ومستقيمة.

[٣]

الشعوب

بعد اختيار كل أمة مناسبة لتتوارث عبر أجيالها "المخطوط" الذي احتوى على "الاختصار المركّب" لثمرة العلوم المصرية/الأطلنطية المتطورة، لم تُخَيّب هذه الأمم الآمال. دون أن يفهم أي من رعاياها الحقيقة التي احتوتها تلك النصوص، إلا أنهم حافظوا عليها كما هي، ممتنعين عن المساس أو محاولة تعديل أي مقطع منها (بفضل عامل التقديس)، حيث أي محاولة لانتقاد أو مناقشة هذه النصوص تُواجه بتهمة الكفر والإلحاد. يا لها من طريقة بارعة لخلق جو من الحصانة المنيعة تساهم في حفظ وصيانة هذه العلوم خلال انحدارها عبر الأجيال. لكن السؤال هو: هل نجحت هذه الخطة وأدت إلى النتيجة المرجوة التي أمل بها المؤسسون؟ كم هي الأجيال التي ستحدر عبرها هذه النصوص قبل أن يُكشَف السرّ أخيراً؟ كم من الدماء ستُسفك وكم من الأرواح ستُزهق، وكم بقي من المعاناة والظلم والإقطاع الفكري والديني، والإرهاب والحروب العبيثية... قبل أن تُكشَف الحقيقة للجميع؟ إنه لأمر عظيم أن تمنح شعب مخطوط جليل لتبجّله وتحترمه، لحراسته وصونه. لكن من ناحية أخرى، فإن

منحهم "تعاليم" تمكنهم من العيش بطريقة أفضل هو أمر أعظم بكثير. لقد كان المؤسسون في الهند والتبت أكثر حنكة وذكاء.

إن ما ورد في هذا الكتاب هو مجرد معلومات تحضيرية لا يمكن أن يكون لها معنى فعلي أو عملي إذا أخذت لوحدها. الأمر يتطلب عدد كبير من الكتب من أجل تغطية كامل تفاصيل هذا المنهج الفلسفي/الروحي الذي يبدو أنه يشمل كل جانب، وكل مظهر، وكل جزئية من هذا الكون. يمكن ملاحظة التراتبية المتوافقة مع منظومة شجرة الحياة في كل شيء من حولنا، حتى في مجال علم الاجتماع والسياسة والاستراتيجيا، لكن تجنبت تناول هكذا مواضيع ليس لشيء سوى لضيق المساحة والوقت، وتجنباً للتعقيد أيضاً، خصوصاً بعد التسليم بعدم ضرورتها بسبب انتماءها لمجالات أخرى بعيدة عن الموضوع الرئيسي المطروح هنا. سوف نتعرف على هذا العلم التجاوزي من خلال مجموعة مختلفة بعنوان "منبع أصول الحكمة"، لكن يمكن التعرف على المنطق الذي استند عليه الحكماء القدامى خلال صياغة مبادئه الأولية، وذلك عبر الطلاع على صيغة مختصرة للفلسفة الهرمزية في القسم التالي.

التقليد السريّ

في الفصل السادس والأربعين من نفس الكتاب، والذي بعنوان "المدارس السريّة ورسالتها"، كتب بالمر هول شارحاً السبب المنطقي لسريّة "التقليد" والحرص على بقاءه كذلك، كما وصف دور المنتسبين لحلقة "التقليد السريّ" في تطوير الحضارة الإنسانية ومساهماتهم العظيمة في سبيل تقدم الفكر الإنساني:

المدارس السريّة ورسالتها

The Mysteries and Their Emissaries

هل نجت تلك المعرفة المقدسة التي مثلت الحوزة الأسمى بالنسبة للكهنوتية الوثنية من الدمار الذي أصاب معابدها؟ هل لازالت في متناول البشرية، أم تقبع الآن مدفونة تحت نفايات العصور، مخفية داخل خرائب المقامات التي كانت مُنارة يوماً بإشراق روعتها؟ كتب "أوريغن" Origen (اللاهوتي والفقيه الإنجيلي الأكثر شهرة أيام الكنيسة الإغريقية الأولى، أعاد ترجمة العقيدة المسيحية عبر الفلسفة الأفلاطونية، فأدين عمله بصفته غير حنيف) يقول: "في مصر، لدى الفلاسفة معرفة سامية وسريّة تحترم طبيعة الله...". إلى ماذا لمّح "جوليان" Julian (امبراطور روماني من 361-363م، قريب قسطنطين الكبير، أعلن تحوله للوثنية فلقّب بـ"المرتد") عندما تكلم عن الانتساب السري إلى المدارس السريّة المقدسة التابعة للإله ذي الإشعاعات السبعة، والذي ارتقى بالنفوس إلى الخلاص عبر طبيعته؟ كانوا السحرة المباركون الذين لم يتجرأ "جوليان" على الحديث عن عقيدتهم العميقة؟ إذا كانت هذه العقيدة محجوبة دائماً عن الجماهير الذين تم صياغة تشريع مبسط يناسب عقولهم الوضيعة، أليس من الممكن جداً أن المناصرين المتحمسين لكل مظهر من مظاهر الحضارة العصرية – الفلسفية، الأخلاقية، الدينية، والعلمية – يجهلون المعنى الحقيقي للنظريات والمبادئ التي تأسست عليها معتقداتهم؟ هل الفنون والعلوم التي ورثتها البشرية من الأمم القديمة تحجب خلف مظهرها الخارجي لغز عظيم لدرجة أنه فقط المفكرين الأكثر تنوراً يستطيعون فهم مدى أهميته؟ هذه هي الحال دون شك.

فقهاء الماسونية، الذين جمعوا دلائل وافرة على جودة المذاهب التي نشرتها المدارس السريّة، يدعمون تأكيداتهم عبر الاقتباس من كتابات "كلمنت الاسكندراني"، "أفلاطون"، "أبيكتاتوس"، "بروكولوس"، "أريستوفينز"، و"سييرو"، الذين توحدوا جميعاً في تمجيد المُثل العليا لتلك المؤسسات السرية. من خلال الشهادات القاطعة التي قدمتها هذه المرجعيات المحترمة، لم يعد هناك سبب للشكّ في أن الأعضاء المنتسبين للتقاليد السريّة في كل من اليونان، مصر، وأمّ قديمة أخرى، حازوا على الحلول الصحيحة للمسائل الثقافية، الفكرية، الأخلاقية، والاجتماعية العصيّة عن الحلّ التي تواجه الإنسانية في القرن العشرين. على القارئ أن لا يفسّر هذا التصريح بمعنى أن الحكماء القدامى تنبؤوا وحلّوا كل تعقيد يعاني منه هذا الجبل، بل الحقيقة هي أن المدارس السريّة طوّرت وسيلة جديرة بحيث يتدرّب عبرها العقل للتعامل بعمق مع حقائق الحياة الأساسية لدرجة تمكنه من مواجهة أي مسألة طارئة بذكاء وحكمة. لقد تم تنظيم الملكات الفكرية عبر وسيلة بسيطة ممثلة بالتهذيب العقلي، حيث أثبت بأنه أينما ساد التبصّر والتعقل، لا وجود للمشاكل والتناقضات. تم التأكيد على أن "الحكمة" ترفع الإنسان إلى حالة من الإلهوية، وهي حقيقة تفسّر المقولة المبهمة التي توصف المدارس السريّة بأنها "تحوّل الوحوش الزائرة إلى كائنات إلهية وديعة..".

يُحدّد تفوّق أي منظومة فلسفية عبر جودة ما تنتجه. لقد استعرضت المدارس السريّة تفوّق ثقافتها عبر التقديم للعالم عقول فائقة العظمة، نفوس مبهجة البصيرة، شخصيات تتمتع بنقاء رائع لدرجة أنه رغم مرور عصور على تعاليم هؤلاء الأفراد لكنها لازالت تشكّل المعايير الروحية، الفكرية، والأخلاقية للإنسان المعاصر. الأعضاء المنتسبون للمدارس السريّة القديمة المختلفة يشكلون سلسلة ذهبية حقيقية من الرجال والنساء الخارقين الذين يوصلون السماوات بالأرض. إنهم يمثلون الحلقات التابعة لتلك السلسلة الذهبية التي تحدث عنها الشاعر الإغريقي "هومر"، حيث تفاخر الإله "زيوس" بأنه يستطيع استخدامها لربط أقسام متعددة من الكون بقمة جبل "أوليمبوس". إنهم يمثلون أبناء وبنات "إيزيس"، الذين أوجدوا العلوم والفلسفات، ورعاة الفنون والحرف، ويدعمون أديان العالم، بواسطة قواهم التجاوزية الممنوحة من الآلهة، والتي شيدوها ليقدّم لهم الولاء والتقدير. مؤسسو المعتقدات المختلفة التي قولبت حياة عدد لا يحصى

من الأجيال، هؤلاء "المعلّمون/الأعضاء المنتسبون" شهدوا على انبعاث تلك الثقافة الروحية التي طالما كانت، وسوف تكون للأبد، موجودة كمؤسسة سماوية في عالم البشر.

هؤلاء الذين طالما مثلوا قذوة يُحتذى بها، لكن بعيدة عن تناول استيعاب الجماهير، لا بدّ في النهاية من أن يواجهوا المصير المحتوم الممثل باضطهاد الجموع المُغلّفة، المجردة من المثلّ السماوية التي تلهم التقدم والمحرومة من تلك الملكات الذهنية التي لا تخطئ في تمييز الحق من الباطل. مُعظم هؤلاء "المعلّمون/الأعضاء المنتسبون" عاشوا بالتالي حياة تعيسة وواجهوا مصير بائس. صُلب "فيثاغورث" وأُحرقت جامعته. سُحبت "هيباتيا" من عربتها وقُطعت إرباً. أُحرق "سافونارولا" في ساحة فلورنسا. أُجبر "غاليليو" على التراجع وتوسّل التوبة راکعاً على ركبتيه. أُحرق "جيوردانو برونو" بأمر من محكمة التفتيش. اضطرّ "روجر باكون" إلى متابعة اختباراتهِ في ظلّمة زنزانته تاركاً معرفته محجوبة وراء ستار التشفير. أصبح الكونت "كاغليوسترو" Cagliostro (ساحر بالفطرة وصانع عجائب، تمتع بنعيم البلاط الفرنسي قبل الثورة الفرنسية) الرجل الأكثر تعرضاً للتشهير في العصر الحديث. هذه الأمثلة البسيطة تمثّل شهادة على انعدام إنسانية الإنسان تجاه الإنسان. لطالما كان العالم ميالاً إلى كيل التصفيق للحمقى وكيل الافتراءات للمفكرين. لكن لا بد من وجود استثناءات هنا وهناك، كما في حالة "كونت دي سانت جرمان" Comte de St.-Germain، الفيلسوف الذي نجا من شرك المخبرين الفضوليين ومكنته عبقريته التجاوزية من اكتساب موقع محصّن يقبه شرور المغفلين (هو فيلسوف وخيميائي لامع، اشتهر في بلاط الملك لويس السادس بلقب "رجل العجائب"). لكن حتى هذا الرجل العجيب وذائع الصيت، والذي استقطب فكره المتنوّر تقدير وإعجاب العالم بأسره، لم ينجو من التهم التي صنفتها في خانة "الدجال"، "المشعوذ" و"المغامر الطائش".

انتهى الاقتباس

المبادئ الأساسية للفلسفة الهرمزية

سوف نتعرّف في القسم التالي على المبادئ الأساسية التي استند عليها عباقرة العصور قبل خروجهم للعالم بروائعهم العلمية والفلسفية. فيثاغورث، أفلاطون، ديموقريطوس، أبوليونيوس، "لاو تزو"، كونفوشيوس، المعلمون الهندوس وما أكثرهم، الكندي، ابن رشد، ابن سينا، الرازي، الشهروردي، ابن عربي.. كلهم تخرّجوا من مدرسة واحدة. إنه "التقليد الأساسي"، "الفلسفة الخالدة". مجموعة من المبادئ الكونية المشمولة في جسم معرفي واحد، منظومة فكرية وفلسفية واحدة، توجّه علمي فريد من نوعه، لكنه المنبع أصيل. هو المصدر، "الينبوع" الذي شرب منه كافة عمالقة الفكر الإنساني عبر العصور. دون الاطلاع على هذا "التقليد الأساسي" سوف تذهب كل جهودنا سدى. حتى بعض المواضيع المطروحة في هذا الكتاب تبقى عصيّة عن الفهم بالنسبة للقارئ الكريم، ليس بسبب تعقيدها، أو قصر في تفكيره، بل لكونها تعتمد على منطق مختلف تماماً عن منطقنا الحالي. لهذا السبب، فإن المرور على تلك المبادئ ضروري لكي نخرج بنتيجة مجدية. وبعد أن نصبح محضّرين جيداً، سوف نتابع مسيرتنا في التعرف على روائع كثيرة علمية، فلسفية، وروحية، انبثقت من هذه المنظومة الأساسية. فيما يلي مُختصر مفيد لكافة المبادئ الرئيسية التي تستند عليها الفلسفة الهرمزية. هذه الفلسفة المحجوبة التي منها شرب كافة عمالقة الفكر الإنساني عبر العصور، لولاها لما برزوا وتميّزوا وارتقوا إلى مقام العمالقة أصلاً. القليل منهم نال التبجيل والاحترام، بينما معظمهم تعرّض لأبشع أشكال المعاملة.. ليس لشيء سوى أنهم تحمّسوا لتصحيح المسار عبر قول الحقيقة جهاراً. لطالما حاولت تنسيق الأفكار في السابق بطريقة تمكنني من الخروج بصيغة مناسبة تمكّن القارئ من استيعابها، لكنني توقفت أخيراً، والشكر لله، بمخطوط صغير صمّم بطريقة مناسبة جداً لما كنت أتوق إليه. إنه من المنشورات المختصر تداولها على الحلقات الماسونية ولهذا السبب لم نسمع عنه من قبل. لكن حتى لو وصل إلينا فسوف لن نستسيغه جيداً لأنه بعيد كل البعد عن المنطق الذي نشأنا عليه. فالمنطق الذي يستند عليه هو منطق "هولوغرافي"، وهذا لا يناسب نظرتنا المادية/الدينية للعالم.

القيبالان

THE KYBALION

بحث في الفلسفة الهرمزية بكل من مصر واليونان القديمتين
A Study of The Hermetic Philosophy of Ancient Egypt and Greece

بقلم الأعضاء الثلاثة
BY THREE INITIATES

المعبد الماسوني لجمعية المنشورات اليوغية

شيكاغو، إلينوي

١٩١٢

THE YOGI PUBLICATION SOCIETY MASONIC TEMPLE
CHICAGO, ILLINOIS

[1912]

المقدمة

لنا الشرف العظيم في وضع أمام انتباه الطلاب والباحثين في التعاليم السريّة هذا العمل الصغير المُرتكز على التعاليم الهرمزية العريقة. لقد كُتِبَ القليل عن هذا الموضوع بصيغةٍ عصرية، لكن الباحثون عن الحقائق الخفية سيجدون في هذا الكتاب فرجاً منتظراً بعد ما عانوه من خوضهم في متاهات المراجع والمخطوطات القديمة الموبوءة بالرموز الغامضة والحقائق المتناقضة وغير المفهومة.

الغاية من هذا العمل ليس الإعلان أو التسويق لأي فلسفة أو عقيدة خاصة، بل من أجل منح الطلاب تعبيراً جلياً وصريحاً عن الحقيقة التي نخدم في تصحيح وتوضيح الفتات المتناثر من العلوم الخفية التي بحوزتهم، لكنها لازالت تبدو بالنسبة لهم متناقضة وغامضة فتعمل على إحباط عزيمتهم وتُفتر حماسهم من بداية الطريق. نيتنا لا تهدف إلى تشييد معبد جديد من المعرفة، بل من أجل وضع بين يدي الطالب مفتاح عمومي يساعده على فتح الكثير من الأبواب الداخلية في معبد الأسرار الذي دخل إليه منذ قرّر العمل بهذا المجال.

ليس هناك أي جزء من التعاليم الخفية المنتشرة في العالم محروس بعناية فائقة أكثر من فتات التعاليم الهرمزية التي انحدرت إلينا عبر عشرات القرون، منذ أيام المؤسس العظيم، هرمز ثلاثي العظمة، "كاتب الآلهة"، الذي عاش في مصر. معاصراً لإبراهيم، وتقول الأساطير بأنه كان معلّم ذلك الحكيم المُبجل، كان هرمز، ولازال، الشمس المركزية العظمى للعلوم الخفية، والذي ساهم نوره في إضاءة عدد لا يُحصى من التعاليم التي انبعثت منذ زمانه. كل التعاليم الأصلية والأساسية المُبطنّة في العلوم الإيزوتيرية لكل أمة وكل عرق يمكن العودة بأصولها إلى هرمز. حتى التعاليم الروحية العريقة في الهند لها جذورها الأصلية في التعاليم الهرمزية.

من بلاد الغانج (الهند) سافر عدد كبير من الصوفيين التجاوزيين إلى بلاد مصر، وجلسوا عند أقدام السيّد. حازوا منه على المفتاح العمومي الذي فسّر ووضّح نظراتهم

المتباينة للوجود، وهكذا تم توطيد الأسس الأولية للعقيدة السريّة. من بلاد أخرى جاء أيضاً طالبو العلم، جميعهم اعتبروا هرمز سيّد الأسياد، وكان تأثيره عظيماً لدرجة أنه بالرغم من التشويهاً والانحرافات عن الطريق الأصيل التي شهدتها القرون على أيدي المعلمين في كافة البلاد، لازال بإمكاننا ملاحظة التشابه أو التطابق في الكثير من تلك التعاليم المشوّهة التي تتناقلها أجيال الأمم المختلفة اليوم. إن أي باحث في مجال "أديان المقارنة" سيدرك مباشرة تأثير التعاليم الهرمزية في كل دين حول العالم، إن كان مندثراً أو لازال قائماً حتى اليوم. بالرغم من المظاهر المتناقضة للنصوص المختلفة، إلا أنه لازال هناك بعض التطابقات. وإذا قرّرت أي جهة تصحيح الأخطاء فالتعاليم الهرمزية تمثل المرجع الأول.

يبدو أن ثمرة حياة هرمز، بدلاً من تأسيس مدرسة فلسفية تهيمن على الفكر العالمي، ساهمت في نشر "بذور الحقيقة العظمى" بطريقة جعلتها تنمو وتزهر بأشكال وهيئات متنوعة وغريبة بين الأمم المختلفة. لكن على أي حال، هذه البذور التي نثرها لازالت محفوظة بصيغتها الأصلية في عهدة مجموعة قليلة من الرجال الذين يتناقلوها عبر الأجيال، ويسيرونها على خطى هرمز حيث يرفضون نثرها عموماً بين أعداد كبيرة من الناس الذين في معظمهم غير مؤهلين، بل بين قلة مختارة حاضرة لأن تستوعبها وتنتقنها. لقد تم توارث الحقيقة من الفم إلى الأذن بين هذه القلة المختارة. هناك دائماً قلة مختارة من الأعضاء في كل جيل، في كافة بلاد الأرض، الذين حافظوا على استمرارية الشعلة المقدسة للتعاليم الهرمزية، وطالما كانوا مستعدين لأن يستخدموا مصابيحهم المتوهجة لإعادة إشعال المصابيح المنطفئة في العالم الخارجي عندما يخفت نور الحقيقة بسبب الإهمال حيث يكسو الفتيل غبار الأفكار الغربية. لطالما كان هناك دائماً أقلية تخدم بإخلاص هيكل الحقيقة الذي يحوي المصباح الأبدي للحكمة.

هؤلاء الرجال لم ينشدوا استحسان العامة، ولم يهتموا بعدد الأتباع. هم غير مباليين بهذه الأمور، حيث يعلمون كم هو قليل عدد المؤهلين في كل جيل والمستعدون لتقبل الحقيقة أو تقديرها إذا قُدمت لهم. يدخرون "اللحم المتين للرجال"، بينما الآخرون يقدمون "الحليب للأطفال". يدخرون لؤلؤ الحكمة للأقلية المختارة، التي تميّز قيمتها

مباشرة وترصّع بها تيجانها، بدلاً من رميها أمام الخنازير السوقيين الذين يخبصونها في الوحل فيخلطونها مع طعامهم العقلي القذر. لكن مع ذلك، هذه الحلقة السريّة لم تنسى أو تتجاهل التعاليم الأصيلة لهرمز بخصوص نقل الحقيقة لكل من هو حاضر لقبها، حيث يقول القييلان: " .. أينما تطأ أقدام السيّد، تفتح واسعاً آذان الحاضرين لتتعلّم.."، ويقول أيضاً: " .. عندما تكون آذان الطالب مستعدة للسمع، ستأتي بعدها الشفاء التي تملأها بالحكمة..". لكن بنفس الوقت، لطالما كان سلوك هذه الحلقة السريّة ملتزماً بشكل صارم مع مقولة هرمز المأثورة، فيقول القييلان أيضاً: " .. شفاء الحكمة تكون مقلّة دائماً، باستثناء حضور آذان التفهّم..".

هناك أولئك الذين انتقدوا هذا السلوك المتحفّظ للهرمزيين وزعموا بأنهم لم يجسّدوا الروح الصحيحة في إتباعهم لسياسة العزلة والتكتم. لكن مجرد نظرة سريعة على صفحات التاريخ سوف تبرهن على مدى حكمة الأسياد، الذين أدركوا حماقة في محاولة تعليم هذا العالم الذي ليس مؤهلاً ولا مستعداً للتقبّل. لم ينشد الهرمزيون أن يصبحوا شهداء، لكن بدلاً من ذلك، جلسوا جانباً بصمت مع ابتسامة أسف على شفاههم، بينما "المشعوذون المهرطقون يصلون ويجولون" مع متعتهم المعهودة في إنزال عقوبة الموت والتعذيب على المتحمسين الصادقين الذين تصوّروا بأنهم يستطيعون تعليم الحقيقة جهاراً أمام المجموعات البشرية الدنيوية، هذه الحقيقة التي لا يمكن أن يفهمها سوى قلة مختارة ممن تقدموا في هذا الدرب.

لازالت روح الاضطهاد قائمة في كل البلاد. هناك تعاليم هرمزية معيّنة، إذا تم نشرها جهاراً، سوف ينهال على المعلمين صيحات الازدراء واللّعن والتنديد من ذات الجماهير الذين رغبوا في تنويرهم.. جميعهم دون استثناء سيصرخون: " .. أصلبوهم، أصلبوهم..!".

في هذا العمل المتواضع حاولنا إعطائكم فكرة عن التعاليم الأساسية للقييلان، جاهدنا لتقديم المبادئ العملية منها، تاركين لكم مهمة استنباطها وتطبيقها، بدلاً من إطالة الكلام في التفاصيل. إذا كنت طالباً حقيقياً، سوف تتمكن من تفسير وتطبيق هذه

المبادئ، لكن إذا كنت عكس ذلك، فهذا يعني أنه عليك تطوير نفسك لتصبح مؤهلاً،
وإلا، سوف تبقى التعاليم الهرمزية بالنسبة لك مجرد كلام، بكلام، بكلام.
الأعضاء الثلاثة

الفصل الأوّل

الفلسفة الهرمزية

THE HERMETIC PHILOSOPHY

".. شفاه الحكمة تكون مُقفلة دائماً، باستثناء حضور آذان التفهّم.."

القبيلان

من مصر القديمة جاءت التعاليم الخفية والإيزوتيرية الأصيلة التي كان لها تأثير قوي على فلسفات كل الأعراق، الأمم، والشعوب لعدة آلاف من السنين. مصر، بلاد الأهرامات وأبو الهول، كانت مسقط رأس الحكمة الخفية والتعاليم الصوفية. لقد استعارت من عقيدتها السرية كل الأمم. الهند، فارس، الكلدان، البربر، الصين، اليابان، آشور، الإغريق والرومان، وبلاد قديمة أخرى كان لها حرية الجلوس على مائدة المعرفة التي وفرها أسياؤ وحكام بلاد إيزيس برحابة صدر لكل من جاء مستعداً لينهل من مخزن العلوم الصوفية والخفية التي جمعها أعظم عقول تلك البلاد في منهج واحد عظيم.

في مصر القديمة عاش الأسياد والخبراء العظام الذين لم يتفوق عليهم أحد، والذين نادراً ما ضاهاهم أحد، خلال القرون التي ازدهر فيها منهجهم الذي انبعث أيام هرمز العظيم. في مصر كان يقبع المحفل الصوفي العظيم، محفل المحافل. من أبواب معابدها دخل المريدون المبتدؤون الذين خرجوا بعدها حائزين على رتبة كاهن، ضليع، أو سيّد. ثم سافروا إلى زوايا الأرض الأربعة، حاملين معهم المعرفة النفيسة التي كانوا حاضرين، متلهفين، ومستعدين لنقلها إلى أولئك المؤهلين لاستيعابها. إن كل طلاب العلوم الخفية حول العالم يدركون جيداً حجم الفضل الذي يدينون به لأولئك الأسياد المبتليين القادمين من تلك الأرض العريقة.

لكن بين هؤلاء الأسياد العظام في مصر القديمة أقام من نادوه بـ"سيّد الأسياد". هذا الرجل، إذا كان إنسان فعلاً، أقام في مصر بإحدى الفترات الزمنية المبكرة. عُرف

باسم "هرمز ثلاثي العظمة". كان والد الحكمة والعلوم الخفية، مؤسس علم الفلك، مكتشف علم الخيمياء. تفاصيل قصة حياته ضاعت مع الزمن، كانت فترة قديمة جداً بحيث أن التاريخ القديم يروي كيف أن الكثير من البلاد القديمة تنازعت فيما بينها حول مزاعم متضاربة عن أي وطن له شرف أن يكون مسقط رأسه، وهذا النزاع بذاته يعود إلى آلاف السنين. تاريخ إقامته في مصر لازال مجهولاً، لكن اتفق بأنه كان في الزمن الذي سبق أقدم السلالات الملكية في مصر الفرعونية. تزعم المراجع الأعلى بأنه كان معاصراً لإبراهيم، وبعض التقاليد اليهودية تذهب بعيداً للزعم بأن إبراهيم نهل بعض من حكمته من هرمز ذاته.

بعد مرور سنوات طويلة على مغادرته هذه الدنيا (تزعم التقاليد بأنه عاش ثلاثة قرون)، ألهه المصريون وجعلوه من بين آلهتهم تحت اسم "توث". بعدها بسنوات، ألهه الإغريق أيضاً وجعلوه بين آلهتهم باسم "هرمز، إله الحكمة". بجّله المصريون وخذلوا ذكراه لقرون، نعم، لعشرات القرون، مطلقون عليه لقب "كاتب الآلهة"، وحافظوا على لقبه القديم Trismegistus أي "ثلاثي العظمة"، أو "العظيم العظيم"، أو "العظيم الأعظم".. إلى آخره. في كل البلاد القديمة كان الاسم "هرمز ثلاثي العظمة" يُجّل، حيث كان مرادف لفكرة "منيع الحكمة".

حتى هذا اليوم، لا نزال نستخدم المصطلح "هرمزي" hermetic للإشارة إلى مفهوم السريّة، أو الشيء المُحكّم الإغلاق بحيث لا يرشح منه شيئاً. وغيرها من مفاهيم مرادفة. وسبب هذا يعود إلى حقيقة أن أتباع هرمز يلتزمون مبدأ السريّة في تعاليمهم. لم يؤمنوا بـ"رمي اللؤلؤ أمام الخنازير"، بل فضّلوا التسليم بواقع أن "الأطفال لا يناسبهم سوى الحليب" بينما "اللحم هو للرجال الأشداء"، وهذه الحكم المأثورة التي يألفها المسيحيون في نصوصهم استخدمت أصلاً في مصر قبل الحقبة المسيحية بقرون طويلة.

هذه السياسة المتحفّظة والحذرة في نشر الحقيقة عرّضت الهرمزيين للانتقاد، حتى في يومنا الحالي. التعاليم الهرمزية موجودة في كل البلاد، وفي كل الأديان، لكنها لم

تُصَبِّغُ بهوية أي بلد محدد، ولا أي عقيدة دينية محددة. يعود سبب ذلك إلى تحذير المعلمون الأوائل من السماح للعقيدة السرية لأن تتبلور إلى مذهب ديني قائم بذاته. إن الحكمة من هذا التحذير واضحة بالنسبة لكل من درس التاريخ وشاهد النتائج المأساوية من نشوء الأديان المنظمة. العلوم الخفية في كل من الهند وفارس مثلاً تدهورت وضاعت بمعظمها، وذلك لأن المعلمون تحولوا إلى كهنة، ولم يمضي سنوات قبل أن اختلطت الفلسفة مع اللاهوت، وكانت النتيجة أن العلوم الخفية الهندية والفارسية ضاعت وسط مجموعة هائلة من الخرافات، الشعائر، الآلهة، والعبادات الدينية. الحال ذاته حصل في كل من اليونان وروما. وكذلك الحال مع التعاليم الهرمزية لكل من الأدرينيين (العرفانيين) والمسيحيين الأوائل، التي ضاعت في زمن الإمبراطور الروماني "قستطين" Constantine الذي خنقت يده الحديدية الفلسفة الحقيقية بعباءة كثيفة من المسلمات اللاهوتية، مما جعل الكنيسة المسيحية تفقد جوهرها وروحها الأصيلة، وتركها تتخبط لقرون طويلة في الظلام تبحث عبثاً عن سبيل للعودة إلى إيمانها الحقيقي الذي فقدته.

لكن يبقى هناك دائماً قلة من الأرواح المخلصة التي تحافظ على استمرارية الشعلة، ترعاها بحذر، بحيث لا تسمح لنورها أن ينطفئ أبداً. والشكر لهذه القلوب الوفية والعقول الجسورة التي بفضلها وصلت الحقيقة إلينا كاملة مُكَمَّلة. لكن هذه الحقيقة غير موجودة في الكتب بصيغة كاملة أو واضحة. لقد تم نقلها من سيد إلى مريد، من عضو منتسب إلى كاهن خبير، من الفم إلى الأذن. حتى لو كتبت على ورق، كانت معانيها تُحجب بمصطلحات ورموز خيميائية وفلكية بحيث لا يستطيع أحد فهمها سوى الذين يحوزون على المفتاح الذي يمكنهم من ذلك. كان هذا الإجراء ضرورياً لتجنب اضطهاد وملاحقة الكهنة اللاهوتيين في العصور المظلمة، والذين حاربوا العقيدة السرية بالسيف والنار.. المحرقة، المشنقة والصلب. حتى في يومنا هذا يمكننا إيجاد بعض الكتب الجديرة والموثوقة حول الفلسفة الهرمزية، وهناك إشارات كثيرة إليها في العديد من الكتب التي تتناول فروع متنوعة من العلوم الخفية والسحر. ومع ذلك كله، تُعتبر الفلسفة الهرمزية المفتاح العمومي الذي يستطيع فتح كافة أبواب التعاليم الخفية!

في الأيام الأولى، تم جمع بعض المبادئ الهرمزية الأساسية وانتقلت من المعلم إلى التلميذ، وعُرفت باسم "القبيلان" THE KYBALION، والمعنى الحرفي لهذا المصطلح فُقد عبر الزمن. لكن على أي حال، هذه التعاليم عُرفت للكثيرين الذين توارثوها، من الفم إلى الأذن، عبر القرون المديدة. قوانينها لم تُكتب أو تُطبع أبداً على ورق حسب ما نعلم. كانت مجرد مجموعة من القوانين، الأقوال المأثورة والحقائق البديهية، التي لا يمكن استيعابها من قبل الخارجيين، بل قابلة للفهم بالنسبة للطلاب بعد شرحها وتفسيرها لهم من قبل المعلمين الهرمزيين. هذه التعاليم تشمل المبادئ الأساسية لـ"فن الخيمياء الهرمزي"، الذي يعكس المعتقد العام، تعاملت بموضوع "سيادة القوى العقلية" بدلاً من "العناصر المادية". أي اهتمت بتحويل "نوع معين من الذبذبة العقلية إلى نوع آخر" بدلاً من تحويل "نوع معين من المعادن إلى نوع آخر". إن أسطورة "حجر الفيلسوف" الذي يحول المعادن الرديئة إلى ذهب هي مجرد استعارة، تشبیه رمزي يشير في الحقيقة إلى الفلسفة الهرمزية. وهذه الحقيقة معروفة جيداً لدى طلاب الهرمزية الحقيقية.

في هذا الكتاب الصغير الذي يمثّل الدرس الأول، ندعو الطلاب لأن يتعرفوا على التعاليم الهرمزية بصيغتها الأصلية، كما يوصفها "القبيلان"، وهي مشروحة من قبلنا نحن طلاب هذه التعاليم، والذين نحوز على لقب "أعضاء منتسبين"، مع أننا لازلنا طلاب عند أقدام "هرمز" السيد. نقدم لكم الكثير من القوانين، الحكم، والبديهيات الواردة في "القبيلان"، مصحوبة بتفسيرات وشروحات تجعل التعاليم تبدو أكثر وضوحاً وقابلة للاستيعاب حيث جاهدنا بأن نجعلها تناسب العقلية العصرية للطلاب. فالمصدر الأساسي للنص هو محجوب برموز ومصطلحات غامضة وغير مفهومة.

نحن نؤمن بأن الكثير من الطلاب الذين نقدم لهم عملنا سوف يستمدوا فائدة كبيرة من قراءة هذه الصفحات كما فعل الكثيرون قبلهم من اللذين ساروا عبر القرون على هذا الدرب المؤدي إلى السيادة والتجّر في هذا المجال، منذ أيام هرمز ثلاثي العظمة، سيدّ الأسياد، العظيم الأعظم. يقول "القبيلان": "أينما تطأ أقدام السيد، تفتح واسعاً آذان

الحاضرين لتعلّم.."، ويقول أيضاً: ".. عندما تكون آذان الطالب مستعدة للسمع، ستأتي بعدها الشفاء التي تملأها بالحكمة..".

القصد من هذه الكلمات يتجلى في أن انتقال هذا الكتاب إلى من هو حاضر لتلقي التعليمات سيجذب انتباه هؤلاء المستعدون لتقبل التعاليم. وبشكل معاكس، عندما يكون الطالب (أو الطالبة) حاضر لتقبل الحقيقة، فسوف يأتي هذا الكتاب إليه (أو إليها). هذا هو القانون. المبدأ الهرمزي المتمثل بـ"العلة والمعلول" Cause and Effect، وأحد مظاهره المتمثل بـ"قانون الجذب" Law of Attraction، سيعمل تلقائياً على جمع الفهم مع الأذن.. الطالب والكتاب معاً. فليكن هذا الاجتماع إذاً.

الفصل الثاني

المبادئ الهرمزية السبعة

THE SEVEN HERMETIC PRINCIPLES

".. مبادئ الحقيقة هي سبعة: كل من يعرفها ويستوعبها جيداً يحوز على المفتاح العمومي بحيث تُفتح أمامه كل أبواب المعبد على مصراعيها.."

القييلان

المبادئ الهرمزية السبعة، والتي تركز عليها كامل الفلسفة الهرمزية، هي التالية:

- ١- مبدأ العقل (العقلية) Mentalism.
- ٢- مبدأ التماثل (التناظر) Correspondence.
- ٣- مبدأ الذبذبة Vibration.
- ٤- مبدأ القطبية (التناقض) Polarity.
- ٥- مبدأ الإيقاع (التواتر) Rhythm.
- ٦- مبدأ العلة والمعلول (السببية) Cause and Effect.
- ٧- مبدأ الجندر (ثنائية الذكر والأنثى) Gender.

سوف يتم مناقشة وتفسير هذه المبادئ جيداً خلال تقدمنا عبر الفصول التالية. لكن مع ذلك، من الأفضل تقديم شرح موجز لكل منها في الوقت الحالي.

١- مبدأ العقل:

"..الكلّ عقل.. الكون محتوى عقلي.."- القييلان

هذا المبدأ يجسد حقيقة أن "الكلّ هو عقل". إنه يشرح كيف أن الكلّ THE ALL (الذي هو الواقع الحقيقي الذي يمتلئ أساس كل التجليات والمظاهر الخارجية التي نعرفها وفق مصطلحات مثل "الكون المادي"، "ظاهرة الحياة"، "المادة"، "الطاقة"،

باختصار، كل ما نراه ونلمسه بحواسنا الجسدية) هو روح، والتي هي بذاتها أعلى من أن تُدرك أو تُعرف أو تُحدّد، لكن يمكن اعتبارها أو فهمها على أنها عقل كوني مُطلق وحيّ. كما أن هذا المبدأ يشرح كيف أن كل العالم أو الكون الظاهري هو مجرد ابتكار ذهني للـ"كلّ" THE ALL، ويخضع لقانون الأشياء المُبتدعة، وأن الكون ككلّ، وبجزئياته وأقسامه، موجود في عقل الكلّ، وهو العقل الذي فيه نكون، نعيش ونتحرّك. هذا المبدأ، ومن خلال إثباته للطبيعة العقلية للكون، يفسّر بسهولة كل الظواهر العقلية والنفسية التي تشغل تفكير نسبة كبيرة من الناس، والتي من دونها تبقى تلك الظواهر غير قابلة للفهم والاستيعاب وبالتالي عصيّة عن المعالجة العلمية. إن استيعاب هذا المبدأ الهرمزي العظيم يمكن الفرد من فهم قوانين الكون العقلي بسهولة ويُسر، ويستطيع تطبيق هذه القوانين حسبما يشاء ويرغب بالتوافق مع سعادته ورخاءه وتقدمه في الحياة. يستطيع الطالب الهرمزي أن يطبق، بحكمة وذكاء، هذه القوانين العقلية العظيمة، بدلاً من استخدام قواه العقلية بطريقة عشوائية. من خلال حوزته على المفتاح العمومي، يستطيع الطالب أن يفتح عدد كبير من الأبواب العقلية والنفسية لمعبد معرفة، ويدخلها بحريّة وذكاء. هذا المبدأ يشرح الطبيعة الحقيقية للـ"طاقة"، "القوة"، و"المادة" ويعرّف كيف ولماذا كل هذه الأمور خاضعة أصلاً للعقل. كتب أحد الأسياد الهرمزيون قبل عصور بعيدة يقول: *"..إن كل من يستوعب الطبيعة العقلية الحقيقية للكون تقدّم في الدرب نحو السيادة.."*. وهذه الكلمات صحيحة اليوم كما كانت صحيحة يوم كتبت. في غياب هذا المفتاح العمومي، تكون السيادة مستحيلة، وسيطرق الطالب على أبواب المعبد لكن دون جدوى.

٢ - مبدأ التماثل:

".. كما في الأعلى، كذلك في الأسفل.. كما في الأسفل، كذلك في الأعلى.." - القيبلان

هذا المبدأ يجسّد حقيقة أن هناك دائماً تماثل بين القوانين والظواهر في المستويات المتعددة للوجود والحياة. تم التعبير عن هذا القانون الهرمزي القديم من خلال العبارة التالية: *".. كما في الأعلى، كذلك في الأسفل.. كما في الأسفل، كذلك في الأعلى.."*، واستيعاب هذا المبدأ جيداً يمنح الفرد الوسيلة لحلّ لغز الكثير من التناقضات المُعتمنة،

وأسرار الطبيعة الخفية. هناك الكثير من المستويات المتجاوزة لمجال إدراكنا، لكن عندما نطبق مبدأ التماثل عليها سوف نتمكن من فهم الكثير مما نجهله. هذا المبدأ قابل للتطبيق والاستخدام بشكل مطلق، على كافة المستويات المادية، العقلية، والروحية للكون. إنه قانون كوني. اعتبر الهرمزيون القدامى هذا المبدأ أحد أكثر الأدوات العقلية أهمية بحيث تمكن الإنسان من تجاوز العقبات أمام معرفة المجهول. حتى أن استخدامه مكن من تمزيق حجاب إيزيس بحيث سمحت لإلقاء نظرة سريعة على وجه الآلهة. كما العلم بمبدأ الهندسة مكن الإنسان من قياس المسافات الفاصلة بين الشمس البعيدة وحدد مساراتها بينما هو يقبع جالساً في مرصده، كذلك الحال مع العلم بمبدأ التماثل الذي يمكن الإنسان من الاستنتاج المجهول بالاعتماد على المعروف، بشكل عقلائي وذكوي. من خلال دراسة "الميحاد" (كائن مجهري) يستطيع أن يفهم طبيعة "سيدّ الملائكة" (أحد القوى الكونية الرئيسية).

٣- مبدأ الذبذبة:

".. لا يوجد شيء مستقرّ، كل شيء يتحرك، كل شيء يتذبذب..". — الفيبلان

هذا المبدأ يجسد حقيقة أن كل شيء يتحرك، كل شيء يتذبذب، لا شيء ثابت. وهذه الحقائق هي ذاتها التي أصبح العلم العصري يقرّ بها، وتثبتها التجارب والاكتشافات العلمية. مع أن هذا المبدأ الهرمزي قد عُرف قبل آلاف السنوات لدى أسياذ مصر القديمة. هذا المبدأ يشرح كيف أن الاختلافات الظاهرية للتجليات المختلفة، إن كانت مادية، طاقية، عقلية أو روحية، هي نتيجة تفاوت في معدل الذبذبة. ابتداءً من الكلّ، الذي هو روح نقيّة، نزولاً إلى أكثر أشكال المادة كثافةً، كل شيء هو في حالة ذبذبة. كلما ارتفعت وتيرة الذبذبة، كلما ارتقى مقام الشيء في سلم التجسيد (من المادي إلى الروحي). ذبذبة المستوى الروحي تكون بوتيرة عالية جداً وسريعة جداً لدرجة تجعله يبدو ساكناً وراكداً، كما حالة العجلة التي تدور بسرعة فتبدو أنها راكدة غير متحركة. وفي الطرف الآخر من السلم، نجد أكثر أشكال المادة التي تكون ذبذبتها بطيئة لكنها تبدو أيضاً وكأنها راكدة غير متحركة. بين هذين الضدين المتعاكسين على طرفي سلم التدرج التجسيدي يوجد الملايين من معدلات الذبذبة المختلفة. ابتداءً من مستوى

الإلكترونات والجسيمات المختلفة، الذرات والجزيئات، وصولاً إلى الكواكب والأكوان، كل شيء في حالة حركة متذبذبة. هذه الحالة تنطبق أيضاً على مستويات الطاقات والقوى المختلفة (التي هي مجرد معدلات مختلفة من الذبذبة). والأمر ذاته ينطبق على المستويات العقلية (التي تعتمد حالاتها المختلفة على معدلات ذبذبة مختلفة). والأمر ذاته ينطبق على المستويات الروحية أيضاً. إن فهم هذا المبدأ جيداً، مع استخدام الصيغ المناسبة، يمكن الطالب الهرمزي من السيطرة على ذبذباته العقلية وكذلك تلك العائدة للآخرين. كما أن الأسياد يستخدمون هذا المبدأ للسيطرة على الظواهر الطبيعية بطرق وأشكال مختلفة. " .. إن كل من يفهم مبدأ الذبذبة جيداً، يكون قد أمسك بصولجان القوة النافذة.."، هذا ما قاله أحد الأسياد القدامى.

٤- مبدأ القطبية:

" .. كل شيء ثنائي الوجود.. كل شيء له أقطاب.. كل شيء له نقيضين.. التشابه والاختلاف هما الأمر ذاته.. المتعاكسان يمثلان الأمر ذاته في الطبيعة، لكن يختلفان من حيث الدرجة والنسبة.. النهايات المتضادة تلتقي ببعضها.. كل الحقائق هي نصف حقائق.. كل التناقضات قابلة للتوفيق فيما بينها.. " - القييلان

هذا المبدأ يجسد حقيقة أن كل شيء ثنائي القطبية، كل شيء له نقيضين، هذه البديهيات الماثورة هي هرمزية الأصل. هي تفسر المفارقات القديمة التي أربكت الكثيرين، والتي تمثلت بما يلي: " .. الموضوع ونقيضه هما شيء واحد في الطبيعة، لكن يختلفان من حيث النسبة.."، " .. النقيضان يمثلان الأمر ذاته، لكن يختلفان في الدرجة.."، " .. يمكن للأزواج النقيضة أن تتوافق.."، " .. النهايات تلتقي.."، " .. كل شيء هو كذلك وغير ذلك بنفس الوقت.."، " .. كل الحقائق هي نصف حقائق.."، " .. كل حقيقة هي نصف زائفة.."، " .. هناك جانبين لكل شيء.."، " .. إلى آخره. هذا المبدأ يُفسر كيف أن كل شيء له قطبين، أو مظهرين متناقضين، وأن "المتناقضات" هي في الحقيقة نهايات متعاكسة للشيء ذاته، مع درجات كثيرة ومختلفة بينهما. فمثلاً: الحرارة والبرودة، بالرغم أنهما متعاكسان، لكنهما يمثلان الأمر ذاته، والاختلافات بينهما هي مجرد درجات متفاوتة للشيء ذاته. أنظر إلى ميزان الحرارة وحاول تحديد النقطة التي

تنتهي فيها الحرارة لتبدأ البرودة، هل تستطيع ذلك؟! ليس هناك شيء اسمه حرارة مطلقة وبرودة مطلقة، فالحالتان "البرودة" و"الحرارة" هما ببساطة درجات متفاوتة للشيء نفسه، وهذا "الشيء نفسه" الذي يتجلى على شكل برد أو حرارة هو شكل، نوع، ومعدل معين من الذبذبة. لذلك فالحرارة والبرودة هما ببساطة قطبين نقيضين للحالة التي نسميها "حرارة"، وهذه الظاهرة التي تناولناها للتو هي إحدى تجليات مبدأ "القطبية". المبدأ ذاته ينطبق على حالة "الضوء والظلام" اللذان يمثلان الشيء نفسه لكن مع فرق في تفاوت الدرجات بين قطبي الظاهرة. أين ينتهي الظلام ويبدأ الضوء؟ ما الفرق بين الكبير والصغير؟ بين الصلب والمرن؟ بين الأسود والأبيض؟ بين الغباء والذكاء؟ بين الضجيج والهدوء؟ بين العالي والمنخفض؟ بين السالب والموجب؟ مبدأ القطبية يفسر كل هذه المفارقات وما من مبدأ آخر يضاهيه بذلك. هذا المبدأ يعمل على المستوى العقلي أيضاً. دعونا نتناول مثال جوهرى وهو حالتى "الحب والكره". هاتان الحالتان العقليتان تظهران بأنهما مختلفتان تماماً، لكن مع ذلك، هناك درجات متفاوتة للكره ودرجات متفاوتة للحب، كما أن هناك نقطة وسطية بينهما حيث تتدرج الحالتان لتندمج ببعضهما لدرجة تجعلنا نختار حول إن كنا نحب أو نكره. إذا فكرت ملياً بالأمر سنكتشف بأن هذه الحالات مجرد درجات متفاوتة للشيء نفسه. وبالإضافة إلى ذلك (ويُعتبر ذو أهمية كبرى عند الهرمزيين)، من الممكن تغيير ذبذبات الكره إلى ذبذبات حب في عقل الفرد، وكذلك في عقول الآخرين. الكثير من اللذين يقرؤون هذه السطور لا بد من أنهم اختبروا هذه الحالة المتمثلة بحصول تغيير تلقائي (غير إرادي) من حالة حب إلى حالة كره، أو العكس. أو لاحظوا هذه الحالة التحولية عند الآخرين. وبالتالي سوف يستنتجون مباشرة بأنه يمكن إنجاز هذا التحول عبر استخدام الإرادة، عبر اللجوء إلى صيغ هرمزية معينة. الخير والشر هما مجرد قطبين للشيء ذاته، والهرمزيون يفهمون فنّ تحويل الشرّ إلى الخير، عبر تطبيق مبدأ القطبية. باختصار، إن "فنّ الاستقطاب" هو أحد وجوه "الخيمياء العقلية" التي كانت معروفة ومُمارسة بشكل واسع لدى الأسياد الهرمزيين القدامى والعصريين. إن فهم هذا المبدأ سيمنح الفرد من تغيير قطبيته، وكذلك قطبية الآخرين، عبر تكريس الوقت والجهد الكافيان لإتقان هذا الفنّ.

٥- مبدأ الإيقاع:

".. كل شيء يتدفق خارجاً وداخلاً.. كل شيء له مواسمه، مدّه وجزره.. كل شيء يعلو وينخفض.. تأرجح البندول يتجلى في كل شيء.. مسافة التآرجح إلى اليمين تساوي مسافة التآرجح إلى اليسار، الإيقاع يعوّض نفسه.."- القبيلان

هذا المبدأ يجسد حقيقة أنه في كل شيء يتجلى حركة منظّمة، ذهاباً وإياباً، تدفق للخارج والداخل، التآرجح إلى الأمام والخلف.. بحركة تأرجحية مشابهة للبندول، أو حركة مدّ البحر وجزره، أو حركة صعوده وهبوطه.. وهذا ضمن نطاق قطبين متناقضين يتوافقان مع مبدأ القطبية الموصوف سابقاً. هناك دائماً "فعل" و"ردّ فعل"، "تقدم" و"تراجع"، "صعود" و"هبوط". هذه الحالة تشمل كل شيء: الكون، الشمس، العوالم، البشر، الحيوانات، العقل، الطاقة، وحتى المادة. هذا القانون ظاهر بجلاء في خلق العوالم ودمارها، في صعود الحضارات وسقوطها، في حياة كل الأشياء، وأخيراً، في الحالات العقلية للإنسان (وفي هذا الأمر الأخير يجد الهرمزيون أهمية كبرى لمبدأ "الإيقاع"). لقد فهم الهرمزيون هذا المبدأ جيداً، مكتشفين تطبيقاته الكونية وعلى كافة المستويات، كما أنهم اكتشفوا وسائل معيّنة لتجاوز تأثيراته السلبية عليهم عبر اللجوء إلى صيغ وإجراءات مناسبة. من أجل إبطال مفعول تلك التأثيرات السلبية، يطبقون ما يُعرف بـ"قانون المحايدة العقلي" Mental Law of Neutralization. لا يستطيعون إلغاء تأثيرات مبدأ الإيقاع، أو إيقافه أساساً، لكنهم تعلموا كيف يتجنبون تأثيراته عليهم بدرجة معيّنة عبر إتقان التعامل مع هذا المبدأ جيداً. لقد تعلموا كيف يستخدموه بدلاً من أن يُستخدموا من قبله. إن إتباع هذه الطريقة، وطرق أخرى مشابهة، تمثّل جوهر منهج الفنّ الهرمزي. السيد الهرمزي يستقطب نفسه (يميل لقطبية معيّنة) إلى الجهة التي يرغبها، ثم "يحيّد" neutralizes التآرجح الإيقاعي للبندول المُفترض أن يحمله إلى القطب الآخر. هناك أشخاص عاديون يتمتعون بدرجة معيّنة من الضبط الذاتي (سيطرة على النفس) وبالتالي يستطيعون التحكم بمزاجهم العقلي بشكل لا واعي أو شبه واعي، لكن السيد الهرمزي ينجز هذه العملية بوعيه الكامل، باستخدام إرادته، وبحقق درجة عالية من الثبات والتوازن العقلي بحيث يستحيل تحقيقه من قبل الجموع البشرية العادية التي تتأرجح

عقولها ذهاباً وإياباً تناغماً مع الإيقاع. لقد أخضع الهرمزيون هذا المبدأ (الإيقاع) مصحوباً مع مبدأ القطبية لدراسة مكثفة، وخرجوا بوسائل مجدية لمعاكسة أو تحديد تأثيراته السلبية، فاستخدامها يشكّل جزء مهم في الخيمياء العقلية الهرمزية.

٦- مبدأ العلة والمعلول:

".. كل تأثير له نتيجة.. كل سبب له مُسبّب.. كل شيء يحصل وفقاً للقانون.. الصدفة هي مجرد اسم لقانون لازال غامضاً.. هناك الكثير من المستويات السببية، لكن لا شيء يفلت من القانون.."- القيبلان

هذا المبدأ يجسّد حقيقة أن هناك علة لكل مفعول، ومفعول لكل علة. هو يفسّر كيف أن: "كل شيء يحصل وفقاً للقانون.."، وأن لا شيء يحصل هكذا، وأنه لا يوجد شيء يُدعى "صدفة"، وبالرغم أن هناك مستويات عديدة من "السبب والنتيجة"، والمستويات العليا تسيطر على الدنيا، لكن لا شيء في النهاية يفلت من القانون. الهرمزيون يفهمون فنّ ووسائل الصعود فوق مستوى "العلّة والمعلول"، لدرجة معيّنة طبعاً، ومن خلال الصعود عقلياً إلى مستوى أعلى يتحولون إلى مسببين وليس متأثرين. فاعلين وليس مفعول بهم. أما الجموع البشرية، فينجرّفون بإذعان دون أي وعي أو إدراك، إن كان للعلل البيئية المحيطة بهم، أو لإرادة ورغبة الأقوياء المسيطرون، إن كان بالوراثة أو الإيحاء أو غيرها من المسببات الخارجية التي تسيّرهم كالبيادق في شطرنج الحياة. لكن الأسياد الهرمزيون، من خلال الارتقاء إلى مستويات أعلى، يسيطرون على مزاجهم، شخصيتهم، خصائصهم، وقواهم التي تتأثّر جميعاً بإيحاءات المسيطرين. وكذلك الحال مع تأثيرات البيئة المحيطة بهم. فيتحولون إلى لاعبين بدلاً من بيادق في شطرنج الحياة. يسعون إلى المشاركة في لعبة الحياة بدلاً من أن يلعب بهم بحيث تُحرّكهم إرادات الآخرين أو التأثيرات البيئية. يستخدمون هذا المبدأ بدلاً من أن يكونوا أدواته. ".. الأسياد يذعنون لتأثير المستويات العليا، لكنهم بنفس الوقت يساهمون في السيطرة على مستوى وجودهم..". هذا التصريح الأخير يخفي كم كبير من المعرفة الهرمزية.. اقرأ المعنى إذا كنت تستطيع.

٧- مبدأ الجندر

".. الجندر موجود في كل شيء.. كل شيء له مبادئه الذكورية والأنثوية.. يتجلى الجندر على كل المستويات.."- القييلان

هذا المبدأ يجسد حقيقة وجود الجندر في كل شيء، حيث أن تفاعل الذكر والأنثى يجري في كل مكان وفي كافة المستويات. هذا صحيح ليس فقط على المستوى المادي، بل على المستويات العقلية والروحية أيضاً. على المستوى المادي، يتجلى هذا المبدأ بصيغة الجنس الذي نعرفه، بينما تتخذ على المستويات العليا شكل أرقى، لكن المبدأ هو ذاته دائماً. في غياب هذا المبدأ، لا يمكن لعملية الخلق أن تكتمل على كل المستويات، المادية والعقلية والروحية. إن فهم قوانينه ستضيء على مواضيع كثيرة مثلت ألبازاً بالنسبة لعقول المفكرين. يعمل مبدأ الجندر دائماً باتجاه التولد، التجدد، والخلق. كل شيء، وكل إنسان، يحتوي على عنصرين، أو مبدئين، أو هذا المبدأ الكبير، داخله. كل شيء ذكر يحتوي على عنصر أنثى داخله. وكذلك الحال، كل شيء أنثى تحتوي على عنصر ذكر داخلها. إذا أردت فهم فلسفة الخلق، التولد، والتجدد الروحي والعقلي، وجب عليك دراسة وفهم هذا المبدأ الهرمزي. إنه يحوز على الحل الشافي للكثير من ألباز الحياة. نحذرك بأن هذا المبدأ ليس له أي علاقة بتلك النظريات والتعاليم والممارسات الوضيعة، الخبيثة، المنحطة، الخليعة التي يعلمونها تحت عناوين وهمية، والتي تمثل المظهر العاهر للمبدأ الطبيعي العظيم المعروف بالجندر. هكذا إحياءات وضيعة لأشكال تاريخية قديمة مثل "تقديس العضو الذكري" تعمل على تدمير الجسم والعقل والروح، وطالما حذرت الفلسفة الهرمزية ضد هذه التعاليم الخليعة المائلة نحو الإفساد المنحرف للمبادئ الطبيعية. إذا كنت تبحث عن هكذا تعاليم عليك الذهاب إلى مكان آخر لإيجادها، حيث الهرمزية لا تحتوي أي منها.

".. بالنسبة للنقي، كل شيء نقي.. بالنسبة للوضيع، كل شيء وضيع..".

الفصل الثالث

التحوّل العقلي

MENTAL TRANSMUTATION

".. يمكن للعقل (وكذلك المعادن والعناصر) أن يتم تحويله من حالة إلى حالة، درجة إلى درجة، وضعية إلى وضعية، قطب إلى قطب، نذبذة إلى نذبذة. علم التحوّل الهرمزي هو فنّ عقلي في المقام الأول.."

القبيلان

كما ذكر سابقاً، كان الهرمزيون العلماء الأوائل في مجال الخيمياء، التنجيم، وعلم النفس الصوفي، حيث هرمز هو مؤسس هذه المدارس أصلاً. من علم التنجيم خرج علم الفلك، ومن علم الخيمياء خرج علم الكيمياء، ومن علم النفس التجاوزي (الصوفي) خرجت مدارس علم النفس الحديثة. لكن وجب عدم الافتراض بأن القدماء كانوا جاهلين بالأمور التي يزعم علم النفس العصري بريادته في اكتشافها. السجلات المحفورة على حجارة مصر القديمة تبين بجلاء كيف كان للقدماء إلمام شامل بعلم الفلك (الكواكب)، حيث طريقة بناء الأهرامات تثبت الصلة بين التصميم الهندسي وعلم الفلك. ولا كانوا جاهلين بعلم الكيمياء أيضاً، حيث فتات المخطوطات القديمة تبين حقيقة أنهم كانوا ملمين جيداً بالخواص الكيماوية للأشياء. وفي الحقيقة، فإن النظريات القديمة المتعلقة بمجال الفيزياء بدأت رويداً رويداً تتال التصديق والتأكيد على صحتها عبر تقدم الوسائل العلمية وظهور الاكتشافات الجديدة، خصوصاً تلك المتعلقة ببنية المادة. ولا وجب الافتراض بأنهم كانوا يجهلون بالاكتشافات المتعلقة بعلم النفس أيضاً، بل بالعكس تماماً، كان المصريون محترفون بشكل خاص في علم النفس، وتحديداً في تلك الفروع المراوغة التي لازالت المدارس العصرية تتجاهلها، لكنها مع ذلك تُكتشف في مجالات علمية غير رسمية تُسمى "العلوم الوسيطة" التي لازالت تربك علماء النفس وتخرجهم، وتجبرهم على الاعتراف على مضض بأن فيها جوانب تستحق الاهتمام والدراسة.

الحقيقة هي أنه، ما وراء الكيمياء المادية، علم الفلك المادي وعلم النفس المادي (أي المجريات الدماغية وفق المفهوم العصري)، كان بحوزة القدماء معرفة هائلة بعلم الفلك التجاوزي (نسميه تنجيم)، علم الكيمياء التجاوزي (نسميه خيمياء)، وعلم النفس التجاوزي (ونسميه العلم الصوفي). لقد حازوا على المعرفة الباطنية إلى جانب المعرفة الظاهرية، وهذه المعرفة الأخيرة هي فقط التي يعانقها العلماء العصريون ويتباهون بها. من بين الفروع العديدة للمعرفة السرية التي حازها الهرمزيون، هناك ما يُعرف بـ"التحوّل العقلي"، الذي يمثّل الموضوع الأساسي في هذا الفصل.

عادة ما يُستخدم مصطلح "التحوّل" Transmutation للإشارة إلى الفنّ القديم الذي يهتم بتحويل المعادن، خصوصاً تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب. تعني الكلمة "تحوّل" تغيير طبيعة، شكل، أو بنية الشيء ليتخذ خاصية أخرى. بينما القصد من مصطلح "التحوّل العقلي" Mental Transmutation هو فنّ تغيير أو تحويل حالة، هيئة، أو مستوى عقلي معيّن ليتخذ خاصية أخرى. فكما ترى، التحوّل العقلي هو "فنّ الخيمياء العقلية" إذا صحّ التعبير. وهذا شكل عملي جداً من علم النفس الصوفي.

لكن هذا يعني أكثر مما يبدو ظاهرياً. بكل تأكيد، فإن علم التحوّل، الخيمياء، أو الكيمياء على المستوى العقلي هو مهم بما يكفي من حيث تأثيراته، وإذا توقّف الفن عند هذا الحدّ فسوف يبقى أهم فروع الدراسة المعروفة لدى الإنسان. لكن هذا مجرد البداية. دعونا نرى لماذا.

إن أول العبادئ الهرمزية السبع يتمثّل بمبدأ "العقل"، وترجمه المقولة المأثورة: "الكلّ هو عقل.. الكون عاقل"، وتعني بأن الواقع الضمني للكون هو عقل، والكون بذاته هو عاقل، أي أنه يقبع في قلب عقل الكلّ. سوف نتناول هذا المبدأ في فصول لاحقة، لكن دعونا ننظر إلى تأثيراته إذا أقرّينا بهذه الحقيقة فعلياً.

إذا كان الكون بطبيعته عاقل، فبالتالي يجب أن نعتبر "التحوّل العقلي" فنّ تغيير حالة الكون، بما يشمله من مادة، قوى، وعقل. فكما ترى، "التحوّل العقلي" هو في الحقيقة

"السحر" الذي كتب عنه القدماء طويلاً وبإسهاب في أعمالهم الصوفية، لكنهم وفروا كمية قليلة جداً من التعليمات العملية بخصوصه. إذا كان كل شيء في الوجود (في رحاب الكلّ) ذو طبيعة عقلية، فهذا بالتالي يجعل فنّ تحويل الحالات العقلية قابل لأن يساعد السيّد على إحداث تغييرات في طبيعة المادة أيضاً.

في الحقيقة، لا أحد سوى "الخيميائيين العقليين" المتقدمين استطاعوا إجراس المرتبة التي تمكنهم من التحكم بالظروف المادية للبيئة، مثل التحكم بعناصر الطبيعة، خلق أو إيقاف الأعاصير، خلق أو إيقاف الزلازل، .. وغيرها من ظواهر مادية عظيمة أخرى. لكن مسألة وجود هكذا نوع من الأشخاص، رغم أنها مثار جدل بين الناس بشكل عام، إلا أنها تمثل حقيقة مألوفة جيداً لدى الصوفيين المتقدمين في كل المدارس. لكن هؤلاء الأسياد لا يجرون استعراضات عامة لقواهم العقلية، بل ينشدون العزلة بعيداً عن الجموع البشرية، وهذا شرط أساسي يعزز تقدمهم في الدرب المؤدية إلى الغاية الأسمى. لقد أكدنا حقيقة وجودهم هنا فقط من أجل لفت انتباهكم إلى أن قواهم الهائلة هي عقلية في المقام الأول، أحرزوها بعد خوض عملية "التحول العقلي"، بالتوافق مع المبدأ الهرمزي المتمثل بـ"العقل". .. الكون محتوى عقلي..". - القبيلان

حتى الطلاب والهرمزيون الذين في درجات أدنى من مرتبة الأسياد (أعضاء منتسبين أو معلمين) يستطيعون العمل بحرية على المستوى العقلي، عبر "التحول العقلي". وفي الحقيقة، إن كل ما نسميه "ظواهر روحية"، "التأثير العقلي"، "العلم العقلي"، .. وغيرها، تعمل وفق نفس الخطوط العامة لهذا المبدأ. إنه يشمل كل هذه الظواهر مهما تنوعت وتعددت فروعها.

إن كل طالب وممارس لعملية "التحول العقلي" يعمل على المستوى العقلي، محوّلًا حالات عقلية إلى أخرى، وفق صيغ مختلفة، أكثر أو أقل فاعلية. إن كل تلك الإجراءات والمعالجات والممارسات الجارية في المدارس الحديثة للتدريب العقلي هي مجرد صيغ مُستنبطة أساساً من المنهج الهرمزي، لكنها غير مكتملة أو غير علمية.

إن مُعظم الممارسين العصريين للقوى العقلية هم جهلة بالمقارنة مع الأسياد القدامى، لأنهم يفتقدون للمعرفة الأصلية التي يستند عليها هذا العمل.

الحالات العقلية قابلة للتغيير أو التحول عبر الوسائل الهرمزية ليس فقط في ذات الفرد، بل لدى الآخرين أيضاً، والتي يمكن تحويلها بنفس الطريقة، وغالباً ما يتم ذلك بطريقة غير واعية، مع قابلية حصولها بطريقة واعية بعد فهم بعض القوانين والمبادئ. لكن هذا التأثير لا يمكنه الحدوث إذا كان المُستهدف ملّم بمبادئ الحماية والتحصين الذاتي. وأكثر من ذلك، وكما يعلم الكثير من الطلاب والممارسين للعلوم العقلية العصرية، كل حالة مادية تعتمد على عقول الآخرين قابلة لأن تتحول أو تتغير بالتوافق مع الرغبة الجديّة، الإرادة، والمعالجة المناسبة للشخص الذي يريد هذا التغيير. إن العامة على إمام بهذه الأمور في هذه الأيام، لهذا نرى أنه ما من ضرورة للإسهاب في الحديث عنها، لكن هدفنا من ذكر هذه النقطة هو استعراض كيف يلعب الفنّ الهرمزي ومبادئه دوراً رئيسياً في هذا المجال بفروعه وممارساته المتعددة، مهما كان نوعها: خيرة أو شريرة، حيث يمكن استخدام القوة العقلية باتجاهات معاكسة وفقاً للمبدأ الهرمزي المتمثّل بـ"القطبية".

في هذا الكتاب الصغير سوف نذكر المبادئ الأساسية للتحول العقلي، بحيث كل من يقرأ سيفهم المبادئ الأولية للعملية، وبالتالي يحوز على المفتاح العمومي الذي يساعد على فتح أبواب كثيرة في رحاب مبدأ "القطبية".

سوف نباشر الآن لتناول أول المبادئ الهرمزية السبعة، وهو مبدأ "العقل"، حيث سيشرح حقيقة أن "الكلّ هو عقل، والكون محتوى عقلي..". وفق ما يقرّه القيبلان. نطلب من الطلاب تكريس المزيد من الانتباه والدراسة المعمّقة لهذا المبدأ، لأنه يمتلّ المبدأ الأساسي لكامل الفلسفة الهرمزية، وكذلك فنّ "التحول العقلي" الهرمزي.

الفصل الرابع

الكلّ

THE ALL

".. ما وراء الكون الزمني والمكاني المتغيّر، نجد الواقع الفعلي.. الحقيقة الأصلية.."
القبيلان

"المادة الجوهرية" Substance تعني: الذي يشكّل أساس التجلّي الظاهري. إنه المحتوى، الروح، الواقع الجوهري، أي هو الشيء بذاته.. إلى آخره. أما كلمة "المادي الجوهري" Substantial، فتعني: الشيء الموجود فعلاً، العنصر الأساسي، الوجود الحقيقي، الجوهري، .. إلى آخره. أما كلمة "الواقع" Reality، فتعني: حالة الوجود الفعلي، الحقيقي، الباقي، القائم، الصحيح، الثابت، الأبدى،.. إلى آخره.

تحت وما وراء كل المظاهر أو التجليات الخارجية، لا بد دائماً من وجود "واقع جوهري" Substantial Reality. هذا هو القانون. الإنسان الذي ينظر إلى الكون على أنه يمثل جزء منه، لا يرى شيئاً سوى التغييرات في المادة، والقوى، والحالات العقلية. يرى أن لا شيء موجود فعلاً، بل كل شيء يكون، يصبح، ويتحوّل. لا شيء يبقى ثابتاً، بل كل شيء يولد، ينمو، ويموت. مجرد أن وصل الشيء إلى ذروته، يبدأ بالانحدار. نرى أن قانون الإيقاع (صعود وهبوط) في حالة عمل دائم هنا. ليس هناك واقع ثابت، خصائص ثابتة، جمود، أو حتى واقعية في أي شيء. لا شيء ثابت بل يتغيّر على الدوام. يرى الإنسان كل شيء يتطوّر ويتحوّل من أشياء أخرى، ويتبدد إلى أشياء أخرى. حالة دائمة من الفعل ورد الفعل. تدفّق إلى الخارج وإلى الداخل. البناء والتحلّم. خلق وتدمير. الولادة، النمو والموت. لا شيء يبقى سوى التغيير. وإذا كان الإنسان مفكراً، سوف يدرك بأن كل هذه الأشياء المتغيرة لا بدّ من أن تكون مظاهر أو تجليات خارجية لقوّة عظيمة تشكّل الأساس.. "واقع جوهري".

كافة المفكرين، في كل البلاد والأزمان، زعموا بضرورة التسليم بوجود هذا "الواقع الجوهري". كافة الفلاسفة الجديرة بالاسم ارتكزت على هذه الفكرة. لقد أُطلق على هذا "الواقع الجوهري" أسماء كثيرة. بعضهم أشار إليه بمصطلحات تتعلّق بـ"عالم الآلهة" (وفق مفاهيم عديدة تتمحور حوله). البعض الآخر سماه "الطاقة الأبدية التي لا تتضب". لكن هناك البعض الذي حاول اختصاره بالاسم "مادة" Matter. لكن جميعهم في النهاية صرّحوا بوجوده. إن وجوده أمر واضح بديهي، وبالتالي فالمسألة لا تحتاج إلى جدال.

في هذه الدروس، اتبعنا مثال بعض أعظم المفكرين، القدامى والعصريين، الأسياد الهرمزيون، وقد سمّينا هذه القوة الجوهريّة، أو الواقع الجوهري، بـ"الكلّ" THE ALL، وهو مصطلح نعتبره الأكثر شمولية ووضوح بين باقي المصطلحات التي أوجدها الإنسان للإشارة إلى ذلك الشيء الذي يتجاوز كل الأسماء والمصطلحات.

نحن نتقبّل ونُعلّم نظرة أعظم المفكرين الهرمزيين في كل الأزمان، وكذلك تلك الأرواح المتنوّرة التي أدركت مستويات عُليا من الوجود، حيث أكّدوا جميعاً بأن الطبيعة الباطنية للـ"كلّ" هي مجهولة. وهكذا وجب أن تكون الحال، حيث لا أحد سوى "الكلّ" يستطيع استيعاب طبيعته الحقيقية.

بؤمن الهرمزيون، ويعلمون، بأن "الكلّ" بذاته هو، ووجب أن يكون، مجهولاً. يعتبرون كل نظريات وتخمينات وتأمّلات اللاهوتيين والميتافيزيقيين المتعلقة بالطبيعة الباطنية للـ"كلّ" بأنها مجرد جهود صبيانية تبذلها عقول فانية بهدف استيعاب سرّ "اللامحدود". لطالما فشلت هكذا جهود، وسوف تفشل دائماً، في تحقيق هذا الهدف المستحيل. الذي يلاحق هذا الهدف يدور ويدور في متاهة الفكر حتى يضيع ويفقد القدرة على الاستنتاج، التصرف، والسلوك العقلاني السليم، ويصبح غير مناسب لمشاغل الحياة. إنه كالسحاب الذي يركض باهتياج يدور ويدور في عجلة الدواسة الدائرية للقفص، يتحرّك دائماً لكنه لا يصل إلى مكان، فيجد نفسه في النهاية قابلاً مكانه حيث بدأ، سجيناً في ذات القفص.

وبالإضافة، هناك أولئك الذين استعرضوا درجة كبيرة من الوقاحة، حيث نسبوا إلى "الكلّ" نفس الخواص، الصفات، الميزات، والطبائع التي يتصفون بها كيشر. ينسبون إلى "الكلّ" عواطف، مشاعر، وعقلية إنسانية، وحتى ذهبوا أكثر من ذلك حيث نسبوا إليه أدنى الصفات البشرية مثل الغيرة، الحمق، الحقد، الإطراء، التملق، وحب العبادة والتبجيل وتقديم الأضاحي، وغيرها من مواصفات لصقت به في عصور التوحش والانحطاط. هكذا أفكار ليس لها شأن بين الرجال والنساء الناضجين وبالتالي وجب طرحها جانباً على الفور.

(عند هذه النقطة، قد يكون مناسباً لنا القول بأن هناك فرق شاسع بين "الدين" Religion و"اللاهوت" Theology، وبين "الفلسفة" Philosophy و"الميتافيزيقيا" Metaphysics. "الدين" بالنسبة لنا يعني الإدراك البديهي لوجود الكلّ وعلاقة الفرد به. بينما "اللاهوت" يعني محاولات الرجال إنساب خواص وميزات وطبائع معينة إليه، بالإضافة إلى وضع نظريات تخص عمله، غايته، إرادته، مخططه، وتصميمه، كما عيّنوا أنفسهم وسطاء بين "الكلّ" والناس. أما الفلسفة، فتعني بالنسبة لنا ملاحقة العلم والمعرفة وتفحص كل شيء ممكن معرفته والتفكير به، بينما الميتافيزيقيا تعني محاولة نقل عملية الملاحقة هذه إلى ما وراء حدود الإدراك وإلى مناطق غير قابلة للمعرفة أو التفكير، ويتصف بنفس النزعة التي يتسم بها اللاهوت. وهكذا، فالدين والفلسفة هما بالنسبة لنا أشياء لها جذور في الواقع، بينما اللاهوت والميتافيزيقيا هما كأعواد القصب المكسورة المتجذرة في رمل الجهل اللين، ولا توفران سوى الدعم المزيف وغير الآمن لعقل الإنسان وروحه. نحن لا نفرض على طلابنا تقبل هذه التعريفات. لكننا نذكرها هنا فقط من أجل إظهار موقفنا الخاص. على أي حال، سوف نأتي على ذكر يسير جداً عن اللاهوت والميتافيزيقيا في هذه الدروس المختصرة.)

لكن بينما الطبيعة الجوهرية للكلّ مجهولة، هناك حقائق معينة تتعلق بوجوده بحيث تجبر عقل الإنسان على التسليم بها. وتفحص البيانات التالية يشكّل موضوع استعلام مناسب، خصوصاً أنها تتوافق مع بيانات المتنورين في المستويات العليا من الوجود. وندعوكم الآن إلى الاطلاع على هذه التصريحات الواردة فيما يلي:

".. الحقيقة الأصيلية.. الواقع الجوهرية.. يتجاوز التسمية، لكن الحكماء يسمونه
الكلّ..". – القبيلان

".. في جوهره، الكلّ غير معروف..". – القبيلان

".. لكن، وجب تقبل البيان المنطقي بانفتاح، ويُعامل باحترام..". – القبيلان

المنطق الإنساني، الذي وجب تقبله طالما نحن نفكر، يعلمنا ما يلي بخصوص "الكلّ"،
هذا دون محاولة إزالة حجاب المجهول:

١- وجب أن يكون "الكلّ" كلاً موجوداً بالفعل. لا يمكن أن يكون خارج "الكلّ"، وإلا
لما كان "الكلّ" كلاً.

٢- وجب أن يكون "الكلّ" مطلقاً، حيث ليس هناك شيء آخر لتعريف، حصر، تحديد،
أو تقييد "الكلّ". وجب أن يكون مطلقاً في الزمن، أو سرمدية، .. لا بد من أنه كان
موجوداً باستمرار، حيث ليس هناك شيئاً آخر ليخلفه، ولا يمكن لشيء أن ينشأ من لا
شيء، وإذا لم يكن موجود، حتى للحظة، لما كان موجوداً الآن، .. وجب أن يستمر
في الوجود إلى الأبد، حيث ليس هناك شيئاً لتدميره، ولا يمكنه أن "لا يكون" حتى
للحظة، لأنه يستحيل على الشيء أن يصبح لا شيء. وجب أن يكون مطلقاً في
الفضاء.. وجب أن يكون في كل مكان، حيث ليس هناك مكان خارج "الكلّ".. لا يمكنه
أن يكون سوى مستمراً دائماً في الفضاء، دون انقطاع، توقف، انفصال، أو تعطيل،
حيث لا شيء يستطيع قطع أو فصل أو تعطيل ديمومته، وليس هناك شيء يستطيع
ملئ الفراغات مكانه. وجب أن يكون مطلقاً في القوة، أو كامل، حيث ليس هناك شيئاً
لحدّه، تقييده، كبحه، حجزه، تعطيله، أو تكييفه.. هو لا يخضع إلى أي قوة أخرى،
حيث ليس هناك قوة أخرى.

٣- وجب أن يكون "الكلّ" ثابتاً لا يتغيّر، أو يخضع للتغيير في طبيعته الحقيقية، حيث ليس هناك ما يفرض عليه التغيير، أو ما يتغيّر إليه، أو ما يتغيّر منه. لا يمكن الإضافة إليه أو الأخذ منه، زيادته أو تنقيصه، ولا يمكن أن يكبر أو يصغر بأي حال من الأحوال. لا بد من أنه كان ولازال، وسيكون دائماً، ما هو عليه الآن.. "الكلّ". لم يكن، ولا يكون، ولن يكون هناك شيئاً يتغيّر إليه.

كون أن "الكلّ" مطلقاً، كاملاً، أديماً، وغير متغيّر، وبالتالي لا يمكن لشيء محدود، متغيّر، زائل، ومتكيّف أن يكون "الكلّ". وبما أنه ما من شيء يقبع خارج "الكلّ" في الواقع، وبالتالي كل الأشياء المحدودة لا تمثّل شيئاً في الواقع. نرجو أن لا تشعروا بالضيق والحيرة أو الخوف، نحن لا نحاول سوقكم إلى مجال اللاهوت الديني تحت غطاء الفلسفة الهرمزية. هناك توفيق لهذه المسألة المتناقضة ظاهرياً. تحلوا بالصبر، سوف نصل إليه مع الوقت.

نرى حولنا ذلك الشيء الذي نسميه "مادة"، والتي تشكّل الأساس المُدرَك والمحسوس لكل أشكال الوجود. هل "الكلّ" مجرد مادة؟ لا طبعاً! لا يمكن لمادة أن تجسّد الحياة أو العقل، وكما أن الحياة والعقل يتجلّيان بوضوح في الكون، لا يمكن للـ"كلّ" أن يكون مادة، حيث لا يمكن للشيء أن يعلو فوق مصدره.. لا شيء يتجلّى كنتيجة دون حضور مسبب.. لا شيء يتطوّر كنتائج تالي دون وجود علّة سابقة. ونرى كيف أن العلم العصري بدأ يعترف بأنه ما من شيء يُسمى مادة، حيث ما نعتبره مادة صلبة هو مجرد "طاقات أو قوى متعارضة"، أي أنها عبارة عن طاقة أو قوة متذبذبة بوتيرة منخفضة. وكما يقول أحد العلماء العصريين: ".. لقد ذابت المادة إلى حالة من الغموض..". حتى العلم المادي تخلّى عن النظرية المادية وراح يركّز على فكرة "الطاقة".

إذاً، هل "الكلّ" مجرد طاقة أو قوّة؟ إنه ليس كذلك إطلاقاً. أو على الأقلّ ليس بالمصطلح الذي يستخدمه الماديون الذين يوصفون الطاقة والقوّة بأنها أشياء ميكانيكية عمياء، مجردة من الحياة والعقل. الحياة والعقل لا يمكنهما أن يتطورا من طاقة وقوة

عمياء، وللأسباب المذكورة سابقاً، أي: لا شيء يستطيع أن يعلو فوق مصدره.. لا يمكن للشيء أن يتجلى على مستوى النتيجة دون أن يكون له أساس في المستوى السببي. إذاً، لا يمكن للـ"كل" أن يكون مجرد طاقة أو قوة، حيث إذا كانت كذلك بالفعل لما وجد هناك أشياء مثل الحياة والعقل، ونحن نعلم هذا جيداً، حيث نحن أحياء ونستخدم عقولنا الآن لمعالجة هذه المسألة الحالية، وكذلك الحال مع أولئك الذين يزعمون بأن الطاقة والقوة هما كل شيء في الوجود.

ماذا إذاً موجود في الكون أعلى من المادة أو الطاقة؟ الحياة والعقل! الحياة والعقل بكل مستوياتها ودرجات تجلياتهما! فتتساءل بعدها قائلاً: "هل تعني القول بأن الكلّ هو حياة وعقل؟.."، الجواب هو: "نعم ولا..!" إذا كنت تقصد الحياة والعقل بالطريقة التي نفهمها نحن البشر الفانين المساكين، نقول "لا"! "الكل" ليس كذلك! فتعود لتتساءل: "لكن ما نوع الحياة والعقل الذي تقصده؟..".

الجواب هو: "العقل الحيّ.."، وهو أعلى بكثير مما يمكن لنا استيعابه كبشر، أو التعبير عنه بكلمات. فالعقل والحياة هما أسمى بكثير من القوى الميكانيكية، أو المادة. إنه "عقل حيّ مطلق" بالمقارنة مع الحياة والعقل المحدودين كما نألفهما. نحن هنا نقصد نفس ما قصده المنتورون عندما تلفّظوا، بوقار، الكلمة: "روح"!

"الكل" هو عقل حيّ مطلق.. سماه المنتورون "روح"!

الفصل الخامس

الكون العقلي

THE MENTAL UNIVERSE

"..الكون محتوى عقلي.. يقبع في عقل الكلّ.."

القبيلان

"الكلّ" هو روح! لكن ما هو الروح؟ لا يمكن الإجابة على هذا السؤال، والسبب هو أن تعريفه يخصّ "الكلّ" الذي لا يمكن تفسيره أو تعريفه. كلمة "روح" هي مجرد اسم يطلقه البشر على أسمى تصوّر للعقل الحيّ المطلق. يمكن أن تعني "الجوهر الحقيقي"، يمكن أن تعني "العقل الحيّ" الذي هو أسمى من العقل والحياة اللذان نعرفهما، لكن رغم ذلك نعرف بأنهما أعلى من مستوى الطاقة والمادة الميكانيكيتين. "الروح" تتجاوز حدود فهمنا، ومع ذلك نستخدم المصطلح للإشارة إلى "الكلّ" في حديثنا أو خلال تفكيرنا. لغاية التفكير والبيّنة، إنه مبرر لنا أن نفكر بالروح على أنه عقل حيّ مطلق، والتسليم بنفس الوقت بأننا لا نستطيع استيعابه كاملاً. إما أن نفعل هذا أو نتوقف تماماً عن التفكير بالمسألة.

دعونا نباشر الآن في النظر إلى طبيعة الكون، بصيغتيه الكلية والجزئية. ما هو الكون؟ رأينا كيف أنه لا يمكن لشيء أن يوجد خارج نطاق "الكلّ". فبالتالي هل الكون هو "الكلّ"؟ لا طبعاً. هذا غير ممكن. لأن الكون يبدو بأنه مؤلف من أشياء كثيرة، وهو متغيّر على الدوام، وهناك جوانب كثيرة تجعله لا يرقى إلى الأفكار التي تقبلناها بخصوص "الكلّ" كما بيّنا في الفصل السابق. إذًا، طالما أن الكون لا يمثّل "الكلّ"، فبالتالي هو لا شيء.. هكذا سيكون الاستنتاج الحتمي للعقل في الوهلة الأولى. لكن هذا لن يشفي التساؤل، حيث نحن ندرك وجود الكون بشكل مرئي وملموس. فبالتالي، طالما أن الكون لا يمثّل "الكلّ" ولا يمثّل "لا شيء"، فماذا يمكن أن يكون؟ دعونا نتفحص المسألة جيداً.

إذا كان الكون موجوداً فعلاً، أو يبدو أنه موجود، فلا بدّ من أنه انبعث بطريقة أو بأخرى من "الكلّ". وجب أن يكون مخلوقاً من "الكلّ". لكن كما أن الشيء لا يمكن أن يأتي من لا شيء، مما أو كيف خلقه "الكلّ"؟ بعض الفلاسفة أجابوا بالقول أن "الكلّ" خلق الكون من نفسه، أي من محتوى ومادة "الكلّ". لكن هذا لا يكفي، حيث كما رأينا، لا يمكن الإنقاص من "الكلّ" أو الزيادة إليه، لكن إذا كان الأمر كذلك بالفعل، ألا وجب على كل ذرّة في الكون أن تدرك حقيقة أنها تمثّل جزء من "الكلّ"؟ لا يمكن للـ"كلّ" أن يفقد معرفته بنفسه، ولا أن يتحوّل إلى ذرّة، أو قوة عمياء، أو أي شيء صغير ووضيع. بعض الأشخاص يدركون فعلاً أن "الكلّ" هو كل، لكنهم يستنتجون أيضاً بأنهم، أي هؤلاء الأشخاص ذاتهم، بما أنهم موجودون في "الكلّ" يتوصلون للاستنتاج الذي يجعلهم متطابقون مع "الكلّ"، فيملؤوا الهواء بصيحاتهم الصفيقة "أنا الله" لإلهاء الحشود، لكن لإحزان الحكماء بنفس الوقت. الأمر مشابه لإحدى الجسيمات الذريّة التي تصبح بصفاقة "أنا إنسان"! يمكنك فهم المفارقة جيداً من خلال النظر إلى هذه المقارنة الأخيرة.

لكن ما هو الكون فعلاً، طالما أنه ليس "الكلّ"، ولا أنه مخلوق من محتوى "الكلّ" حيث بعثر نفسه إلى أجزاء مفتتة؟ ماذا سيكون غير ذلك، أو مما يمكن أن يُخلق؟ هذا هو السؤال العظيم. دعونا نتفحص الأمر جيداً. سوف نكتشف هنا بأن "مبدأ التماثل" (أحد المبادئ الهرمزية السبعة) جاء لنجدتنا. لقد وجدنا هنا الإسقاط المناسب للقول الهرمزي المأثور " .. كما في الأعلى كذلك في الأسفل ..". دعونا نحاول التقاط لمحة للمجريات الحاصلة في المستويات العليا من خلال تفحص تلك الحاصلة على مستوانا. يمكن تطبيق "مبدأ التماثل" هنا وكذلك في مسائل كثيرة أخرى.

دعونا نرى! على مستواه الوجودي، كيف يجري الإنسان عملية الخلق؟ حسناً، أولاً، يمكنه أن يخلق من خلال صنع شيئاً من مواد خارجية مختلفة. لكن هذا لا ينفع، حيث ليس هناك مواد خارج نطاق "الكلّ" ليستعين بها لخلق الأشياء. حسناً، إذاً، ثانياً، الإنسان يخلق كائنات مطابقة له عبر عملية الإنجاب، وهي عملية المضاعفة الذاتية التي ينجزها عبر نقل قسط من محتواه إلى ذريته. لكن هذا أيضاً لن يكفي، لأن "الكلّ"

لا ينقل أو ينقص من نفسه أي قسط، ولا يمكن أن يتوالد أو يضاعف نفسه. ففي المقام الأول، سيحصل عملية أخذ أو إنقاص، وثانياً، سيحصل عملية منح أو إضافة إلى "الكل"، وكلا الفكرتان سخيقتان، حيث هاتان الحالتان تنافيان المنطق. والسؤال هو: أليس هناك طريقة أخرى يستطيع الإنسان الخلق عبرها؟ الجواب هو نعم. هو يخلق الأشياء عقلياً! (أي الإبداع الذهني)، ومن خلال فعل ذلك لا يحتاج لمواد خارجية، ولا اللجوء إلى عملية التناسل، لكنه بخلاف ذلك، في هذه العملية الأخيرة من الخلق، روحه تتخلل هذا المخلوق الذي ينتجه عقلياً.

بالاستناد على مبدأ التماثل، يمكن تبرير التسليم بأن "الكل" يخلق الكون عقلياً (ذهنياً)، بنفس الطريقة التي يخلق فيها الإنسان الصور الذهنية. وهنا بالذات ينطبق بيان المنطق تماماً مع بيان المتتورين حسبما تبين في تعاليمهم وكتاباتهم. هكذا هي تماماً تعاليم الحكماء. هكذا كانت تعاليم هرmez.

لا يمكن للـ"كل" أن يخلق بأي طريقة سوى عقلياً، أي دون استخدام المواد (حيث لا توجد خارج نطاقه)، ودون اللجوء للتناسل (وهذا مستحيل منطقياً). ليس هناك مهرب من هذا الاستنتاج المنطقي، والذي، كما قلنا، يتوافق مع التعاليم العليا للمتتورين. كما يمكنك أنت، أيها الطالب، أن تخلق شيئاً في ذهنك، كذلك الحال مع "الكل" عندما يخلق الأكوان في ذهنه. لكن إبداعك هو مجرد إنتاج ذهني لعقل فاني ومحدود، بينما إبداع "الكل" هو إنتاج ذهني لعقل مطلق لا تحدّه حدود. الاثنان متطابقان من حيث النوعية، لكنهما يختلفان من حيث الدرجة والمستوى، والفارق طبعاً هو هائل جداً. سوف ندقق أكثر في عملية الخلق والتجلي خلال تقدمنا في الدروس، لكن هناك نقطة مهمة وجب حفظها جيداً في هذه المرحلة: الكون، وكل ما يحتويه، خلق من إبداع عقلي للـ"كل". حقاً وبكل تأكيد، كل شيء هو عقل.

".. يخلق الكلّ في عقله المطلق أكواناً لا متناهية، وتبقى لدهور لامحدودة من الزمن، ومع ذلك، بالنسبة للكلّ، مدة هذه المراحل من الخلق، التطور، النمو، الذبول، والموت التي تمرّ فيها ملايين الأكوان مجرد لمحة بصر..". — القليلان

".. العقل اللامتناهي للكل هو رحم الأكون..". – القبيلان

يتجلى "مبدأ الجندر" (أحد المبادئ الهرمزية السبع) في كافة مستويات الحياة، المادية والعقلية والروحية. لكن، كما أسلفنا سابقاً، الجندر لا يعني "الجنس"، فالجنس هو مجرد تجسيد مادي للجندر. "الجندر" يعني: ".. ما له علاقة بعملية التوالد أو الخلق.."، وأينما هناك شيء يتوالد أو يُخلق، وعلى أي مستوى، لا بدّ من أن هناك دور أساسي لمبدأ الجندر. وهذا صحيح حتى على مستوى خلق الأكون.

وجب أن لا تظنوا بأننا نعلم فكرة وجود الله أو خالق ذكر وأنثى. فهذه الفكرة مجرد تحريف خاطئٍ للتعاليم القديمة بخصوص الموضوع. التعاليم الحقيقية تقول بأن "الكل"، بذاته، هو أسمى من قانون ثنائية الجندر، كما هو أسمى من كل القوانين الأخرى، بما فيها تلك المتعلقة بالزمان والمكان. إنه القانون الأساس الذي تنبعث منه كل القوانين، وهو لا يخضع لأي منها. لكن عندما يتجلى "الكل" في مستوى التوالد أو الخلق، سوف يتصرّف وفق القانون والمبدأ، لأنه يتحرك ضمن المستويات الدنيا من الوجود. وكنتيجة لذلك فهو يجسد مبدأ الجندر، بمظاهره الذكورية والأنثوية، على المستوى العقلي طبعاً.

يمكن لهذه الفكرة أن تبدو مذهلة لبعضكم الذين يسمعونها للمرّة الأولى، لكنكم سلّمتم سابقاً بهذه الحقيقة بشكل غير مباشر في مفاهيمكم اليومية. أنتم تتكلمون عن أبوة الله، وأمومة الطبيعة. أشرتتم إلى الله بأنه الأب المقدّس، وإلى الطبيعة بأنها الأم الكونية، وبالتالي سلّمتم غريزياً بمبدأ الجندر في هذا الكون. أليس هذا صحيحاً؟

لكن التعاليم الهرمزية لا تتضمن ثنائية حقيقية، بل "الكل" هو واحد، والمظهران هما مجرد وجهين لعملية واحدة وهي التجلي. تقول التعاليم بأن المبدأ الذكوري المتجلي من قبل "الكل" يبقى بطريقة معينة منفصلاً عن الخلق العقلي (الإبداع الذهني) الفعلي للكون. هو يقذف إرادته نحو المبدأ الأنثوي (الذي يمكن أن نسميه الطبيعة) بحيث يبدأ هذا الأخير بالعمل الفعلي في سياق نشوء الكون، ابتداءً من مراكز نشاط بسيطة،

وصولاً إلى الإنسان، ثم تعلقو مرحلة بعد مرحلة، وجميعها تخضع لقوانين طبيعية ثابتة وراسخة، وهكذا حتى تطال عملية التشييد كافة جوانب الكون المختلفة. إذا كنت تفضل مناهج التفكير القديمة، يمكنك اعتبار المبدأ الذكوري أنه الله، الأب، وتعتبر المبدأ الأنثوي أنه الطبيعة، الأم الكونية، التي من رحمها تولد كل الأشياء. هذا الكلام هو أكثر من مجرد شعر.. إنه يمنحنا فكرة واقعية عن عملية خلق الكون. لكن تذكر دائماً بأن "الكل" هو واحد، وأنه في عقله المطلق تُخلق الأكوان وتزدهر.

قد تستطيع استيعاب الفكرة بصيغتها السليمة إذا طبقت قانون "التماثل" على نفسك، وعقلك الخاص. أنت تعلم بأن الجزء منك الذي تسميه "الأنا"، يقف جانباً، بطريقة ما، ويشهد على عملية خلق الصور الذهنية في عقلك. يمكن أن نسمي الجزء الآخر من عقلك المسؤول عن إنجاز التصور الذهني بـ"الذات" لكي نميزه عن "الأنا" الذي يقف جانباً كشاهد على العملية ويتفحص الأفكار والصور الذهنية التي يخلقها "الذات". كما في الأعلى، كذلك في الأسفل. تذكر هذه الحكمة الماثورة. يمكن لظاهرة متجلية في أحد المستويات أن تُستخدم لفك ألغاز المستويات العليا والدنيا.

ألا تتساءل يوماً كيف ولماذا تشعر لا إرادياً، كالطفل، بذلك التوقير الغريزي للـ"كل"، هذا الشعور الذي نسميه دين.. هذا الاحترام والتبجيل للعقل الأبوي؟ ألا تتساءل يوماً، عندما تنظر إلى عجائب الطبيعة ومجرباتها الرائعة، كيف ولماذا يغمرك شعور هائل ينبع من جوهر كينونتك؟ عندما تشعر بذلك، فإنه مجرد عملية احتضان وجداني مع العقل الأمومي، كما يحتضن الطفل صدر أمه.

لا تقترب الخطأ الكبير من خلال اعتبار العالم الصغير الذي من حولك، الكرة الأرضية، التي هي مجرد حبة غبار في الكون، بأنها تمثل الكون بذاته. هناك الملايين والملايين من هكذا عوالم، وحتى أعظم منها. وهناك ملايين وملايين من الأكوان في الوجود، وجميعها تقبع في رحاب العقل المطلق للـ"كل". وحتى في نظامنا الشمسي هناك مناطق ومستويات معينة من الوجود أعلى من مستوانا بكثير، وكائنات سامية إذا قارنتها بنا كبشر فانون سوف تبدو لهم كما تبدو الكائنات الرخوية الملتصقة على

الصخور البحرية بالنسبة لنا. هناك كائنات تتمتع بخواص وقوى أعلى مما استطاع الإنسان تصوّره عن الآلهة. ومع ذلك، هذه الكائنات كانت يوماً بمستوى الإنسان، وحتى أكثر وضاعة منه، وسوف نصبح يوماً مثلهم، وحتى أعلى منهم، لكن مع الوقت، وهذا هو قدر الإنسان كما صرّح به المنتورون.

أما الموت، فهو غير حقيقي، حتى بالمعنى القريب. إنه ليس سوى ولادة في حياة جديدة. وسوف تستمرّ في التقدم إلى الأمام، خطوة خطوة، ترتقي مرحلة مرحلة، إلى أعلى مستويات الحياة.. لكن عبر دهور ودهور من الزمن. الكون هو موطنك، وسوف تستكشف أقصى أعماقه قبل نهاية الزمن. أنت تقبع في العقل المطلق للـ"كلّ"، وإمكانياتك وفرصك هي غير محدودة، إن كان ذلك مكانياً أو زمانياً. وفي نهاية دورة الدهور العظمى، عندما يقرّر "الكلّ" أن يسحب إلى نفسه كل خلقه، سوف تذهب معه بكل سرور، وحينها ستتمكن من إدراك الحقيقة الكاملة حول كونك جزءاً لا يتجزأ من "الكلّ". هذا ما بلغه المنتورون.. هؤلاء الذين تقدموا كثيراً على الرب.

وفي الوقت الحالي، أرقد بهناء.. مستريحاً ومطمئناً، أنت بأمان ومحمي من قبل القوة المطلقة للعقل الأبوي/الأمومي.

".. في باطن العقل الأبوي/الأمومي، الأطفال الفانون هم في موطنهم..". — القبيلان

".. ليس هناك من هو يتيم الأب، أو يتيم الأم، في الكون..". — القبيلان

الفصل السادس

الإشكالية الدينية

THE DIVINE PARADOX

".. النصف حكيم، خلال تعرفه على المقارنة غير الواقعية للكون، يتصوّر بأنه يستطيع تحدي قوانينه. هكذا رجال هم حمقى وقحون عديمو الجدوى.. إنهم يتكسرون على الصخور ويتمزقون إرباً بفعل العناصر نتيجة حماقتهم. الحكيم الحقيقي، خلال إمامه بطبيعة الكون، يستخدم القوانين لمواجهة القوانين، الأعلى ضدّ الأسفل، وعبر فنّ الخيمياء يستطيع تحويل كل ما هو غير مرغوب إلى ما هو جدير ومجدي، وبالتالي ينتصر. تعتمد السيادة، ليس على الأحلام، الرؤيا، التصورات أو الحياة غير الطبيعية، بل على استخدام القوى العليا ضدّ القوى السفلى.. متجنباً آلام المستويات الوجودية السفلى عبر التذبذب على وتيرة المستويات العليا. التحوّل، وليس الإنكار الوقح، هو سلاح السيّد.."

القبيلان

هذه هي متناقضة الكون الناتجة من مبدأ القطبية الذي يتجلى عندما يبدأ "الكلّ" بعملية الخلق. انتبه إلى هذه النقطة جيداً لأنها تشير إلى الفرق بين "نصف الحكمة" و"الحكمة". بالنسبة للـ"كلّ" المطلق، يبدو الكون وقوانينه وقواه وحياته وظواهره مجرد أشياء تُشاهد في حالة تأمل أو حلم. بينما بالنسبة لكل ما هو محدود، وجب التعامل مع الكون وكأنه حقيقي، وعلى هذا الأساس يُسند الحياة، والفعل، والفكر، لكن مع توق دائم لفهم الحقيقة العليا. كل منهما (المطلق والمحدود) يعمل وفقاً لمستواه وقوانينه. إذا كان "الكلّ" يتصوّر بأن الكون هو الواقع بعينه فيا أسفاه على الكون، حيث لن يكون حينها أي مهرب من الأسفل إلى الأعلى، نحو القدسية.. ولأصبح الكون ثابت مما يجعل التقدم مستحيل. وإذا الإنسان، وبسبب نصف حكمته، تصرف وعاش وفكر بناءً على أن الكون هو مجرد حلم (مماثل لأحلامه المحدودة) فسوف يصبح كذلك فعلاً بالنسبة له، كالذي يسير في نومه يتعثّر دائماً خلال سيره في دائرة مقفلة دون أن يحرز أي تقدم. ففي النهاية سيُجبر على الصحوة بعد سقوطه وإصابته

بالجروح والكدمات نتيجة تعرّضه فوق القوانين الطبيعية التي تجاهلها. ابق عقلك موجه دائماً نحو النجمة لكن دع عيونك تراقب خطواتك كي لا تقع في المستنقع نتيجة توجيه كامل انتباهك للأعلى. تذكر المفارقة الإلهية القائلة: "بينما الكون ليس كذلك، فهو يبقى كذلك..". تذكر دائماً وجود قطبين للحقيقة، "المطلق" و"النسبي". احذر من "أنصاف الحقيقة".

ما يعرفه الهرمزيون بـ"قانون التناقض" Law of Paradox هو أحد مظاهر مبدأ القطبية. الكتابات الهرمزية مليئة بالإشارات إلى وجود "التناقض" خلال تناول مسائل الحياة والوجود. المعلمون يحذرون طلابهم باستمرار ضدّ خطأ إغفال "الجانب الآخر" من أي مسألة. هذه التحذيرات موجهة بشكل أخصّ نحو المسائل المتصلة بما هو "مطلق" وما هو "نسبي"، والتي تُربك كل طلاب الفلسفة، وتجعل الكثيرين يفكرون ويتصرفون بعكس ما يُعرف عموماً بـ"المنطق السليم". ننبه الطلاب بأن يتأكدوا من فهم الإشكالية الدينية المتعلقة بـ"المطلق والنسبي" كي لا يقعوا في مستنقع "نصف الحقيقة". كُتبَ الدرس التالي على ضوء هذه الفكرة. اقرأ بانتباه!

الفكرة الأولى التي تخطر للإنسان المفكّر بعد معرفته لحقيقة أن الكون هو مجرد خلق عقلي للـ"كل"، هي أن الكون وكل ما يحويه هو مجرد وهم.. غير واقعي.. وهذا يناقض غرائزه مما يحفزها على الثورة. لكن وجب النظر إلى هذه الحقيقة، كما باقي الحقائق العظمى الأخرى، من زاوية "المطلق والنسبي". فمن زاوية "المطلق"، من المؤكّد طبعاً أن الكون ذو طبيعة وهمية، حلم، وتخيلات بالنسبة للـ"كل". نحن ندرك هذا لاشعورياً حتى من خلال وجهة نظرنا اليومية، حيث نتكلّم دائماً عن العالم بأنه يشبه "استعراض عابر" يأتي ويذهب، يولد ويموت. وجب على عناصر مثل: المؤقت والمتغير، المحدود والواهي، أن تتصل بفكرة "الكون" المخلوق إذا تباينت مع فكرة "الكل" مهما كانت معتقداتنا الخاصة تجاه الاثنين. الفيلسوف، الميتافيزيقي، العالم، واللاهوتي، جميعهم متفقون على هذه الفكرة، وهذه الفكرة موجودة بكافة مناهج الفكر الفلسفي والتصوّري الديني، وكذلك في نظريات المدارس الخاصة الميتافيزيقية واللاهوتية.

بالتالي، فالتعاليم الهرمزية لا تبشّر بواهيّة الكون بطريقة أكثر تطرفاً من التعبيرات التي تألفونها بهذا الخصوص، لكن الفرق هو أنها (أي التعاليم الهرمزية) تقدّم الموضوع بطريقة تبدو أكثر روعة وإذهالاً. أي شيء له بداية ونهاية لا بدّ أن يكون، بمعنى معيّن، غير واقعي وغير حقيقي. والكون يخضع لهذه القاعدة في كافة المدارس الفكرية. من وجهة نظر "المطلق"، ليس هناك أي شيء حقيقي سوى "الكلّ"، مهما كانت المصطلحات التي نستخدمها خلال مناقشة الموضوع أو التفكير به. مهما كانت طبيعة الكون، إن كان مؤلفاً من مادة أو هو مجرد إبداع ذهني في عقل "الكلّ"، يبقى واهياً، زائلاً، طفرة تغيير مؤقتة زمنياً ومكانياً. نريدكم أن تفهموا هذه الحقيقة بشكل كامل وشامل قيل الحكم على التصور الهرمزي حول الطبيعة العقلية للكون. تأمل ملياً في كل واحدة من التصورات والمفاهيم الأخرى وتأكد بنفسك عبر المقارنة إن كان التصور الهرمزي صحيحاً أم لا.

لكن وجهة نظر "المطلق" تبيّن جانب واحد فقط من الصورة. الجانب الآخر يمثّل وجهة نظر "النسبي". تم تعريف الحقيقة "المطلقة" بأنها تمثّل "الأشياء كما يعرفها عقل الله"، بينما الحقيقة "النسبية" تمثّل "الأشياء كما تفهمها عقلانية الإنسان بأعلى درجاتها". وبالتالي، على الكون أن يبدو بالنسبة للـ"كلّ" وهمي وغير واقعي، مجرد حلم أو تأمل. بينما يبدو الكون بالنسبة للعقول المحدودة، التي تشكّل أجزاء منه أصلاً، والتي تنظر إليه بواسطة ملكات ذهنية محدودة، بأنه واقعي جداً، وهكذا يجب أن يعتبروه أساساً. بعد التعرّف على النظرة "المطلقة"، يجب أن لا نقع في خطأ تجاهل أو إنكار الحقائق والظواهر المتعلقة بالكون كما تظهر نفسها أمام ملكاتنا الذهنية المحدودة. تذكر أننا لسنا "الكلّ".

لننظر إلى المثال التالي لتوضيح المسألة: جميعنا ندرك حقيقة أن المادة "موجودة" بالنسبة لحواسنا، حيث يستحيل تجاهل هذا الأمر. لكن مع ذلك، حتى عقولنا المحدودة تستوعب جيداً قول العلم بأنه ما من شيء يُسمى مادة من وجهة النظر العلمية، وأن ما نعتبره مادة هو مجرد تجمّع من الذرات، وهذه الذرات بدورها مؤلفة من تكتلات دقيقة لوحدات قوى، نسميها اليوم إلكترونات أو أيونات، متذبذبة وفي حركة دائرية مستمرة.

نركل حجراً ونشعر بالصدمة.. فيبدو حقيقي بالنسبة لنا، كل هذا ومع أننا نعلم بأن المادة هي مجرد حالة غير صلبة كما وصفناها سابقاً. لكن تذكر بأن قدمنا، التي شعرت بالصدمة عن طريق أدمغتنا، هي أيضاً مادة، وبالتالي تتألف أيضاً من إلكترونات، وكذلك الحال مع أدمغتنا التي تتألف من نفس المحتوى. ولكن في النهاية، لو لم يكن "العقل" لدينا حاضراً، لما عرفنا ما هو الحجر أو القدم أصلاً.

مثال آخر: الكائن المتخيل بالنسبة للنحات أو الرسّام، والذي يحاول تصويره في الحجر أو على لوحة الرسم، يبدو حقيقي جداً بالنسبة له. وكذلك تبدو شخوص الرواية في عقل الكاتب الروائي أو المسرحي، الذي يسعى إلى التعبير عنها في كتاباته بحيث يتعرّف عليها القراء. وطالما أن هذا الأمر صحيح على مستوى عقولنا المحدودة، فماذا أو كيف ستكون درجة الواقعية في الصور الذهنية المخلوقة في عقل "الكلّ" اللامحدود؟ أيها الأصدقاء، سيبدو الكون العقلي بالنسبة للفنانين حقيقي جداً.. إنه الشيء الوحيد الذي نستطيع معرفته، ونحن بنفس الوقت نرتقي من مستوى إلى مستوى، عالياً وعالياً في رحابه. ولننظر إليه بمعنى آخر، لكن بالتجربة الفعلية، نحن نمثّل "الكلّ" نفسه. صحيح أنه كلما ارتقينا في سلم السمو كلما اقتربنا من "عقل الأب" وأصبحت الطبيعة الوهمية للأشياء المحدودة أكثر جلاء، لكن بنفس الوقت، لا تختفي الرؤية الدنيوية فعلياً إلا بعد أن يسحبنا "الكلّ" في النهاية إلى ذاته.

وهكذا، وجب أن لا نعتمد كثيراً على فكرة "الوهم" خلال التعامل مع الوجود. وبدلاً من ذلك، ورغم معرفة الطبيعة الحقيقية للكون، دعونا نسعى إلى فهم قوانينه العقلية ونحاول استخدامها بأفضل ما يمكن لتعزيز تقدمنا عبر الحياة، خلال سفرنا الدائم والمستمرّ من مستوى وجودي إلى آخر. إن قوانين الكون أقرب إلى كونها "قوانين حديدية" بسبب طبيعتها العقلية. الكل، ما عدا "الكلّ"، يخضع لها دون استثناء. ما هو موجود في عقل "الكلّ" اللامحدود هو حقيقي بدرجة ثانوية بالنسبة للواقع ذاته والمكتسب من طبيعة "الكلّ".

فبالتالي، لا تشعر بالخوف أو عدم الأمان، حيث كلنا نقبع بثبات في العقل اللامحدود للـ"كلّ"، وليس هناك ما يؤذينا أو يخيفنا. ليس هناك قوة خارج "الكلّ" لتؤثر علينا. لذلك فلنرقد هادئين وآمنين. خلال إدراكنا لهذه الأمور بشكل وجداني سليم، سوف نرى عالم يسوده الأمان والراحة من حولنا. نرقد إذاً بهناء وسلام، وسط هزهزة المهد العميق، نسكن بأمان في حضن محيط العقل اللامحدود، الذي هو "الكلّ". بكل تأكيد، في رحاب "الكلّ" نعيش ونتحرّك ونكون.

المادة ستبقى مادة بالنسبة لنا طالما لازلنا نعيش في المستوى المادي من الوجود، بالرغم من أننا نعرف بأنها مجرد نكتلات إلكترونية أو جسيمات قوى تتذبذب بسرعة وتدور حول بعضها البعض لتشكل الذرات، والذرات بدورها تتذبذب وتدور لتشكل جزيئات، والتي بدورها تشكل كتل مادية أكبر، وهكذا. والمادة لا تصبح أقل مادية إذا ذهبنا أبعد في تحقيقنا وتعلّمنا من التعاليم الهرمزية بأن "القوى" التي تشكل الإلكترونات أصلاً هي مجرد تجليات لعقل "الكلّ"، وكما باقي الأشياء في الكون، هي ذات طبيعة عقلية صرف. خلال وجودنا في المستوى المادي وجب علينا التسليم بطواهره. يمكننا التحكم بالمادة عقلياً (كما يفعل أسياد الدرجات العليا أو المتوسطة)، لكننا نعمل ذلك عبر استخدام القوى العليا. سوف نرتكب حماقة إذا سعينا إلى إنكار وجود المادة من ناحية "النظرة النسبية". يمكننا إنكار سيادة المادة علينا، وهذا عمل سليم، لكن وجب عدم السعي إلى تجاهلها من ناحية "النظرة النسبية"، على الأقلّ خلال عيشنا في مستواها الوجودي.

ولا قوانين الطبيعة تصبح أقلّ ثباتاً أو تأثيراً إذا عرفنا حقيقة أنها مجرد مبتكرات عقلية. سوف تبقى بكامل تأثيرها على كامل المستويات. نحن نتغلّب على القوانين السفلى عبر استخدام العليا، ووفق هذه الطريقة ننجح، لكن لا نستطيع الإفلات من القانون أو تجاوزه بالكامل. لا شيء سوى "الكلّ" يستطيع الإفلات من القانون، هذا لأن "الكلّ" هو القانون ذاته، ومنه تصدر كل القوانين. يمكن للأسياد الأكثر تقدماً أن يحوزوا على قوى خارقة تُنسب عموماً للآلهة، وهناك عدد لا متناهي من المراتب الوجودية، في التراتبية العظمى للحياة، كائنات تتجاوز قوتها وكيونتها أرفع الأسياد

وبدرجة يعجز تصوّرُها من قبل البشر المحدودين، لكن حتى أرفع سيّد، وأرفع كائن، ينحني في النهاية أمام القانون، كونهم لا شيء في عين "الكلّ". إذاً، حتى أن هذه الكائنات العُلّيا، التي تتجاوز قواها تلك التي ينسبها البشر لآلهتهم، تخضع للقانون وتلتزم به. تصوّر وقاحة الإنسان الفاني المحدود، التابع لعرقنا ودرجتنا الوجودية، عندما تجرأ أن يعتبر قوانين الطبيعة "وهمية"! واهية، غير واقعية، فقط لأنه استوعب حقيقة أن هذه القوانين هي ذات طبيعة عقلية، مجرد ابتكارات ذهنية في عقل "الكلّ". هذه القوانين، التي قصد "الكلّ" أن يجعلها قوانين منظمة وضابطة، وجب عدم مجادلتها أو تحديها بأي حال من الأحوال. طالما بقي الكون قائماً، ستبقى هذه القوانين قائمة. فالكون قائم بفضل هذه القوانين أصلاً، لأنها تحافظ على تماسك هيكله وبنيته التنظيمية وكافة مجرياته.

إن "مبدأ العقل" الهرمزي، وخلال تفسيره للطبيعة الحقيقية للكون وفقاً لفكرة أن كل شيء عاقل، لا يغيّر المفاهيم العلمية للكون، الحياة، أو النشوء. في الحقيقة، العلم يؤيد التعاليم الهرمزية. فهذه الأخيرة تعلم ببساطة أن طبيعة الكون "عاقلّة"، بينما العلم الحديث يعلم بأنها طبيعة "مادية" (أو مؤلفة من طاقة صرفة، حسبما توصلوا إليه مؤخراً). التعاليم الهرمزية لم تجد أي عيب في مبدأ "هيربرت سبنسر" Herbert Spencer (فيلسوف وعالم اجتماع إنكليزي ١٨٢٠ - ١٩٠٣م) الذي سلّم بوجود "طاقة سرمدية ولامحدودة" تمثل المصدر لكل شيء موجود. وفي الحقيقة، يعتبر الهرمزيون فلسفة "سبنسر" من أرقى التعبيرات غير الهرمزية حول عمل القوانين الطبيعية، كما يؤمنون بأن "سبنسر" تقمّص روح أحد الفلاسفة القدامى الذين عاشوا في مصر القديمة قبل آلاف السنوات، والذي تقمّص بعدها في جسد الفيلسوف الإغريقي "هيراكليتوس" Heraclitus الذي عاش في ٥٠٠ ق.م، ويعتبرون إعلانه عن وجود "الطاقة السرمدية واللامحدودة" هو انسجام مع خط التعاليم الهرمزية، والتي بدورها تزيد في عقيدتها سمة مهمة جداً لهذه "الطاقة" وتتمثل في أنها طاقة عقل "الكلّ". بعد حوزتهم على المفتاح العمومي للفلسفة الهرمزية، سوف يتمكن تلاميذ "سبنسر" من فتح أبواب كثيرة للمفاهيم الفلسفية الباطنية لهذا الفيلسوف الإنكليزي العظيم الذي بيّن عمله

نتائج تحضيرات تقمصاته السابقة. تعاليم المتعلقة بالنشوء والإيقاع كانت قريبة جداً من التعاليم الهرمزية ووصفها لمبدأ "الإيقاع" الهرمزي.

لذا فالباحث في الهرمزيات ليس بحاجة إلى التخلي عن أي نظرة علمية قائمة بخصوص الكون. كل ما هو مطلوب منه هو أن يفهم مضامين المبدأ الهرمزي القائل بأن: "الكلّ وهو عقل،.. والكون عاقل،.. يقبع في عقل الكلّ..". سوف يكتشف بأن المبادئ الستة الأخرى تناسب تماماً معرفته العلمية، وستخدم في توضيح الكثير من النقاط الغامضة وتلقي الضوء على زوايا مظلمة كثيرة. وجب عدم التعجب أو الاستغراب من هذا، خاصة بعد معرفة مدى تأثير الفكر الهرمزي على الفلسفات الإغريقية الأولى التي تمثل بدورها الركيزة الأساسية التي تستند عليها نظريات العلم العصري. إن القبول بأول المبادئ الهرمزية السبع (مبدأ "العقل") هو نقطة الاختلاف الكبرى الوحيدة بين العلم العصري والتعاليم الهرمزية، مع أن العلم يميل اليوم نحو الموقع الهرمزي خلال تخبطه في الظلام محاولاً الخروج من متاهة البحث عن الحقيقة.

الغاية من هذا الدرس هي الترسخ في ذهن الطالب حقيقة أن "الكون"، وقوانينه وظواهره، هو حقيقي بالنسبة للإنسان طالما الأمر يتعلق به، كما توصفها الفرضيات العلمية "المادي" و"الطاقية". وفق أي فرضية، الكون في مظهره الخارجي هو في حالة تغير، تدفق وتحوّل دائم، وبالتالي متجدّد من الواقعية. لكن وفق نفس الفرضيات (وبما أن لكل حقيقة قطبين)، نحن مجبورين على التصرف والعيش معتبرين الأشياء الزائلة من حولنا بأنها واقعية وملموسة. يمكننا ملاحظة هذا الاختلاف الكامن دائماً في الفرضيات المختلفة، كالاختلاف بين النظرة العلمية التي تجاهلت "قوة العقل" بصفتها قوة طبيعية، بينما وفق مبدأ "العقل" الهرمزي تصبح الطاقة العقلية أعظم طاقات الطبيعة. هذا الاختلاف الوحيد يمكنه إحداث تغيير جذري في حياة الذين يستوعبون هذا المبدأ الهرمزي وقوانينه وصيغته تطبيقه وممارسته.

لذلك على كلّ الطلاب استيعاب فوائد وحسنات النظرة "العقلية" للكون (بدلاً من "المادية") والتعلّم على معرفة واستخدام وتطبيق القوانين المتعلقة بها. لكن لا تستسلموا للإغراءات التي، كما يقول القيبلان: "تسيطر على أنصاف الحكماء فيعيشون على أساس عدم واقعية الأشياء، والنتيجة المترتبة من ذلك هي تجوالهم كالكائنات الحالمين الذين يعيشون في عالم الأحلام، متجاهلين الجانب العملي لحياة الإنسان وأفعاله، فتنتهي بهم الحال متكسرين على الصخور وممزقين إرباً بفعل العناصر نتيجة حماقتهم..". بدلاً من إتباع خطى الحكماء الذين، حسبما يقول المرجع ذاته: "يستخدمون القوانين لمواجهة القوانين، الأعلى ضدّ الأسفل، وعبر فنّ الخيمياء يستطيعون تحويل كل ما هو غير مرغوب إلى ما هو جدير ومجدي، وبالتالي ينتصرون..". متبعين تعليمات المرجع، دعونا نتجنّب "تصف الحكمة" (وهي حماقة) التي تتجاهل حقيقة أن: "السيادة تعتمد، ليس على الأحلام، الرؤيا، التصورات أو الحياة غير الطبيعية، بل على استخدام القوى العليا ضدّ القوى السفلى.. متجنّباً آلام المستويات الوجودية السفلى عبر التذبذب على وتيرة المستويات العليا.."، وتذكّر دائماً أن: "التحوّل، وليس الإنكار الوقح، هو سلاح السيّد..". المقولات السابقة مُقتبسة من القيبلان، وهي تستحقّ الحفظ في ذاكرة الطالب.

نحن لا نعيش في عالم من الأحلام، بل في كون حقيقي، طالما الأمر يتعلق بحياتنا وأفعالنا. واجبنا في هذا الكون هو ليس إنكار وجوده، بل أن "نعيشه"، مستخدمين القوانين للارتقاء من الأسفل للأعلى.. متابعة العيش، والقيام بأفضل ما عندنا وسط أي ظرف يطرأ في كل يوم يمرّ.. والعيش، بأقصى ما يمكن، لتحقيق غاياتنا ومشاريعنا. المعنى الحقيقي للحياة ليس معروفاً لدى البشر القابعون في هذا المستوى من الوجود. لكن المراجع العليا تعلمنا، وكذلك حدسنا الباطني، بأننا لن نخطئ في العيش معبرين عن أفضل ما يكمن داخلنا، وبأقصى ما يمكن.. مدركين في خفايا وجداننا بأن النزعة الكونية تميل دائماً نحو ذات الاتجاه رغم المظاهر الخارجية التي توحى بعكس ذلك. كلنا على الدرب.. والطريق يقود إلى الأعلى دائماً وأبداً، لكن مع أماكن راحة مؤقتة.

اقرأ رسالة القيبلان، واتبع مثال "الحكماء"، متجنباً خطأ "أنصاف الحكماء" الذين يهلكون نتيجة حماقتهم.

الفصل السابع

”الكلّ” في الكلّ

"THE ALL" IN ALL

”.. بينما الكل موجود في الكلّ، يصحّ أيضاً القول بأن الكلّ موجود في الكل. بالنسبة له الذي استوعب جيداً هذه الحقيقة فقد حاز على معرفة عظيمة..”

القييلان

كثيراً ما يسمع معظم الناس تلك العبارة المُكرّرة دائماً والقائلة بأن الإله (يختلف اسمه حسب المجتمع) هو ”الكلّ في الكلّ”، وكم هو جهلهم كبير للحقيقة الباطنية المحجوبة داخل هذه العبارة الملفوظة بلا مبالاة. (غالباً ما تُستخدم لتعظيم شأن أحدهم حيث يُقال ”فلان هو الكل في الكل”). هذا التعبير الشائع بين الناس يعود أصله إلى قول هرمزي مأثور عريق جداً، ويمثّل ترجمة مختصرة للحكمة الواردة في بداية هذا الفصل. يقول القيّيلان: ”.. بالنسبة له الذي استوعب جيداً هذه الحقيقة فقد حاز على معرفة عظيمة..”. وبما أن الأمر كذلك، دعونا نبحث في هذه الحقيقة التي يبدو أن هناك أهمية كبيرة في فهمها واستيعابها. هذه الحكمة الهرمزية تخفي أحد أعظم الحقائق الفلسفية والعلمية والدينية.

سبق وقدمنا لكم التعاليم الهرمزية المتعلقة بالطبيعة العقلية للكون، وحقيقة أن: ”..الكون عاقل.. يقبع في عقل الكلّ..”. وأيضاً، يقول القيّيلان في الفقرة السابقة: ”..الكل موجود في الكلّ..”، لكن لاحظ باقي المقولة التي تقول: ”.. يصحّ أيضاً بأن الكلّ موجود في الكلّ..”. هذه المقولة المتناقضة ظاهرياً قابلة للتوفيق ضمن ”قانون التناقض” Law of Paradox. علاوة على ذلك، إنها إفادة هرمزية عن العلاقة الموجودة بين ”الكلّ” وكونه العقلي. رأينا سابقاً كيف يكون الكل في ”الكلّ” (الكون هو مجرد خلق عقلي للـ”كلّ”)، لكن الآن دعونا نتفحص الجانب الآخر من الموضوع.

القصد الجوهرى من التعاليم الهرمزية هو التسليم بحقيقة أن "الكلّ" يتجلّى (أي منتشر، يقبع، متّصل، كامن، مُبطّن.. إلى آخره) في الكون، ويتجلّى أيضاً في كل قسم، كل جزيء، كل وحدة، وكل تركيبة في هذا الكون. عادةً ما يشرح المعلمون هذه الإفادة عبر الإشارة إلى مبدأ "النمائل" Principle of Correspondence (أو التناظر التراتبى). يوجّه المعلم تلميذه إلى تشكيل صورة ذهنية لشيء ما، شخص مثلاً، أو موضوع معيّن. شيء له هيئة عقلية. أفضل مثال على ذلك هو قيام الكاتب الروائى أو المسرحى بتشكيل فكرة معيّنة عن شخصيات روايته أو مسرحيته. أو الرسام أو النحات الذي يكوّن في ذهنه النموذج المثالى الذي يرغب التعبير عنه في فنّه. في كل من هذه الحالات، سيكتشف الفرد بأنه في الوقت الذي تكون فيه الصورة الذهنية موجودة أو كائنة في عقله فقط، يشعر مع ذلك هذا التلميذ، أو النحات، أو الرسام، أو الكاتب أو المسرحى، بأنه يتجلّى بطريقة ما في هذه الصورة الذهنية التي خلقها عقلياً. بمعنى آخر، كامل ميزات، حياة، وروح الواقع المتجسّد في هذه الصورة الذهنية هي مشتقةً جميعاً من "العقل المتجلّى" للمفكّر الذي خلقها بعقله. تأمل هذه الحالة للحظات حتى تفهم الفكرة جيّداً.

دعونا نأخذ مثال أوضح، ولنقل بأن "عطيل"، "هاملت"، "ليار"، "ريتشارد الثالث" هم مجرد شخصيات تجسّدت في عقل "شكسبير" في فترة تصوّرها أو خلقها. لكن مع ذلك، شكسبير أيضاً تجسّد في كل من هذه الشخصيات، مانهم الحيوية، الروح، والحركة. من هو "روح" الشخصيات التي نعرفها باسم "ميكابور"، أوليفر تويست"، "أوريا هيب"؟.. أليس هو الكاتب "تشارلز ديكنز"، أو أن لكل من هذه الشخصيات روحه الخاصة المنفصلة من الكاتب الذي خلقها؟ هل كان للشخصيات "فينوس أوف ديميتشي"، أو "سيستاين مادونا"، أو "أبولو بلفيدير" أرواح ووقائع خاصة بهم، أم أنهم يمثّلون القوة الروحية والعقلية لمن خلقهم؟ يشرح قانون "التناقض" بأن كلا الحالتان صحيحتان، إذا نظرنا إليها من الزوايا الصحيحة. "ميكابور" هو كل من "ميكابور" و"ديكنز" معاً. ومن ناحية أخرى، في الوقت الذي يمكن أن يكون فيه "ميكابور" هو ذاته "ديكنز"، لكن مع ذلك، لا يمكن اعتبار "ديكنز" مطابقاً لـ"ميكابور". يمكن للإنسان، إذا كان في حالة "ميكابور"، أن يقول: ".. إن روح خالقي متجلية في.. لكن

مع ذلك أنا لست هو..! كم يختلف هذا القول السليم عن "تصف الحقيقة" الفطبيعة التي يُعلنها "أنصاف الحكماء" بجعجة وصخب، والذين يملؤون الهواء بصراخهم الخشن: "أنا الله..!". تصوّر "ميكابور" المسكين، أو الخسيس "أوريا هيب"، يصيح: "أنا تشارلز ديكنز..!". أو أحد البلهاء الوضيعين في إحدى مسرحيات شكسبير يُعلن بفصاحة: "أنا شكسبير..!". يتجلى "الكلّ" حتى في دودة الأرض، لكن مع ذلك، دودة الأرض أبعد من أن تكون "الكلّ". ومع ذلك تبقى الأعجوبة في أنه رغم وضاعة دودة الأرض في مراتب الكائنات الأخرى المخلوقة من قبل "الكلّ" والقابعة في رحابه، إلا أن "الكلّ" متجلّي فيها، وكذلك في الجسيمات الذرية المكوّنة لها. هل هناك لغز أعظم من هذه الحقيقة، "الكل في الكلّ، والكلّ في الكلّ"؟

يعلم الطالب، طبعاً، بأن الأمثلة الموضّحة سابقاً هي غير كاملة أو وافية، حيث هي تتحدث عن خلق صور ذهنية في عقول محدودة، بينما الكون هو خليفة عقل مطلق.. والحالتان تختلفان تماماً. لكن مع ذلك، هذا الاختلاف يكمن في الدرجة فقط، حيث كلاهما تخضعان لنفس المبدأ.. مبدأ "التماثل" المتجلي في كل منهما.. "كما في الأعلى، كذلك في الأسفل، والعكس بالعكس..".

الدرجة التي يدرك فيها الإنسان وجود الروح المتجلية في كينونته، هي التي تحدد مدى ارتقائه في السلم الروحي للحياة. هذا ما يعنيه "التطوّر الروحي".. الإقرار، إدراك، وإظهار الروح المتجلّي في كينونتنا. حاول أن تحفظ هذا التعريف الأخير في ذاكرتك.. "التطوّر الروحي".. إنه يحوز على الحقيقة عن الدين الحقيقي.

هناك الكثير من مستويات الكينونة.. الكثير من مستويات فرعية في الحياة.. الكثير من درجات الوجود في الكون. وجميعها تعتمد على تقدم الكائنات في السلم، حيث أدنى نقطة في هذا السلم تمثّل المادة الأكثر كثافة، بينما النقطة الأعلى تتفصل بخيط رفيع عن روح "الكلّ". كل شيء يتحرّك، يسير قدماً، عالياً، على طول سلم الحياة. الكل على الدرب الذي ينتهي أخيراً في "الكلّ". كل تقدم هو عودة إلى الوطن. كل

حركة هي إلى الأمام والأعلى، بالرغم من كل المظاهر التي تبدو متناقضة. هذه هي رسالة المتورين.

بخصوص عملية الخلق الذهني للكون، توصف التعاليم الهرمزية كيف أنه في بداية دورة الخلق، يقوم مظهر "الكينونة" Being من "الكلّ"، بإسقاط إرادته نحو مظهر "الصيرورة" Becoming منه، فتنتقل عملية الخلق. يُعلم الهرمزيون بأن هذه العملية تشمل خِفض وتيرة الذبذبة حتى تصل درجة متدنية جداً من الطاقة المتذبذبة، وفي هذه النقطة تتجسد أكثر أشكال المادة كثافة. يُشار إلى هذه العملية بمرحلة "الانقاف للداخل" stage of Involution، بحيث يصبح فيها "الكلّ" مشتركاً، أو منخرطاً، في خليقته. يعتقد الهرمزيون بأن هذه العملية مطابقة للعملية الذهنية التي يجربها الفنان أو الكاتب أو المخترع، الذي يصبح منخرطاً بإبداعه أو مندمجاً مع ابتكاره لدرجة تجعله ينسى وجوده الأساسي، ويبدأ لفترة معينة بالعيش فعلياً وبانسجام كامل مع ابتكاره. بدلاً من استخدام كلمة "انخراط"، يمكن استخدام كلمة أخرى لتقريب المعنى وهي "استغراق"، أي الكاتب "يستغرق" في عالمه العقلي الجديد الذي خلقه ذهنياً، فيسوح في هذا العالم الجديد ناسياً عالمه الفعلي.

هذه المرحلة العقلية اللاإرادية تُسمى أحياناً، في حالة "الكلّ"، "تدفق" الطاقة الإلهية "Outpouring" of the Divine Energy، كما الحال مع مرحلة التطور التي تُسمى "الانسحاب" أو "الانطواء" إلى الداخل. يُعتبر القطب الأقصى لعملية الخلق بأنه أبعاد نقطة عن "الكلّ"، بينما بداية مرحلة التطور تُعتبر "العودة إلى الداخل"، "التأرجح العائد لبندول الإيقاع"، أي العودة إلى الوطن الأصلي، إلى حضن "الكلّ"، أو غيرها من صور تستخدمها التعاليم الهرمزية لتوضيح الفكرة.

تقول التعاليم بأنه خلال عملية "التدفق" للخارج، تصبح الذبذبة أخفض وأخفض حتى يتوقف الدفع في النهاية، فتبدأ بعدها مرحلة العودة. لكن هناك فارق معين هنا، حيث خلال عملية "التدفق" تتجلى قوى الخلق باندماج كامل، لكن في بداية مرحلة "الانسحاب" بتجلي قانون "التفرد" (الانفراد) Individualization، أي الميل للانفصال

إلى وحدات قوى متفرقة، بحيث أن ما ابتعد عن "الكلّ" بهيئة طاقة مُدمجة (غير منفردة) يعود إلى المصدر بهيئة أعداد لا متناهية من وحدات الحياة عالية التطور، مرتقية أعلى وأعلى في السلم عبر التطور المادي والعقلي والروحي.

استخدم الهرمزيون القدامى كلمة "التأمل" Meditation لوصف عملية الخلق الذهني للكون في عقل "الكلّ"، وقد استخدمت أيضاً كلمة "تفكير" Contemplation من حين لآخر. لكن يبدو أن الفكرة المقصودة هي استعمال "الانتباه الإلهي" Divine Attention. القصد من كلمة "انتباه" هنا هي انبعاث الطاقة العقلية باتجاه النقطة التي يوجّه صوبها الانتباه. إن الكلمة الانكليزية Attention (أي انتباه) مُشتقة من أصل لاتيني يحمل المعنى "التواصل مع الغير" أو "الامتداد نحو الغير"، وبالتالي فإن عملية "الانتباه" هي عملية امتداد عقلي نحو الهدف، أي بمعنى آخر، انبعاث "طاقة عقلية" نحو الهدف، وبالتالي فالفكرة الجوهرية هنا أصبحت واضحة عندما نتفحص المعنى الحقيقي لعملية "الانتباه".

تقول التعاليم الهرمزية بخصوص عملية التطور بأن "الكلّ"، بعد استغراقه في حالة تأمل على بداية الخلق.. وبالتالي يكون قد وضع الأسس المادية للكون.. أي فكر فيه فتجسد (قال له كن، فكان)، بدأ بعدها يصحو أو يستيقظ من تأمله، وبفعل ذلك يكون قد أطلق عملية التطور، على كافة المستويات، المادي والعقلي والروحي، بالتتالي و بانتظام. وهكذا بدأ التحرك ويرتقي صعوداً للأعلى.. بدأ كل شيء يتحرك باتجاه الروحانية. أصبحت المادة أقل كثافة.. فقسّت الوحدات إلى الوجود.. بدأت التكتلات تتشكل.. ظهرت الحياة وتجلّت بأشكال أرقى وأرقى.. بدأ العقل يصبح بيناً أكثر وأكثر.. راحت وتيرة الذبذبات ترتفع باستمرار. باختصار، كامل عملية التطور، بكافة مجالاتها ومراحلها وأطوارها، انبثقت وباشرت بالتقدم وفق القوانين الثابتة لعملية "الانسحاب للداخل" (الانطواء). هذه العملية بكل مجرياتها ومراحلها تستغرق دهور ودهور من زمن الإنسان، كل دهر يتألف من ملايين لا تُحصى من السنين، لكن مع ذلك يُعلمنا المنتورون بأن كامل عملية خلق الكون، بما فيها عمليتي "الانطواء" و"التطور"، لا تتجاوز مدتها طرفة عين بالنسبة للـ"كلّ". في نهاية الدورات

للمحدودة من الدهور الزمنية، يسحب "الكلّ" انتباهه.. تأمله وتفكره.. عن الكون، فيكون العمل العظيم قد انتهى.. والكل قد انسحب إلى "الكلّ" الذي انبثق منه أصلاً. لكن يحصل لغز الألغاز.. روح كل نفس ذاتية لا تتدثر أو تزول، بل تتمدد إلى ما لا نهاية.. فيندمج المخلوق مع الخالق. هذا ما صرّح به المتنورون!

إن الشرح السابق حول حالة "التأمل" التي يدخلها "الكلّ"، واليقظة لاحقاً من هذه الحالة، هو طبعاً محاولة المعلمين وصف هذه العملية المطلقة باستخدام مثال محدود قابل للاستيعاب من قبل عقولنا المحدودة. لكن رغم ذلك، يبقى الأمر: ".. كما هو في الأعلى، كذلك في الأسفل.."، الفرق هو في الدرجة فقط. ومع يقظة "الكلّ" من حالة التأمل في الكون، يكفّ الإنسان (مع الزمن) عن التجلّي في المستوى المادي، وينسحب رويداً رويداً نحو الروح الباطنية، التي تمثّل "الأنا الإلهية" بالفعل.

هناك مسألة أخرى ترغب في الحديث عنها في هذا الدرس، وتقرب من كونها انتهاكاً لمجال التنظيرات الميتافيزيقية، رغم أن هدفنا هو مجرد تبين عبثية هكذا تنظيرات. نقصد الإشارة إلى السؤال الذي لا بد من أن يخطر في أذهان كل المفكرين الذين يسعون جاهدين في البحث عن الحقيقة. السؤال هو: "لماذا سعى الكلّ إلى خلق الكون أصلاً؟.."، ويمكن أن يُطرح السؤال بأشكال مختلفة، لكن السؤال السابق يمثّل جوهر هذا الاستعلام.

لقد جاهد البشر بكل ما عندهم للإجابة على هذا السؤال، لكن يبقى الأمر دون إجابة تستحقّ الذكر. تصوّر بعضهم بأن "الكلّ" له ما يكسبه من العملية، لكن هذا سخيف ومنافي للعقل، حيث ماذا هناك ليكسبه "الكلّ" مما لا يحوزه أصلاً؟ البعض الآخر بحث عن الجواب من خلال طرح فكرة أن "الكلّ" تمنى شيئاً لكي يحبه، وآخرون اقترحوا بأنه خلق بدافع الرغبة، أو المتعة، أو لأنه يشعر بالوحدة، أو لإظهار قوته، .. جميعها تفسيرات وأفكار صبيانية تنتمي لعصور الانحطاط الفكري والثقافي الذي غاصت به البشرية مدة طويلة.

هناك آخرون حاولوا تفسير هذا اللغز عبر افتراض أن "الكلّ" وجد نفسه "مُجبراً" على الخلق، لسبب يعود إلى طبيعته الذاتية.. "غريزة الخلق" إذا صحّ التعبير. هذه الفكرة متقدمة على الأفكار الأخرى، لكن نقطة ضعفها تكمن في فكرة أن "الكلّ" أُجبر بدافع ما، داخلي أو خارجي. إذا كان الدافع داخلياً، أي يعود لطبيعته الذاتية، أو غريزة الخلق الكامنة فيه، فبالتالي هذه الدوافع تمثّل المطلق وليس "الكلّ"، ووفقاً لهذا يكون جزء من الفرضية قد سقط. ومع ذلك، "الكلّ" يخلق ويُجلبُ فعلاً، ويبدو أنه وجد نوع من الرضا في فعل ذلك. من الصعب الهروب من استنتاج أنه بدرجة مطلقة معينة لا بد من أن لديه ما يتطابق مع "الطبيعة الذاتية" أو "غريزة الخلق" الكامنة في الإنسان (وفق مبدأ التماثل) مع صفات أخرى متطابقة مثل "الرغبة" و"الإرادة"، التي تكون في حالته مطلقة. فهو لا يمكن أن يتصرّف إلا إذا "أراد" أن يتصرّف، ولا "يريد" أن يتصرّف إلا إذا "رغب" في التصرف، ولا "يرغب" في التصرف إلا إذا كان هناك ما "يرضيه" من ذلك. وكل هذه الأمور تنتمي إلى "طبيعة ذاتية"، ويمكن التسليم بوجودها حسب "قانون التماثل" (بما أن الجزء يتطابق مع الكلّ، فبالتالي ما يتصف به الإنسان من طبيعة ذاتية يتصف به "الكلّ" أيضاً). لكن مع ذلك، نفضل التفكير بصيغة أن "الكلّ" يتصرّف باستقلالية عن أي تأثير، داخلياً كان أم خارجياً. هذه هي الإشكالية التي تقبع في لبّ الصعوبة.. والصعوبة التي تقبع في لبّ الإشكالية.

بشكل صارم، لا يمكن القول بوجود أي "سبب"، أيّاً كان، ليدفع "الكلّ" إلى التصرف، حيث أن "السبب" يتضمّن وجود "علّة"، و"الكلّ" أسمى من مستوى العلة والمعلول، إلا إذا أراد أن يصبح "علّة"، فحينها يباشر المبدأ بعمله. وهكذا كما ترون، المسألة عصيّة عن التفكير بها، كما حالة "الكلّ" الذي هو عصيّ عن المعرفة. كما حالة قولنا بأن "الكلّ" مجرد "موجود".. وبالتالي مجبورون على القول بأن .. الكلّ يتصرّف لأنه يتصرّف..، وفي النهاية، "الكلّ" هو بذاته السبب كله، هو بذاته القانون كلّ، هو بذاته التصرف كله.. ويمكن القول أيضاً، بحق، أن "الكلّ" هو سبب ذاته، قانون ذاته، تصرف ذاته.. ويمكن أيضاً الذهاب أبعد من ذلك، أن "الكلّ"، سببه، تصرفه، قانونه، جميعهم واحد، كلها مجرد أسماء للشيء ذاته. برأي أولئك الذين يقدمون لكم هذه الدروس، الجواب يقبع مكبوتاً في الذات الداخلية للـ"كلّ"، مصحوباً مع سرّ الوجود.

يطال قانون "التمائل"، برأينا، فقط ذلك المظهر من "الكلّ" الذي يمكن القول عنه بأنه مظهر "الصبورية" BECOMING. ما وراء هذا المظهر يكمن مظهر "الكينونة" BEING الذي تضيع فيه القوانين في "القانون"، وكل المبادئ تندمج في "المبدأ".." و"الكلّ"، "المبدأ"، و"الكينونة" متطابقون، هم شيء واحد. فبالتالي، إن التنظيرات الميتافيزيقية في هذه النقطة هي عبثية وغير مجدية. لقد انخرطنا في المسألة هنا فقط لكي نبين أننا ندرك جيداً هذا السؤال، كما ندرك جيداً مدى سخافة الإجابات العادية التي وجدتها كل من الميتافيزيقيا واللاهوت.

في الختام، وباختصار نقول، قد يكون لمصلحة طلابنا معرفة أنه بينما كان بعض المعلمين الهرمزيين، القدامى والعصريين، ميالون إلى اتجاه تطبيق مبدأ "التمائل" لهذا السؤال، مع الخروج باستنتاج يتمثل بـ"الطبيعة الذاتية"، بالرغم من ذلك تقول الأسطورة بأن هرمز العظيم، عندما طُرح عليه هذا السؤال من بعض تلاميذه المتقدمين، أجابهم بإطباق شفثيه على بعضها بقوة دون أن يلفظ أي كلمة، مشيراً بذلك أنه ما من جواب. لكن من ناحية أخرى، ربما أراد من ذلك الإيحاء بإحدى مقررات فلسفته، والقائلة بأنه: ".. شفاه الحكمة تكون مُقفلة دائماً، باستثناء حضور آذان البيئية.."، مؤمناً بأنه حتى أكثر تلاميذه تقدماً لا يتمتعون بالبيئية الكافية التي تؤهلهم لهذا السرّ. في أي حال من الأحوال، إذا كان هرمز يحوز فعلاً على هذا السرّ، امتنع عن الإفصاح به، وبالتالي بالنسبة للعالم، شفاه هرمز مقفولة بخصوص هذا الأمر. وحيث تردد هرمز العظيم في الكلام، أي فان يتجرأ على التعليم؟

لكن، تذكر، أنه مهما كان الجواب لهذه المسألة، إذا كان هناك جواب فعلاً، تبقى الحقيقة أن: ".. بينما الكل موجود في الكلّ، يصحّ أيضاً القول بأن الكلّ موجود في الكلّ...". التعاليم تشدّد على هذه النقطة. ويمكننا إضافة الكلمات الختامية للمعادلة: "..بالنسبة له الذي استوعب جيداً هذه الحقيقة فقد حاز على معرفة عظيمة..".

الفصل الثامن

مستويات التماثل

PLANES OF CORRESPONDENCE

".. كما في الأعلى، كذلك في الأسفل.. كما في الأسفل، كذلك في الأعلى..". — القبيلان

هذا المبدأ الهرمزي الثاني العظيم يجسد حقيقة وجود تناغم، توافق، وتماثل بين المستويات المتعددة من التجلي، الحياة والوجود. هذه الحقيقة هي حقيقة لأن كل ما يشمله الكون ينبثق من نفس المصدر، ونفس القوانين، المبادئ، والخصائص تنطبق على كل وحدة، أو مجموعة وحدات، لنشاط معين، بحيث كل منها تجسد ظاهرتها الخاصة على مستواها الوجودي الخاص.

بهذه تبسيط الأمر فكرياً ودراسياً، تعتبر الفلسفة الهرمزية بأن الكون قد يكون مقسوماً إلى ثلاثة مجموعات من الظواهر، معروفة بالمستويات العظيمة الثلاث، وهي:

١- المستوى المادي العظيم.

٢- المستوى العقلي العظيم.

٣- المستوى الروحي العظيم.

هذه الأقسام هي اصطناعية أكثر أو أقل، وحتى أنها "اعتباطية" إذا صحّ التعبير. فالحقيقة هي أن هذه الأقسام الثلاثة هي مجرد تدرجات تصاعدية في سلم الحياة العظيم. النقطة الأدنى تمثل "المادة" غير المتميزة، والنقطة الأعلى تمثل "الروح". وبالإضافة، هذه المستويات المختلفة تتداخل ببعضها مشكلة ضلال متوسطة، وبالتالي لا يمكن تحديد أي من هذه الأقسام بشكل واضح وجازم بين أعالي الظواهر المادية وأدنى الظواهر العقلية، أو بين أعالي الظواهر العقلية وأدنى الظواهر الروحية.

باختصار، يمكن اعتبار المستويات العظيمة الثلاث بأنها ثلاثة مجموعات عظيمة من درجات تجلّي الحياة. بينما الغاية من هذا الكتاب الصغير لا تسمح لنا بالدخول في نقاش أو تفسير موسّع لموضوع هذه المستويات المختلفة، غير أننا نعتبره من الأفضل تقديم وصف عام للأمر عند هذه النقطة.

في البداية من المناسب النظر في السؤال الذي غالباً ما يطرحه المبتدئ الراغب في معرفة المعنى الحقيقي للكلمة "مستوى" Plane، وهو مصطلح يتم استخدامه بحريّة في كافة الأعمال المتعلقة بالعلوم الباطنية، كما يتم تفسيره بطريقة سطحية وغامضة في معظم الأحيان. يُطرح السؤال عموماً على الشكل التالي: "هل المستوى يمثّل مرتبة أو موقع معيّن له أبعاد، أو أنه مجرد ظرف أو حالة معيّنة؟". الجواب فهو: "لا، هو ليس موقع أو مرتبة، وليس له أبعاد أو مكان محدد، ومع ذلك هو أكثر من كونه ظرف أو حالة. يمكن اعتباره ظرف أو حالة، لكن رغم ذلك، فالظرف أو الحالة يمثلان درجات من بُعد معيّن، في سلّم قابل للقياس..". يا لها من إشكالية متناقضة، أليس كذلك؟ لكن دعونا نتفحص المسألة جيداً. كما تعلمون، البُعد dimension هو عبارة عن "قياس في خط مستقيم له علاقة بالقياس". الأبعاد العادية للمكان space هي الطول، العرض، والارتفاع، أو ربما نضيف إليها عامل الكثافة أو المحيط. لكن هناك بُعد آخر للأشياء المخلوقة، أو قياس في خط مستقيم، معروف جيداً بين التجاوزيين (العلوم الخفية) وكذلك العلماء المنهجين، رغم أن هذه الجهة الأخيرة لم تطبق مفهوم "البُعد" عليها حتى الآن. وبالمناسبة، هذا البُعد الجديد هو ذاته "البُعد الرابع" الذي تسلّط عليه أضواء التنظيرات والمضاربات حالياً، ويمثّل القياس المعياري المُستخدم في تحديد الدرجات أو المستويات.

هذا "البُعد الرابع" يمكن تسميته "بُعد الذبذبة" Dimension of Vibration، وهذه حقيقة معروفة جيداً للعلم الحديث، وكذلك بالنسبة للهرمزيين الذين جسّدوا هذه الحقيقة في مبدأهم الهرمزي الثالث (مبدأ الذبذبة) والقائل: "لا يوجد شيء مستقرّ، كل شيء يتحرّك، كل شيء يتذبذب..". ابتداءً من أعلى مستويات التجلّي حتى أدنى مستوياته، كل شيء يتذبذب، ليس فقط يتذبذب بوتيرات مختلفة من الحركة، بل باتجاهات مختلفة

وبصيغ مختلفة. درجات وتيرة الذبذبة تشمل درجات القياس على سلم الذبذبات. بمعنى آخر، درجات "البعد الرابع". وهذه الدرجات تشكّل ما يسميه التجاوزيون "المستويات". كلما ارتفعت درجة وتيرة الذبذبة، كلما كان "المستوى" أعلى، وكان تجلّي الحياة في هذا المستوى أرفع وأنقى. فبالتالي، مع أن "المستوى" ليس "مكان" أو موقع، ولا "حالة" أو ظرف، لكنه رغم ذلك يبقى حائزاً على خواص مشتركة مألوفة للثنتين معاً. لدينا الكثير لنقول به خصوص موضوع سلم الذبذبات في الدروس القادمة، خصوصاً خلال تناول مبدأ "الذبذبة" الهرمزي.

من ناحية ثانية، يُرجى التذكّر بأن المستويات العظيمة الثلاث لا تمثّل أقسام فعلية لظاهرة الكون، بل هي مجرد مصطلحات اعتباطية يستخدمها الهرمزيون لتساعد على إيجاد منهجية مبسّطة وسهلة للتفكير والدراسة المتناولة للدرجات والأشكال المختلفة للحياة الكونية وفعاليتها. إن ذرّة المادة، وحدة القوة، عقل الإنسان، كينونة سيّد الملائكة.. جميعهم مجرد درجات متفاوتة لسلم قياس واحد. جميعهم متماثلون جوهرياً، لكن الفرق يكمن في تفاوت درجة وتيرة الذبذبة. الكل خليفة "الكل"، ولهم وجودهم ضمن نطاق عقل "الكل".

قسّم الهرمزيون كل من هذه المستويات العظيمة الثلاث إلى سبعة مستويات فرعية صغيرة، وكل من هذه الأخيرة قُسمت أيضاً إلى سبعة مستويات فرعية أصغر، وكل هذه التقسيمات الفرعية هي اعتباطية أكثر أو أقل، متداخلة ببعضها، وتم تبنيها فقط من أجل تبسيط منهجية التفكير والدراسة.

المستوى "المادي" العظيم، ومستوياته الفرعية السبعة، يمثّل قسم من ظاهرة الكون، ويشمل كل ما له علاقة بالفيزياء، أو الأشياء المادية، القوى، والتجليات. إنه يشمل كل أشكال ما نسميها "مادة"، وكل أشكال ما نسميها "طاقة" أو "قوة". لكن يجب أن نتذكّر بأن الفلسفة الهرمزية لا تعتبر "المادة" بأنها تمثّل شيء قائم بذاته، أو لها وجود منفصل بذاته حتى في عقل "الكل". تقول التعاليم بأن "المادة" هي ليست سوى شكل من "الطاقة".. أي بمعنى آخر، طاقة تتذبذب بوتيرة منخفضة ومن نوع معيّن. ووفقاً لذلك،

يصنّف الهرمزيون المادة في خانة الطاقة، وتمنحها ثلاثة فقط من المستويات الصغيرة السبعة المنفرعة من المستوى "المادي" العظيم.

هذه المستويات الصغيرة السبعة للعالم المادي هي التالية:

- ١- مستوى المادة [أ]
- ٢- مستوى المادة [ب]
- ٣- مستوى المادة [ج]
- ٤- مستوى المادة الأثيرية
- ٥- مستوى الطاقة [أ]
- ٦- مستوى الطاقة [ب]
- ٧- مستوى الطاقة [ج]

مستوى المادة [أ] يشمل كافة أشكال المادة بهيئتها الصلبة، السائلة، والغازية، كما هو معروف عموماً في كتب الفيزياء المدرسية. مستوى المادة [ب] يشمل أشكال أعلى بدرجة معينة وأكثر رهاقة من المادة، وبدأ العلم توأً يعترف بوجود هذا النوع من المادة في الوجود، مثل ظاهرة المادة المشعة Radiant Matter بصيغة ما أصبحنا نعرفه بالراديووم.. إلى آخره، والذي ينتمي للفرع الثانوي الأدنى من هذا الفرع الأصغر. مستوى المادة [ج] يشمل أشكال أكثر رهاقة من المادة الطفيفة، ووجودها ليس متوقفاً بعد من قبل رجال العلم المنهجي. مستوى المادة الأثيرية يشمل ذلك المحتوى الذي يشير إليه العلم بـ"الأثير" Aether، وهو محتوى شديد الرهاقة والطواعية، ومنتشر في كل مكان في الفضاء الكوني، ويعمل كوسيط لانتقال موجات الطاقة، مثل الضوء، الحرارة، الكهرباء، .. إلى آخره. هذا المحتوى الأثيري يشكّل صلة الوصل بين ما نسميه "المادة" وبين "الطاقة"، ويشترك في طبيعة الاثنتين. لكن التعاليم الهرمزية، على أي حال، تعلم بأن هذا المستوى له سبعة فروع ثانوية (كما باقي المستويات الفرعية الأخرى)، وفي الحقيقة هناك سبعة أنواع من "الأثير" بدلاً من نوع واحد.

يعد مستوى المادة الأثيرية مباشرة يأتي مستوى الطاقة [أ] الذي يشمل أشكال الطاقة العادية التي يألفها العلم، وفروعه الثانوية تشمل كل من الحرارة، الضوء، المغناطيسية، الكهرباء، التجاذب (بما فيه الجاذبية، التماسك، الموالفة الكيماوية.. إلى آخره)، وأشكال أخرى عديدة من الطاقة أشارت إليها التجارب المخبرية لكنها لم تُصنّف بعد أو تكسب مصطلح خاص بها. مستوى الطاقة [ب] يشمل سبعة فروع ثانوية لأشكال أعلى من الطاقة التي لم يكتشفها العلم بعد، لكن أشير إليها بالقوى الطبيعية المرهفة، والتي لها دور أساسي في تجلّي أشكال معيّنة من الظواهر العقلية، حيث في غيابها لن تعد هذه الظواهر ممكنة. مستوى الطاقة [ج] يشمل سبعة فروع ثانوية من الطاقة المنظّمة بشكل فائق بحيث يجعلها تتمتع بالكثير من الخصائص "الحيوية"، لكنها غير مُدركة من عقول البشر القابعين في المستوى العادي من النمو. هذه الطاقة قابلة للاستخدام تجاه كائنات المستوى الروحي فحسب. هذه الطاقة لا تخطر في بال الإنسان العادي مما يجعله عاجزاً عن تصوّرها أصلاً. يمكن اعتبارها تقريباً "القوة الإلهية"، والكائنات التي تستخدم طاقات مشابهة لها تُعتبر "آلهة" بالمقارنة حتى مع أرقى أنواع البشر المعروفة لدينا.

المستوى "العقلي" العظيم يشمل تلك الأشكال من "الأشياء الحيّة" المعروفة لدينا في حياتنا العادية، بالإضافة إلى أشكال معيّنة غير معروفة جيداً سوى بالنسبة للتجاوزيين والعاملين بالعلوم الخفية. إن طريقة تصنيف المستويات الفرعية السبعة هي أكثر أو أقل اعتباطية أو مُرضية (إلا إذا ترافقت مع شروحات تفصيلية تُعتبر خارجة عن سياق الغاية الفعلية من هذا الكتاب الصغير)، لكن مع ذلك سوف نذكرها هنا، وهي التالية:

- ١- مستوى عقل المعادن
- ٢- مستوى عقل العناصر [أ]
- ٣- مستوى عقل النباتات
- ٤- مستوى عقل العناصر [ب]
- ٥- مستوى عقل الحيوان
- ٦- مستوى عقل العناصر [ج]

٧- مستوى عقل الإنسان

مستوى عقل المعادن يشمل "حالات أو أوضاع" الوحدات أو الكيانات أو المجموعات والمركبات المتشابهة التي تحيي أشكال المادة المعروفة لدينا بـ"المعادن"، "الكيمواويات"، .. إلى آخره. وجب عدم خلط هذه الكيانات بالجزيئات، الذرات، والجسيمات، حيث هذه الأخيرة هي أجسام مادية أو هيئات متجلية جسدياً لتلك الكيانات، كما حالة جسم الإنسان الذي يمثّل هيئته المادية ولا يمثّل ذاته الفعلية. يمكن تسمية هذه الكيانات بـ"النفوس" (جمع "نفس") بمعنى ما، حيث هي كائنات حيّة قائمة بذاتها لكنها من درجة متدنية من التطور، الحياة، والعقل. أي أكثر بقليل من وحدات "الطاقة الحيّة" التي تشمل المستويات الفرعية العليا من المستوى المادي العام. عقل الإنسان العادي لا يتقبل عموماً وجود عقل، نفس، أو حياة لمملكة المعادن، لكن كل التجاوزيين والعاملين في العلوم الخفية يسلّمون بهذه الحقيقة، وحتى العلم العصري بدأ يتوجه بسرعة نحو وجهة النظر الهرمزية بهذا الخصوص. لقد أظهرت الجزيئات، الذرات والجسيمات بأن لها "بُغض وحب"، "انجذاب ونفور"، "ألفة وانعزال"، .. إلى آخره، وبعض العقول العلمية العصرية الجريئة عبّرت عن رأيها الصريح حول هذه النزعات والميول التي أبدتها الذرات والجسيمات وأقروا بأنها تشبه تلك العائدة للإنسان مع اختلاف في الدرجة والمستوى. ليس لدينا الوقت الكافي لمجادلة هذه المسألة هنا، لكن كل التجاوزيين يعلمون بأنها حقيقة ثابتة، وبعضهم بدأ يستعين بتجارب علمية حديثة كمرجع رسمي يثبت هذه الحقيقة. مع العلم بأن هذا المستوى الفرعي له سبعة فروع ثانوية أيضاً.

مستوى عقل العناصر [أ] يشمل حالة والوضع ودرجة التطور العقلي والحيوي لاصنف من الكيانات المجهولة بالنسبة للإنسان العادي، لكنها معروفة عند التجاوزيين. إنها خفية أمام الحواس العادية للإنسان، لكن مع ذلك، هي موجودة وتلعب دورها في مسرحية الكون. درجة ذكائها هي بين مستوى كيانات المعادن والكيمواويات، وبين الكيانات التابعة لمملكة النبات. وهذا المستوى الفرعي له سبعة فروع ثانوية أيضاً.

مستوى عقل النبات، بمستوياته الفرعية السبعة، يشمل حالات وأوضاع الكيانات المنتمية لعالم النبات، الظواهر الحيوية والعقلية التي هي معروفة جيداً لدى الأشخاص العاديين. لقد تم نشر الكثير من الأعمال العلمية المثيرة مؤخراً حول "عقول النباتات وحياتها الذكية". إن للنباتات حيواتها، عقولها، ونفوسها الخاصة أيضاً، كما الحال مع الحيوانات، البشر.

مستوى عقل العناصر [ب]، بمستوياته الفرعية السبعة، يشمل حالات وأوضاع أشكال أعلى من الكيانات أو "العناصر" غير المرئية، والتي تلعب دورها في المجريات العامة للكون. دورها الحيوي والعقلي يحتل قسم السلم الواقع بين مستوى عقل النبات ومستوى عقل الحيوان، فتشترك كيانات هذا المستوى في تكوين طبيعتهما معاً.

مستوى عقل الحيوان، بمستوياته الفرعية السبعة، يشمل حالات وأوضاع الكيانات، الكائنات، أو النفوس، التي تحيي وتحرك الأشكال الحيوانية التي نألفها جميعاً. ليس ضرورياً الدخول في التفاصيل المتعلقة بهذه المملكة أو هذا المستوى، حيث أن عالم الحيوان مألوف بالنسبة لنا بنفس الدرجة التي نألف بها عالمنا.

مستوى عقل العناصر [ج]، بمستوياته الفرعية السبعة، يشمل حالات وأوضاع كيانات أو كائنات خفية، كما حالة كينونات العناصر جميعاً، لكنها تلعب دوراً في طبيعة حياة الحيوان والإنسان معاً بدرجة معينة ووفق تركيبات معينة. الأشكال الأعلى في هذا المستوى هي قريبة جداً من ذكاء الإنسان، أي بمعنى آخر، ذكائها هو شبه إنساني.

مستوى عقل الإنسان، بمستوياته الفرعية السبعة، يشمل تلك التجليات من الحياة والعقلية التي نألفها عن الإنسان بكل درجاته ومرتباته وفئاته المختلفة. بهذا الخصوص، نود الإشارة إلى حقيقة أن الإنسان المتوسط اليوم يحتل الفئة الفرعية الرابعة فحسب من مستوى عقل الإنسان، و فقط الأكثر ذكاء تجاوزوا حدود الفئة الخامسة. لقد استغرق العرق البشري ملايين السنين للوصول إلى هذه المرتبة، وسوف يتطلب الأمر سنوات كثيرة جداً لينتقل العرق إلى المستويين السادس والسابع، وما

بعدهما. لكن تذكر بأن هناك أعراق كثيرة غيرنا مرّوا بنفس المرتبات التي نمرّ بها قبل ارتقاءهم إلى مستويات أعلى في سلّم الوجود. عرقنا هو العرق الخامس (مع بقايا تائهة من الرابع) الذي يخطو هذا الدرب. مع أن هناك القليل من النفوس المتقدمة من عرقنا الذين تقدموا على الجموع وتجاوزوا الحدود إلى المستويين السادس والسابع، وبعض منهم تقدم أبعد من ذلك. الإنسان التابع للفئة السادسة هو "الإنسان الخارق" Super-Man، أما التابع للسابعة فهو "الإنسان الفائق" The Over-Man.

خلال تناولنا للمستويات العقلية الفرعية السبعة، أشرنا إلى مستويات عقل العناصر الثلاثة بطريقة عابرة. لم نرغب في الخوض بتفاصيل الموضوع في هذا الكتاب لأنه لا ينتمي إلى هذا الجزء من الفلسفة والتعاليم العامة. لكن بهدف توضيح الفكرة، يمكننا قول المزيد عن العلاقات التي تربط هذه المستويات بالمستويات العقلية الأخرى. إن العلاقة التي تربط مستويات عقل العناصر الثلاثة مع مستويات عقل المعادن، النبات، الحيوان، والإنسان تشبه تماماً العلاقة التي تربط المفاتيح السوداء في البيانو مع المفاتيح البيضاء. المفاتيح البيضاء كافية لأن تصنع الموسيقى، لكن هناك درجات، ألحان، وإيقاعات معينة تتطلب حضور المفاتيح السوداء لتتم بنجاح. كما أن مستويات عقل العناصر ضرورية بصفاتها صلات وصل بين "النفوس" و"الكيانات"، .. إلى آخره.. في المستويات العديدة الأخرى، مما تساهم في إحراز أشكال معينة من النمو، التطور، والنشاط. هذه الحقيقة الأخيرة تمنح القارئ الذي يستطيع "القراءة بين السطور" ضوء جديد على عملية التطور، ومفتاح جديد للباب السري لـ"وثبات الحياة" بين مملكة ومملكة. إن ممالك العناصر العظيمة معروفة جيداً لدى التجاوزيين، والكتابات الإيزوتيرية مليئة بذكرها. الذين قرؤوا قصة "سانوني" Sanoni للكاتب "بولوير" Bulwer، وغيرها من قصص مشابهة سوف يتعرف على طبيعة الكيانات التي تسكن تلك المستويات من الحياة.

مروراً من المستوى "العقلي" العظيم إلى المستوى "الروحي" العظيم، ماذا يمكننا أن نقول؟ كيف سنتمكن من تفسير هذه الحالات العليا من الوجود، الحياة والعقل، لعقول لازلت غير قادرة على فهم واستيعاب الفئات الفرعية العليا من مستوى عقل الإنسان؟

المهمة مستحيلة. لا نستطيع الكلام إلا بصيغة عامة فحسب. كيف يمكن وصف الضوء لشخص وُلد أعمى.. السكر لشخص لم يذق أي شيء حلو.. والإيقاع لمن وُلد أصمّ؟

كل ما نستطيع قوله هو أن المستويات الفرعية الصغرى للمستوى الروحي العظيم (وكل مستوى فرعي له فئاته الفرعية الخاصة) تشمل كائنات تحوز على حياة، عقل وشكل أرفع بكثير مما يحوزه إنسان اليوم، وتفصل بينهما نفس المسافة التي تفصل الإنسان عن دودة الأرض، أو عالم المعادن، أو حتى أشكال معينة من الطاقة أو المادة. إن حياة هذه الكائنات تتجاوز حياتنا بأشواط، لدرجة أننا نعجز عن التفكير بأي من التفاصيل التي توصف طبيعتها. عقولها تتجاوز عقولنا، حيث بالنسبة لها نادراً ما يبدو أننا نفكر، وإجراءاتنا الذهنية تبدو بالنسبة لها كجمود المادة بالنسبة لنا. المحتوى الذي تتألف منه ينتمي لمستويات عليا من المادة، لا، يُقال بأنها تتألف من طاقة نقية. ماذا يمكن القول عن هكذا كائنات؟

في المستويات الفرعية السبعة للمستوى الروحي العظيم يوجد كائنات تشير إليها رمزياً بالملائكة، أسياد الملائكة، أنصاف آلهة. في المستويات الفرعية الدنيا تقع تلك النفوس العظيمة التي تشير إليها رمزياً بالآسياد والخبراء المتمرسين. أعلاهم بمرتبة تأتي السلسلة التراتبية العظمى لحشود الملائكة، وهي تتجاوز مستوى تفكير الإنسان. وفقها يأتي أولئك الذين نسميهم "آلهة"، ومرتبتهم عالية جداً في سلم الوجود بحيث كينونتهم، ذكائهم وقوتهم مماثلة لتلك التي تعرفها الأعراف البشرية في تصوراتها لآلهتها. هذه الكائنات تتجاوز أبعد الحدود التي يمكن لجموح الخيال البشري إدراكه، والكلمة "إلهي" Divine هي الوحيدة الملائمة لوصفهم. عدد كبير من هذه الكائنات، وكذلك حشود الملائكة، تهتم بشؤون الكون وتلعب دوراً مهماً بمجرياته المختلفة. هذه الكائنات الإلهية والملائكة المساعدة تبسط تأثيرها بحرية وبقوة في عملية التطور والتقدم الكوني بشكل عام. إن تدخلاتهم ومساندتهم في الشؤون البشرية من حين لآخر أدت إلى ظهور الأساطير، المعتقدات، الأديان والتقاليد المختلفة، في الماضي

والحاضر. لقد تراكمت معرفتهم وقوتهم على العالم، مرّة بعد مرّة، لكن وفقاً لقانون "الكلّ" طبعاً.

لكن مع ذلك، حتى أسمى هذه الكائنات المتقدمة موجودة كخلائق من قبل، وفي، عقل "الكلّ"، وبالتالي هي تخضع للمجريات الكونية والقوانين الكونية. كما أنها تبقى كائنات فانية. يمكننا تسميتها "آلهة" إذا شئنا، لكنها تبقى الأخوة الكبار للعرق البشري، النفوس المتقدمة التي سبقت أخوانها، والتي سبقت موعد نشوء الاندماج مع "الكلّ"، بهدف مساعدة العرق في رحلته التصاعديّة على طول الدرب. لكن هي تنتمي في النهاية للكون، وبالتالي تخضع لشروطه.. هي فانية.. ومستواها يقبع تحت مستوى الروح المطلقة.

فقط الهرمزيون الأكثر تقدماً يستطيعون فهم التعاليم الباطنية المتعلقة بطبيعة الوجود والقوى المتجلية في المستويات الروحية. هذه الظواهر أعلى بكثير من تلك الموجودة في المستوى العقلي لدرجة قد تؤدي إلى حصول خلط وفوضى في الأفكار خلال عملية وصفها. فقط أولئك الذين تم تدريب عقولهم بحذر وفق خطوط الفلسفة الهرمزية، ولسنوات طويلة.. نعم، أولئك الذين جلبوا معهم، خلال تقمصهم عبر أجيال متتالية، المعرفة المكتسبة مسبقاً.. يستطيعون استيعاب ما تعنيه التعاليم بخصوص هذه المستويات الروحية. ومعظم هذه التعاليم الباطنية تُعتبر لدى الهرمزيين مقدسة جداً، مهمة جداً، وحتى خطيرة جداً للنشر بين عموم الناس. يستطيع الطالب الذكي أن يدرك ما نقصده عندما نقول بأن معنى "الروح" بالصيغة التي يستخدمها الهرمزيون هو أقرب من كونها "قوة حيّة"، "طاقة حيوية"، "جوهر باطني"، "جوهر الحياة"،.. إلى آخره. وبالتالي وجب عدم مزج هذا المعنى مع ذلك الذي يُستخدم عموماً بكل ما له صلة بالمفاهيم الدينية، الروحانية، إكليريكية، مقدسة،.. إلى آخره. بالنسبة للتجاوزيين، تُستخدم الكلمة "روح" بمعنى له صلة بـ"المبدأ الحيوي"، حاملاً معه فكرة "القوة"، "الطاقة الحيّة"، "القوة الخفية"،.. إلى آخره. والتجاوزيون يعلمون جيداً بأن هذا الشيء الذي يعرفونه بـ"القوة الروحية" قابلة لأن تُستخدم لغايات شريرة أيضاً وليس فقط الخيرة (وفقاً لمبدأ القطبية)، وهذه حقيقة معروفة في كافة الأديان، والتي عبروا عنها

بمفاهيمهم وتصوراتهم المختلفة مثل: الشيطان، بيلزيوبوب، إبليس، الملائكة الساقطة.. إلى آخره. فبالتالي، أبقى على المعرفة المتعلقة بهذه المستويات مخفية تحت غطاء "أقدس الأقداس" في كافة المحافل الأخوية الإيزوتيرية والسحرية.. في الحجرة السريّة للمعبد. لكن من المناسب القول عند هذه النقطة بأن أولئك الذين أحرزوا قوى روحية عالية وأسأوا استخدامها، فليتنكروا، هناك مصير رهيب بانتظارهم، وتأرجح بندول الإيقاع سوف يعود إليهم في النهاية ويرميهم إلى أقصى وأدنى الوجود المادي، مما يضطرهم إلى بدء رحلة صعودهم نحو الروحانية (الاقتراب من "الكل") من نقطة البداية، مارين على كل العقبات التي تقبع في الدرب، مع المزيد من العذاب الإضافي، خصوصاً عذاب التأنيب الذي يرافقهم بسبب بقاءهم محافظين على ذاكرتهم عن شروهم السابقة والمستويات الراقية التي كانوا ينعمون بها قبل سقوطهم إلى أسفل السافلين. إن لقصة "الملائكة الساقطة" رمزية كبيرة بالنسبة للتجاوزيين المتقدمين. إن الكفاح للحوزة على القوة الأنانية في المستويات الروحية يؤدي حتماً إلى فقدان النفس الأنانية لتوازنها الروحي ومن ثم السقوط إلى القاع، مما يجعلها مضطرة إلى التسلّق من جديد، حيث تُمنح فرصة لفعل ذلك، لكن رحلة العودة هذه تجبرها على دفع غرامة فظيعة مليئة بالآلام، وكل ذلك وفق أصول القانون الراسخ.

في النهاية نود تذكيركم مرّة أخرى بأنه وفقاً لمبدأ "التمائل"، الذي يجسّد الحقيقة: "كما في الأعلى كذلك في الأسفل، والعكس بالعكس"، كافة المبادئ الهرمزية السبعة تعمل بكامل قوتها على كافة المستويات، المادية والعقلية والروحية. ومبدأ "المحتوى العقلي" ينطبق طبعاً على كل المستويات، حيث الكل يقبع في عقل "الكل". مبدأ "التمائل" يتجلى في الكل، حيث هناك تطابق، تناغم وتوافق بين المستويات المتعددة للوجود. مبدأ "الذبذبة" يتجلى في كل المستويات أيضاً، وفي الحقيقة الاختلاف الوحيد الذي يفصل المستويات يبرز من عامل الذبذبة، كما أسلفنا سابقاً. وكذلك مبدأ "القطبية" يتجلى على كافة المستويات، نهايات الأقطاب المتعكسة تُظهر حالات معاكسة ومتناقضة. مبدأ "الإيقاع" يتجلى في كل من هذه المستويات أيضاً، حيث حركة الظواهر التصاعديّة والتنازليّة، مدها وجزرها، قادمة وذهابية، في كل مستوى. مبدأ "العلة والمعلول" متجلية في كل من هذه المستويات، حيث كل تأثير له سببه وكل سبب له تأثيره. كما

أن مبدأ "الجندر" يتجلى في كل مستوى، الطاقة الخلافة موجودة دائماً، وتعمل وفق خطوط مظهرها الذكوري والأنثوي.

"كما في الأعلى كذلك الحال في الأسفل.. كما في الأسفل، كذلك الحال في الأعلى"، هذه الحكمة الهرمزية العريقة تجسّد أحد أعظم المبادئ في الظاهرة الكونية. خلال تقدمنا في تناول المبادئ الهرمية الأخرى، سوف يزداد وضوح رؤيتنا لحقيقة الطبيعة الكونية لهذا المبدأ العظيم: "التماثل".

الفصل التاسع

الذبذبة

VIBRATION

".. لا يوجد شيء مستقرّ، كل شيء يتحرّك، كل شيء يتذبذب.." — القبيلان

المبدأ الهرمزي الثالث العظيم.. مبدأ "الذبذبة".. يجسد حقيقة أن الحركة متجلية في كل شيء في الكون، لا يوجد شيء مستقرّ.. كل شيء يتحرّك، يتذبذب، ويدور. لقد تم اعتماد هذا المبدأ الهرمزي من قبل أحد الفلاسفة الإغريق القدامى فأدخلوه إلى منظومتهم الفلسفية. لكن بعدها، فُقد لمدّة قرون عديدة من ذاكرة المفكرين الخارجين من الصفوف الهرمزية. لكن في القرن التاسع عشر أعاد علم الفيزياء اكتشاف الحقيقة وساهمت الاكتشافات العلمية في القرن العشرين في إثبات صحّة هذه العقيدة الهرمزية العريقة فازدهرت من جديد وساهمت في إيجاد آفاق علمية جديدة لم تكن في الحسبان.

تقول التعاليم الهرمزية بأنه ليس فقط كل شيء في حالة تذبذب وحركة مستمرّين، بل أن الفرق بين التجليات المختلفة في القوة الكونية يعود سببها كلياً إلى تفاوت معدل ووتيرة الذبذبات. ليس هذا فحسب، بل حتى أن "الكلّ"، بذاته، يُظهر ذبذبة مستمرة بدرجة مطلقة من الكثافة والحركة الخاطفة بحيث نظنها عملياً بأنها مستقرّة لا تتحرّك. وغالباً ما نرى كيف معلمو المدارس اليوم يلفتون انتباه الطلاب إلى حقيقة أنه حتى في المستوى المادي يمكن لغرض يدور بسرعة خاطفة (مثل العجلة الدوارة) أن يبدو ثابتاً غير متحرّك.

فحوى التعاليم هو أن "الروح" تقبع في نهاية سلّم الذبذبة ممثلة القطب العلوي، بينما القطب السفلي من السلّم يمثله أكثر أشكال المادة كثافة. وبين هذين القطبين نجد الملايين والملايين من معدلات ووتائر الذبذبة المختلفة.

لقد أثبت العلم الحديث بأن كل ما نسميه "مادة" و"طاقة" هو مجرد "صيغ مختلفة من الحركة الذبذبية"، وبعض أكثر العلماء تقدماً يتوجهون بسرعة نحو المواقف التي يتخذها التجاوزيون، حيث القناعة بأن ظواهر "العقل" هي أيضاً مجرد صيغ مختلفة من الحركة الذبذبية. دعونا نرى ما للعلم قوله بخصوص مسألة الذبذبات في كل من المادة والطاقة.

في المقام الأول، يعلم العلم بأن المادة تُظهر، بدرجة معينة، ذبذبات ناتجة من حرارتها الخاصة. حتى لو كان الغرض ساخناً أو بارداً.. كل من الحالتين تمثل درجة معينة من الشيء نفسه.. فهو يطلق ذبذبات حرارية معينة. وبهذا المعنى، لا بد من أن هذا الغرض، رغم أنه يظهر عكس ذلك، هو في حالة حركة أو ذبذبة بصيغة معينة. كل الجسيمات التي تؤلف المادة هي في حالة حركة دائرية مستمرة. هذه الحركة الدائرية متجلية ابتداءً من الجسيمات الدقيقة وصولاً إلى الكواكب والشموس والمجرات. الكواكب تدور حول الشمس، والكثير منها يدور حول محوره أيضاً. حتى الشموس، مع كامل أنظمتها، تدور حول نقاط مركزية في المجرات. وهذه الأخيرة أيضاً يُعتقد بأنها تدور حول منطقة كونية مركزية.. وهكذا إلى لا نهاية. إن الجزئيات التي تتألف منها أنواع معينة من المادة هي في حالة مستمرة من الذبذبة والحركة بعضها وضد بعضها. الجزئيات مؤلفة من ذرات، وهي أيضاً في حالة مستمرة من الذبذبة والحركة. الذرات مؤلفة من جسيمات تُسمى أحياناً إلكترونات أو أيونات.. إلى آخره، والتي هي أيضاً في حالة حركة سريعة جداً، تدور حول بعضها البعض، وتجسد حالة خاطفة جداً من الذبذبة. وهكذا نرى بأن كل أشكال المادة تظهر حالة ذبذبة، وفقاً لمبدأ "الذبذبة" الهرمزي.

الحال ذاته ينطبق على الأنواع المختلفة من الطاقة. يقول العلم بأن الضوء، الحرارة، المغناطيسية والكهرباء هي عبارة عن أشكال مختلفة من الحركة الذبذبية المتصلة بطريقة ما مع، أو منبعثة من الأثير. العلم لم يحاول حتى الآن تفسير طبيعة الظاهرة المعروفة بـ"التحام" الممتلئة لمبدأ الانجذاب الجزيئي، ولا ظاهرة المصاهرة الكيماوية الممتلئة لمبدأ الانجذاب الذري، ولا ظاهرة الجاذبية (الأكثر غموضاً بين الظواهر

الثلاثة) الممتلئة لمبدأ التجاذب بحيث كل جزيء أو كتلة مادية تنتج نحو جزيء أو كتلة مادية أخرى. هذه الأشكال الثلاثة من الطاقة لم تُفهم بعد لدى العلم، لكن الباحثون يميلون في آراءهم نحو اعتبارها تجليات لأشكال معيّنة من الطاقة الذبذبية، وهي حقيقة كانت معروفة ويتم تعليمها لدى الهرمزيين من عصور قديمة.

الأثير الكوني، الذي سلّم به العلم لكن دون فهم طبيعته الحقيقية بشكل صحيح، يُعتبر لدى الهرمزيين بأنه من التجليات العالية لما نسميه مادة، أي بمعنى آخر، مادة ذات درجة عالية من الذبذبة، ولهذا يسمونها "المادة الأثيرية" *Ethereal Substance*. يعلم الهرمزيون بأن هذه المادة الأثيرية هي ذات رقة ومرونة هائلتين، وتنتشر في كل أنحاء الكون، بحيث تخدم كوسيط لانتقال موجات الطاقة المتذبذبة، مثل الحرارة، الضوء، الكهرباء، المغناطيسية.. إلى آخره. تقول التعاليم بأن المادة الأثيرية هي صلة الوصل بين أشكال الطاقة المتذبذبة التي نعرفها بـ"المادة"، وبين "الطاقة أو القوة". كما أنها تجسد درجة من الذبذبة الخاصة بها وبمعدل ووتيرة معيّنة.

قدم العلماء أمثلة توضيحية كثيرة لشرح هذه الحالة التذبذبية للمادة، وأشهر تلك الأمثلة هي حركة الدوران السريع للعجلة، البلبل، أو الاسطوانة، وهي تساهم فعلياً في توضيح التأثيرات الناتجة من تزايد معدل الذبذبة. يفترض المثال وجود عجلة أو بلبل أو اسطوانة تدور بمعدل منخفض من السرعة. سوف نسمي هذا الشيء الذي يدور بـ"الجسم الدوار" لسهولة الشرح. لنفترض بأن هذا الجسم يدور ببطء. يمكن رؤيته بسهولة، لكنه لا يصدر أي صوت تستشعره الأذن. يتم بعدها زيادة سرعة الدوران تدريجياً. وخلال لحظات تصبح السرعة خاطفة جداً بحيث يمكن سماع صوت هدير أو نغمة معيّنة منخفضة. وبعد زيادة السرعة أكثر ترتفع نغمة الصوت في السلم الموسيقي. ثم، مع زيادة السرعة أكثر، تصبح نغمة الصوت أعلى وأعلى. مع زيادة السرعة تدريجياً، يكون الجسم الدوار قد أصدر أصوات كافة نغمات السلم الموسيقي. وأخيراً، بعد وصول الجسم إلى معدل معيّن من السرعة العالية، يكون الصوت الذي كان يصدره قد اختفى تماماً. لم يعد بالإمكان سماع أي صوت من الجسم الدوار، حيث الأذن البشرية لا تستطيع استشعار ذبذبات الصوت الخفي الصادر من الجسم الدوار

لأن وتيرة الذبذبة أصبحت عالية جداً. بعدها يأتي دور الحرارة التي يبدأ الفرد استشعارها. ثم بعدها بلحظات، مع تسارع دوران الجسم، تستطيع عين الفرد رؤية لون هذا الجسم يتحول إلى لون أحمر قاتم وباهت. بعدها بقليل، مع ازدياد السرعة، يصبح اللون أكثر سطوعاً. وبعدها، مع ازدياد السرعة أكثر، يذوب الأحمر إلى لون برتقالي. ثم يذوب بعدها البرتقالي إلى أصفر. ثم تبدأ الألوان تتغير بالتسلسل مع تزايد السرعة، من أصفر إلى أخضر إلى نيلي وأخيراً إلى بنفسجي. ثم بعدها، يزول اللون البنفسجي تدريجياً إلى أن تختفي الألوان تماماً من مجال البصر. لكن مع ذلك يبقى هناك أشعة غير مرئية تتبعث من الجسم الدوار، وهي الأشعة المستخدمة في التصوير الإشعاعي وغيرها من أشعة ضوئية خفية. ثم تبدأ بالظهور أشعة من نوع آخر والمعروفة بأشعة X، .. إلى آخره، مع تغير بنية الجسم الدوار بسرعة متزايدة. ثم بعدها، إذا وصل الدوران إلى معدل معين مناسب لإحداث وتيرة ذبذبات محددة، يمكن أن تتبعث حينها طاقة كهربائية وحتى مغناطيسية من الجسم الدوار.

إذا استمرّ الجسم بدورانه المتسارع، سوف يصل إلى معدل معين من وتيرة الذبذبة تؤدي إلى تفكيك جزيئاته ومن ثم تتحلل إلى عناصرها الذرية الأولية. ثم تنفصل الذرات إلى جسيمات مُبعثرة. وأخيراً، حتى الجسيمات تختفي، وحينها يمكن القول بأن الجسم أصبح يتألف من مادة أثيرية صرفة. العلم لا يتجرأ متابعة المراحل المتبقية من هذا المثال، لكن الهرميون يعلمون بأنه إذا استمرت وتيرة الذبذبة بالتصاعد التدريجي سوف يرتقي الجسم الدوار إلى مستويات أعلى من التجلي وبالتالي سوف يظهر المرتبات العقلية المختلفة، ثم يدخل الحيز الروحي، وهكذا إلى أن يندمج أخيراً مع "الكل"، الذي هو الروح المطلقة. طبعاً، الجسم الدوار سوف يتوقف عن كونه جسم أصلاً قبل دخوله مرحلة المادة الأثيرية. لكن إذا افترضنا بأنه استمرّ بالدوران بعد هذه المرحلة، فسوف يرتقي إلى الحيز العقلي والروحي حتماً، وهذا تناغماً مع وتيرة الذبذبة المناسبة لتحقيق ذلك.

وجب العلم بأنه، في المثال التوضيحي السابق، في المراحل التي يطلق فيها الجسم الدوار ذبذبات الضوء والحرارة وغيرها، فهو لم يتحول إلى هذه الأشكال من الطاقة

(التي هي أعلى بكثير في سلم الذبذبة) بل ببساطة وصل دورانه لمرحلة ولدت ذبذبات تمكنت من تحرير هذه الأشكال من الطاقة، بدرجة معينة، من التأثيرات المقيدة للجزيئات، الذرات، والجسيمات التي يتألف منها الجسم. وهذه الأشكال من الطاقة، رغم أن مرتبتها في سلم الذبذبة هي أعلى بكثير من مرتبة المادة، إلا أنها محبوسة أو مربوطة في تركيبية المادة، بفعل طاقات وقوى تتجلى عبر المادة وتجسد تأثيرها عبر أشكال مادية لكنها تصبح متشابكة مع هذه الأشكال التي تخلقها. وهذه حقيقة تنطبق بدرجة معينة على كل التجسيديات المادية الأخرى، بحيث تصبح القوة الخالقة منخرطة فعلياً بخليقتها. لكن التعاليم الهرمزية تذهب أبعد من العلم المنهجي بهذا الخصوص. تعلم بأن كل تجليات الفكر، العاطفة، الدافع، الإرادة، الرغبة، أو أي نزعة أو حالة عقلية أخرى، هي مصحوبة بذبذبات.. ويمكن إطلاقها بحيث تستطيع التأثير على عقول الآخرين بواسطة مبدأ "التحريض" (مفهوم كهربائي). هذا هو المبدأ الذي ينتج ظاهرة التخاطر، التأثير العقلي، أو غيرها من أشكال فرض قوة العقل على عقل آخر، وهذه ظاهرة أصبح الناس يألفونها هذه الأيام نتيجة الانتشار الواسع للمدارس والمذاهب الإيزوتيرية المختلفة.

كل فكرة، حالة عاطفية أو عقلية لها وتيرة ذبذبتها الخاصة. وعبر مجهود نابع من إرادة الشخص، أو مجموعة أشخاص، يمكن توليد هذه الحالات العقلية، كما يتم توليد نغمة موسيقية في آلة موسيقية عبر جعلها تتذبذب بوتيرة معينة، وكذلك الحال مع توليد لون معين. من خلال الإلمام بمبدأ "الذبذبة"، وبصيغته المطبقة في الظواهر العقلية، يستطيع الفرد أن يستقطب عقله إلى أي درجة يرغبها (مبدأ "القطبية")، محققاً بذلك سيطرة كاملة على حالاته العقلية، مزاجه، ميوله، .. إلى آخره. كما أنه يستطيع التأثير على عقول الآخرين بنفس الطريقة، مجسداً فيهم أي من الحالات العقلية التي يرغبها. باختصار، يستطيع تجسيد على المستوى العقلي نفس ما يجسده العلم المنهجي على المستوى المادي، أي "ذبذبات حسب الرغبة". هذه القوة لا يمكن إحرازها طبعاً إلا عبر إرشادات، تدريبات وممارسات معينة، وهذا بالضبط ما نسميه "التحول العقلي" Mental Transmutation الذي هو أحد الفروع الرئيسية للفن الهرمزي.

إن تأمل بسيط في ما قلناه سوف يبيّن للطالب أن مبدأ "الذبذبة" يشكل أساس الظاهرة الرائعة للقوة التي يظهرها الأسياد والضليعون، الذين يستطيعون تحريف قوانين الطبيعة، مع أنهم في الحقيقة يحققون ذلك عبر استخدام أحد هذه القوانين ضد الآخر.. مبدأ ضدّ آخر، ويحققون النتائج المذهلة عبر تغيير ذبذبة الأجسام المادية، أو أشكال الطاقة، وبهذا يستعرضون ما نسميه عموماً "المعجزات".

كما قال أحد الكُتاب الهرمزيون القدامى: "إن كل من يفهم مبدأ الذبذبة، يكون قد أمسك بصولجان القوة.."

الفصل العاشر

القطبية

Polarity

".. كل شيء ثنائي الوجوه.. كل شيء له أقطاب.. كل شيء له نقيضين.. التشابه والاختلاف هما الأمر ذاته.. المتعاكسان يمثلان الأمر ذاته في الطبيعة، لكن يختلفان من حيث الدرجة والنسبة.. النهايات المتضادة تلتقي ببعضها.. كل الحقائق هي نصف حقائق.. كل التناقضات قابلة للتوفيق فيما بينها.. " — القليلان

هذا المبدأ الهرمزي العظيم الرابع يجسد حقيقة أن كل الأشياء المتجلية لها "جانبان"، "مظهران"، "قطبان"، "ضدان متعاكسان"، مع درجات متعددة بين النهايتين. كافة المفارقات القديمة التي طالما أربكت العقول، يمكن تفسيرها من خلال هذا المبدأ. لطالما أدرك الإنسان شيء مشابه لهذا المبدأ، وحاول التعبير عنه من خلال أقوال، أمثال، وحكم مثل التالية: ".. كل شيء هو كذلك وغير ذلك بنفس الوقت.."، و".. كل الحقائق هي أنصاف حقائق.."، و".. كل حقيقة هي نصف زائفة.."، و".. هناك وجهان لكل شيء.."، و".. هناك جانب معاكس لكل حجاب.."، وهكذا إلى آخره.

تقول التعاليم الهرمزية بأن الفرق بين الأشياء التي تبدو متناقضة تماماً هو مجرد مسألة درجات. تعلم بأن الأزواج المتعاكسة قابلة للتوفيق، وأن ".. الموضوع ونقيضه هما شيء واحد في الطبيعة، لكن يختلفان من حيث النسبة.."، وأن ".. التسوية الكونية للمتناقضات.. تتأثر من خلال إدراك بمبدأ "القطبية" هذا. يزعم المعلمون بأنه يمكن توضيح هذا المبدأ بالاعتماد على تفحص الطبيعة الحقيقية لأي شيء. يبدو أن خلال تبيان كيف أن "الروح" و"المادة" هما قطبان متضادان للشيء ذاته، والمستويات التي تتوسطهما هي مجرد درجات متفاوتة من الذبذبة. يبينون كيف أن "الكل" والمتعدد يمثلان الشيء ذاته، والفرق هو مجرد مسألة درجات متفاوتة من التجلي العقلي. وهكذا فإن "القانون" والقوانين المتعددة هما قطبان للشيء ذاته. وكذلك الحال مع "المبدأ" والمبادئ المتعددة، العقل المطلق والعقول المحدودة.

ثم مروراً على المستوى المادي، يشرحون المبدأ عبر تبيان كيف أن الحرارة والبرودة هما متطابقتان بطبيعتهما، لكن الفرق هو مجرد مسألة درجات. يشمل ميزان الحرارة على درجات عديدة، القطب الأدنى يُسمى "برودة"، والقطب الأعلى يُسمى "حرارة". بين هذين القطبين هناك درجات كثيرة من البرودة والحرارة، مهما اخترت أن تسميها فسوف يكون اختيارك صحيحاً. إن أي ارتفاع للدرجات نحو الأعلى سوف يمثّل عملية "حماوة"، وأي انخفاض سوف يُسمى "برودة". ليس هناك معيار مطلق، كل شيء نسبي. ليس هناك أي مكان في ميزان الحرارة تتقطع فيه الحرارة لتبدأ البرودة. إنها مسألة ذبذبات صاعدة وهابطة. حتى المصطلحان "عالي" و"منخفض" اللذان نستخدمهما في كلامنا يمثلان قطبين للشيء ذاته، وبالتالي هما نسيبان. وكذلك الحال مع الجهات، مثل "شرق" و"غرب". سافر حول العالم متجهاً نحو الشرق، وسوف تصل إلى النقطة ذاتها التي سميتها "غرب" عند نقطة انطلاقك. سافر إلى أقصى جهة الشمال، وستجد نفسك مسافراً نحو الجنوب، والعكس بالعكس.

الظلام والنور يمثلان أقطاب للشيء ذاته، تتوسطهما درجات كثيرة. كذلك الحال مع السلم الموسيقي. إذا بدأت من النغمة "دو" سوف تواجه نفس النغمة خلال صعودك في السلم، وهكذا فإن الفرق بين النهائيي لوحة المفاتيح الموسيقية يمثّل الشيء ذاته، لكن مع درجات متعددة بينهما. الأمر نفسه ينطبق على طيف الألوان. الفرق الوحيد بين البنفسجي الأعلى والأحمر الأدنى يكمن في ارتفاع وانخفاض وتيرة الذبذبة. الكبير والصغير هما نسيبان. وكذلك الضجيج والهدوء. الصلب والطري يخضعان لهذا القانون أيضاً. وكذلك الحاد والبليد. الموجب والسالب هما قطبان للشيء ذاته، مع درجات لامتناهية بينهما.

حتى أن الخير والشرّ غير مطلقان. نسمي أحد نهايات السلم "خير" والنهاية الأخرى "شرّ"، أو نسمي النهايات "سيء" و"جيد"، حسب استخدام المصطلحات. يكون الشيء "أقل خيراً" من الشيء الذي يعلوه في السلم. لكن هذا الشيء الأقل خيراً سيكون "كثير خيراً" من الشيء الذي يدنوه في السلم، ونسبة الخير في هذا الشيء بالمقارنة مع الشيء الآخر تعتمد على عدد الدرجات التي تفصل بينهما.

الأمر ذاته ينطبق على المستوى العقلي. "الحب" و"الكره" يعتبران شيئان متناقضان تماماً، مختلفان، لا يستويان. لكن عندما نطبق مبدأ "القطبية" نجد أنه ما من شيء يُسمى "حب مطلق" أو "كره مطلق" كما يحاول الناس التمييز بينهما. هما مجرد مصطلحين يمثلان قطبين للشيء ذاته. مبتدئين من أي نقطة في السلم نجد "حب أكثر" أو "كره أقل" كلما صعدنا للأعلى، و"كره أكثر" أو "حب أقل" كلما هبطنا للأسفل. وهذا الأمر صحيح مهما كانت النقطة التي بدأنا منها، عالية كانت أو منخفضة. هناك درجات من الحب والكره، وهناك نقطة متوسطة حيث يصبح "الحب والكره" ضابيان لدرجة يصعب التمييز بينهما. الشجاعة والخوف يخضعان لنفس المبدأ. الأزواج المتناقضة موجودة في كل مكان. أينما وجدت شيئاً ستجد عكسه، أي قطبين للشيء ذاته.

وهذه الحقيقة هي التي تمكّن الهرمزيين من تحويل حالة عقلية معيّنة إلى أخرى، أي عن طريق "الاستقطاب" Polarization. الأشياء المنتمية لأصناف مختلفة لا يمكن تحويلها إلى بعضها البعض، لكن الأشياء المنتمية للصف ذاته قابلة للتحويل، أي بمعنى آخر، يمكن تغيير قطبيتها. فبالتالي، "الحب" لا يمكن أن يصبح "شرق" مثلاً، أو يصبح "الأحمر" أو "بنفسجي"، لكنه يتحول طبيعياً إلى "كره" وبالعكس، حيث يمكن تحويل "الكره" إلى "حب"، وذلك عبر تغيير قطبيتها على ذات السلم الذي يتقاسمناه. يمكن تحويل "الشجاعة" إلى "خوف"، والعكس بالعكس. يمكن جعل الأشياء "الصلبة" تتحول إلى "طرية". الأشياء "المنحنية" تتحول إلى "حادة". "الحارة" تتحول إلى "باردة"، .. وهكذا. التحول يكون دائماً بين الأشياء المنتمية للنوع ذاته، السلم ذاته، لكن بدرجات مختلفة. لنأخذ مثال رجل خائف. من خلال رفع ذبذباته العقلية على طول خط "الخوف – الشجاعة"، يمكن أن يمتلئ بأعلى درجة من "الشجاعة" وعدم الخوف. وكذلك الحال مع الرجل "الكسول" الذي يمكن أن يحول نفسه إلى إنسان "تشييط" ومفعم بالحيوية، كل ذلك عبر إجراء تعديل في قطبية سلم هذه الخاصية تحديداً.

الطالب الذي يألف العملية التي تعلمها مدارس "العلوم العقلية" المختلفة، والمتمثلة بإنتاج تعبيرات في الحالة العقلية لمن ينخرط بدوراتها التدريبية، قد لا يستوعب جيداً

المبدأ الجوهري الذي يجعل هذه التغييرات ممكنة. على أي حال، عندما يُفهم مبدأ "القطبية" جيداً، وتوضّح حقيقة أن التغييرات العقلية تحصل عبر إجراء تغيير في القطبية، أي تعديل الدرجة على السّلم ذاته، حينها فقط يُستوعب الأمر جيداً. التغيير لا يحصل في طبيعة الشيء، أي تحويله إلى شيء آخر، بل هو عبارة عن تغيير في درجة الشيء ذاته، وهذا فرق مهم جداً. فمثلاً، من خلال استعارة مثال من المستوى المادي نقول، من المستحيل تغيير "الحرارة" إلى "حذّة" أو "ارتفاع" أو "ضجيج".. إلى آخره، بل يمكن تحويل "الحرارة" إلى "برودة" فقط، وذلك عبر خفض درجة الذبذبة. وبنفس الطريقة، يمكن تحويل "الكره" إلى "حب" وبالعكس. وكذلك الحال مع "الخوف" و"الشجاعة". لكن لا يمكن تحويل "الخوف" إلى "حب"، ولا يمكن تحويل "الشجاعة" إلى "كره". الحالات العقلية تنتمي إلى عدد لا يُحصى من الأصناف والفئات، وكل فئة لها أقطابها الخاصة، وعبرها فقط يمكن إنجاز عملية التحوّل بنجاح.

سوف يدرك الطالب مباشرة بأنه في الحالات العقلية، وكذلك في الظواهر المختلفة للمستوى المادي، يمكن تصنيف القطبين على شكل "سالِب" و"موجب". وهكذا يمكن اعتبار "الحب" إيجابياً مقارنةً مع "الكره"، وكذلك "الشجاعة" مع "الخوف"، و"الحيوية" مع "الكسل".. إلى آخره. أي بمعنى آخر، الحسنات هي إيجابية بينما السيئات تكون سلبية. وسوف يتم ملاحظة أيضاً، حتى من قبل الذين لا يألفوا مبدأ "القطبية"، بأن القطب "الموجب" هو أرفع مستوى، من حيث الدرجة، من القطب "السالِب"، وقابل للهيمنة عليه أيضاً. إن نزعة الطبيعة ميالة دائماً نحو هيمنة القطب "الموجب" على "السالِب".

بالإضافة إلى إمكانية تغيير أقطاب الحالات العقلية المختلفة بواسطة فنّ "القطبية"، تبين لنا ظاهرة التأثير العقلي، بكافة مظاهره المتعددة، بأن هذا المبدأ قابل لأن يشمل ظاهرة تأثير العقل على عقل آخر، والتي كُتبت عنها الكثير في السنوات الأخيرة. عندما يُفهم جيداً بأن التحريض العقلي ممكناً، أي أن الحالات العقلية قابلة لأن تتجسّد حسب الرغبة في عقول الآخرين بفعل "التحريض" العقلي، حينها سنرى بوضوح كيف يمكن إرسال وتيرة ذبذبية معيّنة، أو قطبية حالة عقلية معيّنة، إلى شخص آخر بحيث

تؤدي إلى تغيير قطبية حالته العقلية المستهدفة. إنه عبر هذا المبدأ تتحقق النتائج المرغوبة في العديد من "العلاجات العقلية". فمثلاً، لنقل أن الشخص كئيب، يأس ويشعر بالخوف. يقوم "العالم العقلي" بالتركيز على عقل الشخص ويرفع ذبذبة عقله إلى الوتيرة المرغوبة بفعل "إرادته" المُدرّبة، فتتجلى الحالة العقلية المرغوبة لديه أولاً، ثم تنتقل الحالة ذاتها في عقل الشخص بفعل التحريض، حيث ترتفع الذبذبة العقلية لديه لكي تميل نحو القطب الموجب من السلم بدلاً من السالب، فيتحوّل "الخوف" لديه إلى "شجاعة"، وكذلك الحالات السلبية الأخرى التي تتحوّل إلى حالات موجبة بنفس الطريقة. المزيد من الدراسة في هذا الموضوع سيكشف لكم بأن هذه التغييرات في الحالات العقلية تتبع طريقة الاستقطاب، أي التغيير في درجة الشيء وليس في نوعه.

إن المعرفة بوجود هذا المبدأ الهرمزي العظيم سيمكّن الطالب من فهم حالاته العقلية بشكل جيّد، وكذلك حالات الآخرين. سوف يكتشف بأن هذه الحالات هي مجرد مسألة درجات، وبهذا يصبح باستطاعته رفع أو خفض الذبذبة وفق الإرادة (المُدرّبة) لتغيير أقطابه العقلية، وبالتالي يصبح سيداً لحالاته العقلية بدلاً من أن يبقى عبداً مطيعاً لها. وبواسطة هذا العلم يصبح بإمكانه مساعدة رفاقه بذكاء، عبر تغيير القطبية المرغوبة بوسائل مناسبة وسليمة. ننصح الطلاب بأن يألفوا مبدأ "القطبية" هذا، لأن ذلك سيساعده على فهم الكثير من المواضيع المصعبة.

الفصل الحادي عشر

الإيقاع

RHYTHM

".. كل شيء يتدفق خارجاً وداخلاً.. كل شيء له مواسمه، مدّه وجزره.. كل شيء يعلو وينخفض.. تأرجح البندول يتجلى في كل شيء.. مسافة التأرجح إلى اليمين تساوي مسافة التأرجح إلى اليسار، الإيقاع يعوّض نفسه.. " — القبيلان

المبدأ الهرمزي الخامس العظيم، مبدأ "الإيقاع"، يجسد حقيقة أنه في كل شيء تتجلى حركة منظمة وموزونة. حركة "ذهاب وإياب"، تدفق "للخارج والداخل"، تأرجح "للأمام والخلف"، حركة تأرجحية مشابهة للبندول، أو حركة مدّ البحر وجزره، أو حركة صعوده وهبوطه. كل هذا ضمن نطاق قطبين متناقضين يتوافقان مع مبدأ "القطبية" الموصوف سابقاً. وهذان القطبان يتجليان على المستوى المادي، العقلي والروحي. إن مبدأ "الإيقاع" قريب الصلة مع مبدأ "القطبية". لكن هذا لا يعني، بأي حال من الأحوال، بأن الإيقاع المتأرجح يتأرجح إلى أقصى أطراف الأقطاب، فهذا نادراً ما يحصل. وفي الحقيقة، من الصعب تحديد أقصى الأزواج القطبية في معظم الحالات. لكن التأرجح يكون دائماً نحو أحد الأقطاب ثم يعود باتجاه الآخر. هناك دائماً "فعل" و"ردّ فعل"، "تقدم" و"تراجع"، "صعود" و"هبوط"، متجلية في كل الأجواء الأثيرية والظواهر في الكون. الشمس، العوالم، البشر، الحيوانات، النباتات، المعادن، القوى الطاقة، العقل، والمادة. ونعم، حتى في الروح يتجلى هذا المبدأ. يتجلى هذا المبدأ أيضاً في خلق العوالم ودمارها، في صعود الحضارات وسقوطها، في تاريخ حياة كل الأشياء، وأخيراً، في الحالات العقلية للإنسان.

بدءاً بتجليات روح "الكل"، سوف يُلاحظ وجود دائم للتدفق والانسحاب، ".. شهيق وزفير البرهما..". كما وصفها الكهنة البرهميين. تُخلق الأكوان، ثم تصل إلى أقصى نقاط سفلية من المادية، ثم تبدأ بارتدادها التصاعدي. تنبثق الشمس إلى الوجود، ثم تصل أعلى قمة قوتها، تبدأ المرحلة التراجعية، وبعد دهور زمنية طويلة تصبح كتل

مادية ميتة، منتظرة نبضة أخرى لتطلق من جديد طاقاتها الكامنة لينبعث فيها النشاط مجدداً فتبدأ دورة شمسية جديدة. الأمر ذاته ينطبق على كل العوالم الأخرى: حيث تولد، تنمو، وتموت، لكن فقط من أجل أن تولد من جديد. والأمر ذاته ينطبق على كل الأشياء التي لها شكل وهيئة: تتأرجح من فعل إلى رد فعل، من الولادة إلى الموت، من النشاط إلى الخمول،... ثم العودة من جديد. الأمر ذاته ينطبق على كل الكائنات الحيّة: حيث تولد، تنمو، وتموت، ثم تولد من جديد. وكذلك الحال مع كافة الحركات الجماهيرية العظمى، الفلسفات، الأعراق، العقائد، الأزياء، الحكومات، الأمم، وكل شيء يمكن تصوّره: حيث النمو، البلوغ، الانحطاط، الموت، ثم الولادة من جديد. تتأرجح البندول يكون دائماً في المشهد.

الليل يتبع النهار، والنهار يتبع الليل. البندول يتأرجح من الصيف إلى الشتاء، ثم العودة مجدداً. الجسيمات، الذرات، الجزيئات، وكل الكتل المادية، تتأرجح حول دائرة طبيعتها. ليس هناك شيء يُدعى استقرار مطلق، أو انقطاع الحركة، وكل حركة تشترك في الإيقاع. هذا المبدأ شامل التطبيق. يمكن تطبيقه في أي مسألة أو ظاهرة في أي من مستويات الحياة. يمكن تطبيقه في كافة أطوار ومظاهر النشاط الإنساني. هناك دائماً تأرجح إيقاعي من قطب إلى آخر. البندول الكوني هو في حركة دائمة. تيارات الحياة تتدفق داخلاً وخارجاً وفقاً للقانون.

إن مبدأ "الإيقاع" مفهوم جيداً لدى العلم الحديث، حيث يُعتبر قانون عام يُطبق على الأشياء المادية. لكن الهرمزيون يذهبون بهذا المبدأ أبعد بكثير، حيث يعلمون بأن تجلياته وتأثيراته تمتدّ لتطال النشاطات العقلية للإنسان، إذ تلعب دوراً مهماً في تلك التواترات المحيرة في مزاجه، مشاعره، وغيرها من تغييرات مزعجة ومربكة التي نلاحظها في أنفسنا. لكن الهرمزيون، ومن خلال دراسة طبيعة هذا المبدأ وآلية عمله، تعلموا كيف يفلتون من تأثيراته السلبية عبر فن "التحول العقلي".

لقد اكتشف الأسياد الهرمزيون منذ زمن بعيد حقيقة ثبات الدورات الإيقاعية للتأثيرات التي تستهدف العقل، كما أنه يتجلى في مستويين من الظاهرة العقلية. اكتشفوا وجود

مستويان رئيسيان من الوعي: الأدنى والأعلى. واستيعاب هذه الحقيقة مكنهم من إيجاد وسيلة للارتفاع إلى المستوى الأعلى وبالتالي الإفلات من تأثيرات تأرجح بندول الإيقاع المتجلّي في المستوى الأدنى. بمعنى آخر، تأرجح بندول الإيقاع حصل في مستوى "اللاوعي"، بينما "الوعي" لم يتأثر. هذا ما يشيرون إليه بـ"قانون المحايدة العقلي" Mental Law of Neutralization. تشمل إجراءاته عملية رفع "الأنا" فوق ذبذبات المستوى اللاوعي من النشاط العقلي، ذلك لكي لا يتجلّى التأثير السلبي لتأرجح بندول الإيقاع في المستوى الواعي، وبالتالي لم يتأثر الفرد (التأثيرات الإيقاعية تستهدف "الأنا" وليس "الكينونة" بالكامل، بالتالي مجرد نقل "الأنا" من مستوى إلى آخر داخل الكينونة يكفي لتجنب التأثيرات). الأمر مشابه تماماً لعملية الوثب فوق الشيء المتجه نحوك فيمرّ من تحتك دون أن يصيبك. السيد الهرمزي، أو الطالب المتقدم، يستقطب نفسه نحو القطب المرغوب، ومن خلال عملية مشابهة لـ"رفض" الانجراف مع التأرجح الارتدادي، أو يمكن القول "إنكار" تأثيره عليه، يقف بثبات في موقعه المستقطب ويسمح لبندول الإيقاع أن يتأرجح عائداً عبر المستوى اللاوعي. كافة الأفراد الذين يتمتعون بدرجة معينة من "ضبط النفس" يفعلون ذلك باستمرار، بدرجة أكثر أو أقل، لكن دون معرفتهم بذلك، حيث يرفضون السماح لمزاجهم وحالاتهم العقلية السيئة أن تؤثر عليهم وعلى تصرفاتهم. إنهم بذلك يطبقون "قانون المحايدة العقلي" بشكل لا شعوري. لكن السيد، على أي حال، يذهب بالأمر إلى درجات أعلى من البراعة والإتقان، حيث عبر استخدام إرادته يستطيع إحراز درجة من الثبات والتوازن العقلي يستحيل تصديقها بالمقارنة مع أولئك الذين يسمحون لأنفسهم بالتأرجح ذهاباً وإياباً مع البندول العقلي وما يجسده من تواتر في الأمزجة والمشاعر.

لا يمكن تقدير مدى أهمية هذا الأمر إلا من قبل الأفراد المفكرين الذين يدركون حقيقة أن معظم الناس هم مجرد مخلوقات عفوية تخضع لدوافع أمزجتها ومشاعرها وعواطفها، وهم يفتقدون القدرة على "ضبط النفس". إذا توقفت لتتأمل للحظة، سوف تدرك مدى تأثير هذه التأرجحات الإيقاعية على حياتك الشخصية. هل لاحظت بأن كل فترة تمتعت فيها بالحماس يتلوها مباشرة شعور ومزاج معاكس تماماً يتملّ بالاكنتاب؟

وبشكل مماثل، لا بد من أنك لاحظت بأن الفترات التي تشعر بها بالشجاعة يتلوها فترة متساوية من الخوف. هكذا هي الحالة مع باقي الناس. لطالما كان "مد وجزر" المشاعر والأمزجة يفعل فعله بهم، لكنهم لم يحاولوا التحقق من السبب الفعلي وراء هذه الظاهرة العقلية المحيرة. إن فهم آلية هذا المبدأ سيمنح الفرد مفتاح سيادة هذه التأرجحات الإيقاعية للشعور والحالة العقلية، وسيمكنه من معرفة نفسه بشكل أفضل بحيث يتجنب الانجراف مع هذه التدفقات الموجية التي يتعرض لها. الإرادة هي أعلى مرتبة من تجلي هذا المبدأ في حالة الوعي، بالرغم من أن هذا المبدأ يتعذر إغائه. نستطيع تجنب تأثيراته، لكنه يستمر في أداءه على أي حال. البنودول يتأرجح باستمرار، لكن مع ذلك نستطيع تجنب الانجراف معه.

هناك مظاهر أخرى لأداء مبدأ "الإيقاع" والتي نرغب الحديث عنها عند هذه النقطة. يدخل ضمن نطاق عملياته ما يُعرف بـ"قانون المعاوضة" Law of Compensation (التعويض أو المكافأة). أحد تعريفات أو معاني كلمة "معاوضة" هو "الموازنة" (أو التكافؤ)، وهو المعنى الذي يقصده الهرمزيون خلال استخدامهم لهذا المصطلح. إن "قانون المعاوضة" الذي يشير إليه القيبلان عندما يقول: ". مسافة التآرجح إلى اليمين تساوي مسافة التآرجح إلى اليسار، الإيقاع يعوّض نفسه..".

"قانون المعاوضة" هو أن التآرجح إلى أحد الجهات يحدد التآرجح إلى الجهة المعاكسة، أو إلى القطب المعاكس، وبالتالي كل حركة توازن الأخرى أو تكافئها. يمكن ملاحظة أمثلة كثيرة على هذا المبدأ في المستوى المادي. بندول الساعة يتأرجح مسافة معينة نحو اليمين، ثم مسافة متساوية إلى اليسار. المواسم توازن بعضها بنفس الطريقة. المد والجزر يخضعان لنفس القانون. والقانون ذاته يتجلى في ظاهرة الإيقاع. البنودول، إذا تآرجح مسافة قصيرة إلى إحدى الجهات، يتأرجح مسافة قصيرة إلى الجهة المعاكسة. بينما التآرجح الطويل نحو اليمين سوف يعني حتماً تآرجح طويل إلى اليسار. الجسم المقذوف إلى الأعلى بارتفاع معين عليه اجتياز مسافة متساوية من السقوط إلى الأسفل. "القوة" التي تُرسل بها القذيفة مسافة ميل واحد إلى الأعلى تتساوى مع "القوة"

المتولدة خلال عودتها إلى الأرض. هذا القانون ثابت على المستوى المادي، وهذا ما يؤكد العلم المنهجي عبر البراهين النظرية والتجريبية.

لكن الهرمزيون يذهبون أبعد من ذلك بكثير. يعلمون بأن حالات الإنسان العقلية تخضع لنفس القانون. الإنسان الذي "يتمتع" بدرجة كبيرة، سوف "يتعذب" بدرجة كبيرة. بينما الذي لا يشعر سوى بالقليل من "الألم"، لا يستطيع الشعور سوى بالقليل من "المتعة". الخنزير لا "يعاني عقلياً" سوى القليل، لكنه بنفس الوقت لا "يتمتع عقلياً" سوى القليل، وبالتالي تم "تعويضه" (مكافأته). لكن على الجانب الآخر، هناك حيوانات أخرى تتميز بدرجة كبيرة من الشعور بالمتعة، لكن هذه التركيبة النفسية والعصبية الحساسة تجعلهم أيضاً قابلون للشعور بنفس الدرجة من المعاناة، كما حالة الإنسان. هناك حالات تسمح بدرجة منخفضة من المتعة، لكن بدرجة متساوية من المعاناة. بينما هناك حالات أخرى تسمح بدرجة عالية من المتعة، لكن بدرجات تساويها من المعاناة. القاعدة هي أن كمية المتعة والألم تتساويان عند كل فرد. قانون المعاوضة يكون بكامل أداءه هنا.

لكن الهرمزيون يذهبون أبعد من هذه المسألة أيضاً. يعلمون أنه قبل أن يتمكن الفرد من التمتع بدرجة معينة من السرّات، لا بد من أنه تأرجح بعيداً، وبشكل متساوي، باتجاه القطب المعاكس لهذا الشعور. يقولون بأن السالب يسبق دائماً الموجب في هذا الموضوع، أي بمعنى آخر، التمتع بدرجة معينة من السرّات لا يعني بالضرورة وجوب التعويض عنها مباشرة بدرجة مماثلة من المعاناة. على العكس تماماً، حيث المتعة تمثل، وفقاً لقانون "المعاوضة"، تأرجح إيقاعي بعيد الأمد، وهو حركة تأرجح عكسية لفترة من المعاناة اختبارها الفرد إما في حياته الأرضية الحالية أو السابقة. وهذا يلقي ضوء جديد على مسألة الألم.

يعتبر الهرمزيون سلسلة الحيات المتعاقبة (التجسيدات الأرضية المتتالية، أو "التناسخ") بأنها تشكل أجزاء من الحياة الرئيسية للفرد (النفس تبقى قائمة، رغم تعدد تقمصات الفرد المتعددة في أكثر من حياة واحدة)، وبالتالي يمكن فهم التأرجح

الإيقاعي بهذه الطريقة، حيث لن يكون لها أي معنى إذا استثنينا ظاهرة "التقمّص" أو "التناسخ" reincarnation.

لكن الهرمزيون يزعمون بأن السيّد أو الطالب المتقدّم يستطيع، وبدرجة كبيرة، تجنّب التآرجح نحو المعاناة، وذلك عبر "قانون المحايدة" المذكور سابقاً. أي عبر الارتفاع بـ"الأنا" إلى مستوى أعلى في الذات، وبالتالي يتجنب معظم التجارب التي يعاني منها أولئك الذين يقعون في المستوى الأدنى.

يلعب "قانون المعاوضة" دوراً مهماً في حياة الرجال والنساء. سوف يُلاحظ عموماً بأن الفرد "يدفع ثمن" كل شيء يملكه أو يفتقده. إذا كان يحوز على شيء، فهو محروم من آخر، وبالتالي تم التوازن. الأمر مشابه للمقولة "لا أحد يستطيع الاحتفاظ بقرشه والحصول على الكعكة بنفس الوقت".، وبالإضافة، كل شيء له جوانبه السيئة والحسنة معاً. الأشياء التي يكسبها الفرد يكون قد دفع ثمنها عبر حرمانه من أشياء أخرى. يحوز الأغنياء على الكثير مما يفتقده الفقراء، لكن غالباً ما يحوز الفقراء على أشياء بعيدة عن منال الأغنياء. قد يكون للغني ميل نحو الاستمتاع بالولائم الفاخرة، وهو يملك كل ما يوفر له أطيب الطعام والمأكولات اللذيذة، لكنه محروم للشهية للاستمتاع بها لأسباب صحيّة ربما. ويحسد الفقير على ما يتمتع به من شهية وقدرة على هضم الطعام مع أن هذا الأخير محروم من رغادة عيش الغني، لكنه رغم ذلك يستطيع التمتع بالطعام البسيط. هكذا هي الحال مع كافة الأمور الحياتية الأخرى. قانون المعاوضة يعمل على الدوام وفي كافة المستويات، يكافح في المحافظة على معادلة كفة الميزان عبر الموازنة والتعويض، وينجح دائماً بهذه المهمة، حتى لو استغرق الأمر عدة أجيال تناسخية قبل العودة المتأرجحة لبندول الإيقاع. يمكنه أن يُمهّل ولكنه لا يُهمل أبداً.

الفصل الثاني عشر

السببية

CAUSATION

".. كل تأثير له نتيجة.. كل سبب له مُسبّب.. كل شيء يحصل وفقاً للقانون.. الصدفة هي مجرد اسم لقانون لازال غامضاً.. هناك الكثير من المستويات السببية، لكن لا شيء يفلت من القانون.."- القليلان

هذا المبدأ الهرمزي السادس العظيم، مبدأ "العلة والمعلول"، يجسد حقيقة أن القانون يسود كامل الكون.. وأن لا شيء يحصل بالصدفة.. وأن الصدفة هي مجرد مصطلح يشير إلى سبب موجود لكنه مجهول ويتعذر إدراكه.. وأن ظواهر الطبيعة متصلة تسلسلياً، دون انقطاع أو استثناء.

يشكّل مبدأ "العلة والمعلول" أساس الفكر العلمي، القديم والحديث، وقد كُشف للمعلمين الهرمزيين في أقدم الأزمنة. منذ أن برزت الخلافات المتعددة والمتنوعة بين مدارس الفكر المختلفة، كانت معظم الخلافات تتمحور أساساً حول آليات وتطبيقات هذا المبدأ تحديداً، وغالباً ما تتعلق بمعاني بعض المصطلحات الواردة فيه. لقد كان هذا المبدأ الأساسي مقبولاً بصفته صحيح من قبل كل المفكرين العالميين العظام. إن التفكير بعكس هذا التوجّه هو كأنك تنزع صفة النظام من ظاهرة الكون، وإزالة القوانين التي تضبط مجرياته، لتستبدلها بذلك الشيء الخيالي الذي يسمونه "صدفة".

إن نظرة فاحصة بسيطة تبيّن بوضوح أنه ما من شيء يُدعى "صدفة" في الواقع المحيط بنا. يُعرّف قاموس "وبستر" Webster كلمة "صدفة" Chance كما يلي: "عامل أو صيغة مُفترضة من النشاط مرافق لقوة، قانون، أو غاية - آلية أو نشاط هذا العامل - التأثير المفترض لهكذا عامل - حدث ما - وقوع شيء بالحظ - مُصاب - إلى آخره..". لكن من خلال إلقاء نظرة بسيطة على الأمر نجد أنه لا يمكن أن يكون هناك شيء يُسمى "صدفة" بالمعنى الذي يجعلها شيئاً خارج نطاق القانون،

أي شيء خارج نطاق "العلّة والمعلول". كيف يمكن أن يكون هناك شيئاً فاعلاً في الكون المحسوس، وبنفس الوقت يكون مستقلاً عن قوانين، نظام، وتواصلية هذا الأخير؟ لا يمكن لهذا الشيء أن يكون سوى في حالة استقلاليته تماماً عن النزعة التنظيمية للكون، وبالتالي يكون منفوق عليه منزلةً. لا يمكن تخيل شيء أعلى من القانون سوى "الكلّ"، لأن "الكلّ" هو القانون بذاته. ليس هناك مكان في الكون لأي شيء خارج القانون ومستقلاً عنه. إن وجود هكذا شيء قد يبطل كافة قوانين الطبيعة، ويدفع الكون إلى حالة فوضى حيث ينعدم فيها النظام وتزول القوانين.

إن نظرة فاحصة تبين أن ما نسميها "صدفة" هي مجرد تعبير يتعلق بمسببات غامضة، مسببات لا نستطيع إدراكها، مسببات نعجز عن فهمها. حتى الكلمة Chance مُستقاة من كلمة تعني "سقوط"، بمعنى سقوط النرد عند رميه (وربما كلمة "صدفة" بالعربية جاءت من معنى يتعلّق بالصدف المُستخدم في "الودع")، والفكرة الرئيسية هنا هي أن سقوط النرد (أو أي حدث آخر) هو مجرد "واقعة" ليس لها علاقة بأي مُسبّب، وبهذا المعنى بالذات تُستخدم الكلمة عموماً. لكن بعد التمحيص بالمسألة، يتبين أنه ما من صدفة إطلاقاً في سقوط "النرد" (هو مكعب سداسي الوجوه وكل وجه يحمل رقم معين). في كل مرة يُرمى فيها النرد واستقراره على رقم معين، فهو بذلك يخضع لقانون ثابت بنفس ثبات ذلك الذي يحكم حركة الكواكب حول الشمس. خلف حركة النرد واستقراره على رقم معين يوجد مسببات، أو سلسلة من المسببات، تعود إلى الوراء أبعد مما يستطيع العقل تتبّعها. موقع استقرار النرد على اللوحة (أو في طاولة اللعب)، كمية الطاقة العضلية المُستنزفة في الرمي، موقع اللوحة أو اتجاهها،.. إلى آخره، جميعها تمثّل مسببات يمكن إدراكها وأخذها بالحسبان. لكن خلف هذه المسببات المرئية يوجد سلاسل طويلة ومتنوعة من المسببات غير المرئية، وجميعها تلعب دور في تحديد الرقم الذي استقرّ عليه النرد.

إذا رُمي النرد مرات عديدة جداً، سوف نجد أن الأرقام التي يستقر عليها متساوية تقريباً، أي سيكون هناك تساوي في عدد المرات التي يستقرّ فيها على كل من الأرقام (واحد واثنين وثلاثة،.. إلى آخره). إذا رميت عملة معدنية في الهواء، فسوف تسقط وتستقرّ إما على "الوجه" أو "القفي". لكن إذا رميتنا بنفس الطريقة مرات عديدة، فسوف يتبين

أن استقرارها على "الوجه" يتساوى تقريباً مع استقرارها على "القفي". وكلما زاد عدد مرّات الرمي كلما اقتربت إلى التساوي في الوجوه التي تستقرّ عليها. هكذا يعمل قانون "المعادلة" أو المعاوضة. لكن كل من قانون "المعادلة" وعملية الرمي يخضعان لقانون "السببية"، وإذا استطعنا تفحص المسببات الأولى، سوف يبدو واضحاً أنه يستحيل على النرد الاستقرار بغير الطريقة التي فعلها. إذا وفّرت ذات المسببات، أي توفير الظروف ذاتها والتوقيت ذاته، سوف نحصل على ذات النتيجة. هناك دائماً "مسبّب" و"سبب" لكل حدث. لا شيء يحصل هكذا دون مسبّب، أو بشكل أصحّ "سلسلة من المسببات".

لقد برز بعض الإرباك في عقول أشخاص تناولوا هذا المبدأ، حيث كانوا عاجزين عن تفسير كيف يمكن لشيء أن يمثّل سبباً لشيء آخر، أي يلعب دور "الخالق" للشيء الآخر. في الحقيقة، لا شيء يسبّب أو "يخلق" شيء آخر. مبدأ "السببية" يتعامل فقط مع "الأحداث". و"الحدث" هو ما يأتي، يقع، أو يحصل كنتيجة حتمية لحدث سابق. ليس هناك أي "حدث" يخلق حدثاً آخر، بل مجرد حلقة وصل في سلسلة طويلة ومنظمة من الأحداث المتدفقة من الطاقة الخلاقة للـ"كل". هناك استمرارية متصلة بين الأحداث السابقة، الحالية، واللاحقة. هناك علاقة قائمة بين كل ما حصل سابقاً وما سيحصل لاحقاً. الحجر الذي يتدحرج من قمة الجبل وينتهي به المطاف مصطدماً بسقف الكوخ القابع عند أسفل الوادي، نعتبر هذا الحدث للوهلة الأولى بأنه حادث صدفة، لكن بعد تفحص المسألة نجد سلسلة كبيرة من المسببات خلف هذا الحدث. أولاً هناك الأمطار التي جعلت الأرض طرية تحت الحجر مما جعلته يتحرك. لكن خلف هذا المسبّب نجد تأثير الشمس، أمطار أخرى سابقة،.. إلى آخره، والتي ساهمت تدريجياً في انشقاق الحجر من صخرة كبيرة، وإذا عدنا أكثر إلى الوراء نجد المسببات التي ساهمت في تشكيل الجبل، أي ارتفاع القشرة الأرضية نتيجة الاضطرابات البركانية،.. وهكذا إلى لا نهاية. ثم نعود إلى تتبّع سلسلة المسببات وراء هطول المطر، أي الظروف والمواعيد.. إلى آخره. ثم نأخذ في الحسبان أسباب وجود الكوخ،.. وسنجد أنفسنا في النهاية غائسين في سلاسل طويلة ومتنوعة من المسببات والتأثيرات، مما يدفعنا إلى السعي للخلاص من أحوال هذه المسألة المستعصية.

كما أن لكل إنسان والدين، وأربع أجداد، وثمان أجداد أوائل، وستة عشرة سلف، وهكذا حتى نصل أربعين جيل من الأسلاف، ثم نحسب عددهم فنجد أنهم يتجاوزوا الملايين.. هكذا هو عدد المسببات الكامنة خلف أئفه الأحداث أو الظواهر، كحالة مرور ذرّة "هاب" دقيقة أمامك (ذرّة سوداء تتطاير من حرق الفحم). إنها ليست مسألة سهلة أن تتتبّع المسببات التي أنتجت ذرّة الهباب هذه، حيث عليك العودة إلى حقبة مبكرة من تاريخ العالم حيث تشكّلت الأشجار العملاقة، ثم انغمرت تحت طبقات أرضية سميكة، فتحوّلت إلى فحم، ثم تم استخراجها في المناجم.. وهكذا، حتى نصل إلى مرحلة مرور ذرّة الهباب أمام ناظرينا، ومتابعة مغامرتها إلى ما لا نهاية. لكن يمكننا تتبع المسببات بصيغة أخرى أيضاً. كما رأينا، لقد اشتركت مجموعة عظيمة من الأحداث المتسلسلة، والمسببات، لتجعل ذرّة الهباب تتخذ شكلها الحالي، لكن يمكن أن نتبّع أحد الفروع السببية التالية التي تخلقها، ولهذا الفرع تأثير كبير قد يدوم لمئات السنين من الآن. نتحدث عن "الحبر" الذي يُستخدم لكتابة هذه النصوص، ويُستخدم "الهباب" (الشحور) لصناعته. فالحبر الذي استُخدم لكتابة هذه السطور مثلاً، أي مكّن الآلة الكاتبة من أداء مهمتها، ساهم جوهرياً في استحضار أفكار كثيرة في ذهن قارئ هذه السطور، وبالتالي لا بدّ من أن هذه الأفكار ستؤثّر على عقول الآخرين بعد أن يناقشها القارئ معهم، وهكذا.. نتبّع تسلسل المسببات حتى نصل إلى مرحلة يعجز فيها الإنسان عن التفكير قدماً، وكل هذا ينتج من مرور ذرّة "هاب" أمام أنظارنا، وبعد التفكير بها توصلنا إلى إدراك صلة الوصل بين كل الأشياء، والحقيقة هي أنه "ليس هناك كبير، ولا صغير، في عقل السبب الأول..".

توقف لحظة وفكّر بالأمر. إذا لم يلتقي رجل معين بامرأة معيّنة في إحدى الفترات القديمة الغابرة، لما كنت أيها القارئ العزيز موجوداً هنا الآن. وإذا، ربما، فشل ذلك الزوج في اللقاء، لما كان كاتب هذه النصوص موجوداً هنا الآن. وعملية الكتابة، من جانبنا، وعملية القراءة، من جانبك، سوف تؤثر ليس على حياتنا وحياتك فحسب، بل سوف يكون لها تأثير مباشر أو غير مباشر على عدد كبير من الأشخاص الذي يعيشون الآن، والذين سيعيشون في العصور القادمة. كل فكرة نفكرها، وكل فعل نفعله، لها نتائج مباشرة وغير مباشرة تتوافق مع التسلسل السببي العظيم.

لا نرغب الانخراط في مناقشة "الإرادة الحرّة"، أو "الحتميّة" (النظرية الجبريّة *Determinism*، التسليم بالقضاء والقدر) في هذا العمل الآن، وذلك لأسباب عديدة. من بين تلك الأسباب المتعددة، هناك السبب الرئيسي القائل بأن أي من جانبي الخلاف هو صحيح بالكامل، بل الحقيقة هي أن كلا الجانبين صحيحين جزئياً، وذلك وفق التعاليم الهرمزية. يبيّن مبدأ "القطبية" بأن كلاهما يمثلان نصفي الحقيقة، أي كل منهما يمثل أحد قطبي الحقيقة الكاملة. تقول التعاليم أنه يمكن للإنسان أن يكون حراً لكنه بنفس الوقت مُقيّداً بمفعول "الضرورة"، فذلك يعتمد على معاني المصطلحات، ودرجة الحقيقة التي فُحصت وفقها المسألة. يعبّر الكتاب القدامى عن المسألة قائلين: "كلما ابتعد المخلوق من المركز (الخالق)، كلما زاد قيده.. كلما اقترب من المركز، كلما زادت استقلاليتة..".

كلما ارتقيت بمستوى كينونتك (التحول العقلي) كلما زاد تحرّك من أغلال "القدر المحتوم"، أي ترتقي فوق قوانين الطبيعة. لكن طالما بقيت مجرداً من أي تطوّر روحي، فسوف تبقى خاضعاً لسيطرة أمواج القدر التي تدفعك وفق ما هو مرسوم. لكن رغم هذا كله، يفرض مبدأ "السببية" حقيقة أنه حتى قرارك بتطوّرك الروحي هو قدر مرسوم! وهذه إشكالية أخرى حيّرت العقول.

أغلبية الناس هم أكثر أو أقلّ عبيداً للعوامل الوراثية، البيئية، الاجتماعية، الطبيعة.. إلى آخره، وبالتالي يمارسون نسبة قليلة من الحرية الفعلية. ينجرفون مع تيارات الآراء، الأفكار، والتقاليد المختلفة لعالمهم الخارجي، كما ينجرفون مع عواطفهم، مشاعرهم، ومزاجهم.. إلى آخره. لا يمارسون أي سيادة فعلية تستحقّ الذكر. صحيح أنهم ينكرون هذا الوصف بسخط حيث قد يقول أحدهم مؤكداً: "أنا حرّ التصرف وأفعل ما أريد به.. أنا أفعل ما أريد فعله.."، لكنهم يفشلون في تفسير كيف ولماذا يبرز في نفوسهم دافع "فعل ما يرغبونه" و"فعل ما يريدونه". لكن السؤال هو: ما الذي يدفعهم إلى فعل أمر "يريدونه" على حساب أمر آخر لا يريدونه؟ ما الذي يدفعهم إلى فعل ما "يرغبونه" على حساب ما لا يرغبونه؟ يستطيع السيّد أن يغيّر هذه "الإرادات" و"الرغبات" في الآخرين كما يشاء، وذلك في الطرف المعاكس من القطب العقلي. إنه قادر على "الإرادة" لأنه "يريد"، بدلاً من "الإرادة" بدافع المشاعر والعواطف أو

المزاج، أو بفعل إحياء بيئته (الاجتماعية) التي تزرع في نفسه ميولاً أو رغبات تدفعه إلى فعل ما يظنّ بأنه نابع من رغبته الخاصة.

مُعظم الناس ينجرفون مع مؤثرات خارجية كما يفعل الحجر المتدحرج من أعلى الجبل، مطيعون تماماً للبيئة المحيطة، والمؤثرات الخارجية والنوازع الغريزية الداخلية.. إلى آخره، هذا ولم نتكلم عن إرادات ورغبات الآخرين الأقوى منهم، وكذلك الموروثات التقليدية، البيئة الاجتماعية، والإحياءات الفكرية، وغيرها من عوامل تساهم في انجرافهم مع التيار دون أي مقاومة أو ممارسة إرادة ذاتية. يُحرّكون كما البيادق على رقعة شطرنج الحياة، يلعبون أدوارهم الموكلة لهم ثم يُرمون جانباً بعد انتهاء اللعبة. لكن الأسياد، بصفتهم يعرفون قوانين اللعبة، يرتقون فوق مستوى الحياة المادية، في موقع يمكنهم من التواصل مع القوى العليا في طبيعتهم، يسيطرون على نوازعهم، شخصياتهم، خصائصهم، قطبياتهم، وكذلك البيئة المحيطة بهم، وبالتالي يصبحون المحرّكون في اللعبة وليس المُحرّكون كالبيادق، يصبحون أسباب وليس نتائج، فاعلين وليس مفعول بهم. الأسياد لا يفتنون من مسببات المستويات العُلّيا، بل يوافقون أنفسهم مع القوانين العُلّيا، وبالتالي يسيطرون على ظروف المستوى الأدنى. وهكذا يشكلون جزءاً واعياً من القانون، بدلاً من مجرد أدوات عمياء له. في الوقت الذي يخدمون فيه المستويات العليا، فإنهم يحكمون المستوى المادي.

لكن مهما كان الأمر، في الأعلى أو في الأدنى، يبقى مفعول القانون سارياً دائماً وأبداً. ليس هناك شيء يُسمى "صدفة". لقد تم إلغاء هذه الإلهة العمياء بواسطة المنطق. أصبح بإمكاننا الرؤية الآن، بعيون صافية بفضل المعرفة، أن كل شيء محكوم بقانون كوني، وأن ذلك العدد اللامتناهي من القوانين هو مجرد تجليات مختلفة لقانون واحد عظيم، "القانون" الذي هو "الكل". إنه صحيح بالفعل أن ما من عصفور يسقط من السماء دون علم من قبل عقل "الكل".. وحتى الشعر على رؤوسنا معدودة ومحدّدة من قبله. وكما قالت النصوص المقدسة، ما من شيء خارج نطاق القانون.. لا شيء يحصل خلافاً له. لكن مع ذلك، وجب عدم افتراض خطأ افتراض أن الإنسان هو

مجرّد كائن أوتوماتيكي أعمى، لأنه بعيد كل البعد عن ذلك. تتحدث التعاليم الهرمزية عن إمكانية استخدام الإنسان لقانون من أجل التغلّب على قوانين، وأنه الأعلى يتفوق دائماً على الأدنى، إلى أن يصل أخيراً إلى مرحلة يلجأ فيها إلى "القانون" ذاته، ويسخر من القوانين الدنيوية لدرجة الاستهزاء. هل أنت قادر على استيعاب المعنى الباطني لهذا؟

الفصل الثالث عشر

الجنـدر

GENDER

".. الجنـدر موجود في كل شيء.. كل شيء له مبادئه الذكورية والأنثوية.. يتجلى الجنـدر على كل المستويات..". – القـيـلان

هذا المبدأ الهرمزي السابع العظيم، مبدأ "الجنـدر"، يجسّد حقيقة أن "الجنـدر" متجلي في كل شيء، وأن مبادئ "الذكر" و"الأنثى" حاضرة وفاعلة دائماً في كافة جوانب وجوده الظاهر الطبيعية، في كل مستوى من مستويات الحياة. عند هذه النقطة نعتقد أنه من الصواب لفت انتباهكم إلى حقيقة أن "الجنـدر"، بمعناه الهرمزي، يختلف عن "الجنس" بمفهومه المُستخدم عموماً.

الكلمة "جنـدر" Gender مُشتقة من الأصل اللاتيني بمعنى "أن يُنجب"، أو "أن يُنسل"، أو "يولد"، أو "يخلق"، أو "يُنْتِج". مجرد التأمل في معاني هذه الكلمة يُبين أنها تتجاوز الحدود الضيقة لمصطلح "الجنس". فهذا الأخير يشير إلى الاختلاف الجسدي بين الكائنات الحيّة الأنثوية والذكورية. "الجنس" هو مجرد أحد تجليات "الجنـدر" في أحد المستويات المتعددة للمستوى المادي العظيم، وهو مستوى الحياة العضوية. نوّد التشديد على إقامة هذا التمييز في أذهانكم، وذلك بسبب وجود كُتاب تلقوا بعض الأفكار السطحية من الفلسفة الهرمزية فسعوا إلى تعريف هذا المبدأ الهرمزي السابع العظيم وفق نظريات وتعاليم وهمية وغريبة بخصوص "الجنس"، وغالباً ما تكون ذميمة.

وظيفة "الجنـدر" تتعلّق جوهرياً بالخلق، الإنتاج، التوليد،.. إلى آخره، وتجلياته موجودة في كافة مستويات العالم الظاهري. من الصعب تقديم براهين لهذه الحالة وفق الخطوط العلميّة، والسبب هو أن العلم لم يعترف بعد بهذا المبدأ بصفته أحد الظواهر الطبيعية العامة. لكن رغم ذلك يمكن استخلاص بعض البراهين من مصادر علمية.

في المقام الأول، يمكننا إيجاد تجلّي واضح لمبدأ "الجندر" بين الجسيمات، الأيونات، أو الإلكترونات، التي تشكّل أساس المادة كما أصبح يسلم بها العلم أخيراً، حيث تبيّن أن اجتماعها وفق صيغ معيّنة يشكّل "الذرة" التي كانت تُعتبر سابقاً أصغر جسيم مادي.

الاستنتاج الأخير للعلم هو أن الذرة مؤلفة من عدة جسيمات، إلكترونات، أو أيونات (تختلف أسمائها حسب اختلاف المرجع العلمي) تدور حول بعضها البعض وتتذبذب بوتيرة وشدة عالية. لكن الفكرة الجوهرية لهذا المفهوم العلمي الجديد تتمثّل في أن تشكّل الذرة هو في الحقيقة ناتج من تكتّل جسيمات "سالبة" حول جسيم "موجب"، حيث يبدو أن الجسيم "الموجب" له تأثير معيّن على الجسيمات "السالبة"، فراضاً عليها اتخاذ وضعيات وتكتلات معيّنة مما يؤدي أخيراً إلى "خلق" أو "توليد" الذرة. هذا المفهوم يتوافق مع أعرق التعاليم الهرمزية، والتي عرّقت دائماً مبدأ "الذكر" بصفته القطب "الموجب"، ومبدأ "الأنثى" بصفته القطب "السالب" كما يشيرون إليها اليوم بالمصطلحات الكهربائية.

وجب الإشارة عند هذه النقطة إلى مسألة مهمة تتعلّق بالتعريفات السابقة. لقد تكوّن في العقلية العامة انطباع خاطئ تماماً حول خصائص ما يُسمى القطب "السالب" للمادة المكهربة أو المُغنطة. لقد قام العلم بتطبيق مصطلحات "الموجب" و"السالب" بشكل خاطئ في هذه الظاهرة. تعني كلمة "موجب" Positive شيئاً حقيقياً أو قوياً، بالمقارنة مع "السالب" Negative الذي يعني غير حقيقي أو ضعيف. هذه الصفات لا تناسب الحقائق الفعلية المتعلقة بالظاهرة الكهربائية. ما نسميه القطب "السالب" للبطارية هو في الحقيقة قطب "المدخل" والذي تدخل عبره الطاقة لتتحول داخل البطارية إلى شكل مختلف، أو تولّد أو تنتج طاقة مختلفة. ليس هناك شيء "سليبي" في العملية. أرقى المراجع العلمية اليوم أصبحت تستخدم كلمة "كاثود" Cathode للإشارة إلى هذا القطب بدلاً من كلمة "سالب". مصطلح "كاثود" مُشتقّ من الكلمة الإغريقية التي تعني "هبوط" أو "درب التوالد". من قطب "الكاثود" تتدفّق الجسيمات أو الإلكترونات (يختلف الاسم حسب المرجع)، كما تنبعث تلك الأشعة الرائعة (الأشعة المهبطية) التي أحدث ثورة في المفاهيم العلمية خلال العقد السابق. قطب "الكاثود" هو أم كل الظواهر

الغريبة التي اعتُبرت غير مجدية في الكتب المدرسية، لكنها مع ذلك أدت إلى إلغاء الكثير من النظريات العلمية الراسخة. "الكاثود"، أو القطب "السالب" كما يسمونه، يمثل المبدأ الأمّ للظاهرة الكهربائية، ويُعتبر من أنقى أشكال المادة المعروفة في العلم. وهكذا كما رأيتم، يوجد مبرر لرفضنا لاستخدام مصطلح "سالب" خلال تناولنا للموضوع، وإصرارنا على استخدام كلمة "أنثى" Feminine بدلاً منه. لقد أثبتت الحقائق صحّة حجّتنا في هذا الموضوع، وذلك قبل أخذ التعاليم الهرمزية في الحسبان. لهذا السبب سوف نستخدم كلمة "أنثى" بدلاً من كلمة "سالب" خلال حديثنا عن نشاط هذا القطب.

تقول التعاليم العلمية الأخيرة بأن الجسيمات الخالقة، أو الإلكترونات، هي "أنثى" (يقول العلم بأنها تتألف من كهرباء "سالبة" - نحن نقول أنها تتألف من طاقة "أنثوية"). تتفصل جسيمة "أنثى" من جسيم "ذكر" وتبدأ مصيراً جديداً خاص بها. هي في الحقيقة تسعى إلى اتحاد مع جسيم "ذكر" آخر، وذلك بدافع الفطرة التي تدعوها إلى خلق أشكال جديدة من المادة أو الطاقة. أحد الكُتاب يذهب بعيداً في استخدام المصطلح قائلاً: "تسعى فوراً إلى الإتحاد وفق إرادتها الذاتية.. إلى آخره، مع أن هذا الانفصال والسعي للإتحاد من جديد لا يتولّد ذاتياً بل يشكّل القاعدة الأساسية لمُعظم النشاطات في العالم الكيماوي. عندما تتحد الجسيمات "الأنثوية" مع الجسيمات "الذكرية" تنطلق عملية معيّنة جديدة. الجسيمات "الأنثوية" تتذبذب بسرعة تحت تأثير الطاقة "الذكرية"، فتدور بسرعة حول هذه الأخيرة. والنتيجة تكون ولادة ذرّة جديدة. هذه "الذرّة" الجديدة تتألف في الواقع من اتحاد يجمع بين إلكترونات أو جسيمات "ذكرية" و"أنثوية"، لكن بعد حصول الإتحاد يصبح لدينا شيء آخر مختلف تماماً، أي الذرّة والتي تتميز بخصائص معيّنة، لكن لم تعد تجسّد خاصيّة الكهرباء الحرّة. عملية انفصال الجسيمات "الأنثوية" تُسمى "التأيين" ionization (أو التثريد). هذه الجسيمات هي أكثر العوامل فعالية في مسرح الطبيعة. بعد تحرّرها من اتحاداتها أو تركيباتها، تجسّد ظواهر متنوعة مثل الضوء، الحرارة، الكهرباء، المغناطيسية، الجذب، النفرة، التآلف والتناقض الكيماوي، وغيرها من ظواهر مشابهة. كل هذه تتجلى بفضل مفعول مبدأ "الجنّدر" في مستوى الطاقة.

يبدو أن الدور الذي يلعبه مبدأ "الذكر" هو توجيه طاقة فطرية معينة نحو مبدأ "الأنثى"، مما يؤدي بالتالي إلى إطلاق العنان لعملية خلق معينة. لكن مبدأ "الأنثى" هو الوحيد الذي يقوم بالعمل الخلاق، وهذه الحال هي ذاتها على كافة المستويات في الوجود. ومع ذلك، كل من هذين المبدأين يفتقد لطاقة العمل في غياب الآخر. في بعض أشكال الحياة نجد أن المبدأين مجموعان في كائن حي واحد. وفي الحقيقة، فإن كل شيء في العالم العضوي يجسد المبدأين معاً، لكن تختلف درجات هذا التجلي بين كائن وآخر. هناك دائماً جانب "ذكر" في أشكال الحياة "الأنثوية"، وجانب "أنثوي" في أشكال الحياة "الذكرية". تتحدث التعاليم الهرمزية الكثير عن عمل هذين المبدأين في إنتاج وتجلي أشكال مختلفة من الطاقة والمادة.. إلى آخره، لكن وجدنا أنه من غير المناسب الآن الدخول في تفاصيل هذه النقطة، لأننا نعجز حالياً عن دعم إدعاءاتنا بالمعطيات العلمية، ليس لشيء سوى أن العلم لم يتطور إلى هذا المستوى من المعرفة بعد. لكن مثال الجسيمات والإلكترونات الذي قدمناه في الفقرات السابقة سيظهر لكم بأن العلم يسير على الدرب الصحيح، كما ساهم هذا المثال في استعراض فكرة عامة عن عمل هذا المبدأ الأساسي.

بعض الباحثين العلميين البارزين أعلنوا عن اعتقادهم بأن تشكل الكريستالات يشمل عملية تتوافق مع ما يمكن اعتباره "نشاط جنسي"، وهذا مؤشّر آخر إلى الجهة التي يسير نحوها العلم. وكل سنة ستجلب معها حقائق جديدة تعزز صحة مبدأ "الجندر" الهرمزي. ها بدأت تتزايد الإثباتات على أن مبدأ "الجندر" في حالة نشاط وتجلي مستمر حتى في عالم المادة غير العضوية، وبالإضافة إلى مجال الطاقات والقوى. أصبحت الكهرباء اليوم تُعتبر "شيئاً" تتصهر فيه باقي أشكال الطاقة. أصبحت النظرية الكهربائية للكون العقيدة العلمية السائدة الآن، وهي تتنامى بسرعة من حيث الشعبية والقبول. بعد أن تمكنا من اكتشاف حضور مبدأ "الجندر" ونشاطه في الظاهرة الكهربائية، وحتى في جوهر المصدر الذي تتجلي عبره، هذا يبرر إدعاءنا بحقيقة أن العلم قد وفرّ أخيراً الدلائل على حضور هذا المبدأ الهرمزي العظيم في كافة الظواهر الكونية.

ليس من الضرورة أن نستنزف وقتكم في وصف ظواهر معروفة جيداً مثل "الجذب والنفرة" بين الذرات، وكذلك التآلف الكيماوي، "الميل والنزوح" لدى الجزيئات الذرية، وعملية الالتحام بين جزيئات المادة. هذه الحقائق معروفة جيداً علمياً لدرجة جعلها غنية عن الشرح من قبلنا. لكن هل فكّرت يوماً بأن كل هذه الأمور هي تجليات متنوعة لمبدأ "الجندر"؟ ألم ترى كيف توافق هذا المبدأ تماماً مع سلوك الجسيمات والإلكترونات؟ وبالإضافة إلى ذلك، ألم يصبح عقلاً الآن إداء التعاليم الهرمزية الذي يؤكد بأن قانون "الجاذبية"، ذلك الانجذاب الغريب الذي تستعرضه كافة الجزيئات والأجسام المادية في الكون تجاه بعضها البعض، هو في الحقيقة أحد تجليات مبدأ "الجندر"، والذي يعمل على دفع الطاقات "الذكرية" للانجذاب نحو الطاقات "الأنثوية" وبالعكس؟ لا نستطيع تقديم إثباتات علمية بهذا الخصوص حالياً، لكن تفحص هذه الظاهرة جيداً على ضوء التعاليم الهرمزية، ولاحظ كيف تحصل على فرضية علمية أكثر واقعية من تلك التي تقدمها الفيزياء المنهجية. أخضع كافة الظواهر الفيزيائية للفحص، وسوف تكتشف بأن مبدأ "الجندر" حاضراً في كافة الحالات.

بعد تكوين فكرة عن عمل مبدأ "الجندر" على المستوى المادي، دعونا الآن ننتقل إلى تناوله على المستوى العقلي. هناك الكثير من المظاهر المثيرة التي تنتظرنا.

الفصل الرابع عشر

الجنـدر العقلي

MENTAL GENDER

طلاب علم النفس الذين اتبعوا نزعة التفكير العصرية في مجال الظواهر العقلية تأثروا بالمفهوم العلمي المتمحور حول فكرة "ثنائية العقل" والتي جسدت نفسها بقوة خلال العقد الماضي، وأدى ذلك إلى بروز عدد من النظريات المقبولة نسبياً حول طبيعة وتكوين هذين القسمين من العقل. لقد حقق المرحوم "ثومسون.ج. هودسن" Thomson J. Hudson شهرة واسعة في العام ١٨٩٣ من خلال خروجه بنظريته المعروفة جيداً حول فكرة "العقول المفعولة والفاعلة" objective and subjective minds والتي زعم وجودها في كل فرد. لقد جذب باحثون آخرون ذات الاهتمام من خلال التقدم بنظريات تتحدث عن "العقل الواعي والباطن"، "العقل الإرادي واللاإرادي"، "العقل الفعّال والخامد"،.. إلى آخره. تختلف النظريات عن بعضها لكنها تشترك بمبدأ "ثنائية العقل" الذي تستند عليه جميعاً.

يُدفع طالب الفلسفة الهرمزية إلى الابتسام عندما يقرأ ويسمع عن هذه النظريات الجديدة المتنوعة التي تتناول موضوع "ثنائية" العقل، خصوصاً عند تمسك كل مدرسة بعناد بنظريتها الربيبية، وكل منها تدّعي اكتشاف الحقيقة. ما يفعله الطالب الهرمزي هو العودة إلى التصفّح بتاريخ العلوم التجاوزية، فيرجع بعيداً عبر سديم الزمن إلى فترة بدايات التعاليم التجاوزية فيطلع على مراجع العقيدة الهرمزية العريقة حول مبدأ "الجنـدر" على المستوى العقلي، أو كيفية تجلّي "الجنـدر" العقلي. بعد المزيد من التمحيص قدماً سيكتشف بأن هذه الفلسفة العريقة كانت تُدرك جيداً ظاهرة "ثنائية العقل" وتحدثت عنها بإسهاب تحت عنوان "الجنـدر العقلي". يمكن شرح فكرة "الجنـدر العقلي" بكلمات مختصرة للطلاب الذين يألفون النظريات العصرية التي أشرنا إليها تواءماً. المبدأ "الذكري" للعقل يتوافق مع ما يُسمى "العقل الفاعل"، "العقل الواعي"، "العقل الإرادي"، "العقل الفعّال"،.. إلى آخره. أما المبدأ "الأنثوي" للعقل فيتوافق مع ما يُسمى

"العقل المفعول"، "العقل باطن"، "العقل الإرادي"، "العقل الخامد"،.. إلى آخره. التعاليم الهرمزية لا توافق طبعاً مع الكثير من النظريات الحديثة حول طبيعة جانبي العقل، ولا تعترف بالحقائق العديدة المزعومة لهذين المظهرين، حيث بعض تلك النظريات والإدعاءات هي مُبالغ بها وعاجزة عن تجاوز مرحلة الاختبار أو الاستعراض. لقد اكتفينا بالإشارة إلى نقاط الشبه فقط من أجل مساعدة الطالب على محاولة استيعاب ما كسبه سابقاً من معرفة حول هذا الموضوع مع ما سيتعرف عليه من تعاليم الفلسفة الهرمزية. سوف يلاحظ طلاب "هودسن" Hudson الإفادة الواردة في مقدمة الفصل الثاني من كتابه الذي بعنوان "قانون الظواهر الروحية" The Law of Psychic Phenomena، والتي تقول: "تكشف اللغة الباطنية المضطربة وغير المفهومة للفلاسفة الهرمزيين عن ذات الفكرة العامة.."، ويقصد فكرة "ثنائية العقل". لو تريت الدكتور "هودسن" قليلاً وصرف المزيد من الوقت والجهد لفكّ شيفرة "اللغة الباطنية المضطربة للفلاسفة الهرمزيين"، ربما كان قد زاد من تتوره عن موضوع "ثنائية العقل". لكنه لو فعل ذلك فعلاً، ربما لم يعد يبقى لديه ذات الحماسة لتأليف كتابه الشهير. دعونا الآن نلقي نظرة على التعاليم الهرمزية وما نقوله عن "الجنر العقلي".

يقدم المعلمون الهرمزيون إرشاداتهم بخصوص هذا الموضوع من خلال دعوة تلاميذهم إلى تفحص ما يوحي به الوعي لديهم عن أنفسهم. يُطلب من التلاميذ أن يوجهوا انتباههم إلى الداخل، باتجاه "النفس" القابعة داخل كل منهم. يُرشد كل تلميذ إلى رؤية أن وعيه يقدم له أولاً بيان عن وجود "النفس"، والبيان هو "أنا موجود". ستبدو هذه بأنها الكلمات النهائية من الوعي، لكن بعد المزيد من التفحص يُكشف عن حقيقة أن هذه الـ"أنا موجود" تنفصل أو تنقسم إلى جزأين متميّزين، أو مظهرين مختلفين، والذين رغم عملهما سوياً وبانسجام، لكنهما منفصلان في الوعي.

في الوقت الذي يبدو فيه أنه فقط الـ"أنا" [I] موجود، بعد التمهيص أكثر، وبشكل متأن، نكتشف حقيقة وجود "أنا" [I] و"ذات" [Me]. هذين التوأمين العقليين يختلفان من حيث الخصائص والطبيعة، ومجرد التدقيق في طبيعتهما والظواهر الناتجة منهما

سوف يساهم في إلقاء الضوء على الكثير من المسائل المظلمة المتعلقة بظاهرة "التأثير العقلي" mental influence.

دعونا نبدأ من خلال تناول الـ"ذات" [Me]، والتي عادةً ما تُخلط مع الـ"أنا" [I] من قبل الطالب، إلا إذا تعمق أكثر في خفايا الوعي. ينظر الفرد إلى "الذات" لديه (من جانب "الذات") على أنها مؤلفة من مشاعر، مزاجات، رغبات، عادات، روابط دفينية، خصائص.. إلى آخره، وغيرها من عوامل معيّنة تكوّن شخصيته، أو "نفسه" كما هي معروفة لديه والآخرين. هو يعلم بأن هذه العواطف والمشاعر تتغير على الدوام. أي بمعنى آخر، تولد تنمو ثم تموت وتندثر. ووفق الفلسفة الهرمزية، هي معرضة لمبدأ "الإيقاع" Rhythm، ومبدأ "القطبية" Polarity الذي يأخذه من أقصى درجات الشعور إلى أقصاه الآخر. كما أن الفرد ينظر إلى الـ"ذات" على أنها مجموعة معطيات معيّنة تجمعت في عقله وشكلت بالتالي جزءاً منه.

لكن يبدو أننا تقدمنا سريعاً دون التوقف عند بعض المحطات المهمة. قد يُقال بأن الـ"ذات" لدى الكثير من الأفراد تتألف بمعظمها من وعيهم بجسدهم وشهواتهم المادية، إلى آخره. لأن الوعي لديهم مرتبط غالباً مع طبيعتهم الجسدية (الدنيوية)، فيعيشون عملياً في هذا المستوى. بعض الأفراد يذهبون بعيداً فيعتبرون مظهرهم الشخصي (حتى لباسهم) جزءاً من الـ"ذات" لديهم ويبدو أنهم يعتبرونها فعلياً جزءاً منهم. قال أحد الكتاب مستهزئاً بأن "الأفراد يتألفون من ثلاثة أقسام: الروح، الجسد، واللباس..". هؤلاء الأفراد المهتمين بملابسهم قد يفقدون شخصيتهم إذا تجردوا منها في حالات طارئة. لكن حتى الأفراد غير المهوسين بفكرة الملابس والمظهر الخارجي تمتلكهم فكرة أن وعيهم الجسدي هو الـ"ذات" بالنسبة لهم، ولا يستطيعون استيعاب فكرة أن "الذات" مستقلة تماماً عن الجسد. يبدو "العقل" بالنسبة لهم بأنه شيء ينتمي لأجسادهم، وقد يكون كذلك فعلاً في بعض الحالات.

لكن مع ارتقاء الفرد في سلم الوعي سوف يصبح بإمكانه فصل "ذاته" عن أفكاره بخصوص جسده، ويستطيع حينها النظر إلى جسده على أنه ينتمي إلى القسم العقلي

من كينونته. لكن مع ذلك، سوف يبقى ميالاً إلى تصنيف "الذات" في خانة الحالات العقلية، والمشاعر، إلى آخره، والتي يشعر بوجودها داخله. قد يميل إلى اعتبار هذه الحالات الداخلية ممثلة لنفسه، بدلاً من اعتبارها مجرد أشياء ناتجة من أحد أقسام عقله وموجودة داخله، لكنها مع ذلك لا تمثله هو. وسيلحظ في النهاية كيف يمكنه تغيير هذه الحالات الداخلية من المشاعر، وذلك من خلال مجهود الإرادة، وأنه يستطيع إنتاج حالات ومشاعر ذات طبيعة معاكسة تماماً، ورغم هذا كله تبقى "الذات" قائمة في كل الأحوال، لا تتغير أبداً. وهكذا بعد فترة، يُصبح بإمكانه تمييز وعزل هذه الحالات العقلية المختلفة، وكذلك المشاعر والعادات والخصائص، وغيرها من مقومات عقلية فردية، وجمعها في خانة "غير الذات"، التي تضم الصفات والشوائب وحتى الممتلكات الدنيوية الثمينة. هذه العملية تتطلب الكثير من التركيز والجهد العقلي والقدرة على التحليل. لكن رغم ذلك تبقى العملية ممكنة بالنسبة للطالب المتقدم. وحتى أولئك الذين على درب التقدّم يستطيعون تصوّر كيف يمكن إجراء العملية.

بعد الانتهاء من عملية العزل والتصنيف، يصبح الطالب واعياً لحقيقة حوزته على "نفس" Self بمظهرها الـ "أنا" [I] والـ "ذات" [Me]. سوف يشعر بالـ "ذات" على أنها شيئاً عقلياً إذ بواسطتها تنتج الأفكار، العواطف، المشاعر، وغيرها من حالات عقلية. يمكن اعتبارها "الرحم" العقلي، كما أشار إليها القدماء، إذ مهمتها توليد ذرية عقلية. تقدم نفسها للوعي بصفتها "الذات" والتي تتمتع بقوى كامنة على الخلق وتوليد ذرية عقلية من كافة الأشكال والأنواع. قوتها الخلاقة تتمتع بطاقة هائلة. لكن رغم ذلك، يبدو أنها تعي حقيقة أنه من الضروري أن تتلقى شكل معين من الطاقة التحفيزية من توأمها الـ "أنا"، أو من "أنا" أخرى خارجية، قبل أن تتمكن من إطلاق عملية الخلق العقلي. هذا القسم من الوعي يجلب معه إمكانية تحقيق حجم هائل من المجهود العقلي والقدرة على الخلق.

لكن سيكتشف الطالب بأنه ليس هذا كل ما يجده في وعيه الداخلي. سيكتشف وجود شيئاً عقلياً قادر على توجيه "الذات" (بفعل الإرادة) ليسير ضمن خطوط إبداعية محددة، كما أنه بإمكان هذا الشيء أن يقف جانباً ومراقبة سير عملية الخلق العقلي.

هذا الشيء الذي يمتلّ جزء منه، تعلّم على الإشارة إليه بمصطلح "الأنا" [I]. يستطيع أن يرقد في هذا القسم من الوعي وفقاً لإرادته. سوف لن يجد في هذا القسم القدرة على الإنتاج أو الخلق الفعلي، بالمعنى العملي التدريجي المصاحب للإجراءات الذهنية، بل سيجد ميل إلى قدرة إسقاط (أو قذف) شكل من الطاقة من "الأنا" إلى "الذات"، ويمكن اعتبارها "الإرادة" بإطلاق عملية الخلق العقلي. سوف يكتشف أيضاً بأن "الأنا" قادر على الوقوف جانباً ومراقبة مجريات الخلق العقلي "للذات". هذا المظهر الثنائي موجود في كل فرد. "الأنا" يمتلّ المبدأ "الذكري" للجنس العقلي، بينما "الذات" تمثّل المبدأ "الأنثوي". "الأنا" يمتلّ مظهر "الكينونة" Being، بينما "الذات" تمثّل مظهر "الصيرورة" Becoming. سوف تلاحظون بأن مبدأ "التماثل" Correspondence فاعلاً في هذا المستوى كما يفعل على المستوى الأعظم الذي تم فيه خلق الكون. الاثنان متشابهان بالنوعية، لكن يختلفان بشكل هائل من حيث الدرجة. .. كما في الأعلى، كذلك في الأسفل، وكما في الأسفل، كذلك في الأعلى.."

هذين المظهرين للعقل، مبدئي الأنثى والذكر (أو "الذات" و"الأنا")، وفيما يتعلّق بالظواهر العقلية الخارقة، يُعتبر بأنهما يوفران "المفتاح العمومي" لهذه المجالات الضبابية من التجلّي والعمل العقلي. يقدم مبدأ "الجنس العقلي" كل الحقيقة الكامنة وراء الظواهر المتعلقة بمجال التأثير العقلي، والتنويم المغناطيسي، وغيرها.

ميل المبدأ "الأنثوي" يكون دائماً باتجاه تلقّي الانطباعات والإيحاءات، بينما ميل المبدأ "الذكري" يكون دائماً باتجاه منح الانطباعات والإيحاءات. إن للمبدأ "الأنثوي" مجال عمل أوسع وأكثر تنوعاً من مجال المبدأ "الذكري". المبدأ "الأنثوي" يوجّه عملية توليد الأفكار الجديدة، وكذلك المفاهيم والاهتمامات، كما أن عمله يشمل الخيال أيضاً. أما المبدأ "الذكري" فيكتفي بعملية "الإرادة" في جوانبه المختلفة. لكن رغم هذا القدر اليسير الذي وكّل به المبدأ "الذكري" في العملية (أي "طرح الإرادة")، وفي غياب هذا العامل البسيط ظاهرياً، سيستمرّ المبدأ "الأنثوي" بإنتاج وخلق الصور العقلية لكن كنتيجة لانطباعات وإيحاءات قادمة من الخارج، وبالتالي لن يكون الخلق العقلي أصيلاً في كينونة الفرد. (يمكن اعتبار هذه العملية بأنها "حالة زنى عقلية").

الأشخاص الذين يوجهون انتباههم وتفكيرهم نحو موضوع معيّن، يفعلون ذلك باستخدام كلا المبدئين العقليين، الجانب "الأنثوي" يتولى عملية الإنتاج العقلي، والجانب "الذكري" يطرح إرادته نحو تحفيز وتنشيط القسم الخلاق من العقل. لكن معظم الناس لا يستخدمون المبدأ "الذكري" سوى قدر قليل منه فقط، ويكتفون بالعيش والتصرف وفقاً للأفكار والإرشادات المغروسة في رحم "الذات" لديهم من قبل "الأنا" التابعة لعقول الآخرين (زنى عقلي). لكن غايتنا ليست التركيز على هذا الجانب من الموضوع، حيث يمكن دراسته بالتفصيل عبر الاطلاع على عدة مراجع متعلّقة بعلم النفس، والأمور ستتوضّح أكثر إذا اطّلعتم عليها مستخدمين المفتاح الذي قدمناه لكم حول "الجندر العقلي".

العامل بمجال الظواهر الروحية يعلم جيداً تلك الظاهرة المذهلة التي تُصنّف في خانة التخاطر، انتقال الأفكار، التأثير العقلي، الإحياءات، التنويم المغناطيسي،.. إلى آخره. لقد سعى الكثيرون إلى إيجاد تفسير لهذه المظاهر المختلفة في نظريات المفكرين حول "ثنائية العقل". وهم على حق نسبياً، حيث يبدو واضحاً تجلّي جانبين متميّزين من النشاط العقلي. لكن إذا نظر الباحث إلى هذه النظريات في ضوء التعاليم الهرمزية المتعلّقة بـ"الذبذبة" و"الجندر العقلي" سوف يجد المفتاح المفقود.

يمكن في ظاهرة التخاطر رؤية كيف تنتقل الطاقة المتذبذبة للمبدأ "الذكري" إلى المبدأ "الأنثوي" للشخص الآخر، فيأخذ هذا الأخير البذرة الفكرية ويسمح لها بالنمو والتطور حتى مرحلة البلوغ. وهذه هي الطريقة ذاتها التي تعمل وفقها الإحياءات الكلامية وكذلك التنويم المغناطيسي. يقوم المبدأ "الذكري" للشخص الموحى بتوجيه حزمة من الطاقة المتذبذبة أو "قوة الإرادة" نحو المبدأ "الأنثوي" للشخص الآخر، وهذا الأخير يتقبّل الإحياء ويجعله له، فيتصرف ويُفكر وفقاً له. الفكرة المزروعة في عقل الشخص الآخر تنمو وتتطور، وتُعتبر مع الوقت من بنات أفكار هذا الشخص. الأمر مشابه تماماً لبيضة طائرة الوقواق الذي يضعها في عشّ طائر الدوري بدلاً من بيضته الأصلية بعد تدمير هذه الأخيرة، فما على الطائر الدوري سوى الاهتمام بالبيضة المزورة وتنشئة الصوص الذي يفقس منها بصفته نريته الأصلية. الصيغة الصحيحة

هي حصول تنسيق بين المبدئين "الأنثوي" و"الذكري" في عقل الشخص والتصرف بانسجام مع بعضهما البعض، لكن لسوء الحظ، المبدأ "الذكري" في الشخص العادي هو كسول جداً وعاجز عن فرض إرادته والنتيجة هي أن هكذا أشخاص يُحكمون بالكامل تقريباً من قبل عقول وإرادات أشخاص آخرين، والذين يسمحون لهم بالتفكير عنهم والإرادة بالنيابة عنهم. نادراً ما يمارس الشخص العادي تصرفات وأفكار أصيلة نابعة منه. أنظر حولك، أليس أغلبية الناس مجرد ظلال وأصداء للآخرين الذين يتمتعون بإرادات وعقول أقوى منهم؟ المشكلة تكمن في أن الشخص العادي يقبع غالباً في قسم "الذات" من وعيه ولا يدرك بأنه يملك شيئاً يُسمى "الأنا". هو مُستقطب نحو المبدأ "الأنثوي" من عقله، بينما المبدأ "الذكري"، والذي يحتوي على الإرادة، يُترك مُهملاً دون تفعيل أو استخدام.

الرجال والنساء الأقوياء في العالم يجسّدون دون استثناء المبدأ "الذكري" لإرادتهم، وقوتهم تعتمد كلياً على هذه الحقيقة. بدلاً من العيش على الإبهات والانطباعات التي يصنعها الآخرون في عقولهم، فإنهم يسيطرون على عقولهم بقوة إرادتهم، وينتجون الصور الذهنية التي يرغبونها، وأكثر من ذلك، فإنهم يسيطرون على عقول الآخرين بنفس الطريقة. أنظر إلى الأشخاص الأقوياء كيف يتمكون من زرع بذور أفكارهم في عقول الحشود البشرية، جاعلوهم يفكرون وفق رغباتهم وإراداتهم. لهذا السبب تتصرف الحشود البشرية دائماً كما قطعان الأغنام، لا ينتجون أفكاراً أصيلة، ولا يستخدمون قواهم الخاصة في نشاطاتهم الذهنية.

يمكن ملاحظة تجسيد "الجنذر" العقلي في كل مكان حولنا في حياتنا اليومية. الأشخاص الذين يتمتعون بقوة الجاذبية هم الذين استطاعوا استخدام المبدأ "الذكري" بطريقة تمكنهم من فرض أفكارهم على الآخرين. الممثل الذي يجعل المشاهدين يبكون وفقاً لإرادته، هو أيضاً يستثمر هذا المبدأ. وكذلك الحال مع الخطيب، رجل الدولة، الواعظ الديني، الكاتب، أو غيرهم من الذين يسعون إلى لفت الانتباه الجماهيري. التأثير الغريب الذي يمارسه بعض الأشخاص على الآخرين يستند في المقام الأول على الجنذر العقلي، بالإضافة إلى عامل الذبذبة المُشار إليه سابقاً. في هذا المبدأ يُكمن

سرّ المغناطيسية الشخصية، التأثير الشخصي، الشخصية الساحرة، الإعجاب، الإفتتان، الانجذاب.. إلى آخره، بالإضافة إلى تلك الظاهرة التي صنّفت بعنوان "التتويم المغناطيسي".

الطالب الذي أَلَفَ الظواهر التي يشيرون إليها بـ"الروحية" psychic لا بد من أنه اكتشف الدور المهم الذي تلعبه تلك القوة التي صنّفها العلم بمصطلح "الإيحاء" Suggestion، ومعناه ".. أي وسيلة أو إجراء يتم خلاله نقل الفكرة إلى، أو فرضها على، عقل الآخر، جاعلاً هذا العقل الآخر يتصرّف وفقاً للرجبة المرجوة من العملية..". إن الفهم الصحيح لمعنى "الإيحاء" ضروري من أجل الاستيعاب، بشكل عقلائي، الظواهر النفسية التي تتضمنها عملية "الإيحاء". لكن مع ذلك، من الضروري بالنسبة للطلاب معرفة المزيد عن "الذبذبة" و"الجندر العقلي" لكي يتوسّع إلمامه بموضوع "الإيحاء". فإن كامل مبدأ "الإيحاء" يستند على مبدأي "الجندر العقلي" و"الذبذبة".

إنه تقليدي بالنسبة لكتاب ومعلمي "الإيحاءات" أن يشرحوا العملية على أنها عبارة عن فرض الأفكار أو الإيحاءات الذهنية من قبل العقل "الفاعلي" أو "الإرادي" على العقل "المفعولي" أو "اللاإرادي". لكنهم لا يوصفون العملية بالتفصيل أو يقدمون لنا مثلاً حياً من الطبيعة لكي نستوعب الفكرة جيداً. لكن إذا فكّرت بالمسألة على ضوء التعاليم الهرمزية سوف تتمكن من رؤية أن تفعيل المبدأ "الأنثوي" بواسطة الطاقة المتذبذبة للمبدأ "الذكري" هو عملية متوافقة مع القوانين الكونية للطبيعة، وأن الطبيعة توفر عدد لانتهائي من الأمثلة التي تجعل المبدأ مفهوماً. وفي الحقيقة، تُبيّن التعاليم الهرمزية كيف أن عملية خلق الكون بذاته تتبع نفس القانون، وأن كافة تجليات الخلق، في المستويات الروحية والعقلية والمادية، يقوم مبدأ "الجندر" (المؤلف من تفاعل المبدأين "الذكري" و"الأنثوي") بمهمته على أكمل وجه. ".. كما في الأعلى، كذلك الحال في الأسفل.. كما في الأسفل، كذلك الحال في الأعلى..". وبالإضافة إلى ذلك، عندما يُفهم مبدأ "الجندر" بشكل جيّد، سوف تصبح الظواهر المختلفة في مجال علم النفس أكثر وضوحاً وبالتالي يسهّل البحث فيها، بدلاً من بقاءها مُهملة في العنمة وبعيدة عن نور

المعرفة. هو ليس مجردّ مبدأ نظري، بل عملي جداً وقابل للتطبيق، ذلك لأنه يستند على القوانين الكونية الثابتة.

سوف لن نخوض في نقاش مطوّل أو وصف مستفيض للظواهر المختلفة للتأثير العقلي أو النشاطات النفسية. هناك الكثير من الكتب، والكثير منها جيّدة نسبياً، والتي كُتبت ونُشرت حول هذا الموضوع في السنوات الأخيرة. الحقائق الرئيسية التي وردت في هذه الكتب المختلفة هي صحيحة، رغم أن الكتاب المتعددين حاولوا شرح الظواهر وفق نظرياتهم الربّية المتنوعة. يمكن للطالب أن يتعرّف عليها عموماً، ومن خلال استخدام نظرية "الجندر العقلي" سوف يتمكن من استخراج نظام موحد من فوضى هذه النظريات المتنوعة والمتضاربة، وربما يتقن هذا المجال ليصبح سيّداً فيه إذا رغب. الهدف من هذا العمل ليس تقديم سرد مستفيض عن الظواهر الروحية، بل إعطاء الطالب "مفتاح عمومي" يساعده في فتح الأبواب العديدة المؤدية إلى أقسام معبد المعرفة الذي رغب في استكشافه. نشعر بأنه بعد الإطلاع على تعاليم "القبيلان" الواردة هنا باختصار، قد يجد الفرد تفسير ما يخدمه يوماً في توضيح أحد أو الكثير من المسائل المعقّدة. إنه "مفتاح" قادر على فتح الكثير من الأبواب. ما هو النفع من الانخراط في التفاصيل المملّة للمظاهر العديدة للظواهر الروحية والعلوم العقلية، في الوقت الذي وضعنا فيه بين يدي الطالب الوسيلة التي تمكنه من الإلمام بكل الجوانب المتعلقة بأي موضوع يطلع عليه. بمساعدة "القبيلان" يستطيع الفرد أن يقرأ مكتبة كاملة للعلوم التجاوزية بوضوح وعلى بيّنة، وبمساعدة النور العريق القادم من مصر، سوف يُضاء الكثير من الصفحات المُعتمة، والمواضيع المظلمة. هذه هي الغاية من هذا الكتاب. نحن لا نفرض فلسفة جديدة، بل نوّفر مختصر تمهيدي لتعاليم عظيمة عريقة بعراقة الزمن، تساهم في توضيح تعاليم الآخرين، وتخدم كمرج أول يُصحّح الأخطاء والبهفوات التي وُبتت بها النصوص القديمة عبر الزمن، ويُصلح بين النظريات المتضاربة والعقائد المختلفة.

الفصل الخامس عشر

بديهيات هرملية

HERMETIC AXIOMS

".. إن حوزة المعرفة، إذا لم تكن مصحوبة بالتجلي عملياً عبر التطبيق الفعلي، تشبه تخزين المعادن الثمينة، وهذا عمل أخرق. المعرفة هي كالثروة، وُجدت بهدف الاستخدام. قانون الاستخدام هو قانون كوني، وكل من خالف هذا القانون سوف يعاني عواقب معاكسة مسيرة قوى الطبيعة.." — القليلان

في الوقت الذي كانت فيه التعاليم الهرملية دائماً تقبّع مخفية بإحكام في عقول حائزيها المحظوظين، ولأسباب ذكرناها سابقاً، لم يكن الهدف منها أن تكون بهذه الحالة المزرية في سجنها المؤبد. لقد تم التشديد كثيراً على قانون "الاستخدام" في هذه التعاليم، كما لاحظت في المقولة الواردة في مقدمة هذا الفصل والمقتبسة من "القبيلان". المعرفة المجردة من الاستخدام أو التطبيق العملي هي شيء واهي لا قيمة له، لأنها لا تقدّم أي خير أو فائدة لحائزها، أو للبشرية. أحرز من البُخل العقلي، وحاول بقدر ما تستطيع أن تطبق عملياً كل ما تعلمته. تأمل جيداً في البديهيات والحكم والأقوال المأثورة، لكن بنفس الوقت مارسها عملياً.

قدمنا فيما يلي بعض أهمّ البديهيات الهرملية، من "القبيلان"، مع بعض التعليقات المضافة إلى كل منها. اجعلها ملكاً لك، ومارسها واستخدمها، حيث سوف لن تصبح ملكاً لك إلا بعد استخدامها عملياً.

".. من أجل تغيير مزاجك أو حالتك العقلية.. قم بتغيير ذبذبتك.." — القليلان

يستطيع الفرد أن يغيّر ذبذباته العقلية بمجهود من الإرادة، الموجهة نحو تركيز الانتباه على حالة عقلية مرغوبة. الإرادة توجه الانتباه، والانتباه يغيّر الذبذبة. طور فنّ

الانتباه، بواسطة الإرادة، وتكون قد حزت على سرّ السيادة على المزاج والحالة العقلية.

".. من أجل إزالة معدّل غير مرغوب من الذبذبة العقلية، قم بتفعيل مبدأ القطبية وركّز انتباهك على القطب المعاكس للحالة التي ترغب في قمعها. اقلل الغير مرغوب به من خلال تغيير قطبيته..". — القليلان

تُعتبر هذه إحدى أهمّ الصيغ الهرمزية. إنها تستند على مبادئ علمية صحيحة. لقد أريناكم كيف أن الحالة العقلية والحالة المعاكسة لها هما في الحقيقة مجرد قطبين للشيء ذاته، وأنه بواسطة "التحوّل العقلي" يمكن عكس القطبية. هذا المبدأ معروف جيداً لدى علماء النفس العصبيين، والذين يستخدمونه بهدف كسر العادات غير المرغوبة، وذلك من خلال الطلب من تلاميذهم أن يركّزوا على الخاصية المعاكسة لما يعانونه. إذا كان يملكك الخوف، لا تضيّع وقتك في محاولة إزالته عنوةً، بل بدلاً من ذلك ركّز على خاصية الشجاعة، وسوف يختفي الخوف تماماً. بعض الكتاب عبروا عن هذه الفكرة بطريقة مُجهدة مستخدمين مثال الحُجرة المظلمة. أنت لست مضطراً إلى تكتيس أو تعزير الظلام من الحُجرة، بل كل ما عليك فعله هو فتح السنانير والسماح للنور أن يدخل، فيختفي الظلام تماماً. من أجل إزالة خاصية سلبية، ركّز على القطب الإيجابي من تلك الخاصية تحديداً، وسوف تتغيّر الذبذبات تدريجياً من السلبي إلى الإيجابي، إلى أن تصبح أخيراً مُستقطب نحو القطب الموجب بدلاً من السالب. العكس هو صحيح أيضاً، وهذا ما كاشفناه بعض سيئي الحظ، بعد أن سمحوا لأنفسهم أن يتذبذبوا باستمرار باتجاه القطب السالب للأمر (أي الاستسلام الدائم للأفكار السلبية والخواطر المُحبطة). من خلال إتباع وسيلة تغيير القطبية، سوف تصبح سيّداً لمزاجك، وتتمكّن من تغيير حالاتك العقلية، وإعادة تشكيل مزاجك، وبناء شخصية جديدة. نسبة كبيرة من السيادة العقلية التي يتمتع بها الهرمزيون المتقدمون تعود بالفضل إلى تطبيق مبدأ "القطبية"، والذي يُعدّ أحد أهمّ مظاهر "التحوّل العقلي". تذكر الحكمة الهرمزية التي تقول:

".. يمكن للعقل (وكذلك المعادن والعناصر) أن يتم تحويله من حالة إلى حالة، درجة إلى درجة، وضعية إلى وضعية، قطب إلى قطب، نذبذة إلى نذبذة..". — القبيلان

الإستمكان من "القطبية" يعني الإستمكان من المبادئ الجوهرية للتحوّل العقلي أو الخيمياء العقلية، حيث إذا لم يتّفنّ الفرد فنّ تغيير قطبيته سوف يعجز عن التأثير على بيئته. إن فهم هذا المبدأ سيتمكّن الفرد من تغيير قطبيته، وكذلك قطبية الآخرين إذا أراد، لكن من أجل تحقيق ذلك عليه تكريس الوقت والجهد والممارسة اللازمة لإتقان هذا الفنّ. المبادئ صحيحة، لكن النتائج التي يحصل عليها تعتمد على مثابرة الطالب والممارسة المتواصلة.

".. يمكن محايدة الإيقاع من خلال تطبيق فنّ القطبية..". — القبيلان

كما شرحنا في الفصول السابقة، يعتبر الهرمزيون أن مبدأ الإيقاع متجلّي على المستوى العقلي كما على المستوى المادي، وأن التبادل الغامض والمحيرّ للمزاج، المشاعر، العواطف، وحالات عقلية أخرى، يعود سببه إلى تأرجح البندول العقلي ذهاباً وإياباً، والذي يحملنا من أقصى درجات شعور معين إلى أفصاها المعاكس. يُعلّم الهرمزيون أيضاً بأن قانون "المحايدة" Neutralization يمكن الفرد من، وإلى درجة كبيرة، من التغلّب على تأثير الإيقاع في الوعي. كما سبق وشرحنا، هناك مستوى أعلى من الوعي كما يوجد المستوى العادي الأدنى منه، وارتقاء السيّد عقلياً إلى المستوى الأعلى يجعل تأثير تأرجح البندول العقلي متجسداً فقط في المستوى الأدنى، وخلال بقاءه في المستوى الأعلى يكون قد أفلت من تأثير تأرجح العودة لموجة الإيقاع. يتم هذا من خلال الاستقطاب على المستوى الأعلى من الكينونة (النفس العلّيا)، ورفع الذبذبة العقلية للذات فوق أقسام الكينونة القابعة في المستويات العادية من الوعي. الأمر مشابه لعملية الارتفاع فوق شيء ما والسماح له بالمرور من تحتك. الهرمزي المتقدّم يستقطب نفسه نحو القطب الموجب من كينونته، أي قطب "أنا موجود" (الإلهي) بدلاً من قطب "الشخصية" (الذنيوي)، ومن خلال رفض أو إنكار

عمل الإيقاع، يرفع بنفسه فوق مستوى الوعي العادي، ويتشبّه بموقفه القائل "أنا موجود"، وينتظر البندول لأن يتأرجح عائداً على المستوى الأدنى قبل إعادة تغيير قطبته إلى الحالة الطبيعية. يمكن إنجاز هذا العمل من قبل الأشخاص الذين أحرزوا درجة معينة من السيطرة على الذات، بغض النظر عن إذا كانوا يعرفون هذا القانون أو لا. هكذا نوع من الأشخاص يرفضون ببساطة السماح لأنفسهم بالانجراف مع تأرجح بندول المزاج والعواطف، ومن خلال الثبات على قناعتهم بأنهم أسياد أنفسهم يبقوا محافظين على ميلهم باتجاه القطب الموجب. أما السيد طبعاً، فيتمتع بدرجة أكبر من البراعة في هذا المجال، لأنه يفهم هذا القانون، والذي يتغلب عليه مستخدماً قانون أعلى منزلة، ومن استخدام إرادته يُحرز درجة من التوازن والثبات العقلي يستحيل تصديقها من قبل الذين يسمحون لأنفسهم بالتأرجح ذهاباً وإياباً مع البندول العقلي للمشاعر والأمزجة.

تذكر دائماً بأنك لا تلغي فعلياً قانون "الإيقاع"، فهو غير قابل للإلغاء. كل ما تفعله ببساطة هو التغلب على أحد القوانين من خلال موازنته مع قانون آخر وبالتالي تبقى محافظاً على الاتزان المنشود. قوانين "الموازنة" و"الموازنة المضادة" تعمل على المستوى العقلي كما في المستوى المادي، وفهم هذه القوانين يمكن الفرد من التغلب على القوانين، وذلك بالجوء إلى عملية "الموازنة المضادة".

".. لا شيء يقلت من قانون العلة والمعلول، لكن هناك مستويات كثيرة للسببية، ويمكن للفرد استخدام قوانين المستويات الأعلى للتغلب على قوانين المستويات الدنيا.. القليلان

من خلال فهم ممارسة "الاستقطاب"، يرتقي الهرمزيون إلى المستوى الأعلى من السببية وهكذا يوازنون قوانين المستويات الدنيا من السببية. من خلال الارتقاء فوق مستوى الأسباب العادية يتحولون، بدرجة معينة، إلى "سببات" بدلاً من "سبب بهم". من خلال التمكن من السيطرة على أمزجتهم ومشاعرهم، والتمكّن من محايدة الإيقاع، كما شرحنا سابقاً، يستطيعون الإفلات من قسم كبير من تأثيرات قانون "العلة"

والمعلول" على المستوى العادي. الحشود البشرية تتجرف دون مبالاة، مطيعة لبيئتها، وكذلك لرغبات وإرادات الآخرين الأقوى، وكذلك لتأثير ميولهم الموروثة، وإيحاءات الذين من حولهم، وغيرها من أسباب خارجية، مما يجعلهم يُحرّكون كالبيادق على رقعة الشطرنج. من خلال الارتقاء فوق هذه الأسباب المؤثرة، يسعى الهرمزيون المتقدّمون إلى مستوى أعلى من العمل العقلي، ومن خلال السيطرة على أمزجتهم وعواطفهم، نزواتهم ومشاعرهم، يخلقون من أنفسهم شخصيات جديدة، خصائص جديدة، وقوى جديدة، بحيث يستطيعون بعدها التغلب على بيئتهم العادية، وبالتالي يتحوّلون عملياً إلى "لاعبيين" بدلاً من "بيادق". هكذا أشخاص يشتركون في لعبة الحياة بتفهمّ وعلى بيئة، بدلاً من أن يتم تحريكهم هنا وهناك بفعل التأثيرات القوية ورغبات الأقوياء. يستخدمون مبدأ "العلّة والمعلول"، بدلاً من يُستخدموا من قبله. طبعاً، حتى أرقامهم درجة مُعرّض لهذا المبدأ الذي يتجلّى على المستوى الأعلى أيضاً، لكن على المستوى الأدنى من النشاط، هم أسياد بدلاً من عبيد. كما يقول "القبيلان":

".. الحكماء يخدمون على المستوى الأعلى، لكنهم يحكمون على المستوى الأدنى. يطيعون القوانين النازلة من أعلاهم، لكن على مستواهم والمستويات الأدنى منهم، فهم يحكمون ويصدرون الأوامر. ورغم قيامهم بذلك، فهم في النهاية يشكّلون جزءاً من المبدأ بدلاً من مواجهته. الرجل الحكيم يوافق نفسه مع القانون، ومن خلال فهم سلوكه يتماشى معه ويستخدمه بدلاً من أن يكون عبده المطيع. تماماً كما يفعل السباح الماهر الذي يدور بهذا الاتجاه وذلك الاتجاه تماشياً مع التيار، يتصرّف كما يشاء لكن بتوافق مع التيار، بدلاً من التصرف كقطعة خشب طائفة تُدفع هنا وهناك. هكذا يكون الفرق بين الرجل الحكيم والرجل العادي. ومع ذلك، كلاً من السباح والخشبة، الحكيم والأحمق، يخضعون للقانون. هو الذي يفهم هذا يكون على الدرب الصحيح نحو السيادة.. — القبيلان

دعونا في الختام نلفت انتباهكم للبيئية الهرمزية التالية:

".. التحول الهرمزي الحقيقي هو فنّ عقلي..". — القبيلان

في البديهية السابقة، يعلن الهرمزيون بأن العمل العظيم المتمثل بتأثير الفرد على بيئته يُنجز بواسطة قوة العقل. لأن الكون ذو طبيعة عقلية (مؤلف من محتوى عقلي)، فهذا يعني أنه يُحكم عقلياً فحسب. ويمكن رؤية هذه الحقيقة بوضوح واستخدامها في تفسير كافة الظواهر العقلية وتجلياتها المتنوعة والتي تجذب المزيد من الانتباه والاهتمام البحثي في هذه السنوات المبكرة من القرن العشرين. ما وراء جذور التعاليم السائدة في كافة المذاهب والمدارس الروحية، يكمن المبدأ الأبدي المتمثل بـ "المحتوى العقلي للكون". إذا كان الكون عقلياً بطبيعته ومحتواه، فهذا يعني أن "التحول العقلي" للفرد قادر على إحداث تغييرات في ظروف والظواهر الطبيعية في الكون. إذا كان الكون عقلياً، فهذا يعني أن "العقل" يمثل أعلى قوة قادرة على التأثير في ظواهره. مجرد أن استوعبنا هذه الفكرة، تصبح "المعجزات" و"الأعمال الخارقة" حالات طبيعية لا تدعو للعجب والذهول.

".. الكل هو عقل... الكون هو محتوى عقلي..". — القبيلان

انتهى

سوف نتابع مسيرتنا في رحاب المبادئ الهرمزية وتطبيقاتها عبر تسلسل المواضيع التي سأتناولها في إصدارات لاحقة. لا يمكن استيعاب منظومة "شجرة الحياة" دون المرور على المبادئ الهرمزية أولاً، ومن ثم استيعاب المعنى الفعلي للثالوث المقدس (ثالوث التجلي وثالوث التجسيد)، والحلقات السبعة (السموات أو إشعاعات الخلق السبعة). سوف نتعرف على الرابط المشترك الذي يجمع بين كامل هذه القوى (أو المظاهر الإلهية) التي ساهمت في خلق العالم المتجلى. هذه ليست سوى البداية، أي لازلنا في المرحلة الأولى، والمراحل التالية ستكون أكثر روعة وإذهالاً.

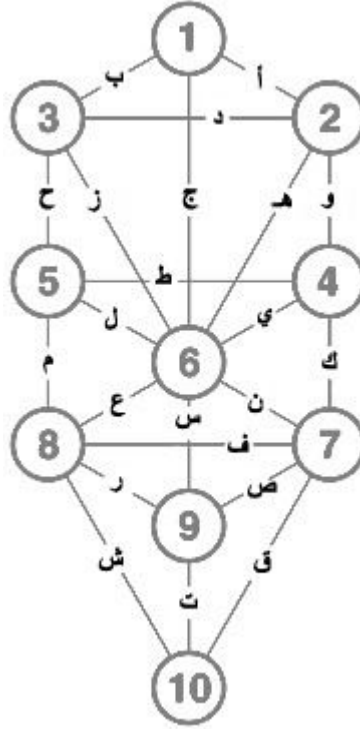
الخلاصة

الوجود هو عبارة عن تجسيد هولوغرافي، متعدد الأبعاد ومتدرّج المستويات الذبذبية، ونتيجة اجتماع مجموعة من القوى الكونية المختلفة والمتباينة في الخصائص والشدة والإيقاع، كل منها مسؤولة عن جانب معيّن من التجلّي الوجودي. هذه القوى الكونية هي ذات طبيعة دورية، أي كل منها لها إيقاع معيّن يميّزها عن غيرها. ومن هنا جاء مبدأ الإيقاع الهرمزي، وبعدها نشأت علوم الفلك التي نألفها.

الطبيعة الهولوغرافية للوجود تجعله يعمل بطريقة تماثلية على كافة المستويات (كما في الأعلى، كذلك في الأسفل)، أي تفاعلات القوى الكونية الموصوفة سابقاً (الذبذبة، التدرّج، الإيقاع، الجندر.. إلى آخره) التي تتجلّى على مستوى كوني كبير، تتجلّى أيضاً بنفس الصيغة على كافة المستويات وصولاً إلى المستوى الذريّ الدقيق.

كل هذه التفاعلات الكونية التي تُجسد في النهاية الكون المرئي والملموس هي مؤلّفة من محتوى عقلي مُنبعث أصلاً من عقل مطلق يتعدّر وصفه بسبب محدودية الإدراك البشري. لكن بما أن الكون مؤلف من محتوى عقلي، فهذا يجعل العقل "سيد" كل القوانين والمجريات الكونية. وبفضل ظاهرة "التماثل" على كافة المستويات الوجودية، يستطيع الإنسان أيضاً، الموهوب بملكة "العقل"، إحداث تغييرات في محيطه وبيئته الوجودية وفق الرغبة بواسطة "العقل". لكن العقل البشري بحالته الطبيعية لا يستطيع إنجاز شيء قبل تنشيطه وتطويره بطريقة معيّنة ووفق منهجية معيّنة (التحوّل العقلي).

بناء على هذه الحقائق الكونية الأولية، تم وضع منهج علمي يساعد الإنسان على تحسين وجوده المادي في المستوى الدنيوي وبالإضافة إلى ضمان سمو مرتبته الروحية في المستوى التجاوزي. وبفضل ظاهرة "التماثل" (كما في الأعلى كذلك في الأسفل) تم صياغة مخطّط هندسي بسيط يشمل كل الحقائق والقوانين الكونية والتي تنطبق على كافة المستويات الوجودية. هذا المخطّط أصبح معروف بـ"شجرة الحياة".



التعاليم التي تتمحور حول هذا المخطّط ترتكز على فكرتين أساسيتين: [١] شرح الطريقة التي تجلّى بها الخالق في خلقه (كما في الأعلى كذلك في الأسفل)، بالإضافة إلى وصف آلية تفاعل القوى الكونية لتتشكّل في النهاية الوجود المرئي الملموس، وشرح القوانين والمبادئ التي تحكم هذه العملية (درب السيف في تعاليم القبالة). [٢] كما أنها تمثّل بنفس الوقت أداة مجدبة للتطوّر العقلي والارتقاء الروحي، بحيث توصف السبيل المجدي والصحيح الذي يمكّن الفرد من إجراء "التحوّل العقلي" (تنشيط أداء العقل وطريقة تفاعله مع القوى الكونية)، بالإضافة إلى "الارتقاء الروحي" (رفع وتيرة الذبذبة). (وهذا ما يُشار إليه بـ"درب الأفعى" في تعاليم القبالة).

شهدت هذه المعرفة "المقدّسة" عصر ذهبي مجيد من التطوّر والازدهار، وتفرّعت منها علوم وتقنيات مُذهلة لا يمكن للعقل البسيط استيعابها لدرجة أصبحنا نعتبرها

"سحرية"، ومكنت الإنسان من تحقيق إنجازات جبارة شملت كل المجالات، العمرانية، الزراعية، الطبية، الثقافية.. إلى آخره.

لكن في النهاية لا بدّ لقانون "الإيقاع" أن يفعل فعله المعهود. راحت الحضارات الجبارة التي شهدت ذروة مجدها على هذا الكوكب تشهد انحدار تدريجي نحو الحضيض، ودخلت تلك العلوم والمعارف عصور مظلمة من الانحطاط والتوحش، وانتهى بها الأمر مُحتكرة على مجموعة من العائلات الشيطانية التي تستخدمها للسيطرة على العالم، حارمة الإنسان من الاستفادة منها بشكل إيجابي وسليم.



في النهاية

إن إلقاء نظرة تحليلية على مستوى المعرفة التي حازها القدماء، وتعاليمهم الدينية التي نشأت وتشكّلت عبر التطورات التاريخية المتلاحقة، سوف يؤدي بنا إلى استنتاج قاطع بأنه في جوهر النظرة القديمة للعالم نشأ خلل معيّن أدى إلى تقرير مصير، ليس فقط أطلنطس وراما وهايبربوريا، بل كذلك مصر، المايا، التولتك، والأزتك، وغيرها من حضارات قديمة جاءت بعدها.

إن الأهمية التطورية لتبعات ذلك الخلل أثبتت قوة تأثيرها لدرجة تطلب الأمر أكثر من عشرة آلاف سنة لخلق الظروف المناسبة لتصحيح التشوّه الذي أصاب المعايير الأخلاقية والأدبية النامية في وعي العرق البشري الأرضي.

هذا الانحطاط الأخلاقي، وما تبعه من أحداث مأساوية عبر عصور طويلة مظلمة، أديا بالإنسان أخيراً إلى إدراك الحاجة الملحة للتفكير ثانية بخصوص النظرة السائدة تجاه الله [جلّ جلاله]. عملياً، ليس هناك أي تعاليم دينية اليوم، أو حتى عقيدة فلسفية، توفّر للإنسانية التصوّر الفعلي للخالق [عزّ وجلّ]. بالإضافة إلى ذلك، لم يتم مقاربة الموضوع حتى. وكل محاولات مناقشته تأتي على شكل تناول العلاقة بين الله والإنسان التي تكون دائماً بصيغة "السيد الصارم المستبدّ وعبد الخائف المطيع". مع كل تشعبات هذا الأسلوب المتبع، ينتهي الأمر بانحراف انتباه الأجيال المتتالية عن الموضوع الرئيسي الذي، من خلال ترسيخ أسس صحيحة للنظر للعالم، يحدد المعنى الجوهري للوجود والمبادئ الصحيحة للتفاعل مع العالم.

لقد مرّت أفيات عديدة من تاريخ حضارتنا، لكن البشرية لازالت جاهلة تماماً عن الله. نحن نؤمن، نناقش، نبحث، نرسم خطوط تقسيمية، وأخيراً نتعارك حول اختلافات دينية. حتى أننا نقتل بعضنا البعض باسم الإيمان. لقد ذهبنا بعيداً في انحرافنا لدرجة أننا لم نعد نتذكّر أصولنا... الكشف العظيم الذي بدأ معه كل شيء.

لقد سار العرق البشري في زقاق أعمى يستحيل الخروج منه سوى عبر تذكّر الأصل وتذكّر الوصلة التي تربط الإنسان بالعالم من حوله. المعرفة التي أُحرزت في الأزمنة الغابرة كانت ذات أصول كونية. تحتوي على معلومات شاملة حول بنية النظام الشمسي والأساسيات الحسابية للدورات الفلكية، كما احتوت على معلومات كاملة بخصوص البنية العضوية للإنسان وكل شيء موجود. جميعها مشمولة في مبدأ الـ"كا"/"با" KA-BA. عندما نستوعب فكرة أن الكون أنشأ بتوافق مع هذا المبدأ، سوف يصبح واضحاً أن جوهر المعرفة التي تم تناقلها في ذلك الزمن الغابر تتحدث عن وحدة البنية الجامعة بين الإنسان والكون.

لازال هناك أمل في المرحلة التاريخية الحالية التي يثبت فيها ذكاء الإنسان بأنه متطور كفاية لفهم المعنى الحقيقي وراء "معرفة الله" التي مُنحت للبشرية في أزمنة غابرة. في ذلك الماضي البعيد، كانت هذه "المعرفة بالله" مقتصرة على حلقة ضيقة من الناس، لكن حان الوقت لتصحيح هذا الخلل وجعل هذه "المعرفة" ملك للجميع.

الفلسفة الهرمزية ومنظومة تعاليم "شجرة الحياة" المتفرعة منها، بصيغتها المستقيمة والصحيحة، تساعدنا على التقرب من الله. أما كيف وصلت بها الأمور بحيث أصبحت حكرًا على النخبة العالمية الشيطانية، يكرسونها لعبادة إبليس ويستخدمونها للسيطرة على البشرية، فهذه قصة طوووووويلة لم يعد تناولها مجدياً الآن.

بالنسبة لكل من يعيش في الكون، يبقى الله خفياً لأن لا أحد يعلم بالضبط ما هو. للتعرف على نفسها والعالم من حولها، لازالت الإنسانية المنتشرة في الكون تقترب رويداً رويداً من حلّ اللغز. لكن كل شيء مبنياً بطريقة بحيث أنه كلما اقتربنا من الأفق، نراه يتحرك بعيداً باستمرار. وبالتالي سيبقى معنى الحياة متمثلاً دائماً في البحث عن معرفة ما يتعدّر معرفته.

هناك عدة وجهات نظر بخصوص الله، والتي حملتها هذه المعرفة المنحدرة إلينا من ذلك الماضي البعيد، لكن يمكن تلخيص أبرزها في ما يلي:

— هو شيء يشمل مظاهر أنثوية وذكرية. شيء تمكن من التجسيد بداخله قوانين الزمان والمكان وخلق أعداداً لا تُحصى من "إسقاطاته الذاتية" وفق شيفرة جينية واحدة.

— كل "الإسقاطات" (التي خلقها الله) لا تجسّد في ذاتها قوانين الزمان والمكان. وسط عملية تطوّر الأشكال وفق البرمجة الجينية للخالق، تعيش هذه "الإسقاطات" في مكان وزمن معيّن ولفترة معيّنة.

— كل من هذه "الإسقاطات" (الكائن البشري) تحمل ضمن كينونتها عدة مستويات من "الأجسام الطاقية"، وجميع هذه المستويات موصولة مباشرة بالخالق. نحن نمثّل "عيونه"، "خلاياه".. من خلالنا يرى الخالق العالم، يعلم عن نفسه، هو الذي خارج سياق الزمان والمكان، ليس له بداية أو نهاية...

— من خلال خلقه للكون، يكون الخالق قد دخل المرحلة التالية من نموه التطوّري. سيبقى في هذا الطور طالما تطلبته الضرورة قبل الانتقال إلى مرحلة تطورية أرقى عبر المعرفة الذاتية والتحسين الذاتي. من أجل إحراز هذا التحول، على الخالق أن يستوعب، ويُثَقّن وبالتالي يجسّد داخله قوانين تناسب نظام أعلى. تعمل آلية التعلّم عبر "المعرفة الذاتية والتحسين الذاتي" وفق النموذج التالي:

— ينتج الخالق داخل نفسه (في صميمه) عدد X من "إسقاطاته الذاتية"، فتبدأ بالتطوّر وفقاً للبرنامج الذي تصوّره. من خلال المرور عبر مراحل تطورية مختلفة، في سياق العديد من التجسيّدات الدورية (التناسخ)، كل "إسقاط" (إنسان) يجمع المعرفة والخبرة، بينما كمونه الطاقية $energy\ potential$ ينمو تدريجياً. من خلال نقل إسقاطاته من مكان إلى آخر، ومن زمان إلى آخر (التقمّص في حقّبة تاريخية مختلفة)، يراقب الخالق العالم عبرها، وبها يتعلّم عن الكائن الذي يخلقه ويطوّره داخل نفسه.

— خلال السير في دروب التطور الطويلة والشائكة، تصل هذه "الإسقاطات" المخلوقة من الله إلى قمة تطورها، ويكون قد زاد كمون الخالق، فيدخل بعدها إلى حالة جديدة يتربّب فيها التحول إلى المستوى التالي من وجوده.

هذه المعرفة، التي قولبت الوضعية الحالية لوجهة النظر العالمية، مُنحت للإنسانية منذ زمن بعيد لكن بهدف جعل الناس يستوعبون حقيقة أن الحياة التي منحها الله للإنسان هي هدية لا تُقدر بثمن كما أنها مسؤولية كبرى.

سوف يتحول وعي الشخص إلى وعي كوني مجرد أن أدرك حقيقة أن "الخالق يكمل نفسه عبر خليقته..". وفقاً لهذه الحقيقة، الشخص لا يخلق حياته الفردية فحسب، بل يساهم أيضاً، وبدرجة معينة، في خلق مستقبل الكون.

تبدأ الأخلاق الكونية مع إدراك حقيقة أن الله يراقبنا عبر الناس من حولنا، بصرف النظر عن لون جلدتهم أو عقيدتهم الدينية. بالتالي، قبل اتخاذ أي خطوة أو قرار قد يؤثر على حياة شخص آخر، وجب عليك التذكّر بأن الله يراقبك عبر الناس. من خلال الإقدام على فعل معين تجاه شخص آخر، فأنت بذلك قد فعلته للخالق [عزّ وجلّ].

خلال الكلام عن معنى الحياة، تذكّر بأنه عبر أعمال الإنسان، عبر تطوير الوعي الفردي والجماعي، الخالق يكمل نفسه. بالتالي يكمن معنى الحياة في اكتساب المعرفة، اكتساب المعرفة عن الذات والتحسين الذاتي من أجل مصلحة الإنسانية، وهذا طبعاً يعني من أجل مصلحة الخالق.

لا أقصد من خلال عبارة "الله يكمل نفسه" بأن الباري عزّ وجلّ "غير مكتملاً"، وهي أول فكرة تطرأ في خاطر البعض. قبل الخروج بهذا الاستنتاج الخاطئ علينا أولاً النظر للأمر بطريقة هولوغرافية لكي تتضح الفكرة جيداً. المستوى المادي للكون (أي المرئي والملموس) يمثّل القسم الدنيوي من الله، بينما المستوى التجاوزي يمثّل القسم الروحي منه. القسم الدنيوي للكون يحتلّ حيزاً زمنياً ومكانياً وبالتالي هو خاضع

لعاملي المكان والزمان، أي بمعنى آخر، لازال هذا القسم في الكون ينزح نحو الكمال ولكنه لم يصل بعد. بينما القسم التجاوزي (الروحي) لا يخضع لعاملي المكان والزمان، حيث هو كليّ الوجود، أزلي الوجود، ليس له بداية ولا نهاية، وبالتالي يتمتع بالكمال دائماً وأبداً. كل ما يحصل من أحداث ومجريات منسلسلة زمنياً في واقعنا الدنيوي تكون قد حصلت واکتملت في الواقع التجاوزي. هذه الفكرة ستتوضّح جيداً عبر توالي الأجزاء القادمة.

عند التوجّه إلى الله [جلّ جلاله]، يكون الإنسان متوجّهاً إلى الذي خلقه وخلق الكون بكل ما فيه. خلق الله كل البشر "بصورته ومظهره". بالتالي كل الكائنات البشرية (أو أشباه البشرية) القاطنة في هذا الكون الواسع تشبه بعضها البعض، باستثناء اختلافات شكلية لا معنى لها بهذا المضمار، وذلك بسبب ظروف الحياة والتركيبية البيئية والجوية في الكواكب الأخرى. من الناحية الأنثروبولوجية نحن متطابقون تماماً. سكان الأكوان الأخرى ليسوا مثلنا جسدياً لأن لهم "شيفرات جينية" مختلفة تتوافق مع بيئتهم.

البرنامج الذي وُضع في الشيفرة الجينية البشرية يمثّل الطريق الذي سافرنا عبره مسافة معيّنة. هو الطريق الذي رسمه خالق الكون. بالتالي على كل شيء أن يتطوّر بطريقة طبيعية ودون إضرار، أو التأثير على، تطوّر عقل الفرد.

لم يستوعب القدماء المعنى العميق لتلك المعرفة العظيمة التي مُنحت لهم، وبالتالي أريق الكثير من الدماء. هذا العمل الإنساني غير المسؤول أدى إلى تشويه الأسس الجوهرية للمبادئ الأخلاقية والأدبية. سطوة هذا الوضع على الساحة أدى إلى الانحطاط التدريجي لحضارتنا... وكافة المشاكل التي تعاني منها الإنسانية اليوم تعود أصولها إلى تلك الفترات الغابرة.

من خلال النظر إلى نفسها وللعالم حولها من زاوية هذه "المعرفة القديمة"، تكسب الإنسانية الفرصة، عن طريق إعادة النظر في علاقة أفرادها ببعضهم (وهذا يعني مع

الله) من أجل كبح جموح هذا الانحطاط المريع، وتأسيس الظروف المناسبة.. الأسس الأولية.. لمستقبل يسمح للإنسانية بالإرتقاء مجدداً.

إن المعرفة، أي نوع من المعرفة، ليست مجرد بركة نزلت على الإنسانية، بل هي مسؤولية أيضاً. كيف سيكون العالم، من وماذا سيستفيد من الخدمات المترتبة من "معرفة الله"، كل هذه الأمور وغيرها تعتمد على الإنسانية.

"المعرفة القديمة" تمنح المفتاح لفهم حقيقة أننا موصولون عبر خيوط خفية بكل العالم من حولنا وكذلك ببعضنا البعض.

لا زالت الإنسانية تعتقد بشكل خاطئ بأن مستوى تقدم الحضارة يُقاس من خلال إنجازاتها العلمية والتكنولوجية. سوف يأتي الوقت الذي يدرك فيه الناس بأن المقياس الفعلي للتقدم يعتمد على مدى "معرفة الخالق". هذا الجانب مهم جداً لكنه للأسف الشديد لا تعيره المدارس العصرية أي اعتبار. بناءً عليه، فالإنسان العصري الذي جرد من هذه المعرفة، والجاهل لعلاقته الصميمية مع العالم من حوله، هو إنسان بدائي. لا يستطيع، بأي طريقة من الطرق، فهم معنى هذا المبدأ الأخلاقي، هذه الظاهرة الطبيعية الجوهرية التي في غيابها يُعتبر التقدم السليم مستحيلًا.

الإنجازات الحقيقية للحضارة لا تكمن في معرفة كيفية صناعة جهاز ليزر أو آلة طائرة. الأمر الأساسي يكمن في عامل العلاقات الإنسانية، والمستندة أصلاً على قاعدة "معرفة الخالق". في وقت من الأوقات، بعد إكمال مسيرتنا التطورية الكونية في رحاب "الكلّ العظيم"، سوف نصبح قادرين على خلق أكوان. لكن في الوقت الحالي، قبل التطور لنصبح آلهة، وجب علينا أولاً أن نكون بشراً حقيقيون!

إن الكشف التدريجي للعلوم التي كانت ملكاً للحضارات القديمة، والتي كانت إلى حدّ ما العامل الأساسي في تحديد مصير الشعوب المختلفة عبر العصور المختلفة، هو ليس حدثاً عابراً في فترتنا هذه، إنه عمل إلهي مقصود. لقد أن الأوان لأن نتعرّف

على الحقيقة.. إنها عملية كونية طبيعية، لقد اكتملت الدورة الكونية وحان الوقت لأن يُكشف كل مستتر وخفي. لقد حان وقت ارتقاء الكائن البشري إلى مرحلة جديدة، تجلّي جديد، درجة جديدة في سلّم الكمال. وهذا لن يحصل قبل ظهور الحقائق التي طالما حُرّم الإنسان منها عبر العصور المظلمة الماضية.

بالنسبة للذين يصرون على عدم صوابية كشف بعض من هذه "العلوم الخفية" جهاراً أمام العامة، أرجو أن لا تغضبوا. لقد علمتنا التجربة بأن كل شيء يمكن كشفه وقوله دون خوف أو وجل. فقط الذين يستحقون هذا العلم سيفهمون. بينما الآخرون، القسم الأكبر، سوف تفوتهم الفرصة الذهبية خلال التهاءم بالتهجّم والاتهام والتهديد والوعيد. إحدى ميزات العلوم الخفية هي أنه يمكن شرحها بحريّة أمام الجميع، كما الحكايا الرمزية التي كان يفضلها الحكماء القدامى. هي تظهر أمام معظم الناس بأنها مجرد جموح من الخيال وبعيدة كل البعد عن الواقع. لكن هناك أقلية معيّنة تتمتع بحسّ مناسب لاستشعار الحقيقة واستيعابها، هذه الأقلية هي فقط من يستفيد.

إليكم يا فلاسفة الوحدة والتوحيد، أعداء المذهبية العلمية والاجتماعية والدينية، أهدى هذا الكنز الثمين. ربما يساهم ولو بجزء يسير في إعادة تشييد المعبد الذي يكرّم الإله الأعلى، الواحد الأحد، الذي منه انبعثت كل الآلهة الأخرى.

انتهى

ستستمرّ الفكرة بالوضوح رويداً رويداً عبر توالي الأجزاء اللاحقة.

المراجع

- Occult Science in India - Louis Jacolliot - [1919]
- UNCOVERING THE KABALA - Harrell Rhome, Ph.D.
- Albert Pike "Morals and Dogma," Master Mason / 3rd Degree
- Aleister Crowley-The Book of the Law - [1904]
- Aleister Crowley- The Book Of Thoth - [1912]
- Arthur Edward Waite- The Book Of Black Magic
- The Secret Teaching Of All Ages- Manly P. Hall [1927]
- The Lost Keys Of Freemasonry- Manly P. Hall
- The Secret Doctrine- Helena Petrovna Blavatsky [1888]
- The Biggest Secret- David Icke [1999]
- The Chaldæan Oracles of Zoroaster W. Wynn Westcott [1895]
- A Cyclical History of the World- Stephen E. Franklin
- Sallie Ann Glassman-Vodou Visions
- The Alphabet: A Key to the History of Mankind - David Diringer
- The Alphabet and the Ancient Calendar Signs - David H. Kelley
- Ra Un Nefer Amen (1990). Metu Neter, vol. 1: The Great Oracle of Tehuti, and the Egyptian System of Spiritual Cultivation.
- Ra Un Nefer Amen (1996). Tree of Life Meditation System (T.O.L.M)
- Charles S. Finch III (1998). The Star of Deep Beginnings: The Genesis of ----- African Science and Technology
- Harish Johari (1987). Chakras: Energy Centers of Transformation

From: **WWW. Wikipedia.COM**

- Tree of life -From Wikipedia, the free encyclopedia
- Chakra- From Wikipedia, the free encyclopedia
- Ausar Auset Society- From Wikipedia, the free encyclopedia
- Kemetism- From Wikipedia, the free encyclopedia
- Ancient Egyptian religion- From Wikipedia, the free encyclopedia
- Sumerian religion -From Wikipedia, the free encyclopedia
- Pantheon (gods) -From Wikipedia, the free encyclopedia
- Sumerian pantheon -From Wikipedia, the free encyclopedia
- Egyptian pantheon -From Wikipedia, the free encyclopedia
- Incan Pantheon -From Wikipedia, the free encyclopedia
- Greek pantheon -From Wikipedia, the free encyclopedia
- Roman pantheon -From Wikipedia, the free encyclopedia
- Germanic pantheon -From Wikipedia, the free encyclopedia
- Norse pantheon -From Wikipedia, the free encyclopedia
- Celtic pantheon -From Wikipedia, the free encyclopedia
- Hindu pantheon -From Wikipedia, the free encyclopedia
- Rigvedic pantheon -From Wikipedia, the free encyclopedia
- Japanese pantheon -From Wikipedia, the free encyclopedia

- Japanese Buddhist pantheon -From Wikipedia, the free encyclopedia
 - Aztec pantheon -From Wikipedia, the free encyclopedia
 - Mayan pantheon -From Wikipedia, the free encyclopedia
 - Native American pantheons -From Wikipedia, the free encyclopedia
 - African pantheons -From Wikipedia, the free encyclopedia
-

SYKOGENE.COM

الفهرس

٥ مقدمة – السرّ المحجوب
٨ الناسك الدرويش
١٢ عامل السريّة
١٧ تشابه التعاليم
٢٣ التشابه بين تعاليم القبالة وتعاليم البرهمنين
٣٠ ما هي القبالة؟
٣٥ القبالة عقيدة النخبة العالمية
٤٤ الماسونية والقبالة
٤٦ القبالة الإبليسية، عقيدة النخبة الماسونية
٥٤ نظرة مختلفة
٦٣ نوع آخر للقبالة
٦٤ فلسفة القبالة بشكل عام
٦٩ نظام التجلّي القبالي
٧٧ بخصوص أسياذ الملائكة في شجرة الحياة
٧٨ منظومة شجرة الحياة عموماً
٨٧ درب السيف ودرب الأفعى
٩٠ شجرة الحياة وممارسة تحضير الكائنات الغيبية
٩٩ عودة إلى القبالة اليهودية، والبيترس الهندية
١٠٦ القبالة الكلدانية
١١٢ شجرة الحياة الآشورية
١١٩ الأصول السومرية
١٢٢ المصدر الأساسي
١٢٦ الديانة المصرية القديمة
١٣٦ الميثولوجيا والعلوم الباطنية

١٣٨	الفلسفة الرمزية وتشفير النصوص
١٤٣	الأساطير المصرية وفق نظرة تجاوزية
١٤٤	أسطورة الخلق في معبد "رع"
١٤٨	أسطورة أوزيريس وإيزيس
١٥٢	شجرة الحياة الرومانية والإغريقية
١٥٣	مقارنة بين الآلهة الإغريقية والملائكة القبلانية
١٥٤	شجرة الحياة الأفريقية
١٦٢	مقارنة بين الآلهة الإغريقية والآلهة الهندوسية

١٦٣ شجرة الحياة في كل مكان وكل زمان

١٦٣	شجرة الحياة المصرية
١٦٥	شجرة الحياة البهائية
١٦٥	شجرة الحياة الصينية
١٦٧	شجرة الحياة الجرمانية والاسكندنافية
١٦٨	شجرة الحياة في التوراة
١٦٩	شجرة الحياة في الهند
١٧١	شجرة الحياة في حضارات أمريكا الجنوبية والوسطى
١٧٤	شجرة الحياة التركية
١٧٥	شجرة الحياة في ثقافات أخرى مختلفة

١٧٦	"الأنخ" رمز شجرة الحياة المصرية
١٧٩	الدليل الجازم
١٨٢	اكتشاف السرّ
١٨٤	تعاليم "شجرة الحياة" المصرية
١٨٧	تختلف الرموز لكن التقليد السري يبقى ذاته
٢٥٥	شجرة الحياة وعلم الأرقام

المصدر المحجوب

٢٠٨ المصدر المحجوب
٢١٠ دلائل أثرية قويّة على حضارة العصر الذهبي
٢١٤ الفلسفة الخالدة
٢١٨ التعاليم الهرمزية
٢٢٨ دراسة تحليلية لأوراق التاروت
٢٣٩ أوراق التاروت ورموزها الباطنية تدخل في صلب تعاليم شجرة الحياة
٢٤٠ أصل الأبجدية العبرانية
٢٤٦ الاختصار المُركَّب
٢٥٨ التقليد السريّ

المبادئ الأساسيّة للفلسفة الهرمزيّة

٢٦١

القيبلان

THE KYBALION

٢٦٣ مقدمة
٢٦٧ الفلسفة الهرمزيّة
٢٧٢ المبادئ الهرمزيّة السبعة
٢٨٠ التحوّل العقلي
٢٨٤ "الكلّ"
٢٩٠ الكون العقليّ
٢٩٦ الإشكاليّة الدينيّة
٣٠٥ "الكلّ" في الكلّ

٣١٣ مستويات التماثل
٣٢٥ الذبذبة
٣٣١ القطبيّة
٣٣٦ الإيقاع
٣٤٢ السببيّة
٣٤٩ الجندر
٣٥٤ الجندر العقلي
٣٦٣ بديهيات هرميّة
—————	
٣٦٩ خلاصة
٣٧٢ في النهاية
٣٧٩ المراجع
—————	